المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس



مِنَ الشاي إلى الأتاي

العادة والتاريخ



عبد الأحد السبتي

عبد الرحمان لخصاصي

مِنَ الشايِ إلى الأتايِ

العادةُ والتاريخُ





منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: بحوث ودراسات رقم 25

من الشاي إلى الأتاي

العادة والتاريخ

عبد الأحد السبتي

عبد الرحمان لخصاصي

الكتـــــاب : من الشـاي إلى الأتـاي

العـــادة والتـــاريخ.

المؤلـفــــان : عبد الأحد السبتي – عبد الرحمان لخصاصي.

منشـــــورات : كلية الاداب والعلوم الإنسانية – الرباط.

سلسلـــــة : بحوث ودراسات رقم : 25

الغـــــلاف : إعداد عمر أفا.

لوحة الغـــلاف : "العائلة" للفنان الأمين الدمناتي.

الخطـــــوط : بلعيد حميدي.

الطبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء.

الإيـــــداع : القانوني رقم 1999/598

التسلسل الدولي : 1113/0369

ردمـــــك : 9 - 016 - 59 - 9981

الطبـعــــة : الأولى 1999.

الإهداء

إلى روح ...

براهيم نايت اخلف

شاعر من أيت باعمران أرخ قصيدته حول الأتاي في عام 1895م.

«استولى غراب على حمامة، ووضع فمه في فمها. يولد الصغار، فيشتهم الصقر. مامعنى هذا؟ الجواب: الغراب هو المقراج، والحمامة هي البراد، والفراخ هم الكؤوس، والصقر هو الشخص الذي يوزع الكؤوس على الضيوف.»

لغز تم تدوينه بمراكش سنة 1933

محتويات الكتاب

تشكرات

استفاد هذا العمل منذ انطلاقه من التشجيع والمساعدة التي أمدنا بها عدد من الأصدقاء والزملاء، حيث أغنوا قراءاتنا وغذوا فضولنا في اتجاه مسالك متعددة. ونخص بالذكر ادريس بنسعيد، وفاروق مردم باي، ومحمد المغراوي، ومحمد المنوني، وكاثرين مُوسلي، ونيكولا ميشال، ومحمد بن يحيى.

كما نشكر أحمد التوفيق على إعتنائه بتعريب النصوص الشعرية الأمازيغية، وعلال ركوگ الذي وجهنا إلى بعض النصوص من الأدب الشفوي بالعربية الدارجة، وعبد القادرغريب على مساعدته لنا في تجاوز الصعوبات المتعلقة بالمعطيات الاقتصادية والاحصائية. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأصدقاء والزملاء الذين سوف نذكرهم في سياقات خاصة داخل الكتاب.

وفي مستوى الخزانات ومراكز التوثيق الوطنية، نود توجيه شكرنا إلى محمد رشدي (الخزانة العامة بالرباط)، ومحمد الزرورة (محافظ خزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سابقا)، ومحمد مومو (الخزانة الحسنية بالرباط)، إلى جانب الكُتبي مصطفى الناجي الذي أمدنا ببعض المخطوطات والمطبوعات النادرة.

وقد استفاد هذا العمل أيضاً من إقامة عبد الأحد السبتي في «مدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية» و«دار علوم الإنسان» بباريس خلال شهري مارس وأبريل 1995 بدعوة من لوسيت ڤالنسي وموريس إيمار، وكذا من زيارته لقسم الدراسات العربية التابع ل«المجلس الأعلى للأبحاث العلمية» بمدريد بدعوة من مرسديس گرسيا أرينال خلال شهر يونيو من نفس السنة. كما استفاد هذا البحث من زيارة عبد الرحمان لخصاصي لبعض الخزانات الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية خلال موسم 1994-1995.

ولا يفوتنا أن نسجل جودة الخدمات التي قدمها لنا أمال العيماني، ومنير سباطة، وأمال گوگنديز في مرحلة استنساخ الوثائق والنصوص، كما نشكر عائشة بنموسى التي سهرت على الرقن الأولي للمتن.

ونود أخيراً أن نعبر عن صادق شكرنا لقيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عبد الواحد بنداود، الذي أحاط هذا العمل بالتشجيع طيلة مراحل الإنجاز، وقبل إدراجه ضمن منشورات المؤسسة المذكورة.

تنبيهات

لقد تعمدنا الاختصار في الهوامش والإحالات المرافقة للنصوص، وعربنا عناوين المراجع المكتوبة باللغات الأجنبية، ويجد القارئ التفاصيل الضرورية في البيبليوغرافيا الموضوعة في نهاية الكتاب.

وفيما يخص ترتيب أسماء الأعلام في البيبليوغرافيا والفهارس، فقد اتبعنا الترتيب الأبجدي، دون اعتبار عناصر الاسم التي تدل على الانتساب، من قبيل «ابن»، و«أيت»، و«ولد»، و«أبو».

وأرفقنا النصوص بعناوينها الأصلية، وفي حالة إحداثنا للعناوين، فقد وضعناها بين معقوفتين. ومن أجل تسهيل قراءة النصوص، أدخلنا بعض التعديلات في مستوى الفقرات. ولاحظنا أن بعض المؤلفين عمدوا إلى نقل فقرات مطولة من نصوص مدرجة في هذا الملف، لذلك حذفنا تلك النقول وأشرنا بشكل دقيق إلى الفقرات المنقولة.

وعند تقديمنا للأشعار المترجمة، عمدنا إلى ترقيم الأبيات قصد تسهيل المقارنة مع النصوص الأصلية.

اختــزالات

مخط	: مخطوط
ط	: طبعة
ط . ح	: طبعة حجرية
خ . س . ر	: الخزانة الحسنية بالرباط
خ . ع . ر	: الخزانة العامة والوثائق بالرباط
ك . الآداب	: كليـة الآداب والعلوم الانسانية
د . د . ع	: دبلوم الدراسات العليا
د . د	: دكتوراة الدولة
ن . م	: نفس المرجـع
م . س	: المرجع السابق
ت	: تاريـخ الوفاة
(؟)	: غير مقروء

تقديـــم

نشأت فكرة إنجاز هذا الكتاب في أحد صباحات خريف سنة 1990، خلال جلسة دردشة وتعارف عقدناها في مقهى «الجمرة» بمدينة الرباط. وقد دار الحديث عن اهتماماتنا في مجال البحث، وتوقفنا عند موضوع العلاقة بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية، حيث لاحظنا أن الاقتراب من النصوص يدعو إلى إعادة النظر في التعارض المعهود بين الثقافتين، وإلى رصد ما يقع بينهما من تبادل وتقاطع.

إن التمييز المتداول بين الثقافة «العالمة» المرتبطة بالمكتوب، وبين الثقافة «الشعبية» المرتبطة بالأداة الشفوية، هو تمييز يعبر، في الحضارة الإسلامية على الأقل، عن تعارض تصورين مختلفين انطلاقاً من موقعين اجتماعيين، وهما «الخاصة» و«العامة». فبينما تستعمل الفئة الأولى المكتوب وتتعامل به، تتحرك الثانية بكامل الحرية في أجواء اللغة المحلية. ففي المجتمعات «الزراعية-المتعلمة»، كانت الكتابة حكراً على طبقة متخصصة من رجال القلم. وعلى هذا النحو نشأ التمايز بين لغتين: الفصحى المقدسة والعامية المدنسة، وترسخت بذلك الهُوَّة القائمة بين «الثقافة العليا» و«الثقافة الدنيا». وفي المجتمعات الاسلامية، كانت طبقة رجال القلم، شأنها شأن الإكليروس في أوربا والبيروقراطية في الصين القديمة، طبقة مفتوحة من حيث المبدأ، إذ تسمح بارتقاء عناصر من الفئات الدنيا. غير أن فئة الإكليروس في الغرب كانت تتميز بالتمركز والتراتبية الداخلية، وهما خاصيتان لا توجدان في المجتمعات الاسلامية[1].

يمكن اعتبار هذه «التعادلية» الاساسية بمثابة عامل إيجابي سهل انتقال الثقافة العالمة نحو الجمهور في المجتمع الإسلامي، وهو ما جعلها تغذي قيم «المأثور الشعبي». وبالمثل فما دام لا يوجد مانع مبدئي من وصول الطّالب «الآفاقي» أو الصانع إلى ثقافة النخبة، فإن هذه

---

(1) إرنيست كلنير، **الأمم والقومية** (الترجمة الفرنسية). يصوغ المؤلف مفهوم المجتمع السياسي «القائم على الزراعة والكتابة»، ويحدد الملامح الرئيسية التي تميز الأقلية السائدة في هذا المجتمع كالتالي: تسيير العنف، والحفاظ على النظام، ومراقبة الحكمة الرسمية المحفوظة في المكتوب (ص 29-30). ويضيف كلنير بصدد المجتمع الإسلامي: «لا توجد هنا قواعد تميز بين فئات متخصصة في العبادة والحرب والانتاج، ولا توجد قواعد تمنع هذه المجموعات من الجمع بين الوظائف الثلاث كلما سمحت القدرات والطاقة بذلك» (ص 32).

النخبـة تستوعب قيم العـامة عن طريق الفئتين المذكورتين . هناك إذن قنوات تـواصل وتأثير متبادل بين ثقافتين يفترض بينهما حاجز عازل .

لقد انتبه أحدنا إلى مثل هـذه القضايا من خلال ما لاحظه من علاقة بين الذاكرة الشفوية والتدوين التاريخي المغربي ، وانتبه إليها الآخر من خلال حضور الخطاب الفقهي في الشعر الأمازيغي . ووردت في الحديث مؤشرات ونماذج توحي بأن ظاهرة الشاي في تاريخ وثقافة المغرب قد توفر موضوعاً مناسباً لتمثل القضية المطروحة . فالشـاي مشروب وطني بدأ استهلاكه والتغني به في أوساط النخبة قبل أن يصبح المشروب المفضل لدى الجمهور ، والبحث في موضوعه يجد في أدبيات هاتين الفئتين من المجتمع المغربي حقلاً مشتركاً ، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون الأدبي .

وها نحن نضع أمام القارئ ثمرة العمل المنجز . فإلى أي حد استجبنا للإشكالية التي كانت منطلق الكتاب؟لقد عشنا مغامرة حقيقية ، حيث خضنا في تاريخ واجتماعيات الغذاء ، وتعاملنا مع إنتاج أدبي متعدد المشارب واللغات ، وبالتالي واجهنا قارات معرفية لم نعهد التعامل معها فيما قبل ، واضطررنا أحيانا للتوقف قصد استيعاب عدد من الأوليات في مجال تلك المعارف الجديدة . لكن العنصر الذي ساعدنا على تجاوز الصعوبات هو أننا حددنا في البداية صيغة الكتاب بشكل مضبوط . فنحن لم نخصص لموضوع الشاي دراسة مستفيضة ، بل تعمدنا التوفيق بين التناول التاريخي والتناول الثقافي والأدبي . وقد اكتفينا بوضع دراسة تمهيدية رسمنا فيها الإطار العام للموضوع ، وطرحنا مقارنات بين حالة المغرب وبين التجارب التي عاشتها بلدان وعوالم أخرى . أما معظم فصول الكتاب ، فهي تدعو القارئ إلى اكتشاف مختلف جوانب الموضوع من خلال شبكة من النصوص والوثائق وفق بناء يستعرض الجوانب والأسئلة الرئيسية [2] .

ففي فصل «مشاهد وأخبار» نلتقي بنصوص دونها مؤرخون وجغرافيون ورحالة ، ويجمع بينها قاسم مشترك ، وهوتسجيل تطور الشاي في مستوى الحدث والوصف الاثنوغرافي . ونلاحظ تكاملا مثيرا بين المصادر المغربية والمصادر الأوربية . فالأولى لم

---

(2) استعمل إدريس بنسعيد عبارة «الكتابة بواسطة النصوص»، وذلك في تعليق شفوي حول تجربة مماثلة سبق أن أنجزها عبد الأحد السبتي بمشاركة حليمة فرحات . انظر **المدينة في العصر الوسيط : نصوص ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي** ، الدار البيضاء/ بيروت ، 1994 . غير أن موضوع الشاي ينتمي إلى حقل علمي لازال في خطواته الأولى ، لذلك قمنا في هذا العمل بمجهود أكبر في تقديم النصوص وتوضيح بعض جوانبها .

تهتم كثيرا بوصف جلسة الشاي، لكنها سجلت التعثر الذي عرفته عملية تغلغل الشاي داخل المجتمع المغربي، والمقاومة التي لقيتها المادة الجديدة في بعض الأوساط. بينما نجد الرحالة الأوربيين يسهبون في وصف طقس الشاي، ويتركون الانطباع بأن العادة الجديدة عمت المجتمع المغربي بشكل سريع.

وفي فصل «الحلية والحرمة» قدمنا بعض الفتاوى التي تناولت موضوعي الشاي و«سكر القالب» من منظور فقهي. وقد عمدنا هنا إلى نشر بعض المخطوطات، ووفرنا للقارئ في الهوامش إيضاحات تهم الإحالات والأعلام. ذلك أن فائدة هذه النصوص لا تقتصر على مستوى المعطيات التاريخية، بل توضح أسلوبا معينا في الاستدلال والإقناع، وتعبئة قواعد ومفاهيم تنتمي في جل الأحيان إلى مرجعيات مشتركة. ومن الملاحظ أن انتصار الشاي اقترن باختفاء الفتاوي التي اتخذت موقف التحريم، بحيث نتعرف على مضمونها من خلال معارضيها. ومن حسن الحظ أننا عثرنا على فتوى موريتانية متأخرة تساعد، ولو بصفة غير مباشرة، على تمثل عناصر موقف التحريم.

وخصصنا الفصل الثالث لنصوص تنتمي إلى تراث الطب وعلم النبات وأدب الذواقة، وهي تعتمد بالأساس على ثنائية المنفعة والمضرة وعلى نظرية الأمزجة. فإلى جانب الشاي، تتبعنا مختلف مقومات المشروب من سكر ونعناع وعنبر ونباتات متنوعة، وذلك عبر نصوص يعود بعضها إلى العصر الوسيط.

أما الفصل الأخير، فهو يستعرض حضور الشاي في الأدب المغربي، لاسيما في القصيدة والأغنية، بالعربية الفصحى والعامية والأمازيغية [3]. وقد اعتمدنا بالأساس هنا على مقياس الصورة والمخيال، بحيث استبعدنا النصوص التي تستعمل النظم لمجرد تيسير اشتغال الذاكرة. وحاولنا هيكلة هذا الفصل بطريقة لا تتجاهل البعد الزمني، وبذلك يمكن للقارئ أن يتتبع نشأة بعض الاستعارات وانتقالها بين أجيال المؤلفين وكذا بين أجناس التعبير الأدبي [4].

---

(3) اعتنى أحمد التوفيق بتعريب النصوص الشعرية والغنائية الأمازيغية. وقد أثبتنا النصوص الأصلية في ملحق خاص، وأدرجنا ركنا «ديسكوغرافيا» ضمن لائحة المصادر والمراجع، كي يسهل على المهتمين أن يرجعوا إلى الأغاني التي لم تطبع نصوصها في دواوين مكتوبة.

(4) سبق ل**كتاب هاوي الشاي** (بالفرنسية، جماعي، من تأليف .س. يي، وج. جومو-لافون، وم. والش)، أن استعرض بعض النماذج لحضور الشاي في الأدب العالمي. وهكذا نلتقي بمقتطفات لمؤلفين روسيين (ألكسندر پوشكين)، وفرنسيين (السيدة دو سيڤيني، ومارسيل پروست)، وإيرلنديين (جيمس جويس)، ومن زيلاندا الجديدة (كاترين مانسفيلد). ونقرأ في ص 228 من الكتاب المذكور أن «ميثولوجيا الشاي لم تتمكن من أن تترسخ في العالم العربي»، وهو قول لا يصمد أمام النصوص المختارة التي أوردناها في الفصل الرابع الخاص بالإبداع الأدبي.

تتحـاور مكونات الملف، فـتكـتـمل لوحـة ومعطيات تجـمع بين العمق والطرافة. ومع أن الملف محـدد المجال، فهـو يحـاور أسئلة أوسع، لذلك أدرجنا أحيانا بعض النصوص التي تهم بلدانا أخـرى من المغـرب الكبيـر والشـرق العـربي، أو تهم منبـهـات أخـرى مـثل القـهـوة والمشروبات المسكرة والتبغ والحشيش.

قد يحقق هذا الكتـاب هدفه إن هو توصل إلى خلق قدر من الفضول والمتعة عند القاريء والباحث، وساهم في خلق علاقة معرفية جديدة مع تاريخنا وثقافتنا في مستويات المعيش والذاكرة.

القسم الأول

قصة الشاي

«لقد انتشر الشاي بطريقة تذكر بطريقة انتشار الحقيقة. ففي البداية، كان المشروب الجديد موضوع تشكك عند البعض، ولم يعرف لذته سوى من تجرأ على تذوقه. وتمت مقاطعته في الوقت الذي عرف فيه طريقه إلى الاستقرار. وطعن فيه البعض في الوقت الذي اتسعت فيه شهرته. وانتصر الشاي في النهاية بفضل مزاياه الخاصة ومفعول الزمن الذي لايقاوم».

إسحاق ديسرائيلي

من كتاب **طرائف الأدب** (1790)

I. محطات ودلالات

يحيل ذكر الشاي عند المغاربة على كأس الشاي، وجلسة الشاي، ويحيل أيضا على الأسرة والصداقة، والضيافة والكرم، وإمضاء الوقت في الحديث. وفي مستوى آخر، يحيل الأتاي بالنعناع على العادة المرتبطة بالهوية المغربية. إن هذه الدراسة تدعو القارئ إلى إقامة مسافة معرفية مع ما هو يومي ومعتاد. ومعلوم أن دراسة تحول المجتمعات والثقافات قد تؤدي إلى اكتشاف الثوابت والبنيات، كما أن البحث في موضوع العادة يؤدي إلى اكتشاف التغير والتحول. إنه إذن موضوع تشكل العادة. وقد ارتأينا، قبل طرح الأسئلة المناسبة واقتراح بعض الفرضيات، أن ننقل القارئ من ألفة الحاضر إلى ماض لا يخلو من غرابة، وذلك من خلال سلسلة من اللحظات والمواقف المعبرة.

المحطة الأولى

منذ بضع سنوات، شهدت الساحة الإعلامية انطلاق حملة إشهار تهم مادة الشاي. خصصت لهذا الغرض صفحات كاملة في الصحف الوطنية الواسعة الانتشار، وإعلانات مرئية ومسموعة، على شاشة التلفزة، وعبر أمواج «إذاعة البحر الأبيض المتوسط الدولية». ولجأت المراكز التجارية الكبرى إلى تقنيات إشهارية متطورة للفت انتباه الزبناء وإغرائهم.

لقد تعود المغاربة على إشهار مشروب القهوة، حيث يخلق الخطاب الاشهاري علاقة بين تناول فنجان القهوة، وبين مضامين تتعارض أحيانا مثل الراحة والعمل وحداثة نمط العيش[1]. أما مفارقة إشهار الشاي، فهي تكمن في أن المستهلك يدعى إلى تناول ما هو في

(1) يميز رولان بارط، فيما يخص علاقة الانسان بالغذاء، بين مستوى الاستهلاك الملموس المرتبط ب«واقع المتوج»، وبين مستوى «المنتوج المقتنى» الذي «يعيشه» المستهلك بطريقة معينة، حيث نجد مفعول القيم والإدراكات الخاطئة. انظر «من أجل دراسة نفسية - اجتماعية للتغذية في المجتمع المعاصر»، ضمن ملف تاريخ التغذية، المجلة الفرنسية **الحوليات. اقتصاد، مجتمعات، حضارات**، شتنبر - أكتوبر 1961، ص 978- 979.

صلب حياته اليومية. وهنا نلاحظ أن الخطاب الاشهاري يوظف موضوع جاذبية الشرق البعيد، إلى جانب طقوس العائلة المغربية [2].

ما الذي تغير إذن؟ إنه ظهور علامات تجارية جديدة، مثل «ليبطون شنغاي» و«سلطان» إلى جانب «القافلة» و«المنارة» و«الكتبية» و«صومعة حسان» و«الشعرة»، وهي الأنواع التي يسوقها «المكتب الوطني للشاي والسكر». ولا بأس من التذكير بأن هذه المؤسسة أنشئت سنة 1958، من طرف حكومة عبد الله إبراهيم، الذي كان ينتمي آنذاك إلى الجناح التقدمي لـ«حزب الاستقلال»، وكان الهدف من إحداث المؤسسة الجديدة هو وضع حد للمضاربة المتصلة باستيراد مادة الشاي. وبعد ما يزيد على ثلاثين سنة، انتهجت الدولة سياسة «الخوصصة»، ولجأت مؤخرا إلى إعادة النظر في اختصاصات المكتب المذكور، وانتزعت منه احتكار استيراد الشاي وتسويقه [3].

ولا بد، في هذا السياق، من أن نورد بعض المعطيات والأرقام. فالشاي يعتبر من المواد الاستهلاكية الأساسية مثل الدقيق والزيت والسكر. ويستهلك الفرد بالمغرب معدل كيلوغرام واحد من الشاي سنويا [4]. والملاحظ أن مقدار الاستهلاك الوطني بلغ 20200 طن في سنة 1980، ثم انتقل إلى 27200 طن في سنة 1990. ونشير إلى أن إنتاجا محليا انطلق منذ

---

(2) نلاحظ بعض الفرق في مضمون الخطاب الاشهاري بين النصين الموضوعين بالعربية والفرنسية. فالنص الفرنسي يركز أكثر على الصين و ألغاز الشرق، وهو موضوع يعبر أكثر عن المخيال الأوربي واستمرارية الافتتان بالشرق منذ عصر تجارة التوابل، بينما ظل هذا العنصر غائبا في علاقة المغاربة بالشاي منذ قدوم هذا المشروب.

(3) تم في البداية إنشاء «المكتب الوطني للشاي» في أواخر 1958. ثم أحدث «المكتب الوطني للشاي والسكر» سنة 1963. انظر الظهيرين الشريفين في **الجريدة الرسمية**، عدد 2410، 2 يناير 1959، وعدد 2656، 20 شتنبر 1963. وفيما يخص الإجراءات الجديدة، انظر الظهير الشريف القاضي بإعادة النظر في دور «المكتب الوطني للشاي والسكر» في **الجريدة الرسمية**، عدد 4220، 15 شتنبر 1993. وراجع أصداء القرارات الجديدة في الصحافة المختصة، وعلى سبيل المثال جريدة **ليكونوميست**، 7 يوليوز 1994، وجريدة **لا في إيكونوميك**، 10 نوفمبر 1995.

(4) ينبغي أن نأخذ بكثير من الحذر الصياغات الصحفية المتسرعة التي تجعل من المغربي «أول مستهلك للشاي في العالم». انظر مثلا جريدة **لوماتان الصحراء والمغرب**، عدد 9498، 22 يناير 1997. بينما نجد أن معدل الاستهلاك الفردي السنوي كان يبلغ في نهاية 1988 كيلوغراماً واحداً. وهو معدل كان يضع المغرب آنذاك في الرتبة 17 عالمياً، بعد قطر (3,21 كلغ)، والمملكة المتحدة (2,81 كلغ)، وتركيا (2,72 كلغ)، وتونس (1,81 كلغ)، ومصر (1,44 كلغ)، والمملكة العربية السعودية (1,40 كلغ)، والأردن (1,12 كلغ). انظر **كتاب الشاي** (بالفرنسية)، جماعي، تقديم أنطوني بوركس، ص 250.

عقدين تقريبا بناحية مدينة العرائش، وهو لا يتعدى 127 طن (5). وكل هذه الأرقام تهم مادة الشاي الأخضر بالأساس، بينما يحتل الشاي الأسود مكانة هامشية، حيث لا يستورد المغرب منه سوى 100 طن سنويا على وجه التقريب (6).

المحطة الثانية

نحن في بداية السبعينات. اكتسبت مجموعة من شباب الحي المحمدي بالدار البيضاء تجربة مسرحية جديدة رفقة المخرج الطيب الصديقي، حيث تعودت على استعادة تراث الزجل المغربي، وعلى استعمال الآلات الموسيقية التقليدية، مثل التعريجة والبندير والهجهوج. ثم كان الانتقال من التمثيل إلى الغناء. لقد كانت فرقة « ناس الغيوان» امتدادا مغربيا لعدة ظواهر فنية دولية مثل فرقة «الخنافس الأربعة» البريطانية التي ذاع صيتها في الستينات، وفرق أمريكا اللاتينية التي رددت أصداء الاحتجاج الاجتماعي والسياسي. انطلقت الفرقة ، وأصبح «الغيوان» ظاهرة اكتسحت ذوق الشباب، وتعددت الفرق المماثلة مثل «جيل جيلالة»، وانتقل بعضها، مثل «أوسمان» و«إزنزارن» من العربية العامية إلى تاشلحيث.

انطلقت شهرة «ناس الغيوان» مع أغنيتهم الأولى، «الصينية» (*). وقد وظفت صينية الشاي، في هذا النص، كاستعارة للتحسر على ضياع قيم العشيرة والجماعة وما يرافقهما من أنس وتعاضد وتآزر. إنه شعور الفرد بالعزلة أمام مجتمع يتطور في اتجاه قيم البضاعة والسوق، بدون ضوابط تضمن القدر الكافي من الحقوق والموارد. «مال كاسي حزين بين الكيسان»، «مال كاسي باكي وحدو!»، «مال كاسي نادب حظو !».

شكلت أغنية «الصينية» أسلوبا جديدا في التعامل مع الشاي. فقد سبق لآخرين أن وظفوا نفس الموضوع في أواسط الستينات، في أغاني دعائية كانت تخاطب المغاربة في

---

(5) أقرت الأبحاث بإمكانية زراعة الشاي في مناطق أخرى مثل ولماس وغابة المعمورة وشفشاون. لكن يبدو من المستبعد أن يقدم المغرب على توسيع مساحة زراعة الشاي، لاسيما وأن أسعار الشاي تعرف في السنوات الأخيرة حركة انخفاض مستمر في السوق العالمية.

(6) الشاي الأسود هو التسمية الأنجليزية لما اصطلح الصينيون على تسميته ب«الشاي الأحمر»، وهو يتميز بعملية التخمير التي يمر بها قبل التسويق. وقد عرف المغاربة هذا النوع ولم يُرض ذوقهم، وسموه ب«النيكرو» أو «الحناوية»، تشبيها له بالحنة.

(*) وضعنا هذه العلامة هنا للإشارة إلى مؤلفين أو نصوص أو مواضيع واردة داخل متن «الشواهد المختارة».

تعددهم الجهوي، وتدعو إلى شرب المزيد من الشاي من أجل استهلاك المزيد من السكر، وذلك تلبية للقرار الملكي برفع ثمن السكر، وهو قرار اتخذ للتضامن مع منطقة تافيلالت التي نكبها فيضان وادي زيز في نوفمبر 1965. في هذا السياق، استعملت الأغنية لنشر القرار الرسمي بشكل جذاب، وهكذا تعود المغاربة على صوت محمد الادريسي وهو يتغنى بواد زيز، وعلى الصورة «الشعرية» التي تربط بين «الكرش الشبعانة» وبين استهلاك المزيد من قوالب السكر.

وإذا استثنينا هذا الاستعمال الظرفي، فإننا نلاحظ أن موضوع الشاي أصبح، منذ العشرينات، موضوعا قائما بذاته في الشعر والأغنية بالعامية والأمازيغية، إلى جانب الحب والمرأة والرحلة الحجازية. فإلى هذا الجيل ينتمي مغنون نذكر من بينهم الحاج بلعيد (*)، والحسين السلاوي (*).

وابتداء من الخمسينات، غزا الشاي مختلف نصوص الفن الشعبي، وتحول إلى مجرد توطئة لأشعار وأغاني تتناول في صلبها مواضيع أخرى. وهكذا تعددت الأغاني التي تحمل عناوين مثل «أتاي»، و«البراد»، و«الزنبيل»، و«النعناع». غير أن الموضوع المعلن لا يتعدى البيت الأول أو اللازمة (7). فربما هو تحايل إشهاري تعودت عليه شركات تسجيل الأسطوانات، والراجح أن الشاي ومضامينه أصبحت لا تنفصل عن كل متعة، فهي إذن قابلة للاستعمال مهما تنوعت السياقات.

المحطة الثالثة

في سنة 1946، أصدرت منشورات «الباب»، بالرباط، تأليفا للعالم الرباطي المكي البطاوري يحمل عنوان **شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة فيما يحتاج الأتاي إليه ويتوقف شربه وإقامته عليه، وقد اشتمل على فوائد وأشعار ونوادر وأخبار** (*). إنه عنوان مطول ومسجوع على النمط المعهود، وهو يعكس انتقائية المضمون، إذ يجد القارئ معلومات تهم طقوس الشاي إلى جانب معطيات تتصل بالتغذية، ومقاطع شعرية.

لنستعرض بعض التواريخ. يتناول الكتاب بالشرح قصيدة شهيرة وضعها شاعر من فاس، هو عبد السلام الزموري المتوفى عام 1824 (*). ونشر كتاب البطاوري المذكور بعد مرور ثلاثين سنة على وفاته، وسبعين سنة على تاريخ التأليف. كيف يمكن تفسير هذا

(7) انظر الديسكوغرافيا التي أدرجناها ضمن لائحة المراجع التكميلية.

التأخير المطول ؟ لقد ذكرت بعض المصادر أن البطاوري كان يوصي بإتلاف المخطوط . ومن هو يا ترى البطاوري ؟ إنه أبعد ما يكون عن الشخص المغمور، فهو فقيه علامة، ترك تآليف يناهز عددها الستين . وقد عمل موظفا بميناءي الرباط وطنجة، وكلف بتعليم بعض الأمراء من العائلة المالكة، ومارس القضاء . ومع ذلك فالمؤلف يتطرق في البداية لموضوع الشاي، وسرعان ما نجده يستطرد بشكل مطول، فينقلنا من جلسة الشاي إلى مجالسة الحبيب ثم إلى مجالسة الغلمان الحسان، ويكثر من الاستشهادات الشعرية على الطريقة المتداولة في التراث العربي الاسلامي .

حضر إذن عامل الرقابة في تجميد مخطوط البطاوري، لكنه حضر قبل ذلك في بتر الأرجوزة موضوع الشرح . فنحن لا نتوفر على أرجوزة الزموري إلا في الصيغة التي عرفت طريقها إلى الطبعة الحجرية قبل أن يتداولها طلبة التعليم التقليدي ضمن **المجموع الكبير للمتن**، بينما تشير بعض المصادر إلى أن النص الأصلي يتضمن التعبير «الفاحش» (8).

المحطة الرابعة

نحن في مطلع القرن، وبالضبط في سنة 1904 . يتوجه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى الحج على متن باخرة ألمانية، فينتهز فرصة التوقف بميناء مرسيلية ليزور معامل سان لويس لتصفية السكر .

يحكي الباقر الكتاني، مترجم أبيه، هذه الزيارة نقلا عن رحلة دونها عبد السلام السرغيني، أحد رفقاء الشيخ، فيخبرنا بأنها كانت بمثابة زيارة لقواعد العدو . إن السكر الفرنسي يغزو مالية المغرب، واستهلاك الشاي يحرم البلد من موارد كان من المفروض أن تصرف في الدفاع عن النفس . ويخبرنا الباقر الكتاني، بالمناسبة، أن أباه «كان يمنع شرب الشاي على أتباعه ويحاربه في الجموع والمحافل» (*).

كان محمد بن عبد الكبير الكتاني فقيها وشريفا إدريسيا من مدينة فاس، وقد كان يترأس الزاوية الكتانية التي تجاوز إشعاعها آنذاك أسوار المدينة، واكتسبت الأتباع والمريدين بقبائل تقطن بالسهول والجبال المجاورة . وقد تزعم الشيخ حركة الاحتجاج ضد التنازلات التي حصلت لفائدة فرنسا . وبعد توقيع معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906، قاد الكتاني انتفاضة فاس التي أدت إلى عقد البيعة المشروطة لصالح السلطان عبد الحفيظ ضد أخيه عبد العزيز .

---

(8) انظر إشارة المامون الكتاني أدناه، ص 216-222 .

لم يكتب لشعار مقاطعة الشاي أن يتسع ويحقق أهدافه، لكن من المفيد أن ننتبه إلى أن الموقف لم يكن معزولا، فهو ينتمي إلى صنف من التحركات المناهضة للاستعمار، عرف المغرب مثيلاتها فيما بعد، وسجلت قبل ذلك في بعض البلدان الاسلامية. ففي بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر، عاشت إيران أحداث احتجاج ضد منح امتياز تسويق التبغ لشركة أنجليزية. ويبدو أنها كانت أول حركة جماهيرية استطاعت أن تحقق أهدافها بفضل التحالف الذي تم بين العلماء من أنصار جمال الدين الأفغاني، وبين مناضلي الاتجاه الاصلاحي العصري [9]. وكان هذا الحدث تمهيدا للثورة الدستورية التي عاشتها إيران خلال سنتي 1905- 1906. ومعلوم أن الكتاني كان على صلة بحركة التضامن الاسلامي المعاصرة.

لقد كانت زيارة الكتاني لمعامل السكر بمرسيلية حلقة تذكرنا بأحداث سابقة. ففي سنة 1876، نلتقي في مرسيلية بإدريس الجعايدي السلاوي الذي أقام بنفس المدينة في إطار سفارة رسمية، وترك وصفا دقيقا لأحد معامل السكر، وهو وصف يعبر عن الاعجاب بتقدم تقنيات العصر (*). وعلى امتداد القرن التاسع عشر، كان السكر «المجلوب من بلاد الروم» موضوع جدال بين فقهاء المغرب، حيث أفتى البعض بتحريم المادة المذكورة بدعوى النجاسة التي تصيبها خلال مرحلة التصنيع [10]، ورد البعض الآخر بحليتها. ففي غياب السكر المصنوع بالمغرب أو المستورد من بلاد إسلامية، من الواضح أن الطرف المحرم كان يستعمل لغة الفقه ليدعو إلى مقاطعة شرب الشاي.

لم يكن موقف معارضة الغذاء الدخيل موقفا يخص البلدان الاسلامية، بل نجد ما يماثله في ثقافات أخرى. فعندما دخلت عادة شرب الشاي إلى أنجلترا، عارضها بعض رجال الدين بناء على أدلة صحية وأخلاقية، ودعوا إلى تعويض المشروب الجديد بنباتات محلية. وفي فرنسا، عارض البعض شرب القهوة حيث اعتبروا أن في استهلاكها تقليدا للمسلمين واتباعاً لعوائد الأتراك [11].

(9) راجع دراسة نيكي كيدي، **حركة الاحتجاج ضد التبغ** (بالانجليزية)، ص 1.

(10) سبق للفقهاء المغاربة أن طرحوا مسألة الطهارة بالنسبة لمواد أخرى تم استيرادها من أوربا، مثل الكاغد وثوب الملف. ونجد نماذج أخرى لمقاومة المواد الغذائية الجديدة في آسيا الوسطى، حيث وصف الفقهاء البطاطيس ب«طعام الشيطان»، والطماطم ب«الفواكه المكونة من الدم البشري». انظر ماكسيم رودنسون، مادة «غذاء»، **الموسوعة الإسلامية** (بالفرنسية)، ط. 2، ص 1093.

(11) راجع جان - كلود بولوني، **التاريخ الأخلاقي والثقافي لمشروباتنا** (بالفرنسية)، ص 60.

المحطة الخامسة

لا يفصلنا عن المحطة السابقة فارق زمني كبير، لكننا انتقلنا من حواضر الشمال إلى بلاد الرحل جنوب الساحل الأطلنتيكي، وبالتحديد إلى قبيلة أيت باعمران. ففي فبراير 1883، أرست بأركسيس سفن تابعة «للشركة التجارية لسوس وشمال إفريقيا»، وأفرغت حمولاتها من الحبوب والسكر والشاي [12]، وعقد الأنجليز معاهدات مع رؤساء محليين دون استشارة الحكم المركزي. لذلك شن السلطان الحسن الأول حركته الثانية على المنطقة من أجل إثبات تبعية أيت باعمران للسلطة المخزنية.

وبعد مرور اثني عشرة سنة على هذا الحدث، يرتجل الشاعر ابراهيم أو الحسين أو عدي نايت إخلف قصيدة حول «الأتاي» (*). لا نعرف الكثير عن المؤلف. فهو من قرية إدا وساعدن من قبيلة أيت إخلف، ويقال إنه من أصل حرطاني، وكان يتعاطى في البداية لصناعة الفخار، ثم تفقه واشتهر في القرية والناحية. بيد أن قصيدته تشكل نصا هاما من حيث المضمون والأبعاد.

فالشاعر يتحدث عن طقس الشاي، وعن الشروط الأساسية لتحضير المشروب بالشكل المطلوب. ولا تقتصر قيمة الأواني في جانب الاستعمال، بل تستثير نظرة الشاعر، فيرسم بواسطتها جملة من الاستعارات. فهناك صورة الكون بأرضه وسماواته. الصينية هي الشمس، والبراد هو القطب وسط السماء، والكؤوس هي النجوم، والمجمر هو الجحيم. جلسة الشاي هي إذن انعكاس لهذا الكون الذي خلقه الله، وهي أيضا صورة الفضاء الذي يلتقي فيه المؤمنون لعبادة الخالق في أوقات مضبوطة، ودون سقف الجامع وجدرانه. فالمجمر هو المئذنة، والمقراج هو المؤذن، والبراد هو الإمام، والكؤوس هم جماعة المؤمنين.

ومن إمامة الشعائر الدينية ننتقل إلى «إمارة المؤمنين»، فيرسم الشاعر صورة الملك. فالبراد يمثل القصر، والشاي بمثابة ملك خرج من قصره. وعلى غرار السلطان، فالشاي يحب الرفقة ويطلبها، ويسهل الحديث، ويطلق الألسن بقدر ما يعقدها، محددا على هذا النحو وتيرة اللسان، فهو إذن من أهل الحل والعقد. وفي هذا الحفل، ينتظر الناس المشروب في صمت مثلما ينتظرون خروج الملك. فالشاي يظهر إذن مثلما يظهر الملك خارج قصره، وآنذاك تلتفت إليه جميع الأنظار. ولا يشرع الحاضرون في الحديث حقا إلا عندما

(12) انظر أندروز، **كراسة وخريطة الجنوب المغربي** (بالانجليزية)، ص 12.

يبدأ البراد في ترديد أغنيته المعطرة، وقد انحنى، والتزم الصمت . عندئذ تكون نفس الكلمة الدائرية، كلام لا بداية ولا نهاية له، كما يقول الشاعر المعاصر عبد الله زريقة (*). حكاية تدور حول البراد. وعلة وجود الحاضرين حول الصينية، الدائرية دوما، ليست سوى تلك اللحظة الحاسمة التي سيفرغ فيها هذا المشروب في الكؤوس.

يؤكد الشاعر إذن، من خلال هذه الاستعارات، أن المشروب الجديد يعكس النظام الاجتماعي والقيم السائدة. لكن نايت إخلف يسجل كذلك أن الشاي مشروب النخبة. ف«الشاي أقسم أن لا يكون عند الفقراء»، لأن ثمنه وثمن السكر ليسا في متناولهم، ولأنهم لا يملكون الأواني الضرورية لإقامة الشاي. لكن كل من ذاق المشروب يصبح في عذاب، وإذا ما تعلق الفقير بالشاي، واقترب من الصينية والكأس، فإنه يسقط لا محالة في منحدر الديون والإفلاس. إنه إنذار بإدمان جماعي يحس الشاعر بقرب حصوله، كما أنه يحس بأنها خطة دبرها النصارى لاحتلال البلد وامتصاص موارده. فأوربا تقصف المغرب بمدافع يمثل الشاي بارودها، وهي تصوب ضرباتها في اتجاه البطن حيث يسهل الاغتيال.

في مستوى الوعي الوطني، تعلن قصيدة نايت إخلف عن موقف سوف يجد امتداده في الشعار الذي رفعه الشيخ الكتاني بعد أقل من عشر سنوات. غير أن القصيدة تعبر في آن واحد عن الإعجاب بجلسة الشاي، وعن الالتزام بضوابطها. فهي إذن حالة تردد وتوتر تعكس لحظة انتقال بين عصرين. وفي مستوى آخر، فبعد مرحلة «الشايات» التي نظمها شعراء حواضر الشمال، يعلن نايت إخلف عن مرحلة شايات سوس والصحراء. ولا يخلو هذا الانتقال أحيانا من جوانب لغوية تستحق الانتباه. فبينما نظم نايت إخلف قصيدته بأمازيغية سوس، فإن عددا من الشعراء اللاحقين بنفس المنطقة مثل محمد الأدوزي (*)، ومحمد الإكراري (*)، والطاهر الإفراني (*)، سوف يستعملون العربية، وسوف يكون شعرهم أقرب إلى رجز الفقهاء.

المحطة السادسة

في كتاب **تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين**، يترجم عبد الكبير الفاسي (ت 1879) للسلطان العلوي محمد بن عبد الله (1757 - 1790). ويستطرد المؤلف، ليخبرنا بأن أول من شرب الشاي بالمغرب هو عم السلطان المذكور، زيدان بن إسماعيل. يقال إن هذا الأمير أصيب بمرض نتيجة لإفراطه في تناول المسكرات، فتمكن طبيب نصراني من إشفائه بفضل تناول «الأتاي» محل الخمر (*).

لا يهمنا، في هذا السياق، أن نتحقق من الواقعة المذكورة، فهي قصة تنتمي إلى نموذج يتكرر في تاريخ الغذاء والشراب، حيث يسند الاكتشاف أو تأسيس الاستهلاك إلى أشخاص فوق العادة. فالأسطورة الصينية تعود بظهور الشاي إلى سنة 2737 قبل الميلاد، وتنسب الحدث للإمبراطور شين نونغ، مخترع الزراعة والطب. فقد أوصى العاهل رعاياه بتسخين الماء قبل شربه. وفي يوم حار، خرج للفسحة، واستظل بشجرة برية. وعندما أصابه العطش، عمد إلى تسخين الماء، فإذا بهواء خفيف يهب ويلقي ببعض أوراق الشجرة في الماء. وحين شرب منه الامبراطور، وجد متعة فائقة في المشروب الجديد.

وهذه أسطورة أخرى تحكي أن بودي دارما، وهو أمير هندي زهد واعتنق مذهب «الزان» البودي، وقصد الصين في النصف الأول من القرن السادس للميلاد، حيث كان أول داعية لتلك الديانة. وقد تعود على السهر للتعبد، وأقسم على أن يقاوم النوم طيلة تسع سنوات. وفي أحد الأيام، باغته النوم، وحين استيقظ شعر بالذنب، فقطع جفنيه ودفنهما تحت الأرض. وذات يوم، جعلته الصدفة يمر بنفس المكان، فرأى أنه نبتت فيه شجيرة لم ير هناك مثلها فيما قبل. فعمد إلى قضم أوراقها، ولاحظ أنها تساعد على مقاومة النوم. فحكى القصة لأصدقائه، فاهتموا بالاكتشاف الجديد. وهكذا بدأت زراعة الشاي [13].

فبينما نقلت القصة الأولى حدث الاكتشاف إلى زمان مفرط في القدم، كانت الثانية في الواقع ثمرة خيال اليابانيين، وقد نسبت الاكتشاف إلى فترة كان الشاي قد انتشر فيها عبر عدد من أقاليم الصين. ومع ذلك فالقصتان لا تخلوان من إحالات على تطورات أثبتتها الدراسات الحديثة. فالشاي جاء ليضيف عطره للماء الساخن الذي تعود الصينيون على تناوله منذ القديم، ولم يتخلوا عنه إلى يومنا هذا [14]. ويبدو أن الشاي عرف كدواء قبل

---

(13) تورد المراجع قصتي اكتشاف الشاي بالصين، مع بعض التنويعات والاختلاف في الصياغة. راجع، على سبيل المثال بول بوتيل، **تاريخ الشاي** (بالفرنسية)، ص. 13- 14، 17، وجان- كلود بولوني، **التاريخ الأخلاقي والثقافي لمشروباتنا**، ص. 155.

(14) أورد فرناند بروديل مشاهدات رحالة زار الصين في القرن التاسع عشر، وذكر أن الشاي هناك ترف لا تتوصل إليه الفئات الفقيرة، فهي تشرب الماء الساخن، وتجد فيه نفس المتعة التي يجدها الأغنياء في شرب الشاي الأخضر، بل هي تسمي الماء الساخن شايا. وطرح بروديل السؤال التالي: «هل كانت هذه هي القاعدة في الصين - وفي اليابان أيضا - أن يشرب الناس كل شيء ساخنا: الشاي، والساكي، وكحول الأرز أو الدخن، ثم الماء نفسه؟». انظر **الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية** (ترجمة عربية)، ج 1، ص 341. والملاحظ أن الأوربيين تعودوا، عكس ذلك، على المشروبات الباردة، ولم يتذوقوا المشروبات الساخنة إلا في القرن السابع عشر، مع دخول الشاي والقهوة والشوكولاط.

استهلاكه كشراب، وقد انتشر في البداية كبديل للخمر، وهي مسألة ألحت عليها البودية، علما بأن هذه الديانة لعبت دورا هاما في انتشار المشروب الجديد في الصين، ولعب مذهب «الزان» نفس الدور في مرحلة دخول الشاي إلى اليابان، وأدرج المشروب الجديد في طقوسه الدينية. وفي كلتا المرحلتين، حارب الرهبان الخمر و دعوا إلى تناول منبه يسهل العبادة. تذكر هذه المعطيات بملابسات ظهور القهوة. فقد كانت في البداية مجرد نبات بري في أرض الحبشة، وورد ذكر خصائصها الطبية عند مؤلفين مثل محمد بن زكريا الرازي (ت 932 م) وعلي ابن سينا (ت 1037م). ثم انتشرت زراعتها في اليمن في أواسط القرن الخامس عشر للميلاد، حيث أقبل عليها المتصوفة المسلمون كمنبه يعين على السهر للتعبد وقراءة الأوراد. وقد نسجت جملة من الحكايات حول الموضوع. تقول إحداها إن «الرعاة العرب لاحظوا أن أغنامهم كانت تأكل من ثمرة معينة فيبدو عليها نشاط غريب. وقد أقبل الرعاة ذات مرة على هذه الثمار يتذوقونها فلم يستسيغوا طعمها فألقوا بها إلى نار موقدة، فكانت لها رائحة زكية عبقة فعمدوا بعد ذلك إلى شرب ماء هذه الحبوب بعد غليها فيه وسموه «خمر الصالحين» إذ كانوا يستعينون بتأثيره على قيام الليل» (15).

لقد رويت قصص عديدة حول بدايات الشاي وغيره من المنبهات والأغذية. وكثيرا ما تظهر فيها علامات اللبس الزمني واللا توقيت. بيد أن قصة الأمير المغربي توافق من الوجهة الكرونولوجية مرحلة دخول الشاي للمغرب. وهنا آن الأوان لنأخذ القارئ في رحلة موجزة في الاتجاه المعاكس، من الماضي إلى الحاضر، كي نتعرف على المراحل الأساسية التي قطعها مشروب الشاي في دخوله إلى المغرب.

- وصل الشاي إلى أوربا في القرن السابع عشر (16). وظل المغرب يجهل المشروب المذكور طيلة ذلك القرن.

---

(15) حول بدايات القهوة، انظر هاتوكس، **القهوة والمقاهي. أصول مشروب اجتماعي في الشرق الأدنى الوسيط** (بالانجليزية)، ص 11 وما تلاها. وفيما يخص قصة الاكتشاف، انظر محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، **أدبيات الشاي والقهوة والدخان**، ص 39.

(16) تختلف تسمية الشاي عبر العالم نتيجة لاختلاف أصلي في تسمية هذه المادة داخل الصين نفسها. فالرسم المستعمل هناك ينطق عموما ب «تشا»، باستثناء لهجات بعض المناطق الساحلية، حيث تنطق الكلمة ب«تا» (te, tay). لذلك نجد نفس النطق الأول متداولا في روسيا ووسط آسيا والهند وفارس، وكلها بلدان وصل إليها الشاي عبر مسالك برية. بينما سادت الصيغة الثانية في البلدان التي وصل إليها المشروب عبر الطرق البحرية بواسطة التجارية البرتغالية. وهكذا تشكلت(tea) في الأنجليزية، و(thé) في الفرنسية، و(te) في الاسبانية. انظر جون بلوفيلد، **فن الشاي في الصين** (بالفرنسية)، ص 43. وفي المغرب، استعملت كلمة «تاي» بالمناطق الصحراوية وشنكيط، و«أتاي» و«أتي» في بقية المناطق حيث نلمس تأثير البنية اللغوية الأمازيغية، من خلال صيغة المفرد المذكر. ومعلوم أن الصويرة كانت من الموانئ الرئيسية التي كان يتم بها استيراد الشاي بالمغرب خلال القرن الثامن عشر.

- وتفيد مجموعة من المؤشرات أن الشاي دخل إلى المغرب خلال عهد السلطان إسماعيل، وبالتحديد في مطلع القرن الثامن عشر[17]، وعلى غرار ما حصل في بلدان أخرى فقد استعمل بكميات محدودة كدواء قبل أن يستهلك كشراب.

- وظل الشاي طيلة القرن المذكور مادة ينحصر استعمالها في البلاط والوسط المخزني، حيث كان الشاي ولوازمه من بين الهدايا التي اعتاد السفراء الأوربيون أن يقدموها للسلطان وممثليه المحليين، إلى جانب سكر القالب والثياب الرفيعة.

- وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن الموالي، انحصر استهلاك الشاي في ال... المخزني، وعند كبار الأثرياء على العموم.

- وفيما بين الثلاثينات والستينات من القرن الفارط، انتشر الشاي داخل الوسط الحضري.

- وفيما بين 1860 و1878، وصل المشروب الجديد إلى البوادي المجاورة للمدن.

- وفيما بين 1880 و1892، اتسع نطاق استهلاك الشاي داخل مجموع البوادي.

- وفي مستهل القرن الحالي، كاد المشروب أن يعم الوسط الجبلي.

لقد تتبعنا هنا التحقيب الذي اقترحه جان-لويس مييج[18]، ويبدو أن المؤلف لم يميز، بالنسبة للمراحل الأخيرة، بين الانتشار المجالي والانتشار الاجتماعي. فإذا كان شرب الشاي قد بدأ يعم الفئات الكادحة بالمدن في العقود الأولى من عصر الحماية، فإن الأمر قد يكون مختلفا في البوادي ولاسيما في المناطق الجبلية. ولا يزال بعض المسنين في القرى الجبلية وفي واحات الجنوب يتذكرون أنه في «الدوار» أو «القصر»، كانت لوازم الشاي لاتتوفر سوى عند عائلات تعد على رؤوس الأصابع، تلجأ إليها العائلات الأخرى للتزود بتلك اللوازم عند الحاجة[19]. ويبدو أن شرب الشاي لم يصبح في متناول كافة الفئات الاجتماعية هناك إلا منذ الأربعينات من هذا القرن. وتشاء المفارقة أن يقترن تعميم المشروب

(17) أثبت الباحث ثيودور مونو أن المغاربة نقلوا شكل البراد عن أشكال كانت متداولة في أنجلترا في بداية القرن الثامن عشر. انظر المقالين اللذين نشرهما المؤلف بالفرنسية حول هذا الموضوع. ويفيد ث. مونو بأن اختلاف المعادن المستعملة يعود إلى أشكال أدوات التسخين، و إلى خصوصيات أنماط العيش، من استقرار وترحـ... وغيرهما.

(18) انظر مييج، «أصل ونمو استهلاك الشاي بالمغرب» (بالفرنسية)، ص 390.

(19) انظر مثال منطقة جبالة في مقال ميشو- بيلير، «بعض قبائل جبال منطقة الهبط» (بالفرنسـ... .121

الجديد بمرحلة خصاص في الموارد، حيث سنت السلطات الفرنسية عملية تقنين توزيع المواد الأساسية في ظروف الحرب العالمية الثانية، وهو ما عرف عند المغاربة ب«عام البون»(20).

لاشك أن القارئ تبين، من خلال هذه الصفحات، أن الشاي شكل عنصرا فاعلا في تاريخ المغرب والعالم خلال حقب معينة، وهو ما يظهر في مستوى الوقائع، وكذا في مستوى التصورات والتعبير الأدبي. لكن كيف ننتقل من الكرونولوجيا والتسلسل الزمني إلى الفهم والتأويل؟ لقد سبق للغذاء والشراب أن أثارا اهتمام الباحثين في إطار الاهتمام بالحياة اليومية، وبذلك تشكل حقل مختص عبأ مجهودات العاملين في مجال التاريخ والعلوم الاجتماعية بشكل عام. ولا بأس أن نتوقف برهة لنطل على بعض مكتسبات الحقل المذكور.

(20) انظر علي أمهان، **التعمير والحياة اليومية في قرية بالأطلس الكبير المغربي. أعبادو بفجدامة. دراسة اجتماعية - لسانية** (بالفرنسية)، ص 183. وقد سجل نفس التطور عند مجموعة الطوارق بجنوب الجزائر. راجع دراسة مارسو كاسط حول منطقة أهكار، ص 187.

II. الغذاء والمجتمع والزمن

من الممكن أن نميز بين بعض الاتجاهات الأساسية في تاريخ واجتماعيات الأغذية والأشربة [21] :

- الجانب الاقتصادي، حيث ينصب الاهتمام على الاستهلاك،
- جانب المضمون الغذائي،
- جانب الذوق،
- الجانب النفسي - الاجتماعي، حيث استفاذت الدراسات من الرصيد النظري الذي راكمته الأبحاث الأنثروبولوجية والسيميائية. فالغذاء لا يدرس فقط في مستواه المباشر، بل يعتبر لغة، ومؤسسة، وموقفاً.

وهكذا، فمن أجل فهم ثقافة الطبخ وتحضير الأطعمة، صاغ كلود ليڤي - ستروس نموذج «المثلث» القائم على النيئ والمطبوخ والمعفن. وأوضح أنه «بعد أن نكون قد رسمنا النموذج بالطريقة المناسبة لندمج فيه كافة خصائص نسق مطبخي معين (ولاشك أن هنالك نماذج أخرى تهم التعاقب لا التزامن، مثل الخصائص التي تتصل بجلسة الغذاء من ترتيب وتقديم وحركات)، من الضروري أن نبحث عن الطريقة الأنسب لاعتماد النموذج كشبكة يمكن تطبيقها على تعارضات أخرى ذات طبيعة سوسيولوجية، أواقتصادية، أوجمالية، أودينية: مثل ثنائيات الرجال والنساء، والعائلة والمجتمع، والقرية والدغل، والاقتصاد والتبذير، والنبلاء والعامة، والمقدس والمدنس، الخ. هكذا قد نأمل أن نكتشف، فيما يخص كل حالة معينة، كيف أن تحضير الأطعمة يشكل بالنسبة للمجتمعات لغة تعبر فيها عن بنيتها بطريقة لاشعورية، وقد تضطر لتكشف فيها عن تناقضاتها، بطريقة لاشعورية أيضا» [22].

---

(21) حول تعدد المقاربات في هذا الحقل، راجع ملف مجلة **الحوليات** الفرنسية، م.س، وكذا ماكسيم رودنسون، مادة «غذاء»، **الموسوعة الاسلامية**، ط. 2، والإطلالة النقدية الواسعة التي وضعتها مانويلا مارين بالاشتراك مع دڤيد واينز لتقديم الكتاب الجماعي **الغذاء في الثقافات الاسلامية**، المنشور بمدريد سنة 1994. وبالنسبة للمغرب على وجه التحديد، فقد بدأ الاهتمام بهذا الحقل في حقبة الحماية، حيث عمل جورج سالمون والدكتوران لوكلير ورونو، على نشر وترجمة مؤلفات مغربية قديمة تنتمي إلى علوم الطب والنبات. ومنذ السبعينات، أنجز برنار روزنبرجي، عدة أبحاث في تاريخ الأغذية. انظر على سبيل المثال مساهمته في المؤلف الجماعي الاسباني السابق الذكر.

(22) انظرليفي-ستروس، مقال «المثلث المطبخي» (بالفرنسية)، ص 29.

إلى أي حد يمكن أن توفق دراسة الغذاء بين سكون البنية وزمن التحولات؟ لنأخذ حالة الشاي : فهو ينتمي إلى مجال المنبهات، بعضها يشرب، كالقهوة والخمر، والبعض الآخر يؤكل أو يلاك مثل القات والماطي، أو يدخن كالتبغ والحشيش. وقد ألف الباحث الألماني ڤولفگانگ شيڤلبوش، كتابا تركيبيا لا يخلو من نباهة، وفيه طرح الأسئلة التالية : «كيف أثرت المنبهات في التاريخ الحديث ؟ لماذا ظهرت بأوربا مواد منبهة جديدة في حقب معينة ؟ هل كانت القهوة والشاي والتبغ مجرد مصادفة مرتبطة باكتشاف المستعمرات، أم جاءت لتلبي حاجيات لم تكن موجودة فيما قبل ؟ وكيف يمكن تحديد تلك الحاجيات ؟».

ثم ينتقل نفس المؤلف إلى أسئلة أدق : «كيف نفسر شغف العصر الوسيط بتوابل الشرق؟ ولماذا اختفت هذه الشهية فجأة في القرن السابع عشر؟ لماذا كانت أرستقراطية القرن الثامن عشر تفضل الشوكولاط، بينما مالت البورجوازية إلى تفضيل القهوة ؟ كيف نفسر أن الاستنشاق كان هو الطريقة السائدة لاستهلاك التبغ خلال القرن الثامن عشر، بينما سبق ذلك تدخين الغليون، وانتقل المدخنون بعد ذلك إلى السيگار والسيگارة ؟ ولماذا ظلت بعض المواد كالأفيون والحشيش موضوع استهلاك ليبرالي طيلة قرون، ثم وصفت بالمخدرات ومنع تداولها في أواخر القرن التاسع عشر ؟»[23].

كان القرن السابع عشر منعطفا هاما في مجال الأشربة بأوربا، حيث استقبلت هذه القارة الشوكولاط والقهوة والشاي. قدم مشروب الشوكولاط من أمريكا اللاتينية، وبدأ استهلاكه بالبلاط الاسباني. وقدمت القهوة من الشرق العربي ومعها المقهى كفضاء عمومي. أما الشاي فقد جاء من الشرق الأقصى، ورافقه افتتان البورجوازية الأوربية بمنتوجات الصين من حرير و أثاث وخزف[24]. والملاحظ أن القهوة اكتسحت ذوق الأوربيين بصفة تدريجية، بينما مرت مرحلة موضة الشاي في أوساط العائلات المالكة، ثم حصل تمايز واضح بين بلدان أوربا القارية، حيث ظل استهلاك المشروب الجديد محدودا يكاد يدخل في خانة النباتات المسخنة[25]، وبين أنجلترا التي كانت حوالي سنة 1700 من أهم مستهلكي القهوة بأوربا، فإذا بها تتخلى عنها، ليحل الشاي محلها بعد مرور نصف قرن،

(23) انظر ف. شيڤلبوش، **تاريخ المنبهات** (الترجمة الفرنسية)، ص 9- 10.

(24) كان افتتان الأوربيين بالصين، في عصر الشاي، امتدادا لافتتان مخيالهم بالهند في عصر التوابل.

(25) يبدو أن ظهور الشاي أدى في فرنسا إلى تعدد الأشربة المحضرة بالأعشاب الطبية (تيزان). وفي ألمانيا، أصبحت كلمة «شاي» تعني كل تلك الأشربة، وكان الشاي يباع في المتاجر المتخصصة في الاعشاب الطبية.

ويصبح المشروب الوطني للأنجليز وأحد رموز ثقافتهم، وهو نفس التطور الذي عرفه المغرب خلال القرن اللاحق.

لنتأمل هذا التوازي الذي حصل في مستوى المجال: فمثلما تميزت أنجلترا عن بلدان أوربا القارية، تميز المغرب، منذ القرن السادس عشر، عن المجال العثماني عموما، وهو المجال الذي ظهر فيه مشروب القهوة فانطلق من الجزيرة العربية وانتشر شمالا في اتجاه الأستانة وغربا في اتجاه المغرب الكبير إلى أن توقف عند حدود المغرب الأقصى.

طرحت بعض الدراسات سؤال الخصوصية حول تبني البريطانيين للشاي، ويحيل هذا السؤال على ظاهرة المشروب الوطني بشكل عام. ونواجه من جهتنا نفس السؤال: لماذا هيمن الشاي في المغرب؟ وكيف أصبح مشروبا وطنيا؟ وماذا تعني عبارة «المشروب الوطني» عندما نتناول حالات ملموسة داخل مختلف سياقاتها؟ من المثير أن علاقة المغاربة بالشاي هي حالة تملك رمزي لمادة أجنبية. كما أن المشروب ولوازمه أصبحت تشكل، في وعي المغاربة وفي صورة المغاربة عند الآخرين، عنصرا من عناصر الهوية الجماعية[26]، إلى درجة أنه أصبح يوهم بأن استهلاكه متجذر في ماضي المغاربة، بل وفي ماضي البلاد التي كانت لها صلة بالمغرب. فهذا جان أنوي، مؤلف فرنسي، يصور في مسرحيته **الشاب والأسد**، أميرا أندلسيا يقدم لضيوفه الشاي بالنعناع. وهذا كتاب إسباني حديث يتناول موضوع الأطعمة في الأندلس خلال العصر الإسلامي، فيقدم للقارئ صورة للوازم الشاي على الطريقة المغربية[27].

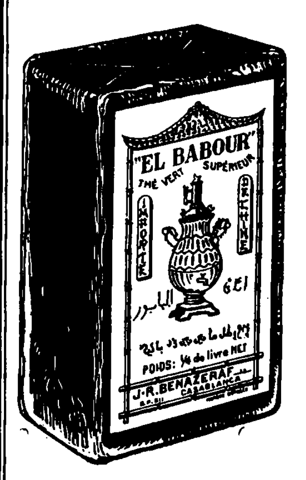
لاندعي تقديم جواب شامل على السؤال المطروح، بل نقترح فرضية مفادها أن الشاي قام بوظائف ثلاث تنتمي إلى مجالات الاقتصاد والتغذية والرمز.

---

(26) في تعليق على قرار الحكومة بتخفيض ثمن الشاي، ضمن الإجراءات الأخيرة المتعلقة بتسويق هذه المادة، جاء في تعليق لجريد **الاتحاد الاشتراكي**، في ركن «عين العقل»، أن الشاي «مادة تكاد تكون عنوان هويتنا المغربية»، وأن طقس الشاي بالنسبة للمغاربة هو «الطقس الأكثر إنسانية وجوهرية في حياتهم». انظر عدد 10 أكتوبر 1995.

(27) ورد ذكر المسرحية الفرنسية في س. بي، وج. جيمو-لافون، وم. والش، **كتاب هاوي الشاي**، ص 77. انظر إيناس إليكسپورو ومركريتا سيرانو، **الطبخ الأندلسي. سحر وإغراء** (بالإسبانية)، وقد نشر هذا الكتاب بمدريد سنة 1991.

LA GAMME COMPLETE
DES PAQUETS DE
THÉ VERT de CHINE



DE LA
DERNIERE RÉCOLTE
EST. DE NOUVEAU
OFFERTE AUX CONNAISSEURS
PAR
LA SOCIETE

Atayat el Bouaber

124, Avenue d'Espagne
Téléphone : 57-66

TANGER





NOS THES EN PAQUETS VOUS GARANTISSENT, COMME PAR LE PASSE, LE POIDS EXACT ET LA MEILLEURE QUALITE AU PRIX LE PLUS JUSTE

ENVOI GRACIEUX D'ECHANTILLONS SUR DEMANDE

"أتايات البوابير" (1947)

المصدر : مجلة نوار (بالفرنسية)، عدد 11/10، يونيو-يوليوز 1947.

III. وظائف «المشروب الوطني»

أولا. الوظيفة الاقتصادية

ساهم الشاي، وغيره من المنبهات، في الأحداث والتحولات التي عاشها العالم منذ «العصر الحديث»، ولاسيما في تطور التجارة الدولية والعلاقات الاستعمارية. ففي دجنبر 1773، تنكر مائة وخمسون أمريكيا في زي هنود، فتسللوا إلى ميناء بوسطن وصعدوا إلى السفن الراسية فيه، وألقوا بصناديق الشاي في البحر. وخلد هذا الحدث باسم «حفلة شاي بوسطن»، وقد سجل أحد شهود العيان في مذكراته: «إنها أروع حركة شعبية. لقد أعجبت كثيرا بما ظهر في المجهود الأخير للوطنيين من كرامة وجلالة ونوع من السمو. إن عملية إتلاف الشاي اتسمت بالجرأة والصلابة والإقدام والإصرار وخطورة الأبعاد، إلى حد أنني لا أستطيع أن أتردد في اعتبارها بمثابة تحول تاريخي». ذلك أن الحدث حفز المستعمرات الثلاث عشرة على توحيد مواقفها ضد بريطانيا، مما أجج الصراع بين الطرفين، وهي السيرورة التي انتهت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية [28].

وفي بلدان الشرق الأقصى، كان الشاي في صلب السياسة التي انتهجتها بريطانيا العظمى، خلال القرن التاسع عشر، لترسيخ نفوذها عن طريق إعادة ترتيب خريطة المزروعات والمبادلات [29]. فقد صدرت إلى الهند مصنوعاتها من الأقمشة القطنية وقضت بذلك على الصناعة الهندية في مجال النسيج، وتحولت تلك المستعمرة إلى مجرد ضيعة لإنتاج القطن الخام، وهي المادة التي استعملت كعملة لشراء الشاي من الصين. ومن أجل تحقيق نفس الغرض، عمدت أنجلترا في مرحلة لاحقة إلى تنمية زراعة الأفيون بالهند، ونظمت تسريب هذه المادة إلى التراب الصيني بواسطة تجارة التهريب. وتسبب ذلك في انتشار الإدمان الجديد عبر شرائح واسعة من المجتمع الصيني. وكان إصرار الدولة الصينية على التحكم في مبادلاتها الخارجية ومنع استيراد المخدر هو ما أدى إلى اندلاع «حرب الأفيون» (1839 - 1842)، حيث اضطرت الصين إلى توقيع معاهدات لامتكافئة فتحت البلاد أمام التجارة الأوربية والأمريكية. وفي نفس السياق تضايقت بريطانيا من انفراد الصين بإنتاج الشاي، فعملت على تنظيم زراعته بمستعمرتها الهندية، ثم في جزيرة سيلان

---

(28) خصص بنجامين لاباري كتابا لحدث بوسطن، انظر البيبليوغرافيا.

(29) حول هذه التطورات، راجع بول بوتيل، **تاريخ الشاي**، الفصلان الرابع والخامس.

(المعروفة حاليا بسري لانكا). وهكذا نافست الهند جارتها الصين في تصدير الشاي، بل تجاوزتها في مستوى الإنتاج، واقتصر دور الهند في مرحلة أولى على تصدير المزروع الجديد، ومنذ الحرب العالمية الأولى، نظمت بريطانيا حملة إشهار لنشر استهلاك الشاي داخل المجتمع الهندي، وأصبح الشاي فعلا المشروب الوطني بالهند حيث يمثل الاستهلاك أكثر من نصف الإنتاج [30].

لقد لاحظ البعض أن أنجلترا نشرت مزارع الشاي في مستعمراتها الأسيوية خلال القرن الفارط، على غرار الرومان الذين تركوا حقول الكروم في مستعمراتهم في العصر القديم. فلا غرابة في أن أنجلترا، وهي القوة التي هيمنت على التجارة الخارجية المغربية طيلة القرن التاسع عشر، هي التي أدخلت الشاي الصيني إلى السوق المغربية عبر محطة جبل طارق الذي كان آنذاك من الموانئ الرئيسية بحوض البحر الأبيض المتوسط. فقد كان الشاي والسكر، بمثابة الجواز الذي سهل التغلغل التجاري الأوربي، وهو أمر تعبر عنه الأرقام. فالشاي والسكر شكلا العُشر من مجموع الواردات خلال الثلاثينات [31]، ثم ارتفعت النسبة إلى ما بين الثلث والربع خلال العقود الأخيرة من نفس القرن، حيث مثل الشاي والسكر والأقمشة القطنية أكثر من 60 % من مجموع الواردات.

احتكرت أنجلترا استيراد الشاي بالمغرب، وكادت فرنسا أن تحتكر استيراد السكر بعد ما تغلبت على منافسيها البلجيكيين والألمان[32]. وقد استفاد الشاي من مجموعة من

---

(30) خلافا لما حصل في المغرب، ارتبط الإقبال على شرب الشاي، في تصور النخبة الهندية، بتبني النموذج الثقافي الأنجليزي في مستوى الحياة اليومية.

(31) راجع مييج، **المغرب وأوربا** (بالفرنسية)، ج 2، ص 71-73،543-545. ونشير إلى أن هذه الأرقام تفند فكرة تتردد في عدد من المراجع والكتب التعميمية، ومفادها أن دخول الشاي إلى المغرب يعود إلى سياق حرب القرم، حيث حرمت أنجلترا من سوق البلدان السلافية، وهو ما جعلها تبحث عن أسواق بديلة، فاتجهت إلى المغرب، وركزت عملية بيع الشاي في ميناءي طنجة والصويرة. انظر مثلا پول بوتيل، م.س، ص 232. والواقع أن الحرب المذكورة اندلعت في فترة التحضير للاتفاقية المغربية - الأنجليزية لسنة 1856. وتذكر هذه الاتفاقية بمعاهدة نانكين التي فرضتها أنجلترا على الصين غداة حرب الأفيون، وذلك من حيث الأبعاد الأساسية، وهي احتفاظ الدولتين الصينية والمغربية بسيادتهما الشكلية وحرمانهما من حرية التصرف والقرار في مجال التجارة الخارجية.

(32) خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، فشلت المجهودات التي بذلها الألمانيون لمنافسة السكر الفرنسي في السوق المغربية. ولاحظوا أن المستهلك المغربي تعود على قالب السكر من أحجام معينة، وهو ملفوف في ورق أزرق، ومربوط بخيط رقيق من القنب، وعليه علامة تجارية معينة. لذلك لجأ الألمانيون إلى أسلوب الخدعة كي يتخذ منتوجهم نفس شكل «القالب» الفرنسي. غير أن القنصلية الفرنسية ردت الفعل بشكل صارم، فتم حجز السكر الألماني بميناءي العرائش والرباط، وتسبب الحادث في أزمة دبلوماسية حقيقية لم يتم تجاوزها إلا بعد مفاوضات دامت أكثر من سنة، وانتهى ذلك باتفاق أبرم في أكتوبر 1895. راجع بيير گيلان، **المغرب وألمانيا** (بالفرنسية)، ص 434- 435.

التطورات التي ساهمت في انخفاض الأثمان. ففي سنة 1831، ألغت الدولة البريطانية الاحتكار الذي كانت تتمتع به «شركة الهند الشرقية»، مما خلق جوا من التنافس بين مصدري الشاي. وبعد مرور بضعة عقود، انخفضت كلفة النقل البحري بعد ما تم فتح قناة السويس، وبدأ استعمال السفن البخارية. وخلال الربع الأخير من القرن، عرف الشاي حركة الانخفاض العام الذي شهدته الأثمان في أوربا. وفضلا عن ذلك، عمد الأنجليز إلى تزويد السوق المغربية بأنواع رديئة من الشاي لتخفيض الأثمان، وهو ما يفسر الارتفاع الذي عرفه استيراد الشاي في ظرف الأزمة التي شهدها المغرب في نهاية السبعينات [33]، بحيث تضاعف استهلاك المشروب ثلاث مرات فيما بين سنتي 1874 و1884.

وفي مستوى آخر، ساهم الشاي في توحيد السوق وتغلغل الاقتصاد النقدي. فالمغاربة لم يعرفوا قبل الشاي مشروبا آخر امتاز بنفس الاشعاع. فمع الانتشار عبر النسيج الاجتماعي، ولاسيما في البوادي، أصبح الشاي جزءا من التغذية اليومية، وهو مادة تُشترى بالضرورة، بل تستورد من الخارج [34]. ومعلوم أن الشاي والسكر كانا عماد التجارة التي يتكلف بها «العطار» و«البقال»، أي شبكة الباعة المتنقلين في البوادي، وشبكة تجار التقسيط بالمدن.

وخلال حقبة الحماية، كانت البورجوازية الكبرى طبقة تتعاطى للتجارة بالأساس، وهي تضم بضعة آلاف من الأفراد، منها اليهود، ومعظمها من العائلات الفاسية التي استقرت بالمدن الرئيسية، وخاصة بمدينة الدار البيضاء. ويتمثل نشاطها الأساسي في التجارة الكبرى، لاسيما تجارة الحبوب واستيراد المواد الموجهة للاستهلاك المحلي، مثل الشاي والسكر والقهوة والثياب الرفيعة [35]. والملاحظ أن اتساع شبكة تجارة التقسيط تزامن مع

---

(33) راجع مييج، **المغرب وأوربا**، ج 3، ص 413- 418.

(34) استعمل بعض الشعراء صورة الميزان لتسجيل الاضطراب الذي يحدثه الاقتصاد النقدي في حياة سكان البوادي المتعودين على الاكتفاء الذاتي. يقول نايت إخلف: «كل ما جاز وزنه قل فضله». ونجد نفس المضمون في عبارة «مال كل حاجة معبورة!» عند ناس الغيوان.

(35) صور إدريس الشرايبي، في روايته الشهيرة **الماضي المجرد** (المنشورة في طبعتها الأولى سنة 1954)، ملامح شخصية تنتمي إلى هذه الفئة. فأب بطل الرواية هو أحد مستوردي الشاي، هاجر من فاس واستقر بالدار البيضاء، حيث يقع متجره بزنقة سترسبورغ. ويسجل المؤلف حدثا يعكس مناخ الإثراء خلال تلك الحقبة. ففي ظرف الحرب العالمية الثانية، أغرق الأمريكيون السوق المغربية بكميات من الشاي استولوا عليها في سفن تنتمي إلى اليابان وقوات المحور. وبيع هذا الشاي في السوق السوداء بالمغرب بثمن 130 فرنك للكلغ، بينما كان الثمن يصل في السوق القانونية إلى 370 فرنك. وكان من شأن هذه الوضعية أن تؤدي إلى أفلاس كبار المستوردين، لولا أنهم تجندوا، ورهنوا أملاكهم واقترضوا ما أمكنهم من المال، وتمكنوا من شراء مجموع شاي السوق السوداء، وأعادوا بيعه بالثمن القانوني، وتمت العملية بمساعدة الإقامة العامة. ويضيف المؤلف أن الأرباح وظفت مباشرة في شراء عقارات تقع بضواحي المدينة، وبأثمان بخسة للغاية. راجع ط. 1991 (بالفرنسية)، ص 52-53، 264.

البروز التدريجي لـ«البورجوازية السوسية». فبفضل الهجرة إلى مدن الشمال، والتخصص في قطاع تجارة المواد الغذائية بالتقسيط («البيسري» حسب التعبير الشائع)، وحس التنظيم والتآزر، تمكنت هذه الفئة من مراكمة الخبرة والمال، وحصل نوع من التناوب على بعض المواقع بين السوسيين والتجار اليهود. فقد احتل هؤلاء قطاع تجارة الجملة بالعاصمة الاقتصادية الجديدة، في الوقت الذي سيطر «سواسا» على شبكة التقسيط. وفي مرحلة لاحقة، تمكنت النخبة التجارية اليهودية من احتكار تجارة استيراد الشاي (36)، فساعدت الفئة السوسية على الحلول مكانها في قطاع تجارة الجملة. وهكذا، ففي سنة 1958، عاشت مدينة الدار البيضاء ضجة إفلاس عائلة طوليدانو، وهي من كبريات العائلات اليهودية البارزة في قطاع استيراد الشاي، وهو ما دفع الدولة إلى انتزاع الاستيراد من أيدي الخواص، فتم بذلك إنشاء «المكتب الوطني للشاي». وآنذاك ظل كبار السوسيين يتحكمون في تجارة الجملة(37).

ثانيا. الوظيفة الغذائية

تعود الصينيون على تناول الشاي بدون سكر، بينما عمد الأنجليز إلى تحلية المشروب الأسيوي، وتبعهم المغاربة في ذلك و تفردوا بإضافة النعناع (38).

لقد لاحظ الرحالة الأوربيون أن المغاربة يضعون السكر في البراد، مما يفرض على الضيف مقدارا معينا من السكر دون اعتبار ذوقه الخاص. ولاحظوا كذلك أن الشاي عند المغاربة هو بمثابة فرصة تتيح لهم تناول السكر، فينقص بذلك انتباههم لجودة الشاي. هناك

(36) يرجع بروز اليهود المغاربة في تجارة استيراد الشاي إلى القرن الماضي، في إطار فئة «تجار السلطان». ومن أشهر العائلات في هذا المجال، نذكر عائلة أفرياط التي ارتبط اسمها بكلمة أتاي، حيث يقال «أتاي أفرياط». راجع دانييل شروتر، **تجار الصويرة** (الترجمة العربية)، ص 92- 100، وكذا أبراهام لاريدو، **دراسة في الأعلام اليهودية-المغربية** (بالفرنسية)، مادة «أفرياط». والملاحظ أن ظاهرة التسمية وردت بشكل مماثل في فترات لاحقة، عند عائلات أو أشخاص اشتهروا في نفس القطاع، فهناك على سبيل المثال، تاجران من كبار التجار السوسيين يطلق عليهما « الحوس بو البراد » و«الحسن بو أتاي».

(37) راجع كتاب **نحو الشمال من أجل التجارة** (بالانجليزية)، حيث خص الباحث الأمريكي جون وتربوري أحد كبار التجار السوسيين بسيرة تضع مسار الشخص في سياقه الاجتماعي والتاريخي. انظر على الأخص ص 79- 86. وقد تناول نفس المؤلف في مقاله « القبلية والتجارة والسياسة : تحول السوسيين بالمغرب » (بالانجليزية)نفس الموضوع في سياق المخاض الحزبي والانتخابي الذي عاشه المغرب في العقد الأول من الاستقلال.

(38) تتنوع مقومات الشاي وطرق تعطيره عبر العالم. ففي بلدان المشرق العربي، يُطيب الشاي بالهيل والزعفران. وفي شمال الهند توضع فيه توابل مثل الفلفل والفلفل الحلو. وفي الصين، لا زال سكان التبت يحضرون الشاي بالملح وزبدة حيوان محلي يعرف بالخشقاء.

بعض المبالغة في مثل هذه الأحكام، لكنها تشير إلى جانب هام، وهو أن السكر يمثل عنصر الحلاوة في مستوى الذوق، كما أنه يحتوي على وحدات حرارية، وهي مكونات غذائية ملموسة لا يتوفر عليها الشاي. وهنا لا بد من تسجيل مفارقة تاريخية : فالمغرب أنتج السكر طيلة سبعة قرون في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، وتراجع هذا الإنتاج في بداية القرن السابع عشر في ظرف الأزمة السياسية التي تلت وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور (1603)، في الوقت الذي عمدت فيه القوى الأوربية إلى إنشاء مزارع قصب السكر في مستعمراتها بجزر المحيط الأطلنتيكي وجزر الأنتي [39] .

غير أن السكر ظل في المغرب مادة رفيعة توجه للتصدير، ولا تستهلك محليا إلا في نطاق جد محدود، حيث كانت الحلاوة تكمن في أغذية أخرى مثل العسل والتمر وغيره من الفواكه. وجاء عصر الشاي، فعاد السكر في حلة أخرى، فهو يستورد مثل المشروب الجديد، وبكميات ارتفع حجمها بشكل منهجي وفق آليات التسرب التجاري الأوربي. وعلى غرار الشاي، من المرجح أن السكر تغلغل تدريجيا داخل الأسواق، وهو ما يفسر أن استيراد الشاي لم يتراجع خلال فترات الأزمات الاقتصادية والديموغرافية، بل إن عادة استهلاك المشروب الجديد ترسخت خلال تلك الأزمات، خالقة بذلك نوعا من «الإدمان» [40] .

لذلك لا غرابة في أن السلطات الفرنسية شعرت، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، بأن تخطيط «سياسة الشاي والسكر بالمغرب» أمر ضروري يتطلبه تسكين الأوضاع بالمستعمرة

---

(39) راجع پول برتيي، **معامل السكر القديمة بالمغرب** (بالفرنسية)، ج1، ص 57- 58. والملاحظ أنه حين كان فقهاء القرن التاسع عشر يناقشون مسألة حلية السكر المستورد من أوربا، فإنهم أحالوا على مراجع طبية عربية تعود إلى العصر الوسيط، لكنهم لم يشيروا قط إلى مساهمة المغرب في صناعة السكر قبل القرن الماضي، وهو أمر يطرح قضية هفوات الذاكرة التكنولوجية.

(40) حول موقع الشاي ضمن التصنيفات المتداولة للمواد التي يؤدي الإكثار من تناولها إلى الإدمان، راجع دراسة مصطفى سويف، **المخدرات والمجتمع. نظرة تكاملية**، ص 32 -62. وتعود مسألة الإدمان، من الناحية العلمية إلى مادة الثايين التي تدخل في تكوين الشاي. وقد اكتشفت الأبحاث المتخصصة أنها نفس المادة الموجودة في القهوة (الكافيين)، وهي تحتوي على نفس «الألكالويد» الموجود في مادتي الكولا و الماطي. وقد أدى إدمان الشاي في تونس إلى إهدار موارد العديد من العائلات الفقيرة، و ظهور أعراض مرضية ملموسة أقلقت السلطات الطبية، وراج آنذاك استعمال عبارة «التسمم بالشاي»، أي «الثايزم» على غرار «ألكوليزم». واتصلت تلك السلطات بمثيلتها في المغرب، وطلبت منها أن تقوم بتحريات في الموضوع، فنشرت تقارير تفيد أن المغرب لا يعرف ظواهر تدعو إلى القلق. حول هذه التطورات، انظر أدناه، ص265-266 . وفي مستوى التعبير الأدبي، انظر نص «العشبة الملعونة»، الوارد أدناه، ص 96-100.

الجديدة. فسهر المقيم العام ليوطي على إنجاز تلك السياسة، بل أعطى الأسبقية للمغرب على فرنسا نفسها في مجال التزويد بالسكر (41).

لقد خلقت العادة الجديدة حاجة إلى النشوة، لكن مع «دمقرطة» الشاي، اقترنت النشوة في الأوساط الشعبية بتوفير الوحدات الحرارية التي تتطلبها قوة العمل، فأصبح المشروب الجديد بمثابة غذاء تعويضي (42). وهكذا فإلى جانب عبارة «كأس ديال السكر» (43)، يقال إن الفقير يعيش من «الخبز وأتاي»، حيث يحل المشروب المذكور محل «الدواز»، أي الغذاء الذي يرافق الخبز، وهو مايتعود عليه الطفل منذ أن يبعد عن ثدي أمه.

ثالثا. الوظيفة الرمزية

ماذا يعني شرب الشاي؟ يقترن هذا المشروب في مخيال المغاربة بالجماعة والعائلة والأنس والضيافة. وتتسم هذه القيم بقدر من البداهة، مع أن الدراسة الميدانية قد تكشف عن متغيرات جهوية، وعن مستويات من التطور الذي يشهده العصر الراهن. بيد أننا اخترنا هنا أن نتناول طقس الشاي في تاريخيته، عبرجوانب رمزية تنتمي إلى مرحلة إرساء العادة الجديدة.

ابتكر الصينيون «فن الشاي»، ثم ذهب اليابانيون بطقس الشاي إلى حد كبير من الدقة والشكلنة، إلى حد تنظيم معاهد خاصة بتلقين طريقة التعامل مع المشروب (44). وبقدر ما اقترن الشاي، في ثقافات الشرق الأقصى، بمضامين روحية ودينية، وبأسلوب معين في التعامل مع الطبيعة، بقدر ما ارتبطت بدايات الشاي في المغرب بمظاهر وعلاقات تعبر عن التراتب الاجتماعي.

انطلق الطقس من قصر السلطان، حيث ظهرت هيئة «موالين أتاي» التي تحدث عنها عبد الرحمان ابن زيدان (*)، إلى جانب «موالين الروا» و«موالين الفراش» و«موالين الوضو»

---

(41) انظر الوثيقة الواردة في الملحق أدناه، ص 395.

(42) راجع ألبير عياش، **المغرب والاستعمار. حصيلة السيطرة الفرنسية** (الترجمة العربية)، ص 334.

(43) ورد هذا التعبير في شهادات شفوية، وقد سجلته أيضا نصوص أدبية مكتوبة. انظر على سبيل المثال أدناه، ص 106.

(44) ارتبط فن الشاي في الصين (تشاشو) بشخصية لو يو، الملقب ب«إلاه الشاي»، الذي عاصر دولة الطانغ، وتوفي سنة 804 للميلاد. وقد ألف كتابا استعرض فيه جوانب عديدة تهم المشروب، من أساليب زراعية وطرق التحضير و جهازالأواني واللوازم، بل وحتى تصنيف المياه من حيث درجة ملاءمتها للمشروب. أما تأسيس طقس الشاي باليابان (تشانويو)، فينسب إلى سن نوريكيو(ت 1591 م) الذي انتقلت تعاليمه عبر الأجيال حتى الوقت الحاضر.

و«موالين السجادة» إلى غير ذلك من الخنطات الداخلية بالقصر. ويوجد على رأس «موالين أتاي» مسؤول يدعى «مول أتاي»، ويبدو أن أول من تقلد هذا المنصب هو أحمد بن المبارك، وصيف السلطان سليمان وحاجبه. وقد أسس هذا الوصيف شبكة عائلية مخزنية دام نفوذها قرنا كاملا [45]، وإليها ينتمي أحمد بن موسى، المعروف ب«ابا احماد»، حاجب السلطان عبد العزيز، وهو الذي تمكن من إقصاء منافسيه من عائلة آل الجامعي، واستبد بالحكم، وقد كانت وفاته سنة 1900، إعلانا عن اختفاء عائلته من المشهد السياسي.

من المرجح أن طقس الشاي انتقل من القصر السلطاني إلى أوساط أخرى عن طريق أسلوب محاكاة النموذج المخزني. ومن المناسب أن نذكر بأن العاهل اعتاد أن يتنقل رفقة حاشيته بين عدة عواصم، كما أن «خلفاء» من أمراء الأسرة الحاكمة كانوا ينوبون عن السلطان في الحواضر الرئيسية، وإلى جانبهم هيئات تماثل الهيئات التي يستعين بها السلطان.

وفي إطار السياسة التي اتبعتها الدولة المخزنية إزاء القبائل، عمد السلاطين إلى استعمال الشاي كسلاح لإخضاع الأطراف. فإلى جانب عمليات استعراض القوة في الحركات، عمد الحسن الأول إلى إهداء الشاي والسكر والأواني الضرورية، للرؤساء المحليين الذين يرفضون الخضوع للسلطنة أو يترددون في الإعلان عن ولائهم لها. وهكذا فقد ظلت زاوية إليغ بتازروالت ترفض زيارة بلاط السلطان إلى غاية عهد الحسين أو هاشم (1810 - 1886). وبعد وفاة هذا الأخير، خلفه على رأس الزاوية ابنه محمد أو الحسين (ت 1909) الذي زار البلاط ثلاث مرات. وخلال زيارته الثانية في عام 1886، تسلم رئيس تازروالت من السلطان هدية هي عبارة عن «صينية نحاسية، وبرادين وكأسين من الخزف الصيني، وكوبين عاديين وملعقة وغلاية نحاسية ومجمر من الحديد» [46]. وقد أعطت هذه السياسة ثمارها المنتظرة مع مرور الزمن. ففي رسالة مؤرخة في 23 شوال 1303 (25 يوليوز 1886)، سجل أحمد بن موسى، وزير الحسن الأول، أنه توصل من رئيس نفس الزاوية بكتاب يطلب منه فيه أن يتدخل له لدى السلطان من أجل «الإنعام عليه بسكر وأتاي لفراغ يده من

(45) راجع مينة مادني، **نموذج من الأسر المخزنية المغربية من خلال بعض المصادر والوثائق المغربية : أسرة آل أحمد بن مبارك**، بحث مرقون. ويبدو أن نفوذ مؤسس هذه الأسرة بلغ درجة جعلت المؤرخ أكنسوس يقول عنه : «هو السلطان في حقيقة الحال».

(46) انظر مقال محمد الطوزي ومحمد الناجي، «زيارة قائد قروي لبلاط الحسن الأول»، مجلة **لاماليف** (بالفرنسية)، عدد 188، ماي 1987، ص 72.

الزاد . . . ». وهكذا توصل محمد أو الحسين ب«خمسة قوالب سكرا وكفايتها أتايا . . . » . وتضيف رسالة الوزير : «حيث ينفذ لك أعلم وينفذ لك غيره» (47).

وهكذا فبواسطة مثل هذه الهدايا المقترة، يضع القصر في موضع الحاجة بعض الزوايا التي كانت بمثابة مراكز سياسية داخل الهامش، وتمكن السلطان من تدجين رئيس محلي ظل أسلافه يقاطعون المخزن خلال مدة طويلة . وتشاء سخرية التاريخ أن تتعود القبائل ، في ظرف لاحق، على تقديم قوالب السكر للسلطان تعبيرا عن الولاء في الأعياد الدينية ومناسبات أخرى (48). ويبدو أن كبريات الزوايا عمدت هي الأخرى إلى إحداث منصب «مول الأتاي» و قاعة مخصصة لطقس الشاي (49). اقترن الشاي إذن بلغة الهدية والهدية المضادة، حيث يسعى الطرف الأعلى إلى إلغاء الحواجز وتيسير التواصل (50)، بل يسعى في بعض الحالات إلى إبطال المقاومة وترسيخ روابط التبعية .

عندما تلتقي قافلتان في الصحراء، فإن الرئيس الذي يبادر إلى طرح الأسئلة يضع الآخر في موقف ضعف، ويدعوه لتناول الشاي ليؤكد بذلك التفاوت القائم بينهما . وإذا تأملنا جلسة الشاي ، سواء في الصحراء أو في بوادي الشمال ومدنه، فإننا نتبين أننا أمام طقس يتضمن عددا من المكونات مثل زمان الشرب ومكانه، ولوازم تحضير الشاي، والحركات الجسدية والمواقف والكلمات .

لنأخذ مثلا مستوى الحركات . فإن عددا من المضامين لا تمر عبر الكلام بقدرما تمر عبر الإشارة . فبهذه الطريقة يتم اختيار «مقيم الشاي»، ويوجه هذا الأخير الخادم المكلف بتنفيذ بعض المهام المتعلقة بتسخين الماء، ويسائل المقيم نظرات الحاضرين ليدرك مدى ارتياحهم لجودة المشروب المحضر . ويراعي نظام تقديم كؤوس الشاي، من حيث الأسبقية، تصورا معينا للتراتب الاجتماعي، كما أن تجاوز عدد محدد من البراريد المحضرة قد يعني دعوة

---

(47) انظر محمد الناجي وبول پاسكون، **المخزن وسوس الأقصى. المراسلات السياسية لزاوية إليغ** (بالفرنسية)، ص 145 ، الرسالة رقم 131 . وقد أمدنا محمد الناجي مشكوراً بالنسخة الأصلية لهذه الرسالة .

(48) انظر الوثيقة المخزنية الواردة أدناه (نص 17) .

(49) تشير المصادر إلى أن بعض الزوايا والطرق الصوفية لعبت دورا لا يستهان به في نشر عادة استهلاك الشاي، وقد تعرفنا على نماذج مثل الشاعر المتصوف محمد الحراق(*)، وهو من وجوه الزاوية الدرقاوية، والعربي ابن السايح (*)، من أتباع الطريقة التيجانية ، وطائفة هداوة التي جمعت بين شرب الشاي وتدخين «الكيف».

(50) تنسب إلى الجنرال ليوطي، أول مقيم عام للحماية الفرنسية بالمغرب، عبارة «سياسة فنجان الشاي»، في وصفه للأسلوب الذي انتهجه لاحتواء الأعيان .

الضيف إلى الانصراف. وهكذا يكون المقيم أمام امتحان من شأنه أن يؤكد مهارته أو يحط من الصورة التي اكتسبها عند الآخرين. ويكون الضيف أمام مشهد مضبوط يعاد تشخيصه باستمرار، ومعناه كذلك أن كل عمليات التحضير تتم بشكل واضح أمام الحاضرين، كما أن المقيم يتذوق المشروب قبل غيره، مما يخلق علاقة ثقة واطمئنان، في مجتمع لا يخلو من مخاطر تدعو إلى الحيطة والحذر[51].

يبدو أن طقس الشاي بلغ درجة أعلى من الإحكام والصرامة في مناطق سوس وشنگيط والصحراء، وهو ما يتجلى في القصائد التي نظمها أدباء هذه المناطق. فقد أسهب هؤلاء بشكل خاص في ذكر الصفات والخصال التي ينبغي أن تتوفر في «مقيم الأتاي». فهناك فن القياس، وهناك الوقار والتواضع والاتزان والاعتدال والحكمة، إلى جانب النظافة وأناقة اللباس والهندام. إنها أوصاف تذكر بعضها بظاهرة «الظرفاء» في الثقافة العربية الكلاسيكية. لكن الانتقاء قد يتخذ معايير أخرى. فهذا مثلا الشاعر السوسي داوود الرسموكي (*)، المولود سنة 1892، يشرح نصا لمؤلف من بدو الصحراء، ويتبنى ما أورده في موضوع الشروط التي تفترض في «مقيم الأتاي». ويلح المؤلفان على أن تحضير الأتاي يمنع على العبيد وذوي البشرة السوداء والحراطين والفقراء. ونقرأ عند آخرين أنه لا يجوز للرجل الحر أن يحضر الشاي للأسود، ويذهب البعض إلى أن إقامة الشاي تمنع على الأعمى والأعرج وسائر المعاقين. فطقس الشاي لا يكتفي إذن بتكريس التفاوت، بل يذهب أحيانا إلى حد الإقصاء.

ومن التراتب الاجتماعي ننتقل إلى التمييز بين الجنسين. فقبل أن ينتقل طقس الشاي إلى الفضاء العائلي، مر بمرحلة «رجولية» من الممكن أن نتلمس معالمها من خلال بعض الجوانب. فمعظم النصوص التي دافعت عن المشروب الجديد و عدت منافعه، أكدت أنه منشط جنسي يثير الشهوة و«يقوى الباه»[52]. فهل هي خاصية من خواص الشاي؟ عندما

(51) انظر أدناه، النص رقم 13.

(52) انظر على سبيل المثال أدناه، ص 139، 249، 253. وقد ورد ذكر الشاي ضمن المنشطات الجنسية في الطبعة الشعبية لكتاب **الروض العاطر في نزهة الخاطر**، وبالتحديد في الباب الثالث عشر المخصص لـ«أسباب شهوة الجماع وما يقويها». والراجح أنه تحوير تعرض له النص في عصر متأخر، فمعلوم أن المؤلف عاش في عهد دولة بني حفص التي حكمت إفريقية (تونس حاليا)، وعاصرت المرينيين بالمغرب الأقصى. والواقع أن النص المحقق يذكر في نفس السياق مادة «تاكوت» (ص 144). وقد أضاف المحقق في هامش: «هكذا في الأصل، ولا نعلم ماهيته». ومادة تاكوت (Galle du Tamarix) لا زالت تستعمل في دباغة الجلود. وقد عرف بها علماء النبات منذ العصر الوسيط. يقول أبو الخير الإشبيلي في كتاب **عمدة الطبيب**، أن تاكوت «اسم مشترك يقع على حب الأثل (...) يدبغ به الجلود بأغمات ...». انظر تحقيق محمد العربي الخطابي، القسم الأول، ص 135.

نتمعن في النصوص ، لاسيما في الشعر والأدبيات الطبية ، يبدو لنا أن الأمر يختلف عما توحي به الارتسامات الأولى. فالطبيب ابن البيطار ينسب نفس المنفعة للنعناع الذي «يحرك شهوة الجماع» (*)، بينما ينسب ابن قيم الجوزية ، في كتاب **الطب النبوي**، نفس الخاصية لمادة السكر (*). والواقع أن المصنفات الطبية والنباتية تضع في نفس الخانة عددا كبيرا من النباتات و التوابل والأغذية [53]، إلى درجة توحي بالهوس والتكرار، مما يدل على أنها ظاهرة ثقافية ذات نطاق أوسع ، تذكرنا بغزارة التأليف الاسلامي في مجال «علم الباه» [54].

الحديث عن الشهوة قد يعني التوجه إلى الرجل كذات ، والتعامل مع المرأة كموضوع ، فيتخذ غيابها أو حضورها دلالات معينة. فخلافا لما ذهب إليه البعض ، مثل الشاي في ظروف معينة ، حالة من حالات التمايز الجنسي في مجال الغذاء. فالرواية الشفوية تفيد أنه قبل بضعة عقود في الأطلس الكبير وواحات درعة ، كانت المرأة لا تحضر الشاي ، ولاتتناوله، أو تكتفي على غرار الأطفال ببقايا البراد [55]. ألسنا هنا أمام ظاهرة تقسيم العمل في مجال الغذاء. فعند قبيلة أيت حديدو بالأطلس الكبير ، يمنع على الرجل أن يحضر أكلة الكسكوس ، وغالبا ما يكلف بتهييء قضبان «الكواح» للضيوف [56]. ويحصل في بعض المجموعات تقابل واضح بين الجنسين في مستوى الشراب. ففي واحات درعة على سبيل المثال ، كان الشاي يعتبر مشروب الرجال ، بينما تعودت النساء على استهلاك «تاصابونت» ، وهو مشروب مسكر يصنع من التمر ، ولا يقربه الرجال [57].

---

(53) راجع على سبيل المثال أبو القاسم الغساني ، **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، المواد المتعلقة بالزنجبيل، والزعفران، والقرنفل ، والثوم، و الحمص، والفلفل ، والبصل، والجزر، والكرفس. والأرز.

(54) يعرف حاجي خليفة ب«علم الباه»، ويضيف أن «هذا العلم من فروع علم الطب بل هو باب من أبواب كتبه غير أنهم أفردوه بالتأليف اهتماما لشأنه». **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، ج 1 ، ص 218- 219. وحول نفس الإنتاج، انظر عبد الوهاب بوحديبة ، **الاسلام والجنس** (بالفرنسية)، الفصل الحادي عشر.

(55) انظر محمد أيت حمزة، **ملامح التحولات السوسيو مجالية بحوض أسيف أمگون، السفح الجنوبي للأطلس الكبير** (رسالة مرقونة)، ج 1 ، ص 208- 209. وقد ذكر سعيد گنون في كتابه **جبل البرابرة : أيت أومالو وبلاد زيان** (بالفرنسية) ص 316، أن المرأة لا تستهلك الشاي والسكر في هذه المنطقة وذلك «على سبيل التقشف لصالح العائلة ». غير أن هذا التفسير لا يكفي لتفسير التمييز المذكور.

((56) انظر ميشال كاسريال ، **نساء حرائر بالأطلس الكبير؟** (بالفرنسية)، ص 52- 53.

(57) انظر دراسة سطيفانيا پاندولفو حول الذاكرة المحلية في منطقة درعة، **مأزق الملائكة** (بالانجليزية)، ص 107-108. وقد أفادتني المؤلفة ، بناء على معلومات ميدانية ، بأن هناك اعتقاد شائع يذهب إلى أن تناول الرجال لمشروب تاصابونت يصيبهم بالعجز الجنسي. ونشير إلى أن منطقة الجنوب التونسي تعرف تقابلا مماثلا بين شراب الرجال (اللغمي) وشراب النساء (وزوازة)، إلا أن كليهما من المشروبات المسكرة المصنوعة محليا من التمر. راجع مقال صوفي فرشيو، «التمايز الجنسي والتغذية : حالة بلاد الجريد » (بالفرنسية)، ص 68- 69، 78 وما تلاها.

يتناول الرجل الشاي بمعزل عن المرأة، وقد يقترن الشاي بمجالستها، لكنه حضور يؤكد التمييز بين نمطين مختلفين من العلاقات القائمة بين الجنسين . فالرجل يشرب الشاي مع العشيقة أو العاهرة، وتصبح أحيانا كلمة «أتاي» مرادفا للُعبة الجنس والإغراء والرغبة .

«قلب البراد يغلي وقلبي هادئ
«الصينية وحبيبتي أمامي [58]

ويأتي التعبير الشعري أحيانا ليجعل من عناصر جلسة الشاي مجازا يشير إلى ما يعتمل في نفس العاشق .

«ما فعلته بي، لم يفعله بتاتا صاحب مطرقة
«بقالب سكر ولا نار بحطب يابس،
«لو قلت هذا للجبل لتقزم،
«لو قلت هذا للأرض لاسود لونها،
«لو قلت هذا للشاي لاكتسى لون الحناء،
«لو قلت هذا للنهر لجف مجراه،
«لو قلت هذا للبندقية لما خرجت طلقتها،
«لو قلت هذا لليهودي لأسلم،
«أنت الذي وضعتني دون الأرض ! [59]

وهذا لا يعني دائما إبعاد الزوجة الشرعية، إذ يبدو أنه في بداية القرن الحالي، كان الزوج الشاب، في بعض الحواضر، يشتري الشاي والسكر ويدخلهما خلسة إلى البيت، وينتظر أن يختلي بزوجته ليشرب معها كؤوس الأتاي، بعيداً عن أنظار الأبناء والأقرباء المسنين [60].

يقترن الشاي إذن بلغة الدعابة والرغبة والمتعة [61]، فيحال على فضاء محجوب، مثلما تعودت المجتمعات الاسلامية على تحريم الشراب المسكر، وحضوره في فضاءات غير

(58) انظر لوسي پول-ماركريت ، **أغاني أمازيغية من المغرب** (بالفرنسية)، ص 60 .

(59) انظر مايكل پيرون، **إيسافن أغبانين** (بالفرنسية)، ص 91.

(60) يبدو أن هذه الطريقة في شرب الشاي مع الزوج لا زالت قائمة في الصحراء وموريتانيا.

(61) هذا المدلول هو الذي قد يفسر عدم تداول الشاي في الجنائز خلال الأيام الأولى التي تلي الوفاة. انظر مقال أرليت جوان، « القيمة الرمزية للأغذية والطقوس الغذائية بالرباط » (بالفرنسية)، وكتاب وسترمارك، **الطقوس والاعتقادات بالمغرب** (بالانجليزية)، حيث يورد المؤلف جزئيات ملموسة تهم طنجة وفاس، وبعض القبائل المجاورة لهذه الأخيرة مثل أيت سادن وأيت وراين. راجع ص 467- 470.

معلنة [62]. إنه ليس مجرد تماثل نظري، فالمصادر تؤكد ظاهرة استهلاك المشروبات المسكرة في المغرب منذ العصر الوسيط، مثل أنواع الخمر والرُّب. تصنع هذه المشروبات على نطاق محلي، وتختص بعض المناطق أو المجموعات بأنواع معينة. فقد عرفت بلاد السوس الأقصى بإنتاج «أنزير» (*)، وعرفت جبال غمارة بصنع مشروب «الصامت» (*)، واختصت الجاليات اليهودية في عدد من المدن بإنتاج «الماحيا».

ومن المثير أن تاريخ شرب المسكرات عرف انفصالا دائما بين الخطاب والممارسة. لقد احتفظت كتب الأخبار بوقائع محاربة الخمر من طرف قضاة أو فقهاء أو دعاة أو سلاطين متشددين، غير أن المصادر تشير عرضا إلى تناول المسكرات في مختلف الأوساط، بما فيها أوساط العلماء والأولياء. وتتخذ المسألة شكل تعاقب حقيقي بين موقف المحاربة وموقف غض الطرف. لنتأمل مثال دولة الموحدين، فقد اشتهر المؤسس ابن تومرت بمحاربته الصارمة لمظاهر الخمر واللهو، ونجد بعده أحد الخلفاء الموحدين يقدم مشروب الرب للجمهور الحاضر في حفل استقبال رسمي [63]. ثم تأتي دولة بني مرين، فيخبرنا ابن خلدون عن جباية «مكس الخمر» في عهد السلطان أبي سعيد عثمان. ومع اتساع حركة التصوف والزوايا في الفترة اللاحقة، عمل الأولياء على مواجهة ظاهرة المسكرات، وخاض الفقهاء نفس الصراع خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد، في نفس إطار «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وعلى هذا النحو، خصص الشيخ عبد الله الهبطي (ت 1556م) مقطعا هاما من ألفيته لاستهلاك الخمر، وأشار إلى أن الظاهرة منتشرة بين بعض قبائل الريف بشمال المغرب [64].

إلى أي حد توفقت حركة الأولياء والفقهاء؟ وكيفما كانت نتائجها الملموسة، فهل هيأت التربة لاستقبال الشاي؟ حين نضع الشاي في إطار تاريخ المشروبات بالمغرب، فالسؤال

(62) راجع إ. أشطور، «دراسة في تغذية مختلف الطبقات الاجتماعية في الشرق الوسيط» (بالفرنسية)، ص 1039- 1043، محمد الطويل، **الفلاحة المغربية في العصر الوسيط**، ص 163- 168، حليمة فرحات، **سبتة من الأصول إلى القرن الرابع عشر** (بالفرنسية)، ص 444 - 445، عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ص 241 - 242.

(63) يذكر عز الدين أحمد موسى أن الموحدين حاربوا الخمر في طور الثورة وأحلوه في طور الدولة. ويضيف المؤلف أنه في عصر نفس الدولة، «كانت للرب أسواق، غير أن كثيرا من الناس كان يصنع خمره في منزله، وخاصة الفلاحين منهم». انظر **م. س.**، ص 241-242.

(64) محمد حجي، **الحركة الفكرية** . . . ، ج 1، ص 220. وحول مساهمة الأولياء في الدعوة إلى تبني الشاي محل المسكرات في أواخر القرن التاسع عشر، انظر أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان، 1850- 1912)**، ص 335.

الملائم ليس هو : ماذا تعود المغاربة أن يشربوا فيما قبل؟ فالشاي ليس مجرد مشروب، بل هو منبه، ويرتبط تناوله بطقوس خاصة. و هناك مؤشرات تدل على أن جلسة الشاي كانت في المغرب، في مستواها الطقوسي، امتدادا لجلسة الخمر. ففي الوقت الذي نشأ فيه السجال حول المشروب الجديد، بين معارضين ومؤيدين، ذهب الطرف الأول أحيانا إلى حد القول بأن الشاي حرام لأنه يشبه الخمر، وذكر بعض المؤلفين عرضا بعض الجزئيات التي تتشابه فيها جلسة الخمر وجلسة الشاي. أما الطرف الثاني، فقد دعا إلى الاستمتاع بالمشروب الجديد كبديل عن الخمر. وقد اشتهرت بعض الأبيات، وتحولت إلى مراجع يستدل بها في السجال الدائر حول المشروب الجديد، ومن بينها هذان البيتان، أولهما لحمدون ابن الحاج (*) :

«شربنا من الأتاي كل معتق ... شرابا حلالا لا نبيذا ولا خمرا

والثاني لسليمان الحوات (*) :

«إياك إياك أن ترتاح للراح ... وادفع مدير كؤوس الراح بالراح

وعندما تغنى الشعراء بالمشروب الجديد، فقد اتبعوا في ذلك نموذج الخمريات، حيث أسهبوا في وصف الجليس وأواني «الأتاي» ولونه ومذاقه :

IV. امتـدادات

ساهم الشاي إذن في توحيد السوق المغربية عن طريق توحيد الذوق. وشكل «إدمان» الشاي أحد عوامل ظاهرة التبعية الغذائية، وأحد فصول تاريخ النشوة. ووفر الشاي للمغاربة، داخل بنية التفاوت والمحاكاة، لغة تواصل رافقت التحولات التي جاء بها مد الاستعمار المعاصر. غير أنه من الواضح أننا تبنينا نظرة تخطيطية تترك المجال مفتوحا أمام ما قد تفيد به دراسات محدودة في الزمان والمكان. فالوظائف التي نسبناها للمشروب الوطني لم تنجز بشكل متزامن، كما أن انعكاساتها الملموسة اختلفت بحسب المناطق والفئات الاجتماعية. ويذكرنا التطور العام الذي مر به إرساء عادة الشاي بالمغرب، بالتمييز الذي وضعته الأبحاث في تاريخ المنبهات، بين مرحلتين: مرحلة «بطولية» تتميز بالدعوة إلى الجديد وخرق الأعراف، ومرحلة «اعتيادية» ينتقل فيها المنبه الجديد إلى مستوى العادة المألوفة التي تقبلها الجميع [65]. ففي أوربا غالبا ما اقترنت المرحلة الأولى بالفضاء العمومي، والثانية بالفضاء العائلي. فقد دام استهلاك القهوة في ألمانيا مثلا، زهاء قرن كامل في فضاء المقهى قبل أن ينتقل هذا المشروب الجديد إلى فضاء البيت.

وفي جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط، ابتكر الشرق العربي ظاهرة المقهى كفضاء عمومي ارتبط في البداية باستهلاك القهوة [66]. وتنتمي ظاهرة المقهى إلى الحياة اليومية، وتكتسي في آن واحد أبعاداً اجتماعية وسياسية. فالمقهى مجال للتواصل الاجتماعي، يرتاده البعض لمجرد إمضاء وقت الفراغ، ولعب الورق، والثرثرة والهذر، ويرتاده أيضا الفنانون والشعراء الجدد. وقد احتفظت المصادر بأصداء مضايقة الحاكمين للمقاهي وإغلاقها أحيانا بسبب ما تتيحه من تداول الأخبار وتبادل الرأي.

وهكذا اكتملت وظائف المقهى في المجال العربي العثماني قبل أن تنتقل إلى المجال الأوربي. ففي أنجلترا فتح اليهودي اللبناني يعقوب أول مقهى في أكسفورد سنة 1650، ثم أعقبه آخر بكامبريدج، وغزا الطلاب هذا المجال الجديد للثرثرة وقراءة الصحف. وبعد

---

(65) راجع ف. شيفلبوش، م. س، ص 36– 43.

(66) راجع رالف هاطوكس، م. س.، ص 29 وما تلاها، وكذا المقال الهام الذي خصصه عمر كارليي (بالفرنسية) لظاهرة المقاهي العتيقة بالجزائر منذ القرن السادس عشر.

سنوات قليلة، فتح أول مقهى بلندن [67]. وفي باريس، أسس إيطالي، سنة 1686، مقهى پروكوپ الذي حافظ منذئذ على سمعة راسخة [68]. وكان الرواد يتناولون في هذه المقاهي القهوة والشاي والشوكولاط، وكلها مشروبات جديدة، وهي أيضا غير مسكرة في مجتمعات لم تكن تعرف آنذاك سوى الحانات. وقد تبنت الطبقة الراقية استهلاك تلك المشروبات في فضاء عمومي، وهو ما أتاح للنساء «المحترمات»، ولأول مرة، أن يختلطن بمجتمع الرجال دون حرج. ثم كان ظهور «قاعات الشاي» في وقت لاحق.

تبنت أوربا ظاهرة المقهى، بعدما تبناها المجال العربي العثماني. بينما توقف انتشار المقهى عند حدود المغرب الأقصى. والملاحظ أن هذا البلد تميز عبر تاريخه برفض اتخاذ فضاء المعاشرة القائم على تناول الشراب، بحيث ظلت مجالات اللقاء منحصرة في السوق والحمام والمسجد والزاوية. أما ظاهرة الفنادق فقد كانت تنتمي، منذ القديم إلى عالم الهامش المنبوذ، حيث يقترن استهلاك الخمر بالإجرام والدعارة واللواط [69]. وبعدما تسرب الشاي إلى المجتمع المغربي، فإنه عاش كلتا المرحلتين، «البطولية» و«الاعتيادية» داخل الفضاء الخصوصي، دون أن يكون البيت في البداية مرادفا للبيئة العائلية. وهكذا فإن اقتران «الأتاي» بقيم العائلة والضيافة هو في الواقع ثمرة لتطورات معقدة تمت داخل حيز زمني قصير.



لننتقل الآن إلى التحولات الراهنة. هل تمر ثقافة «الأتاي» بمرحلة تراجع أو «انحطاط» [70]؟ من المثير أن الذاكرة والتعبير الأدبي رددا هذه الصورة في لحظات

---

(67) انظر أنيبس ريپلايير، **التفكير في الشاي** (بالانجليزية)، ص 18.

(68) انظر مرغاريت ويسر، **الغذاء يُحدد الكثير** (بالانجليزية)، ص 297.

(69) حول ظاهرة الفنادق بفاس في بداية القرن السادس عشر، انظر ليون الافريقي، **وصف إفريقيا** (الترجمة العربية)، ج 1، ص 231– 233. وحول فضاءات المعاشرة في المغرب، انظر كتاب نيكولا ميشال، **اقتصاد معاشي: مغرب ما قبل الاستعمار** (بالفرنسية)، ج 2، ص 486.

(70) استعمل هذا المفهوم بالنسبة لتاريخ الشاي في الصين، حيث يميز المؤلفون بين مرحلة «كلاسيكية» توافق عهد دولة الطانغ (618–907 م)، ومرحلة «رومانسية» توافق عهد دولة السونغ (960– 1279م)، ومرحلة «انحطاط» توافق عهد دولة المينغ (1368 – 1644 م). ويبدو أن طريقة تحضير الشاي اختلفت من مرحلة إلى أخرى، حيث كان الانتقال من الأقراص إلى المسحوق ثم الأوراق. راجع كاكوزو أوكاكورا، **كتاب الشاي** (بالانجليزية)، ص. 19-34.

وسياقات مختلفة. ففي فترة دخول الشاي إلى الجنوب، قال الشاعر الباعمراني نايت إخلف:

«أضاع القوم الحب وأذابوه في الماء
«أفسد علينا الشاي عمل الخير وبدل حال ذوي النوايا

وصور نفس الشاعر ماء المقراج وهو يهمس بهذه الكلمات:

«ارتفع الخير من الدنيا إذ رأينا الشجر
«هذا الشجر الذي نُشربه هو الذي يحرق

ومن السهل أن نتصور البعض يحن إلى الوقت الذي كانت فيه جلسة الشاي عنوان الوجاهة والترف، حيث ظلت علامات التميز قائمة حتى بعد أن انتشر المشروب الجديد عبر شرائح المجتمع، فلم يعد شرب الشاي ترفا، بل انتقل التميز إلى الأواني والمقومات، فاختص الأثرياء باستعمال العنبر إلى جانب النعناع والنباتات المعطرة، واقتنوا الأواني الرفيعة مثل كؤوس «البلار» وصواني«الرايض» [71].

وفي مرحلة لاحقة، رأى البعض اضمحلال الشاي في علامات تؤشر لتفكك الفضاء العائلي. فاليد التي تمسك بقبضة البراد لم تعد هي يد الأب الوقور، بل أصبح البراد في متناول كل الأيدي، وأصبحنا نجد الشاي في كل مكان، واختل الانسجام المعهود بين أنغام موسيقى الصينية الدائرية وأنغام الموسيقى الكونية، كما يشعرنا بذلك عبد الله زريقة. إنها الحسرة على انكسار الجماعة وعزلة الفرد، وهي «صينية» ناس الغيوان. نحن هنا أمام عناصر قد تسعف لبناء تحقيب يخص مسار الشاي بالمغرب. وعندما نتأمل من جديد تاريخ قصيدة الزموري السابق الذكر، واستمرارها عبر شرح المكي البطاوري، وتجميد مخطوط هذا الأخير إلى حين طبعه في الأربعينات من القرن الحالي، فإننا نرى كيف أن هذا النص رافق مختلف مراحل الشاي بالمغرب، من الفترة التي كان فيها المشروب الجديد موضوع معارضة الفقهاء، إلى فترة بداية عصر الكوكاكولا.

---

(71) نذكر هنا بالتراتب المعروف حتى الآن في مجال كؤوس الشاي، حيث يأتي «البلار» في أعلى الهرم الاجتماعي، وكأس «العنبة» في بيوت الطبقات المتوسطة، وكأس «حياتي» في الأوساط الشعبية. وحول الترف كصدى دائم للفوارق الاجتماعية، راجع فرناند بروديل، **الحضارة المادية والرأسمالية**، ج 1، ص 233 وما تلاها: «فالترف ليس هو الشيء النادر، وليس هو الغرور فحسب، إنما الترف هو أيضا دليل على النجاح الاجتماعي، والإبهار الاجتماعي، إنه الحلم الذي يتوق الفقراء إلى تحقيقه دوما، فإذا ما بلغوه تبدد كل ما كان يجلوه من بريق قديم».

قد تختلف الأقلام والأوساط الاجتماعية في تقييم تطور الشاي. لكن الوقائع تثبت أن الشاي يعرف تفككا في الطقوس وتراجعا في احتكاره الرمزي لمخيال الشراب والمتعة. ففي الوسط البدوي وعند العائلات الحديثة العهد بالعيش في المدينة، نرى رب البيت يسارع إلى اقتناء ليمونادة من البقال القريب من أجل تشريف الضيف الطارئ. وتعودت بعض الأوساط على تحضير الشاي في المطبخ قبل تقديمه جاهزا للضيوف، وربما طلب من الضيف أن يختار بين الشاي والقهوة، أو عصير الفواكه. وفي الزيارات الطقوسية التي يتبادلها الأقرباء في الأعياد الدينية، قد يُقترح العصير للتخفيف من روتين الشاي. وتقدم المشروبات الجديدة في الطقوس الاحتفالية والأعراس. وتنتشر عادة اللجوء إلى «الممون»، فيقدم الشاي بشكل جديد، ويترك للضيف أن يختار بين القهوة والبراد الحلو والبراد «المسّوس» و«التِّيزان». ثم إن التغير بدأ يصيب الصينية، فهي لم تعد دائرية حيث اتخذت أحيانا شكل المستطيل أو المربع. وتغيرت مادتها فأصبحت تصنع من معادن وضيعة أو حتى من البلاستيك.

لم يعد «الأتاي» رمزا للعناية والتشريف، إذ تحول إلى مشروب «عادي»، وانتقل دوره إلى مشروبات جديدة، مثل كوكا كولا، وبيبسي كولا، وسيفن أپ، وكروش، وأورانجينا. لا شك أن التحول بطيء، لكنه حاصل لامحالة [72]. فمثلما عوض الشاي مشروبات أخرى وحلت جلسته محل جلسة الخمر، نجد الكوكاكولا في طليعة المرطبات الجديدة. لقد بدأت كوكا كولا غزوها للعالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية. ومعلوم أن قسم التسويق بهذه الشركة وصف المنطقة العربية «كسوق مثالية بمناخها الصحراوي الحار ومحرماتها الدينية ضد الكحول». وفي عام 1954، راجت في المغرب شائعة تزعم أن دم الخنزير يستعمل في تحضير الكوكا كولا. لكن بعد أن تناول أحد الأمراء زجاجة من الكوكا، أصبح المشروب مقبولا عند الجمهور المؤمن [73]. إنها عودة غريبة لنفس الأدلة التي اعتمدت عليها فتاوي الفقهاء طيلة القرن الفارط عندما خاضت السجال حول قضية

---

(72) هل يجوز أن نربط بين التراجع الرمزي للشاي، وبين استعماله في بعض أشكال التعبير الشفوية، في نوع من التهكم على الذات؟ لنتأمل مثلا كيف أن قالب السكر كان فيما قبل عنوان التشريف والكرم، ثم أصبحت كلمة «القالب» تعني منذ العقود الأخيرة، في الاستعمال العامي الساخر، الشمتة والخدعة التي يذهب ضحيتها الشخص المغفل. وقد ذاعت في السنوات الأخيرة نكتة تقول إن أحدا اقترح أن يرسم البراد في العلم المغربي، على غرار شجرة الأرز في لبنان والمطرقة والمنجل في دولة الاتحاد السوڤياتي سابقا. وحين سئل صاحب الاقتراح عن سر اكتشافه، أجاب: «لأن المغربي مثل البراد، فهو فارغ الرأس، وممتلئ البطن، و . . . دائم الانتصاب».

(73) انظر لويس ويازجيان، **حروب الكولا** (بالانجليزية)، ص 160- 161.

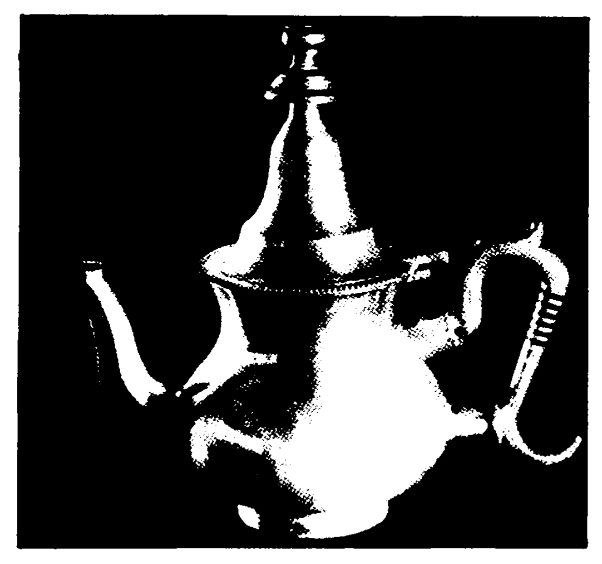
الشاي والسكر ، فقد رأينا كيف استدل المعارضون بحضور المواد النجسة ، وألح المؤيدون على فكرة تعويض الخمر ، وجاء الرأي الحاسم عبر التبني الملكي الرمـزي .

ومنذ الحرب العالمية الثانية ، واصلت كوكا كولا غزوها للأسواق العربية ، والإفريقية والأسـيوية . ولا زالت الشـركات المتـعـددة الجنسيـة تعـمل على تكيـيف الأذواق في زمن العولمة . غير أن الخطط الملموسة تكشف عن تمييز واضح يعيدنا إلى ثنائية المركز والهامش . فثقافة «الماكدونالدز» ترمز في المغرب إلى نمط العيش الأمريكي ، وترتبط بالفئات المحظوظة ، وتتسلل إلى الحيـاة اليومـيـة لهـذه الأوساط عن طريق إغراء الصغـار ، بينمـا ينقلب المدلول داخل التراب الأمريكي ، حيث تحيل مطاعم نفس الشبكة على غذاء ذوي الدخل المحدود . وفي الوقت الذي نلاحظ فيه اتساع نطاق استهلاك سجائر «مارلبورو» و«وينسطون» عبر بنيات التهريب وباعة التقسيط ، يشهد المجتمع الأمريكي تشددا جنونيا في محاربة تدخين التبغ ، وفي المقابل ، يعاد النظر تدريجيا في مضار «المخدرات الخفيفة» ، ويبدو أن استهلاكها ينتشر ، مثلما ينتشر التعاطي للمخدرات الاصطناعية أو شبه الصيدلية ، مثل «الأمفيتامينات» و«إيكستازي» و«الميلاطونين» . وتكمن مفارقة المفارقات في أن شركة كوكاكولا نظمت منذ بداية سنة 1997 حملة واسعة لإشهار وترويج منتوجاتها بالمغرب تخليدا للذكرى الخمسينية لدخول المشروب إلى هذا البلد ، بينما تتمثل الموجة الجديدة من المرطبات في البلدان الغربية في . . . «الشاي المثلج» ، وهو مشروب مرطب يعطر بمذاق فواكه مختلفة ، ويباع في شكل زجاجات أو علب يرمى بها بعدما يستهلك محتواها ، هذا بعد أن كانت الصين تصدر الشاي إلى أوربا ، ومعه الفناجين وفن الخزف . غير أن شباب الصين واليابان يتخلى هو الآخر عن شاي الأجداد ، ويحلم بالكوكاكولا كشباب «القرية الكبيـــرة» .

أباريق الشاي (القرن 18)

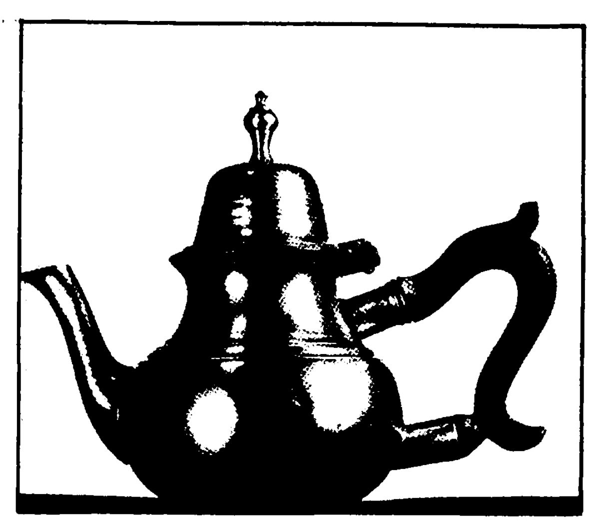


من فيلاديلفيا (أمريكا الشمالية)

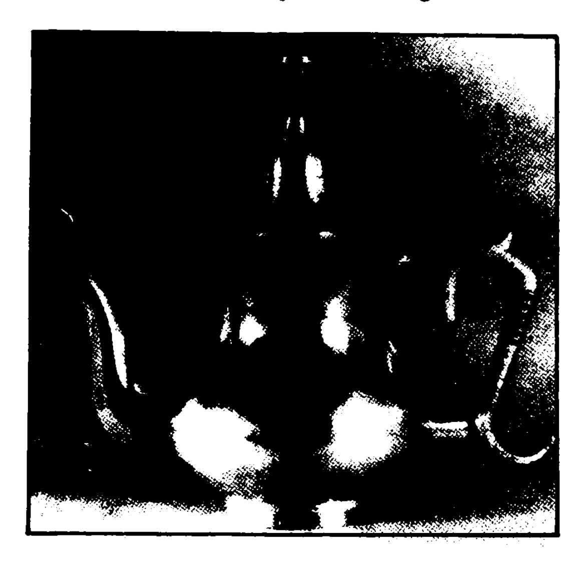


من إفريقيا الشمالية

أباريق الشاي (القرن 18)



من فيلاديلفيا (أمريكا الشمالية)



من إفريقيا الشمالية

المصدر : تيودور مونو، مجلة **نوط أفريكان**، دكار، عدد 97، يناير1963 .

القسم الثاني

شواهد مختارة

الفصل الأول

مشاهد وأخبار

أصداء الصين في مصادر عربية مبكرة

1. [أول نص غير صيني حول الشاي]

يبدو أن هذا النص العربي أول مصدر غير صيني تحدث عن الشاي. ويُنسب لمؤلف مجهول دوّن كتابه **أخبار الصين والهند** سنة 237/ 851، حيث استقى معلوماته من تاجر رحّالة يحمل اسم سليمان.

ليس على أرْضهم [الصينيين] خَراج ولكن عليهم جزْية على الجَماجم الذُّكور حسبَما يرونْ من الأحوال. وإن كان بها أحدٌ من العرب أو غيرهم أخذ منه جزْيةَ ماله ليحرز ماله. وإذا غلا السّعر أخْرج السُّلطان من خَزائنه الطعام فباعه بأرْخص من سعر السوق فلا يبْقى عندهم غلاء. والذي يَدخل بيتَ المال إنّما هو من الجزية التي على رُؤوسهم وأظنُّ أن الذي يدخل بيْتَ مال خانْفو (1) في كلِّ يوم خمسون ألف دينار على أنّها ليْست بأعظم مدائنهم.

ويختصُّ الملك من المَعادن بالمِلْح وحَشيش يَشربونَه بالماء الحارّ ويُباع منه في كل مدينة بمال عظيم ويُقالَ له السَّاخ (2). وهو أكثر ورقاً من الرّطبة وأطيَب قليلاً وفيه مَرارة. فيُغلَى الماء ويُذرُّ عليه فهو ينْفعهم من كل شيء. وجميع ما يَدخل بيْت المال الجِزية والملْح وهذا الحَشيش.

[مجهول، **أخبار الصين والهند**، ص. 18]

---

(1) كان خانفو أهم ميناء تجاري بالصين خلال تلك الحقبة، وقد تميز بيُسر المواصلات التي كانت تربطه ببقية مناطق الإمبراطورية. وذكر نفس المصدر أنه كان بخانفو «رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحُكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية». انظر «سلسلة التواريخ»، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1811، الكتاب الأول: **ما حكاه سليمان**، ص 14.

(2) يبدو، حسب محقق النص جان سوفاجه، أن كلمة الساخ لا تطابق إحدى التسميات المعروفة عند الصينيين، فربما يتعلق الأمر بالتباس وقع فيه الناسخ، ومما يؤكد هذه الفرضية أن البيروني استعمل كلمة «جاي».

2. [الشاي عند البيروني]

كان أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت. بعد 443 / 1050) من أكبر علماء الإسلام في العصر الوسيط، ولقب ب«الأستاذ». وقد ألف بالعربية وأحياناً بالفارسية، وترك إنتاجاً غزيراً في مختلف العلوم من رياضيات وفلك وعلوم طبيعية، إلى جانب الجغرافيا والتاريخ واللغة. وفي سن يناهز الثمانين، وضع البيروني **كتاب الصيدنة** (عام 416 / 1025) الذي يعد من أهم أعماله. وقد أورد في مادة «چاه» من هذا الكتاب معلومات نلمس فيها دقة ملاحظاته حول شعوب وثقافات عصره.

يقال «چاه» (3) لفظ صيني لنبت ينبت في تلك الديار النائية وفي خُطا ونيپال. وهو أنواع يعرف بألوانه. فمنه الأبيض والأخضر والبنفسجي والأغبر والأسود.

أما الأبيض فهو أفخر الأنواع، وورقه دقيق ورائحته عطرة، وهو أقوى سائر الأنواع فعلا في الجسم. وهو عزيز ونادر الوجود. ويتلوه حسنا الأخضر، فالبنفسجي والأغبر فالأسود.

هم [سكان الصين والتُّبَت] يطبخون هذا النبات ويجعلونه في وعاء مكعب بعد أن يجف. ولا يمتاز بخاصية ما، إلا أنه ينفع لدفع مضرة الشراب. ولهذا يحمل إلى بلاد التُّبَّت، إذ من عادة سكان هذا البلد إدمان شرب الخمر وليس لديهم دواء أنفع لدفع عادية السُكْر منه. والذي يحملونه إلى أرض التُّبَّت لا يأخذون ثمنا له غير المسك.

وفي كتاب **أخبار الصين**: إن قيمة هذا النبات مقدار ثلاثين بيچيده (4) الدرهم الواحد. وطعمه حلو مع حموضة يسيرة إلا أن هذه الحموضة تزول عند طبخه.

---

(3) تنطق الجيم المثلثة (چ) عند الفارسيين ب«تش»، وهو«صوت مزجي» (affriquée) حسب اصطلاح علم الصواتة. لذلك نلاحظ تداول كلمات مثل «شاي» و«شاهي» في النصوص المكتوبة، بينما تُنطق في بلدان المشرق ب«تْشاي» و«تْشاهي».

(4) «البيچيدة» هي وحدة نقدية صينية.

ويتعاطونه شربا ويقولون : إنه يشربونه بماء حار ويزعمون أن شربه ينفي عنهم مرارة الجوف وينقي الدم. وأخبر من وصل إلى معدن هذا النبت في نواحي الصين : إن مقر ملكهم في مدينة « ينچو » (5) وأن في تلك المدينة نهرا كبيرا يشبه دجلة في بغداد وعلى جانبي هذا النهر بيوت خمارين ومنازل ومواضع وهم يشربون الچاي في تلك المواطن ولا يشربون البنج (6) في بلاد الهند سرا في أماكن حانوت. وخراج تلك المواضع يدخل في خزانة الملك. وبيع نبات الچاي وشراؤه محظور[ان] على عامة الناس لأنهما للملك خاصة. وحكمهم في من يبيع أو يشتري الملح والچاي بغير إذن الملك حكمهم على لص وهم يقتلون اللصوص ويأكلون لحمهم.

ودخْل تلك المواضع المذكورة للملك خاصة مثل دخْل معادن الذهب والفضة. قال (بعضهم) في اقرابادينه (7) : الچاي نبات من أنواع النبات معدنه بلاد الصين. وهم يجعلونه في بلادهم بهيئة أقراص (8) ثم يحملونه إلى خارج ديارهم. ويذكرون في سبب معرفته أن ملكاً من ملوك الصين غضب على بعض خواصه فأمر بإخراجه من حضرته ونفيه، فطرد إلى الجبال وكان الرجل محموماً عليلاً. ثم ذهب يوماً من شدة همومه إلى شعاف الجبال وكان جائعا فلم يجد ما يأكله إلا هذا النبت، فتغذى بأوراقه. وبعد أن أكل منه مدة يسيرة أحس برجوع صحته إليه. ثم أدمن أكل أوراق النبت حتى قوي وحسنت حاله.

اتفق أن بعض خواص الملك رآه على تلك الحال لما مر به، فأخبر الملك بما رأى من تبدل حال ذلك الرجل. فتعجب الملك مما سمع وأمر بإحضاره فحمل إلى حضرة الملك، ولما رأى صورته تفاءل بالنظر إليه. إذ لم يظهر سبب تبدل حاله عن حالته التي كان عليها حينما نفي عن حضرته. فسأله عن سبب صحته، وأمره أن يكشف عن سره، فأقر وبيَّن للملك خاصية أوراق النبت.

وبعد أن سمع الملك خبره عرض النبات للتجربة فوجدوا منافعه وعلموها وأدخلوا الچاي في عمل الأدوية.

[البيروني، ج. 2، ص 128 - 129]

---

(5) لعله « يانغ-تشو » وهو ميناء يقع عند مصب نهر يانغ-تسي في بحر الصين.

(6) يعني البنج هنا القنب الهندي.

(7) الأقراباذين هو كناش الأدوية.

(8) استعمل الصينيون الشاي في شكل أقراص قبل أن يستعملوه في شكل مسحوق ثم في شكل أوراق.

3. [الفخار الصيني]

ينتمي أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوّاتي المشهور بابن بطوطة (ت 1377-78/779) إلى أحد بيوتات العلم بمدينة طنجة. وقد دامت رحلته عبر آسيا وإفريقيا حوالي ثلاثين سنة، ودوّن ابن جُزي أطوارها في الكتاب المعروف **بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. والملاحظ أن ابن بطوطة لم يتطرق لموضوع الشاي، بيد أنه ذكر صناعة الفخار التي كان ازدهارها مرتبطاً بانتشار مشروب الشاي في الصين.

وببلاد الصين السُّكر الكثير ممّا يُضاهي المصري بلْ يفضله، والأعْناب والأجاص(. . .).

وأما الفخّار الصّيني فلا يُصنع منه إلا بمَدينة الزَّيتون [كانْتون] وبصين كلان، وهو من تُراب جبال هُنالك توقد فيه النّار كالفَحْم، وسنَذكر ذلك. ويُضيفون إليه حَجارة عندهم، ويوقدون النّار عليها ثلاثة أيام ثمّ يصُبون عليها الماء، فيَعود الجميع تُراباً. ثم يُخمِّرونه، فالجيِّد منه ما خُمر شهراً كاملاً ولا يُزاد على ذلك، والدون ما خُمر عشرة أيام، وهو هنالك بقيمَة الفخّار ببلادنا أو أرْخص ثمناً، ويُحمل إلى الهند وسائر الأقاليم حتّى يَصل إلى بلادنا بالمغرب [9]، وَهو أبْدع أنواع الفخّار.

[ابن بطوطة، ص 629]

(9) يستدعي هذا الاقرار التساؤل حول نوعية الأواني الصينية المستعملة آنذاك بالمغرب.

4. [أنـزيــر]

يذكـر الشـريف الإدريسي، الجـغـرافي المغـربي (ت 1169/564)، مـشـروب «أنزير» في مـعـرض وصـفـه للعـوائد الغذائية بمنطقة سوس الأقصى.

وهي بلاد حنْطَة وشَعير وأرُز مُمكن بأيْسَر قيمة، وأسعارُها رخيصة، والغالب على أهْلها الجَفاء وغلظ الطَّبع وقلَّة الانْقياد. وهُم أخلاط من البربر المَصامدة وزيُّهم لباس الأكْسيَة من الصوف الْتفافاً، وعلى رُؤوسهم الشُّعور الكثيرة، ولهم بها اهْتمام وحفظ. وذلك أنَّهم يصْبغونها في كلِّ جُمعة بالحنّاء ويَغسلونها في كلِّ جُمعة مَرَّتين برَقيق البَيض والطين الأندلُسي. ويَحتَزمون في أوْساطهم بمآزر صُوف، ويُسمّونها سفاقس. ولا يَمشي الرَّجل منهم أبداً إلا وفي يده رُمْحان قصار العصى طوال الأسْنان رقاقُها، وينْتخبونها من أطيَب الحديد. ويأكُلون الجَراد أكلاً كثيراً مقْلواً ومَمْلوحاً. وأهل السوس فرقَتانَ: فأهْلُ مدينة تارودَنت يتمَذْهبون بمذْهب المالكيَّة من المُسلمين وهم حشوية، وأهْل بلَد تويوين يَقولون بمذْهب مُوسى بن جَعْفر. وبيْنهمَ أبداً القتال والفتْنة وسفْك الدِّماء وطلَب الثأر، غير أنَّهم أرْفه النّاس عيشاً وأكْثرهم خصباً. وشَرابهم المسمَّى أنْزيز وهو حُلو يُسكر سُكراً عظيماً، ويفْعل بشاربه ما لا تفْعله الخَمر لمَتانَته وغلظ مزاجه. وذلك أنَّهم يأخُذون من عَصير العنب الحُلو فيَطبخونَه بالنّار إلى أنْ يَذهب منه الثُّلُث، ويُزال عن النّار ويُرفع ويُشرَب، ولا سَبَيل إلى شرَابه إلاّ أنْ يُخلط بمثله ماءً. وأهْل السوس الأقصى يروْن شُربه حلالاً ما لم يتعد به إلى حدِّ السُّكر.

[الإدريسي، ص 228]

5. [الرُّب في الاحتفـالات الرسمية]

أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي، المعروف بابن صاحب الصلاة (ت. بعد 594/ 1198) هو كاتب وشاعر أندلسي ارتبط بالبــلاط الموحّــدي بمراكش مــثل الطبــيب أبي بكر ابن زُهر والفيلسـوف ابن رُشـد. ولازم ابنُ صاحب الصلاة الخليفة أبا يعقوب يوسف في عدد من تنقلاته. ويُعد كتابه **المَنّ بالإمامة** من أهم ما أُلف في تاريخ دولة الموحِّدين. وفي النص التالي يصف الاحتفال الذي أقامه الخليفة أبو يعقوب يوسف بمراكش على إثر شفائه من المرض، وكان المؤلف حاضراً في هذا الاحتفال.

وخرج أمير المُؤمنين رضي الله عنه يوم الجُمعة الثاني والعشرين من ربيع المُؤرَّخ [ربيع الثاني 566/ فــاتح يناير 1171] بعد صلاة الجُمعة إلى البحيرة خارج حَضْرة مُراكش (10)، فأطْعم العرب والنّاس الوافدين وغيرهم مدَّة خمْسة عشر يوماً، يدْخل كلَّ يوم في البحيرة أزْيد من ثلاثة آلاف رجُل، وقد صنع ما تقدَّمت العادة به: نهْر من رُبٍّ ممْزوج بالماء (11)، كلَّ ما أكلَتْ طائفة وقامَت مَشتْ إلى موْضع الخليفة رضي الله عنه وسلَّمت عليه ودَعا لها ونَهضتْ إلى ساقيَة الرُّب تَشرب وتَطرب، وأرى النّاس في هذا الإطْعام، ما أرْبى على ما تقدَّم من الإنْعام والاهْتمام، وتَمادى ذلك مُدَّة الأيّام المَذكورة المَعْدودة. ولمّا كان في أحد الأيّام حدَث بيْن صبْيان المُوَحِّدين الذين يُمسكون دَوابَّهم خارج البحيرة وبيْن أتْباع العرب كلام ونِزاع ودفع بهَوْشة (12) وقَعت بيْن الفَريقيْن أدَّت إلى اخْتطاف الثِّياب، واسْتلاب

(10) «عرفت «البحيرة» في مراكش منذ أواخر أيام المرابطين. فكانت ملتقى لمعركة بين عبد المؤمن والمرابطين، لكن الموحدين عُنوا بها كامل العناية واتخذوا منها مكانا لتجمعهم. وهي تعني فسيحا يحتوي على بركة مائية واسعة تحيط بها الخضرة، بالإضافة إلى أروقة يأوي إليها رجال الحكم. والبحيرة اليوم هي – فيما يقال – المكان المعروف بأكدال في مراكش والذي كان « قصر المسرة » على عهد السعديين» (هامش محقق النص).

(11) نقرأ في مادة «ربب» من **لسان العرب** لابن منظور أن الرب هو «ما يُطبخ من التمر، وهو الدبس أيضا»، ويقول المؤلف أيضا إن الرب هو« الطِلاء الخاثر؛ وقيل: هو دبس كل ثمرة، وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ ...». ويعرف الأنطاكي الرُبوب ضمن أشكال التحضيرات الطبية فيقول: «هي ما يعتصر مما يمكن عصره، وطبخ غيره إلى ذهاب صورته. فالأول كالفواكه، والثاني كعود السوسن، ثم طبخ ما يصفو بيسير الحلو حتى ينعقد. فبالطبخ تخرج العصارات، وبيسير الحلو تخرج الأشربة، وهذا هو القانون فيها». انظر **تذكرة أولي الألباب**، ص 166.

(12) تعني الهوشة لغة الفتنة والهيج والاضطراب والهرج والاختلاط.

الجلباب، وتحزَّب الجُهّال من الأعْراب بالأحْزاب، حتّى وصل ذلك إلى الأمْر بباب الدّار عند الحجاب، فخرج إليْهم طلَبتُهم من المُوَحِّدين أعزَّهم الله وأشياخُهم من العرب وفرّقوا جمْعَهم، وأزالوا روعَهم، وانْجلَت الحال عَن سلْب كثير أخَذوه للنّاس في الطّريق، ومن كلٍّ فَريق، ومات فيها أرْبعة أشْخاص من عَبيد للنّاس، وبعضُ أحْرار من سائر الأجْناسَ، واتّصل الخَبر بسيِّدنا أمير المُؤمنين بن أميَر المُؤمنين أيَّدهم الله فأقْلقَه التَّعَدّي في باب سُدَّته، ولصق حضْرته، فأمر برفْع الطَّعام مُدَّة ثَلاثة أيّام، عتباً على العرب، بسَبب جُرأتهم على سُوء الأدَب. ثمَّ إنَّ العرب تَطارَحوا على العفْو من الأمْر الكريم، من قَبيح ما جَناه أتْباعُهم وعَبيدُهم وأشْياعُهم، واعْتذروا من فعل مَن لَا خلاق له، فقَبلَ سيِّدُنا ومولانا الإمام توبَتهم، وصَفَح جُرأتَهم، وأمَر رضيَ اللَّه عنه بصَرْف إطْعامهم والتَّمادي على إكْرامهم حَناناً منه بسبب قُصودهم وإلْمامهم، وتَمادى ذلك إلى اليوْم الخامس من جُمادى الأولَى من سنَة ستّ وستّين وخمس مائة المُؤرَّخة [13 يناير 1171]. ثمَّ أمر سيِّدنا بكتب أسْماء كل مَن سُلبَ له شيء، وما سُلب لكل رجُل من الثياب والأسْباب، وبكتب أسْماء العَبيد الذين ماتوا، وأسماء الأحْرار الذين ذهَبتْ أرْواحُهم بالتَّعدي وفاتوا، وأمر بجَبْر كلِّ ما مَضى للنّاس من ثيابهم، وقيمَة عَبيدهم ودَوابهم، وودي الأحْرار بدياتهم إلى قَبائلهم، وهذه غايَة العدْل والكرَم، الذي لم يتقدَّم لغيره في الزَّمان بالقِدَم، رضي الله عنه وجعَل الجنَّة مأواه.

[ابن صاحب الصلاة، ص 433-434]

6 . [أشربة المغاربة]

زار جون وندوس (John Windus) المغرب سنة 1721م، في إطار سفارة أنجليزية قدمت إلى مكناس لمقابلة السلطان إسماعيل قصد التفاوض معه حول موضوع الأسرى الأنجليز. ومن المعلوم أن عددا من الرحالة الأوربيين اللاحقين نقلوا الكثير من المعطيات الواردة في نص هذه الرحلة. في هذا النص يَصف وندوس حفلاً أُقيم بمدينة تطوان، وحضره السفير الأنجليزي والباشا أحمد الريفي.

وفي اليوم الرابع والعشرين من نفس الشهر [ماي 1721م] تناول الحاكم العشاء بمعية السفير وأعيان المدينة من المغاربة. إنهُم لا يتعاطَون لعادة شُرب الخمر بصفة مُنتظمة كما هي عادَتنا. وفي هذه الحفلة كانوا يتناولون كل ما يُقدم من كؤوس مملوءة جيدا، لدرجة أنَّ بعضهم لم يستطع النزول من السَّلاليم بدُون مُساعدة. وكان الحاكم يُلاطف السفير كما هي عادته من قبل. لكن عندما خرج ظهر أنه كان يُعاني من سيْطرة الكُحول حيث هجم بسيْفه على أصحابه الذين كانوا يفرون من أمامه، وذلك بسبب إفراطه في تناول الخمر إذ يكون وهُوَ في حالة صَحوه لطيف المَعشر. ولديْنا أمثلة كثيرة فيما يتعلق بلُطفه.

ثم تناول المؤلف نفس الموضوع في سياق استعراضه لعوائد أهل تطوان.

وبعد تناول الطعام يشربون الماء. فدينُهم يحرِّم عليهم الخمر وكل ما هو مُسكر من الكحول، باستثناء شراب الأترج. ورغم ذلك الحظَر فإن أغلبيتهم تسكُر بخُمور قوية من أي نوْع كانت إذا تمكَّنت من الحُصول عليها. تحْليتهم الرئيسية هَي المخيضُ [13] الذي يُحبونه كثيراً لدرَجة أنهم إذا أرادوا الحديث عن عُذوبة خارقة لطعام ما، قارنُوه بالمخيض، وعموما تُحمل إليهم جرَّة سوداء كبيرة منه مع مِغرفة خشبية تُقدم أوَّلا لعلية القوم ثم لبقية الحاضرين عدة مرات.

[وندوس، ص 38، 48-49]

(13) يُميَّز عادة بين اللبن الحليب وبين اللبن المخيض الذي أُزيلت منه الزبدة بعد عملية المخض. بينما تخصص العامية المغربية كلمة «الحليب» للنوع الأول و«اللبن» للنوع الثاني.

7. [قصة دخول التبغ إلى المغرب]

عمل محمد الصغير الافراني ، نسبة إلى قرية إفران بسوس، خطيباً وإماماً بمراكش، واشتهر في مجال التدريس، وعرف النكبة. ثم تفرَّغ للتأليف في ميادين الأدب والتراجم والتاريخ . وقد خصَّص أشهر كُتبه، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، لتاريخ دولة السعديين وبداية دولة العلويين. وتوفي حوالي 1155/ 43-1742 .

وفي عام واحد وألف [93-1592]، أُتي بالفيلة من بلاد السودان للمَنصور. وكان يوم دُخولها لمراكش يوماً مشهوداً، برز فيه كل مَن في المدينة لرؤيتها من رجال ونساء وصبْية وشيوخ. ثم في رمضان عام سبعة وألف [1599]، حُملت لفاسَ أيضاً. قال بعضهم : وبسَبب دخول هذه الفيلة للمغرب، ظهرت هذه العُشبة الخبيثة المسماة **تَبَغَة** (14)، لأن السودان الذين قدموا يسوقون الفيلة، قدموا بها يشربونها، ويزعمُون أن فيها منافع. فشاعت عنهم فيَ درْعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب. وتعارَضت فيها فتاوي العُلماء رضوان الله عليهم، من لدُن ظهورهاَ. فمن قائل بالتحْريم، ومن قائل بالتَّحليل، ومُتوقف (15)، والعِلم فيها عند الله تعالى.

[الإفراني، ص 162]

---

(14) التبغ هو الاسم الأكثر تداولاً، وقد سُمِيّ كذلك الطبغ، وطاب، وطابة، والطابق، وطباقو، والطابغة، والتوبغة، والدخان. والواقع أن دراسات حديثة أعادت النظر في التاريخ الذي ذكره الإفراني، بيد أن أهمية هذا النص تكمُن في حَمُولته الرمزية. أنظر مقال پول پاكينيون، «احتكار التبغ في المغرب» (بالفرنسية). راجع كذلك م. حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج. 1، ص 246.

((15) حول هذا الجدال، انظر محمد حجي، **م. س.**، ج. 1، ص 246-266.

8. [الدولة العثمانية تمنع تداول بعض المنبهات]

هذا نموذَج من أخبار المشرق التي كانت تصل إلى فاس، وقد سجَّله محمد بن الطيب القادري (ت 1187/1773) في كتاب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، في سياق حوادث سنة 1044/ 35- 1634.

ومن عدله (16) أنه أمَر بقطع الخمر والقهوة والدُّخان من اصْطَمْبُول، وأرسل بذلك إلى حلبَ والشام ومصر. وكُل من ظهر عليه لا شافع فيه كائناً من كان. كل هذا أخبَر به في رسالة سيدي عبدالقادر الفاسي (17) عن بعض أصحاب الدِّين والصدق ممَّن كتب به للمغرب.

[القادري، ج 1، ص 332]

9. [قرار مشابه بالمغرب]

في نفس الكتاب، أورد القادري هذا الخبر الذي يهُم مدينة فاس، وذلك ضِمن استعراضه لعدد مِن حوادث سنة 1048/ 1638-39.

وقلد الأندلس (18) الحاج صالح ولاية الحسبة، فقطع شَراب الدُّخان وبيعه وقطَع اللَّهو وآلات الطرَب من النساء، وألزم الناس الصلَواتِ في الوقت والستْر في الحمَّام، وغيَّر مناكر شتى، وكانت ولِايته في أواسط شوال.

[القادري، **نشرالمثاني**، ج 1، ص 376]

(16) يتعلق الأمر بالسلطان العثماني مراد الرابع (1032 - 1049 / 1623 - 1640). ويبدو أنه تشدد في إجراءات المنع، وأمر بهدم المقاهي. وقد اتسمت سياسة السلاطين اللاحقين في هذا المجال بالتردد وعدم الاستقرار، وذكرت المصادر أن الدولة اتخذت فيما بعد إجراءات للتخفيف من غلاء القهوة، وفرض سليمان القانوني ضريبة على نفس المادة.

(17) هو عبد القادر بن علي ابن أبي المحاسن الفاسي (ت 1091/ 1680). وهوعالم وولي شهير ينتمي الى الزاوية الفاسية.

(18) كانت فاس الإدريسية تنقسم آنذاك إلى ثلاثة كيانات متصارعة : أندلس القرويين بجنوب غرب المدينة، واللمطيون بالشمال الغربي، والعدوة حيث تقطن أقدم العائلات المستقرة بالمدينة.

10. [قرار آخر في بداية القرن الماضي]

أورد المؤرخ محمد الضُّعيف الرباطي (ت. بعد 1233 / 1818) هذا الخبر في كتابه **تاريخ الدولة السعيدة**، وذلك في سياق أخبار السلطان سليمان.

وفي 13 من شوال المذكور [9/1214 مارس 1814] قطَع السلطان طابا والكِيف وأمَر بإحراقها في كل بلد (19).

[الضعيف، ج 2، ص 586]

(19) حول تطور السياسة التي اتبعتها الدولة المغربية في هذا المجال، انظر مقال بول باكينيون، م. س.

2. مرحلة البلاط

11. [بدايات الشاي بالمغرب]

عبد الكبير الفاسي (ت 1296/ 1899) هو مؤرخ ورحالة. وهو ينتمي إلى ذرية عبد القادر الفاسي، وكان تلميذاً لمحمد الحراق وعبد السلام الأزَمي، وعمل خطيباً بمسجد القرويين. وقد تحدث عن ظهور «عشبة الأتاي» بالمغرب في كتابه **تذكرة المحسنين في وفيات الأعيان وحوادث السنين**، وذلك في سياق ترجمته للسلطان محمد بن عبد الله.

وفي سنة 1204 [1790م] توفي السلطان المعظم والركن المفخم، فخر ملوك الإسلام وتاج مفرق الأمراء والحكام، سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد الله بن السلطان مولانا إسماعيل [20]. بويع له لما مات أبوه كما تقدم، وكان من قبل خليفة عن والده المذكور، فحسنت به الأيام والزمان، وطابت به الأرجاء في كل أوان، وفتح الثغور بعد استيلاء الكفر عليها، ولم يدع حسنة إلا بادر إليها. وكان برد الله ضريحه قوي العزم شديد الحزم، يحب العلم والعلماء، ويجل من له لجانب الخير انتماء، ألف تأليفا في الحديث، وغير من البدع كل قديم وحديث. وفي أيامه أحدث بأقطار المغرب رواية حديث مالك في **موطإه** المروي يوم الجمعة عند خروج الإمام، وفي معنى ذلك من حسن الاختراع ما لم يسبق إليه عاقل.

وفي أيامه أيضا أظهر الله بالمغرب عشبة الأتاي المشروب بسائر أقطاره، وهو من خصائص صاحب الترجمة وآثاره. ولم يزل يبذل المجهود في إشاعته وتكثيره وإذاعته، إطفاء لما عمت به البلوى من شرب الخمور، التي هي أم الخبائث وأقبح الأمور، حتى نسخ الله تلك الظلمة بهذا الضياء، وأبدل الله ذلك الحرام الذي شربه العلماء والأولياء.

---

(20) بويع السلطان محمد بن عبد الله سنة 1171/ 1757.

ويقال إن أول من شربه بالمغرب عم السلطان المذكور، مولانا زيدان بن مولانا إسماعيل. كان خليفة من والده المذكور بثغر أسفي [21]. وكان شريبا حتى أكسبه الشرب ألماً عجز الأطباء عن معالجته، فجيء بحكيم نصراني، فأمعن النظر فيه فقال : لا بد من تخليه عن الشرب. فلم يجد إليه سبيلا، فأتاه بشرب الأتاي [22]. ولم يزل يحسنه إياه حتى استغنى به عن الشرب، فعوفي بقدرة الله. فلما لقي والده المذكور، قص عليه الخبر وأراه إياه فشربه، ثم جيء به لولده مولانا عبدالله.

وفي أيام صاحب الترجمة شاع وذاع، وعم جميع المجالس والبقاع. ولم يزل في زيادة الظهور، والولع به في البوادي والحواضر على ترادف الأعوام والشهور [23]. وقد مدحه الشعراء بكثير من الغزليات الأدبية، وذكروا فيه كثيرا من الفوائد الطبية.

[الفاسي، **التذكرة**، ص 13- 15]

---

(21) كما استخلف السلطان اسماعيل ابنه زيدان على مكناس سنة 1102 /91-1690، وعلى فاس سنة 1113 02-1701. وفي العام الموالي وجهه السلطان لمحاربة أخيه محمد العالم الذي ثار ببلاد سوس، فانتصر عليه، وعُين خليفة بتارودانت التي استقرّ فيها إلى حين وفاته.

(22) من الملاحظ أن قصة الأمير زيدان استُعملت في وقة لاحق من طرف بعض الفقهاء الذين دعوا إلى تحريم شرب الشاي. انظر أدناه، نص 60، ص 201.

(23) نلمس هنا تضخيماً واضحاً لانتشار استهلاك الشاي في تلك الفترة. ونجد تضخيماً مماثلاً عند أحمد بن محمد الفاسي (ت 1213/1799) الذي حج عام 1211/1786 عبر طريق البر رُفقة محمد بن عبد السلام الناصري، وألف رحلة غير منشورة، سجل فيها التوازي بين ولوع المشارقة بشرب القهوة وبين ولوع المغاربة بالشاي. و قال عن هذا المشروب بأنه «عمت به البلوى أو كادت أن تعم بشرب أتاي، وهو بأغلى ثمن في الغالب. وقد جعل الناس كلهم يتكلفونه، ولا يخلو مجلس منه، ولا إكرام ولا غير ذلك بدونه، وفيه من السرف ما لا يخفى». مذكور في محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، ص 329.

12. [طبيب أنجليزي يحادث السلطان]

ويليام لامبريار(W. Lemprière)(ت 1834م) طبيب أنجليـزي وفَد إلى المغرب في شـتنبـر سنة 1789 في مُهمة قصيرة، وأقام علاقات عديدة داخل البلاط حيث كُلّف بعلاج الأمير عبد السلام، وهو ابن السلطان محمد بن عبد الله وخليفته بتارودانت. وقد نشر بعد عودته إلى بلده كتاباً حكى فيه رحلته إلى المغرب وضمّنه وصفاً يمتاز بدقة الملاحظة.

نظر إلي الامبراطور بإمعان، لكن دون أي قساوة، ثم طلب من مُترجمي هل كنت طبيب ابنه مولاي عبد السلام. و بعدما علمت جلالته أنني حظيت بثقته، خاطبني وسألني في البداية حول ما اذا كنت قد جئت إلى المغرب عن طريق الصُّدفة أو كنت مبعوثا من طرف ملك أنجلترا (24). وحيث كانت المصلحة تقتضي أن أُعامَل بأكثر ما يمكن من الاعتبار، أجبت الامبراطور بأنني لم أقدم الى المغرب إلا بأمر من حكومتي. ثم استخبر جلالته عن المكان الذي درست فيه الطب، وعن اسم الأستاذ الذي تعلمت على يده. وبعدما أجبته على هذه الأسئلة الجديدة، سألني حول ما إذا كان الأطباء الفرنسيون أكثر دراية من زملائهم الأنجليز. فأجبته بأن أنجلترا تتوفر، في ميدان الطب، على مدارس أجود من المدارس الفرنسية، وهو ما يشكل حكما مسبقا لصالح أنجلترا. وآنذاك حكى لي الامبراطور أنه استقبل في مملكته مشعوذا فرنسيا قتل من المرضى اكثر مما أشفى، وقد ضحك الإمبراطور مما حكاه لي حول هذا المشعوذ وبعد ذلك سألني عن السبب الذي جعلني أمنع ابنه من تناول الشاي. فأجبته بأنني لاحظت أن أعصاب الامير أصيبت بتوتر كبير، لذلك اعتبرت أن الشاي مضر لصحته (25). فأبدى الامبراطور تشككه في هذا الأمر بسبب إقبال الأنجليزعلى استهلاك الشاي بكثرة. فوافقت على أن الانجليز يفرطون في شربهم للشاي، غير أنني أضفت أنهم يتناولون شاياً أخف من المشروب الذي يتناوله المغاربة، ويضيفون اليه شيئاً من

(24) المراد به الملك جورج الثالث الذي امتد عهده من سنة 1760 إلى سنة 1820م.

(25) هل في إقرار لامپريار قدر من المبالغة ؟ فالحديث عن توتر الأعصاب بسبب استهلاك الشاي يُذكرنا بما ذهب إليه جون وسلي، مؤسس مذهب الميثوديست المسيحي الذي كان له تأثير بالغ على المجتمع الأنجليزي في القرن الثامن عشر. انظر، پول بوتيل، **تاريخ الشاي**، ص 84-85.

القشدة أو الحليب، وهو ما ينقص من أثره المضر. فأجاب الامبراطور: أنتم على صواب حين تلاحظون أننا أقل تعقلا من مواطنيكم. فكثير من سكان هذا البلد يعانون من ارتعاش الأيدي نتيجة لإفراطهم في استهلاك الشاي طيلة حياتهم. وبعدما انتهى الامبراطور من الحديث حول هذا الموضوع، أمر بإحضار حوالي اثني عشرة من الزجاجات المملوءة بمختلف أنواع الأشربة المقطرة. ودعاني لتذوقها، كي أميز له بين ما هو مُسخِّن وماهو مُبرِّد. وبعدما أرضيت فضوله، تحدث لي عن ثلوج جبال الاطلس، فسألني حول ما إذا تعودت أنجلترا على نفس القدر من الثلوج. فأكدت لجلالته أن بلدي يعرف قدرا اكبر منها، وذلك بسبب المناخ، إذ تقع أنجلترا شمال المغرب بكثير. فاعترض الامبراطور قائلا بأنه لا يوجد في العالم مكان أشد بردا من قمة جبال الاطلس، حيث لا يمكن للإنسان أن يذهب هناك دون ان يعرض نفسه للهلاك. ثم ذكر أنه توجد خلف الجبال الواقعة أمامه، سهول ومنطقة شديدة الخصوبة، تُسمَّى تافلالت.

[مترجَم من الفرنسية عن: لامبريار، ص124-125]

13. [الأتاي والتسميم]

نقرأ في تاريخ الضعيف الرباطي (السالف الذكر) هذا الخبر الذي يُبين أن تحضير الأتاي سوف يكتسي داخل القصر أهمية بالغة من الزاوية الأمنية.

وفي سنة أربع وثمانين ومائة وألف 1184 هـ. [1770-71] توفي ولد عم السلطان ووزيره الأعظم، مولاي إدريس ابن المنتصر رحمه الله [26]، مرض بمكناس وحمل في المحفة لمراكش وبها توفي ودفن بضريح سيدي محمد بن سليمان الجزولي نفع الله به، وكان يريد الخلافة. قيل إنه قد أغرى أحداً من الفتيان الموالين لأتاي [27] بأن يجعل للسلطان فيه سُماً، وقال له «أنا وأن أعطيك كيت وكيت وأقربك إلي». فأنعم له بذلك، ثم أعلم السلطان بمقالة مولاي إدريس، فأمر صاحبه أن يجعل ذلك السم في كأس ويسقيه لمولاي إدريس. وأمر

(26) سبق للسلطان محمد بن عبد الله أن عيَّن ادريس ابن المنتصر خليفة بفاس وولاه على قبائل «الجبال».

(27) لعل المؤلف يقصد هنا حنطة «موالين أتاي».

بإحضار مولاي إدريس، وقال له بعد منادمته إياه «اشرب هذا الكأس». ففهم مولاي إدريس، فقال «إني صائم» واعتذر بالصوم فكلف عليه السلطان شرب ذلك الكأس وأقسم عليه أن لايحنته، فشربه فكان ذلك سبب موته، حتى كان يرمي الدم من جوفه (28). فطلب من السلطان أن يبعثه لمراكش ليدفن بها، فاشترى قبره وجعل سقاية للسبيل وتوفي رحمه الله. فكما يدين الفتى يُدان.

[الضعيف، ج 1، ص 322]

14. [نظام أصحاب أتاي]

ينتمي عبد الرحمان ابن زيدان إلى العائلة الملكية. وقد درس بمدينة فاس على يد كبار فقهاء وعلماء عصره. وخلف أباه في منصب نقيب الشرفاء العلويين بمكناس وأحوازها، وظل بهذا المنصب حتى وفاته سنة 1946م. وقد وصف في كتابه **العز والصولة في معالم نظم الدولة** أصحاب الأتاي ضمن «حناطي القصر الملكي».

أما شغل أصحاب الأتاي فوضع أوانيه بالمحال المعدة لها وحفظها سفرا وحضرا وتنظيفها وصقل ما يحتاج للصقل منها وتهيئتها وتسخين الماء ليكون معدا للغليان في سائر الأوقات، فإذا شاء الأمير شُرب الأتاي أمر أحد الطواشيين (29) بواسطة إحدى الإماء بإحضارها، فيخرج الطواشي وينادي بأعلى صوته قائلا : «مواعين سيدي قال سيدي أمول أتاي»، فيجيب القائد وأصحابه : «نعم سيدي»، ثم يتقدم رئيسهم حاملا على كفه الأيمن طبلة (30) الكؤوس والأباريق، وقد كانت العادة جارية فيما قبل بأن تكون كؤوس البلور

(28) حول حذر المغاربة من خطر التسميم بشكل عام، انظر الدكتور رينو، **دراسة حول الوقاية والطب بالمغرب** (بالفرنسية)، ص 114- 115.

(29) جمع طواشي، ويبدو أن المؤلف استعمل مصطلحاً لم يكن مُتداولاً في القصر السلطاني المغربي، بينما المقصود هنا هو هيئة «عبيد الدار». انظر ابن زيدان، **العز والصولة** . . . ، ج 1، ص 120، هامش المحقق. ويبدو أن «طواشي» كلمة تركية تعني، حسب المقريزي، الخصي، وقد كانت تُكتب في الأصل : «طابوشي».

(30) لازالت هذه الكلمة تستعمل في سوس بمعنى صينية أتاي.

ثلاثة وكؤوس الغطارات (الطاسات) ثلاثة كذلك، مع إبريقين أحدهما من الفخار الجيد المموه بالذهب، وهو الذي يتناول فيه، وثانيهما من المعدن المصنوع بأوربا، ويكون في معية القائد خليفته حاملا طبلة أواني السكر والأتاي وتوابعهما ملفوفة لما ذكر في مناديل بيض أحسن لف وأبرعه، ومعينان من أعيانهم أحدهما يحمل المجمر، والآخر يحمل البقرج (الإبريق) بنظام خاص في تقديم وتأخير بعض تلك الأواني على بعض في الحمل والوضع، ومن قدم ما حقه التأخير أو عكس ليم ووبِّخ، ويسيرون بنظامهم المذكور إلى باب القصر حيث يكون الطواشيون، فتسلم الأواني المذكورة لأحدهم فيحملها مع أعوانه على الترتيب المذكور إلى أن توضع أمام السلطان، فيوذن لصاحبة النوبة من الإماء صواحب الأتاي بإقامته، فتأتي بأدب ووقار حاسرة عن ذراعيها وتجلس جاثية على ركبتيها، وتأتي أخرى تقف حذو المجمر لمناولة البقرج، وأخرى بإزائها لمناولة الكأس للسلطان جاعلة بكفها الأيمن خرقة أنيقة تضع عليها الكأس المولوي، إذ لا يسوغ لها تناوله بيدها مباشرة مبالغة في النظافة، وكل واحدة منهما حاسرة أثوابها عن ساقيها متزرة فوقها فوطة رباطية (ثوب معروف) فتبقى القيِّمة جالسة أمام الأواني إلى أن تؤذن في الشروع، فإذا فرغ السلطان من شرب الأتاي ردت أوانيه للمكلفين بها على نحو ما وصف، هذا إذا كان السلطان داخل قصره، فإذا كان خارجه فالذي يتولى صنع الأتاي لجلالته غالبا هو قائد الحنطة، وكان الشأن أول الأمر عند ما حدث الأتاي على عهد السلطان المولى سليمان في كل من الطبلتين والبقرج والمجمر أن يكون من نحاس أحمر، ثم في الدولة الحسنية كان ذلك من حديد أبيض ناصع يصنعه بعض المعلمين بمراكش لجلالة السلطان خاصا توقيا وتحفظا من صدإ النحاس، ثم تطور ذلك بتطور الأزمنة في الرفاهية، فصار لا يستعمل غالبا إلا المجلوب من أوربا، وكثر استعمال البابور بدل البقرج.

ومن الأشغال المنوطة بوظيف صاحب الأتاي الاحتفاظ بالأدوية وتقطير الأعشاب، كالسعتر، والنعناع والكراوية [31]، وغيرها من العقاقير للتداوي واستخراج عطور الزهور بأنواعها، وقد كانت العادة جارية بتوجيه أحد أعيانهم لرودانة [32] كل سنة في إبان زهر

---

(31) حول نبات السعتر انظر الغساني، **حديقة الأزهار**، ص 191-192 . أما الكراوية (أو الكروياء)، وتسمى كذلك «الكمون الأرميني» أو «كمون الجبال»، فهي نبات من الخيميات، وتابل معروف تُنسب إليه منافع طبية، ويُستعمل زهرُه في صناعة الحلويات والخبز وأغذية أخرى.

(32) وهي مدينة تارودانت بسوس، وقد سُميت أيضا «المحمدية» نسبة لمحمد الشيخ، في مرحلة انطلاق دولة السعديين.

البرتقال المعروف بالأرنج لتقطيره هناك والإتيان بمائه للحضـرة السلطانية لجودة زهر تلك البـلاد، وإخـلاص حليب النوق وتبـريده في زمن المصـيف، وكـذلك بعض الفـواكـه، مثل العنب، وحب الملوك، ومـخض اللبن، واقـتناء الزبد في بعض الأحـيـان، وخـصـوصـا في الأسـفـار، وصنع الأشـربة الحلوة المبـردة والحلويات والمعـاجين، أمـا المجلوبة من تطوان وغيرها من ثغور الإيالة ومدنها ومن أوربا، فإن ذلك يحوزه صاحب الأتاي من الحاجب، وكـذلك السكر، والأتـاي، والعنبـر، والشكلاط، والمصطكى [33]، والفـحم، والخـرق الكتانية لتصفية الماء والحليب، وقد استغني اليوم عن جل أشغال هذه الحنطة.

[ابن زيدان، **العز والصولة**، ج 1، ص 135- 136]

15. [في ضيافة السلطان]

انتحل رحالة إسباني اسم علي باي العباسي (Ali Bey) (ت 1818م) من أجل القيـام برحلة استعلامية إلى شمال افريقيا والشرق العربي. وتبنت الحكومة الإسبانية هذا المشروع. وقد وصل علي باي إلى مـدينة طنجـة في يونيـو 1803 وأبحـر بميناء العرائش في اتجاه طرابلس في أكتوبر 1805.

في اليوم الموالي، ذهبت إلى القصر في الوقت المحدد. وكان السلطان ينتظرني في نفس المكان، رفقة المفتي، كبير فقهائه، ورجل آخر من خواصه. وقد وضعت أمام السلطان كافة لوازم الشاي.

بمجرد أن دخلت، دعاني إلى صعود الدرج الصغير، وأجلسني بجانبه. وتناول آنذاك البراد، وصب الشاي في فنجان، وبعدما ملأه بالحليب، قدمه لي بنفسه. وفي هذه الأثناء، أمر السلطان بإحضار الورق والمداد، فأتي له بقطعة من الورق الرديء، ومحبرة صغيرة مصنوعة من مادة القرن، ومعها قلم من القصب. فكتب، في أربع صفحات و نصف، نصا يشبه الدعاء، وطلب من فقيهه أن يقرأه، فنبهه هذا الأخير بأنه أغفل كتابة كلمة معيَّنة، فتناول السلطان الورقة من جديد، وأضاف الكلمة الناقصة. و بعدما انتهت جلالته من

(33) وهو العلك الرومي ويراد به عند الإطلاق الصمغ، ويسمى كذلك في شمال المغرب ب«المسكة». ويستعمل لتعطير الحليب والخبز كما تنسب إليه منافع متعددة.

تناول الشاي، قدم لي مكتوبه لأقرأه، ورافقني في القراءة وهو يشير بأصبعه إلى الكلمات الواحدة تلو الأخرى، ويصحح الأخطاء التي أرتكبها في النطق كما يفعل المعلم مع تلميذه. و بعدما انتهيت من القراءة، طلب مني السلطان أن أحتفظ بتلك الورقة التي لا زلت أحتفظ بها لحد الآن.

آنذاك سحب أحدُ الخدام لوازم الشاي التي تتكون من علبة سكر ذهبية، وبراد، وإناء خاص بالحليب، وثلاثة فناجين من الخزف الأبيض المذهب، وكل هذه الأواني موضوعة فوق صحن كبير مذهب.

و حسب العرف المعمول به في البلد، فقد وضع السلطان السكر داخل البراد قبل أن يُصب في الفناجين، وهذه طريقة غير مناسبة، لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار ذوق الضيف فيفرض عليه شاي مفرط في الحلاوة أو ناقص منها.

[مترجَم من الفرنسية عن : علي باي، ج 1، ص 76- 77]

16. [وثيقة مخزنية حول تربية الأمراء]

تكمن أهمية هذه الرسالة السلطانية في التعريف بالمناخ الذي كانت تتم فيه تربية الأمراء خلال القرن التاسع عشر، كما أن النص يزخر بجزئيات مفيدة حول أشكال التغذية والحياة اليومية للعائلة المالكة (34).

الحمد لله وحده،

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
[طابع وبداخله : عبدالرحمان بن هشام الله وليه]

(34) نشر ابن زيدان وثائق لها صلة بنفس الموضوع، نذكر منها رسالة وجهها السلطان عبد الرحمان إلى ابنه سليمان، مؤرخة في 28 رجب 1260 (13 غشت 1844)، حيث يحذره من «التوسع في المآكل والمشارب» مضيفا «أن أسلافنا [كانوا] في حركاتهم لتمهيد القبائل بناحية الترك يقتصرون عند الحاجة على جميع فضلات علف الخيل ويقلونه ويدقونه ويقتاتون به . . . ». وهناك أيضا رسالة بعث بها السلطان إلى القائد بريك الحبشي في شأن تربية نفس الأمير، وهي مؤرخة في 23 شعبان 1255 (31 أكتوبر 1839) ويلح فيها بشكل خاص على التقشف في الملبس حيث يقول : «فإني أعاهد الله تعالى إن سمعت عليه شيئا بعد هذا أو أطلقت له اليد في التصرف في شيء مما دخل عليه من الهدايا شققاً أو دراهم حتى نخلي دار بُوك». أنظر **الإتحاف**، ج 5 ، ص 78.

كـاتبنا الأرضى، الطالب عـبـدالسـلام السلوي، وفـقك الله وأرشـدك، وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد،

فيرد عليك أولادنا مولاي العربي ومولاي العباس ومولاي عبد الله أصلحهم الله [35]، وجهناهُم بقصد القراءة هناك كما قدمنا لك، ومقصودنا حملهم على خشن العيش، وترك الترفه في المأكل والملبس. فاجعل قوتهم من غالب قوت البلد ذرة وبشنة وشبههما، مع ترك شرب الأتاي إلا في يوم خميس وشبهه كما قال عمنا رحمه الله [36] لأحد العمال حين وجه له بعض أولاده لمثل هذا القصد: فإني ما وجهته إلا ليعتاد أكل البلبولة والعصيدة وبوشيار [37] وشبهها، ولو أردنا بهم الرفاهية والتنعم لتركناهم هنا، ونيتنا هو رباطهم بباب الجهاد حيث لم نجد إليه سبيلا، أقمناهم مقامنا ونية المومن خيرٌ من عمله.

فاضبطهم للقراءة وتنبه لهم، وقد وجهنا معهم معلمهم، فحضه على الدءوب على التعليم، واحمله على الحزم والضبط فيما هو بصدده، وإن تراخى في ذلك فانظر غيره. ويكونون يركبون كل أربعاء وخميس بقصد تعلم الفروسية والرماية، واختر للركوب معهم أهل معرفة ومروءة وخير ليتدربوا على ذلك ويتأدبوا بأدبه ويجمعون بين القراءة والفروسية ولا يفوتهم شيء. فقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه لمؤدب أولاده حسبما في **الكامل** [38]: احملهم على قلة النوم، وعلمهم الفروسية والعوم. وإذا ركبوا أعطهم من مكاحلك المناسبة لهم يسابقون بها ويضربون الإشارة، وعند رجوعهم يردونها لأصحابك ولا تبقى عندهم ليلا يشتغلون بها عن قراءتهم، ويركبون يوم الجمعة للصلاة بالمدينة ويرجعون لمحلهم.

وقد وجهنا معهم داداتهم [39]، وهن ثلاث كبيرتهن أم الهناء. فلتحملهن على متابعتها، ومن حادَتْ عن ذلك ازجرها بما يردعها ولو بالضرب، فإنك ولد الدار ويدك كيَدنا في الابن والتربية. وهن يقمن بأمورهم من غسل ثياب ونحوها، ولا كبير مشقة عليهن في ذلك.

---

(35) حول أبناء وبنات السلطان عبد الرحمان، انظر **ن. م.**، ج 5، ص 239-242.

(36) يراد به السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله (1792-1822 م).

(37) يسمى أيضاً شيار أو البطبوط، وهو رغيف يُخمّر ويُحضّر بدون دهنيات، ويوضع على الفراح، أي مقلاة من الطين.

(38) لعله كتاب **كامل الصناعة في علم الفروسية والشجاعة**، لبدر الدين محمد بن بكتوت بن عبد الله الأشرفي المشهور بالرماح.

(39) جمع دادة، وهي الأمَة المُربية.

وقد وجهنا وصيفاً اشتريناه من وصفان مولاي علي رحمه الله، يناسب لمرافقتهم ومقابلتهم، يقيم مَعهم هناك. وإن خصهم (كذا) من يرتفق بهم في الركوب وشبهه فعين من أصحابك من يليق لذلك.

والمخازنية الواردون معهم كلف خليفتك بالعرايش بالقيام بمؤنتهم طعاماً وعلفاً مدة إقامتهم للاستراحة هناك بالمعروف. وعند نهوضهم ادفع للفارس ثلاثين أوقية، وللراجل نصفها، وللمقدم خمسين أوقية، ولقائد المائة عشرة مثاقيل.

وفي خلال إقامتهم وجه الشرفاء لزيارة ضريح سيدي أبي سلهام نفع الله به (40)، والتبرك بمن حوله من الأولياء نفع الله بهم.

وما أخرنا عن توجيههم إلا لما حدث من هذا المرض الذي نسأل رفعه عن بلاد الإسلام (41). وحين حصلت السلامة منه وانتشرت العافية، وجهناهم في أمان الله وحفظه. والله يعينك والسلام.

في 25 رجب الفرد الحرام عام 1253 [25 أكتوبر 1837]

[الخزانة الحسنية، 4/6، ك. II]

17. [وثيقة مخزنية حول هدية العيد]

يظهر من الوثيقة التالية أن الأتاي والسكر احتلا موقعا هاما في طقس الهدية الذي كانت تشهده الأعياد الدينية. والواقع أن هذه الوظيفة الرمزية لم تقتصر على العلاقة بين السلطان والرعية، بل سوف تمتد إلى مجموع النسيج الاجتماعي.

الحمد لله وحده،

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[طابع وبداخله : عبدالرحمان بن هشام الله وليه]

---

(40) يقع ضريح سيدي بوسلهام بالشمال الغربي على الساحل الأطلنتيكي قرب مدينة سوق أربعاء الغرب الحالية.

(41) يتعلق الأمر هنا بأول موجة من وباء الكوليرا أصابت المغرب حيث سمي كذلك ب«بوكليب»، وقد انطلق هذا الوباء من فاس سنة 1834م وانتشر عبر العديد من مناطق المغرب.

خديمنا الأرضى القائد محمد بن عبدالرحمن أشعاش [42]، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد،

وصلنا كتابُك، وعرفنا ما فيه، ووصل عَيَّادة خدامنا أهل تطوان [43]، وحضروا العيد المبارك، وقاموا بواجب السمع والطاعة، وأدوا الهدية المألوفة كثر الله خيركم وعوضكم خلفاً آمين. كما أدوا هدية القبائل وصناديق السكر والأتاي والحلاوي والزبيب، الكل طبق ما بيِّنت في كتابك. الله يرضى عنك ويصلحك آمين، والسلام.

في خامس شوال المبارك عام 1253 [2 يناير 1838]

[الخزانة الحسنية، 18/6، ك. II]

[تجار السلطان: ثلاث رسائل إلى عائلة قرقوز]

تكشف هذه الوثائق عن الدور الذي كان يلعبه تجار السلطان في تزويد القصر باللوازم الرفيعة التي كانت تستعمل في تحضير الأتاي.

18. النص الأول

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله،

إلى التاجر الحزان إبراهيم قرقوز [44]، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد،

يرد عليك صاحبنا على غرض دعت الحاجة إليه هناك بثغر الصويرة ولم رأيت من يقضيه

(42) عُين محمد بن عبد الرحمان أشعاش عاملا على تطوان حوالي سنة 1241 /1827. وكان معروفا بصرامة حكمه. وقد توفي سنة 1261/ 1845.

(43) العَيَّادة هم أعضاء الوفد الذي يزور السلطان لتقديم التهاني بمناسبة الأعياد، ويظهر من تاريخ الوثيقة أن الأمر يتعلق هنا بعيد الفطر.

(44) كان أبراهام قرقوز من أبرز تجار السلطان بالصويرة. وعُين سنة 1862 نائباً لقنصل الولاية المتحدة الأمريكية بنفس المدينة. وقد لعب دور الوسيط بين السلطان المغربي وأوربا، كما ساهم في ربط الصلات بين الشركات الأروبية والقيادات المحلية بالجنوب، وساعد الجماعات اليهودية المحلية على الارتباط بالمنظمات اليهودية الأوربية. وتوفي أبراهام قرقوز سنة 1883م. انظر دنيال شروتر، **تجار الصويرة**، ص 72-85.

عدا أنت فلا بد ادفع لحامله ما تقف عليه بالطرة وهو يؤدي ثمنه ولابد لأنك من أهل محبتنا الخاصة أصلحك الله وحياك على دينك والسلام.

في متم شعبان عام 1280 [فبراير 1864].

محمد بن العربي بن المختار الله خار له.

بل إذا لم تبقى له بعض الدراهم اكتب لشريكك معه لترودانت ندفعه هنا ولابد.

1 - طبلة متوسطة مفضضة،
2 - بابور بيض متوسط،
3 - 6 كسان هاوس رفيع غاية جداً جداً،
4 - 5 للسكار من الشرك،
5 - براد مفضض صغير،
6 - شقق من سلطان الثياب ربيته.

19. النص الثاني

الحمد لله وحده

من عبد ربه موسى بن أحمد لطف الله به (45)، إلى التاجر إبراهيم قرقوز وأخيه يعقوب (46). أما بعد،

فيأمركما سيدنا نصره الله (47) أن توجهوا على برارد من الانتخيار، تكون كيفيتهم على كيفية براريد القزدير المعلومة التي يشرب فيها الأتاي ويكون قلبها مزججا بالتزيج الأبيض ولا بد. وعجلا بها وعدد ما توجها عليه اثنا عشر ولا بد عزما من غير تراخ.

وكتب في 6 قعدة عام 1280 [13 أبريل 1864]

(45) تولى موسى بن أحمد منصب الحجابة في عهد السلطانين عبد الرحمان بن هشام وابنه محمد، ثم منصب الوزير الصدر (أي الوزير الأول) في عهد الحسن الأول. وقد توفي سنة 1296/1879.

(46) يعقوب بن قرقوز المتوفى سنة 1877م، هو أخ أبراهام قرقوز السابق الذكر.

(47) هو السلطان محمد بن عبد الرحمان، وقد امتد عهده من سنة 1276/1859 إلى سنة 1290/1873.

20. النص الثالث

الحمد لله

من عبد ربه موسى بن أحمد لطف الله به إلى التاجر إبراهيم قرقوز. أما بعد،

فقد أمر مولانا أيده الله البحث عن ستة ربايع من العود روميات بزنابيلها (48) للسكار والاتاي ويكون حسان جياد ووجههم لحضرة سيدنا العالية بالله أين ما كان ولابد عزما من غير تراخ.

وكتب في 3 صفر الخير 1281 [7 يوليوز 1864]

[مذكور في أبطبول، ص 48-50، 56]

(48) حول «الربيعة» و«الزنبيل»، انظر الملحق الخاص بأواني الشاي.

3. بين الرفض والإقبال

21. [الأتاي وقت الدرس]

يقدم ابن زيدان في النص التالي ترجمة للفقيه إدريس بن السلطان سليمان (ت. شعبان 1855/1271). ونتعرف من خلال بعض التفاصيل الطريفة على أحد الأساليب التي ساهمت في إشاعة المشروب الجديد عبر فئات المجتمع المغربي.

(حاله) فقيه علامة عامل مطّلع، له في الحديث القدم الراسخ، وفيه وفي غيره من سائر الفنون اليد الطولى، ناسك ذاكر ذو هيبة ووقار وجلالة في أعين الخواص والعوام، ذوأخلاق جميلة وأفعال حميدة وسجايا كريمة، واسطة عقد الصدور، كثير التلاوة والأذكار.

وكان يدرس العلوم بداره، ومن عادته أنه يحضر أواني الأتاي وقت درسه. وإذا رأى من الطلبة مللا أو سوء فهم، أمر خادمه بمناولتهم كؤوس الأتاي حتى تتشحذ أذهانهم وينتفي مللهم ثم يعود للدرس، وكان يطيل دروسه (. . .) [49].

(وفاته) حدثني بعض العدول المبرزين، العلماء الموثوق بامانتهم، أنه حدثه الولي الصالح، سيدي العربي السائح [50]، بأنه كانت بينه وبين المترجم وصلة وصالح أخوة ومحبة زائدة حتى أنه كان لا يمر عليهما يوم لا يجتمعان فيه ولو بباب دار المترجَم، يتذاكرون في المسائل العلمية والمعارف الذوقية، وأنه كان ظهر يوم خميس جالسا مع صاحب الترجمة بباب داره يتحدثان فيما حل بأهل مكناس من كثرة الموت ويأسفان على كثرة من أصيب بذلك الحادث الجلل، واذا بالمترجم التفت إليه، وقال لعلني يا سيدي العربي من زمام من يصاب بهذا الواقع غير أنني أسأل الله أن أكون سبب الفرج عن أهل البلد واللطف بهم. قال ثم بقينا بعد ذلك نتحدث حتى حان وقت العصر فودعته وذهبت لداري. ومن غده بلغني بعد صلاة الجمعة نعيه فرعبت وفزعت لداره لأتيقن الخبر، فوجدت أهله في تجهيز جنازته (. . .).

[ابن زيدان، **الإتحاف**، ج 2، ص 20 - 22]

---

(49) ثم يذكر ابن زيدان شيوخ إدريس ابن سليمان والآخذين عنه.

(50) نظم هذا الولي أشعاراً في مدح الشاي، أنظر أدناه، ص 344.

22. [قاضي مكناس يتشدد في تحريم الأتاي]

تولى أحمد ابن عبد الملك العلوي (ت 1241/ 1826) منصب قاضي الجماعة بفاس ومكناس. وعيّنه السلطان سليمان خطيباً بجامع قصبة مكناس (محرم 1237/ أكتوبر 1821). وفي هذه الترجمة التي خصصها ابن زيدان لهذا العالم، نلاحظ نوعاً من الإلتباس بين الشاي والسكر.

(حاله) له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة والتاريخ والأدب والتوثيق والمعرفة الكاملة بصناعة الأحكام. حلاه ابن عبد السلام الناصري بسيدنا الشريف الأجل، العلامة الأفضل، نور النبراس، سيدنا ومولانا أبي العباس (. . .).

(مشيخته) أخذ عن عمه المولى عبد القادر ابن محمد بن عبد الماللك، شارح **الهمزية والعاصمية**، وأجاز له ابن عبد السلام الناصري في الطريقة الناصرية في رابع رمضان عام تسعة ومائتين وألف. وأخذ عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي وعن غيرهم من شيوخ فاس.

(الآخذون عنه) منهم المؤرخ النسابة، القاضي أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي، صاحب حواشي **المرشد المعين** [51]، وغيرها من التآليف، المتوفى بعد عصر يوم الجمعة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف بفاس، وشيخ الجماعة بمكناس، الحاج مبارك بن عبد الله الفيضي.

(مؤلفاته) له تأليف في تحريم السكر [52] ويقال إنه كان لا يقبل شهادة من يشربه لأن ما جهل حكمه يجب التوقف عنه حتى يعلم حكم الله فيه وقد حكى الغزالي في **الإحياء**، والشافعي في **رسالته**، الاجماع على أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله تعالى فيه، هذا ملحظ المترجم وإن كان التعويل على خلافه.

[ابن زيدان، **الإتحاف**، ج 1، ص 350 - 351]

---

(51) حول هذا الفقيه، انظر أدناه، ص 223.

(52) لم نعثر على عنوان هذا المؤلّف، وربما هو **رقم الآي في تحريم الأتاي**، الذي ذكره محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج في **حاشيته على شرح ميارة لمنظومة المرشد المعين لابن عاشر**.

23. [صوفي من سوس ضد أتاي]

يتحدث المختار السوسي عن موقف الحاج عابد البيشوري (ت 1350 / 1931) من المشروب الجديد. وينتمي البيشوري إلى أسرة عالمة. وقد ساند ثورة أحمد الهيبة، وتعاطى للتدريس، وألف منظومات رجزية ورحلة حجازية.

ولما فرغنا من تناول العشاء، بعد صلاة العشاء، قدمت إلينا أواني الأتاي على العادة، فقال لنا [البيشوري] دونكم والأتاي، فإني تركته منذ مدة مديدة، فقلت له ولم؟ أيدك الله بتقواه، فقال لشبهة فيه شبيهة بالحرمة، وذلك أنه قدم علي بعض العوام الذين يخدمون فيه بباريس، وسألته عن حاله وحال السكر، فأخبرني أنه معصور بعظام الجيف وغيرها، معقود بعد ذلك بالدم المسفوح [53]، في أخبار غير ذلك غريبة منكرة، فسكت، ثم سألني مانظركم أنتم فيه. فقلت إنه كما في علمكم تكلم فيه من تقدمنا من فحول زمان ظهوره نظماً ونثراً، تصريحاً وتلويحاً، فمن مبيح له ومن محرم ومن متوقف. والكلام فيه مشهور.

[السوسي، **المعسول**، ج 3، ص 300 - 301]

24. [محاولة إنشاء صناعة السكر بالمغرب]

ينتمي محمد بن أحمد أكنسوس (ت 1294 / 1877) إلى منطقة سوس حيث ولد ونشأ قبل انتقاله إلى فاس لطلب العلم. ونذكر من بين شيوخه محمد التادلي وحمدون ابن الحاج واحمد بن التاودي ابن سودة. وتولى أكنسوس منصب الكتابة ثم الوزارة، وكلفه السلطان سليمان بمهام سياسية، وقد عوضه محمد بن إدريس في الوزارة بعد وفاة سليمان. وقد اقتطفنا هذا النص من كتاب **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي** (أنهى تأليفه سنة 1283 / 1866). وقد ورد في سياق أخبار السياسة الإصلاحية التي نهجها السلطان محمد بن عبد الرحمان.

(53) حول هذا الموضوع، انظر الفتاوي الواردة أدناه في الفصل الثاني والمتعلقة بموضوع سكر القالب.

ومن علو همة مولانا المظفر نصره الله، أنه ما سمع خصلة من الخصال، إلا وجه إليها سوابق الاستحصال، حتى تستقر بين يديه، وتلقى جرانها إليه. فصارت أجناس النصارى تتحفه بكل غريب الشكل مما استنبطوه، ولا يرده غالي الأثمان إذا شرطوه، فكانت حضرته من أجل ذلك مظهر العجائب، ومنال الفوائد والرغائب.

من ذلك الآلة التي يعصر بها السكر ويعقد، حتى يوجد في كل حين ولا يفقد[54]. ويغنى عن جلبه من أقاصي البلدان، لما أجرى الله العادة اليوم باستعماله في سائر الأوقات لاستصلاح الأبدان. فأراد مولانا نصره الله أن يكفي الناس مؤونة استجلابه، ورأى أن هذه البلاد لكثرة مرافقها دون غيرها من الآفاق أولى به، فأمر بغرس القصب الحلو واستنباته، وتهيئة المزارع الطيبة واختيار أطيب أوقاته، ووجه على من يحسن أعمال إخراجه من القوة إلى الفعل، بغاية ما يطلب من الإجارة أو الجُعل. فجاء من النصارى كثير من العملة، الذين زعموا أنهم يحسنون عمله. فذكروا أنه لابد لذلك من محل مخصوص، وبناء هائل مرصوص.

فأمر نصره الله بالبناء في أخريات أگدال، على ما وصف أولئك الأندال. فأنفق على ذلك أموالا كثيرة العدد، في زمان طويل المدد، ووجه على ما يتوقف عليه من الأواني العجيبة، والآلات الغريبة. فجاءت من بر النصارى، ولم يرتكب من ذلك تقريبا ولا اختصارا. فكمل ذلك كله على أكمل الوجوه، كما يأمله الأمل ويرجوه. ثم إن أولئك المباشرين من الأروام، توقفوا في أثناء العمل على الإتمام، ولعلهم إنما كانوا من جملة العوام. فبعث مولانا نصره الله على الصناع المهرة، فجاءوا من مصر القاهرة[55] . . .

[أكنسوس، ج 2، ص 80 - 81]

---

(54) حول هذا الموضوع، انظر ابن زيدان، **الإتحاف**، ج 3، ص 556-563، حيث ترد نصوص ست وثائق: (1) خمس رسائل حول موضوع معمل السكر، وجهها السلطان الحسن إلى حاجب أبيه، موسى بن أحمد، حين كان هذا الأول خليفة بمراكش، و(2) عقد مؤرخ في 14 ربيع الثاني 1279 (8 أكتوبر 1862) وقد أبرمه محمد الدكالي الرباطي مع جون كلاركسون جي (مهندس ميكانيكي أنجليزي) حين استُقدم هذا الأخير إلى المغرب لتركيب آلات صنع السكر.

(55) حول تجربة صناعة السكر بمراكش، انظر محمد الناجي، **التوسع الأوربي والتغير الاجتماعي بالمغرب (ق 16-19)**، بالفرنسية، ص 85- 93. وقد اعتبر المؤلف أن فشل هذه التجربة يرجع إلى عوامل تتصل بغياب مشروع شامل للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، والتأخر التكنولوجي، وضعف تحكم الدولة في النسيج الاقتصادي والاجتماعي.

(56) انظر عبد المجيد قدوري، **سفراء مغاربة في أوربا**، ص 86-88.

25. [زيارة معمل السكر بمرسيلية]

في كتاب **إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار**، يروي إدريس بن محمد الجعايدي السلاوي (ت 1308 / 1890) رحلته إلى عدد من البلدان الأوربية (فرنسا، بلجيكا، أنجلترا، ايطاليا)، حيث رافق محمد الزبيدي الرباطي في سفارته التي غادرت المغرب في صيف 1876. ومعلوم أن مؤلف الرحلة درس الرياضيات وتخصص في علم الفلك، وهو جانب يتجلى في دقة ملاحظاته ووصفه لتقنيات الإنتاج الصناعي الحديث [56].

فابريكة صنع السكر القالب

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى المذكور [جمادى الأول 1293 / 6 يونيو 1876] أوتي إلينا بكدشين [57] أيضا بقصد المسير إلى رؤية مكينة صنع السكر القالب (كذا)، فركبنا فيهما كل بمرتبته كما تقدم بعد صلاة العصر، وسرنا في طريق آخر فوجدنا، مثل الطريق الموصوف، حتى انتهينا إلى دار تلك المكينة، فرأينا بأسفلها العجب العجاب، ما يتحير فيه الدهاة من أولى الألباب، فما أكثر ما هناك من النواعير التي تدور واختلافها صغرا وكبرا على نسبها المقرر عندهم المشهور، والنواعير السفلى بدورانها تدور نواعير أخرى، في الطبقة فوقها والرابط بينهما شيء كالحزام ولعله من القنب، محيط بحرف بعض الرحى السفلى، وارتفع الى الرحى العليا فالتوى بحرفها الأعلى كالخيط الذي على ناعورة الشراط الممتد إلى فلك مغزلها. وهناك آلات حديد متفاوتة في القدر والشكل. منها ما تراه يتحرك يميناً ويساراً، ومنها ما يكون تحركه من الأعلى إلى الأدنى ارتفاعاً وانخفاضاً. ولم أقف على أصل الحركة الأولى التي ينشأ عنها سائر الحركات.

ثم صعدنا إلى طبقة فوق هذه، فوجدنا في التي فوقها طناجير عديدة عظيمة قطر دائرتها يقرب من خمسة أذرع، والنار توقد تحتها، وفيها شيء ذائب يغلي ويضطرب من شدة النار التي تحته، وحول كل طنجير براميل عظيمة، تسع أزيد من عشر قناطير من السكر الغبراء، وخناشي [58] منها، تدور عدة من الخدمة بذلك البرميل ويزحلقونه عن محله شيئا فشيئا إلى

(56) انظر عبد المجيد قدوري، **سفراء مغاربة في أوربا**، ص 86-88.

(57) كلمة من أصل إسباني (كوتشي)، وهي تعني بالعامية المغربية العربة التي تجرُّها الخيل.

(58) جمع «خنشة» بالعربية الدارجة، ومعناها الكيس. وقد وردت هذه الكلمة في أغنية الحسين السلاوي حول الشاي. انظر نص 126.

أن يبقى بينه وبين الطنجير نحو طول البرميل، فيفرغونه فيه حتى يقلب فمه على فم الطنجير على أعواد ثابتة عليه، وما يتساقط من السكر حول الطنجير يجمع ويلقى فيه، وأوتي بشيء من ذلك الماء الذي يطبخ في الطنجير في كأس زجاج، فإذا هو أحمر يضرب إلى السواد، ثم ارتقينا طبقة أخرى وجدنا فيها طناجير كذلك وخدمة أيضا، وأوتي بشيء من ماء هذه الطناجير، فإذا هو أحمر إلى لون الأتاي، والغبراء التي تصفى من هذه الطناجير أبيض من التي تحتها، والتي بالطبقة الرابعة أصفى من الثالثة وهكذا. ولم أثبت على عدد الطبقات لأن في كل طبقة ناراً عظيمة ومكينات تدور كما وصفنا، بل وأعظم بكثير، ومن شدة النار ضاق صدري أن أرجع وأخرج. فلم أثبت على الطريق التي دخلنا منها لتشابه الطرق وتماثلها إلى أن وصلنا إلى الماء الذي يجعل في القوالب، فوجدنا ناعورة معلقة كبيرة تدور دوران الجرارة وعليها سلاسيل حديد تنزل في حفرة كالبئر، وهذه السلاسيل النازلة في هذه الحفرة بدوران ناعورتها تمسك القوالب الفارغة التي يفرغ فيها السكر، وهي متتابعة بعضها فوق بعض على هيئة طونس السانية. لكن القوالب ليست مربوطة في السلاسل، وإنما فيها فرج يترك الواقف منها فرجة فارغة، ويجعل في التي تليها قالباً فارغاً، فينزل في السلسلة إلى تلك الحفرة، فتطلع عامرة من الجهة الأخرى، وهناك رجل آخر يرصد طلوع القالب العامر، فينزعه ويناوله لآخر، فيضعه في حفرة تمسكه في مكان متسع غاية، مملوء بالقوالب التي تملأ من تلك الحفرة فتبقى هناك زمنا حتى تجمد فعند ذلك يصب في كل قالب ماء أبيض، يقرب من لون الحليب، مقدار نصف أصبع، يقال إن هذا الماء هو الذي يصفى لون القالب حتى يصير أبيض كما يرى، وانظر من أي شيء هو، ذلك الماء المتخذ للتصفية، وعندما تجمد هذه القوالب وتبيض يبقى برأس كل قالب أقل من شبر زروقة، كأن هناك ماء. فعند ذلك تنقل تلك القوالب فيه، لأن في أسفل كل حفرة إما تقبة أو تقب تنشف القالب ولا تبقي به شيئا من المائية والزرقة، ونزع منها قالب بمحضرنا فخرج من حفرته صوت يصفر ولم يخرج منه ريح. وهذا كله وكبير المكينة أمامنا يطوف بنا فيها، ويطلعنا على أطوار السكر طوراً بعد طور، حتى أتى بنا إلى محل تخرج منه القوالب التي تم تيبيسها وتصفيتها، فوجدنا هناك خدمة عديدة، وقوالب من السكر مرصفة بعضها فوق بعض كالجبال، وأكثرها القالب التي من نحو ربع قنطار في القالب، وأقلها وأضعفها قوالب صغيرة هي التي تأتي إلى الغرب. وهؤلاء الخدمة كل اثنين متقابل على مائدة بينهما يمسك كل واحد منهما قالبا من يد الآخر، ويضعه بين يديه فوق رزمة الكاغد المعد للفه فيه، فيلفه في كاغيدين كأسرع ما يكون، وأمام كل واحد منهما متعلمان يشدان القوالب في الخيط بحيث يلف قالبين في الكاغد،

يشدهما بالخيط المتعلمان اللذان أمامه، فيمسكه آخران يناولانه لغيرهما حتى يصل لمحل وضعه.

نشر قوالب السكر وتقريضها

ثم أوتي بنا إلى محل آخر فيه خلق كثير من النساء والرجال ينشرون القالب الكبير من السكر كما ينشر العود حتى يصير القالب الواحد مثلثة على هيئة المثلث، وكيفية نشره أن الرجال المكلفين بالنشر جالسون على الشوالي (59)، وأمام كل واحد منهم بقربه ناعورة تدور دوراناً سريعاً حرفها كالمنشار والله أعلم. وهي على قدر ناعورة الشراط، من حديد مهند رقيقة كرقة المنشار. هكذا ظهر لي بحسب الأمارات الدالة على ذلك، فيعمد هذا الرجل المقابل للناعورة فيمسك رأسه بيديه، فيجعل طرف القالب من جهة قعره متصلاً بتلك الناعورة أي بحرفها، ويدفعه إليها دفعة واحدة، فتقطعه الناعورة وعند ذلك يكون متعلم قبالته، والناعورة بينهما. فاللوحة التي تنفصل من القالب أولا هي أصغر ألواحه، يتلقاها حين النشر ذلك المتعلم، والباقي من القالب بيد صاحب الناعورة، فيعيد عمله بأن يقدم قعر القالب إلى الناعورة، ويدفعه إليها فتشقه أيضاً فتنفصل منهه لوحة أخرى أكبر من الأولى فيتلقاها المتعلم أيضاً، وهكذا ثالثاً ورابعاً وخامساً وهلم جرا حتى يتم القالب. وغلظ اللوحات بقدر واحد غير مختلف لما ستعلمه بعد بحول الله.

ثم إن هذا المتعلم حين يتلقى اللوحة المنفصلة من القالب يدفعها عاجلاً من غير تراخ لرجل آخر، عن يمينه صاحب ناعورة النشر أو يساره جالس كجلسة صاحب الناعورة. فيقبض تلك اللوحة من السكر من المتعلم، وينشرها على طولها نشراً مستوياً خطوطه، بحيث يدفعها إلى نواعير صغيرة تدور كأسرع ما يكون، فتخرج تلك اللوحة مقسومة طولاً قسمة مستوية، كل قسمة منها كالفتقية مربعة، ثم تأتي متعلمة أخرى وتأخذ تلك الفتاقي، وتدفعها شيئاً فشيئاً لمتعلمة أخرى جالسة على كرسي، وأمامها مكينة صغيرة تقرض بها تلك الفتاقي من السكر تقريضاً مستوياً بسرعة، والمكينة تخدمها بيد واحدة، ويدها الأخرى تناول بها الفتقية إلى المكينة، بحيث تدخلها في فرجة وهي تحرك يد المكينة، فتخرج الفتقية مقسومة بمربعات صغيرة. ومع هذا تخرج الفتقية مقسومة كما قلنا، ومربعاتها يوالي بعضها بعضاً على سمْت واحد، مصطفة، فتأتي متعلمة أخرى فتدفع الفتقية بتمامها في دفعة واحدة جامعة يديها على طرفيها، وتضعها في صندوق مبطن بكاغد الصرف لكي تزيل من

(59) جمع شلية، ومعناها الكرسي، وهي كلمة عربية دارجة من أصل إسباني.

كل فتقية المربعة الأخيرة التي تكون من ناحية رأس القالب لأنها لا تكون مربعة فتتركها. وهناك نحو مائة من المتعلمات، ومعهن الرجال المشتغلون بالنشر المذكور، ونواعير النشر كثيرة وإنما وصفت لكل منها كيفية نشر قالب واحد، والقوالب التي تنشر تجعل في الصناديق على الكيفية التي ذكرت، ولا يسبق لفهمك أن تلك المربعات المستوية من السكر ترمى في الصناديق كيف ما تأتي، بل توضع فيه مصطفة شيئا فوق شيء حتى تُملأ الصناديق وتُسمر، وهذا السكر هو الذي يُباع في مرسيليه وباريس للقهوة والأتاي وغيرهما. وأما تلك المربعات التي تترك من السكر لكسرها فإنها تُجمع مع الغبرة التي تسقط حين النشر فيجمع بعضها إلى بعض لبانة (60)، هذا ما استحضرته من أوصاف تلك المكينة.

وأما الطناجير المعدة للطبخ ففي طولها اثنا عشر متراً، مقدار أربع وعشرين قالة غير شيء(61). وهناك كرات نحاس عظيمة، قطر دائرتها العظمى أزيد من أربعة أذرع، وآلات أخرى لا يسع بسطها قرطاس، ولم تبق في قابلية إذ ذاك لا يمكن تتبعه والبحث فيه لسخونة المحل، حتى أن بعض الخدمة يخدمون عراة عدا المآزر يأتزرون بها. وسئل عن الخَدَمة القائمين لخدمة هذه المكينة فقيل إنها ثمانمائة من الرجال ومائة من الإناث والخدمة لا تفتر ولا تعطل أصلاً، وكل واحد يخدم اثنتي عشرة ساعة، ويبدل بغيره. وسئل عن إقامة المكينة ما ثمنها، فقيل النحاس الذي بالطبقة السفلى ثمنُه مائة ألف ريال، فما بالك بما فوقها، وسمعنا بأن حكيماً هناك التزم على نفسه أن يخدم السكر القالب ويوجده في أربع وعشرين ساعة، وأنه لا يُضيف إليه شيئاً مما يُصفى به الآن، فقيل له إن القائمين بخدمة المكينة الآن حيث يستوفون مدة كنطردتهم (62) يكون الكلام في ذلك.

وسمعنا بأن بمرسيليا ثمان مكينات تخدم السكر مثل هذه. وحين هممنا بالرجوع وجدنا أنفسنا بنا من العرق كمن في بحر غرق. فطلب لنا محل نجلس فيه بقصد الاستراحة مما حل بنا من التعب وكثير النصب. فأوتي بنا إلى صالة مستملحة، وجدنا فيها شوالي ومائدة حلاوي والقهوة وبعض تلك الحلاوي معقودة على الثلج، تناولنا شيئاً منها فعن قريب استرحنا مما كنا نجده من العرق والتعب، ثم خرجنا وركبنا الكدشين ورجعنا إلى محلنا

---

(60) مسحوق السكر، ويسمى حالياً في المغرب «سنيدة».

(61)- القالة هي وحدة لقياس الطول، ولها شكل مسطرة خشبية، وهي تساوي ما بين 54، 0 و55، 0 متر. انظر شارل روني-لوكلير، **التجارة والصناعة بفاس** (بالفرنسية)، ص 123.

(62) كلمة من أصل إسباني، وتعني العقدة.

بسلامة وعافية والحمد لله، وقد قام كبير مرسيلية بضيافتنا مدة الإقامة بها أتم قيام وأحسن غاية الإحسان، كثر الله ماله وولده وأطال عمر مولانا أمير المومنين في عافية وسلامة [63]، وجعله ممن شيد أركان السنة والدين على أساس الحفظ وكمال الرعاية بمنه جل جلاله وأطال عمره في حياة الدنيا في سلامة وعافية.

[الجعايدي، ج 2، ص 155 - 161]

26. [زيارة أخرى من منظور مخالف]

يترجم هنا الباقر الكتاني (ت 1384/1964) لأبيه محمد بن عبد الكبير الكتاني. وقد اعتمد المؤلف على **اللؤلؤة الفاسية في الرحلة الحجازية**، وهو كتاب وضعه عبد السلام بن محمد بن المعطي السرغيني (ت 1350/1931) الذي كان من رُفقاء الشيخ الكتاني في رحلته للحج عام 1321 / 1904.

وقد أرخ أنباءها [الرحلة] ابن المعطي في نحو كراسين، تضمنت تسجيل بعض إملاءاته العرفانية وأفكاره السديدة النيرة. بارَحها [طنجة] على ظهر باخرة ألمانية كبيرة جميلة، زوال يوم الجمعة 26 منه [جمادى الأولى 1321/ 20 غشت 1903] قاصداً مصر. ومن الملاحظ أنه قابل بطنجة مبعوثاً خاصاً من السلطان مولاي عبدالعزيز رحمه الله، سلم إليه هدية السلطان السنوية لأهل الحرمين الشريفين ليوزعها عليهم حسب نظره، وقدرها عشرون ألف ريال كما في رحلة ابن المعطي.

وقد اغتنموا فرصة إرساء الباخرة بميناء مرسيليا صبيحة يوم الثلاثاء متم جمادى الأولى، فنزلوا إلى اليابسة للوقوف على مدى الحضارة التي وصلت إليها أوربا وطافوا بجل أنحاء المدينة وزاروا معمل السكر. وكانت للمترجم رغبة كبرى في زيارته والوقوف على أجهزته ومعرفة العيوب التي تساعده على شل حركته، لأنه المعمل الوحيد الذي صار يكتسح أموال المغاربة أكثر من غيره، ويسعى في اختلال أنظمة الجهاز الاقتصادي بالمغرب. ومعلوم أن المترجم كان يمنع شرب الشاي على أتباعه، ويحاربه في الجموع والمحافل، ويصرح بأنه

(63) هو السلطان الحسن الأول الذي بويع سنة 1873/1290، وتوفي سنة 1894/1312.

مقـدمة لاحتـلال المغرب، وأن الأموال التي تصرف فيه لو صرفت على تجهيز المغرب من الناحية العسكرية لاستطاع أن يقاوم كل خطر يهدد كيانه.

ودعوة المترجم لمقاطعة البضائع الأجنبية وفي طليعتها الشاي والسكر شهيرة بالمغرب قل من لا يعرفها، حتى أنها تسببت له في عداوة كثيرة مع شخصيات بارزة، رسمية وغير رسمية والأمر لله (64).

وفي المسـاء رجـعـوا إلى البـاخـرة واستـأنفـوا سـيرهـم إلى أن وصلوا إلى مـدينة نابولي الإيطاليـة يوم الخـميس، فـقضـوا فـيهـا يوماً وقـفوا أثناءه على مـعـالمهـا التـاريخيـة ومرافـقهـا الحيوية.

[الباقر الكتاني، ص 93 - 94]

27. [حديث مع المشارقة حول الدخان والأتاي]

العربي المشرفي (ت 1313/ 1895) أديب من أصل تلمسـاني. اسـتـقـر بفـاس وتوفي بهـا. وقـد ألف في التـاريخ والتـراجم، والنص التالي مقتطف من كتاب **فتح المنّان في شرح قـصيدة ابن الونّان**، وهو شـرح وضـعـه المشـرفي على قـصـيـدة **الشمقـمقية**، نسبة إلى مؤلفهـا المعروف بالشـمقـمق (65). وقد خصصهـا لمدح السلطان محمد بن عبد الله.

... ذكـرت المكالمة التي جـرت بيني وبين عـالمين من ترك، في أوبتي من حـجـة الفـريضـة عام 1266 [50-1849] ونحن بنيل مصر، لما أرادا إكرامي بشربه، وبين أيدينا الشيخ زادة علي

---

(64) ذكرت جريدة **لسان المغرب**، الصادرة بطنجة، في مقال مؤرخ ب 20 ربيع الأول 1325 / 3 مـايو 1907 أن صحيفة أوربية محلية أخبرت أن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني «خطب على أتباعه وطلاب العلم في ناديه خطبة حثهم بها على المجاهرة والمجاورة ابتعاداً عن الفتن المتوقعة الحدوث». واعتبرت جريدة **لسان المغرب** أن ذلك مجرد اتهام باطل حيث ينحصر نشاط الشيخ في «الإرشاد الروحي والوعظ». وأضافت «وقول تلك الجريدة انه قدم شـاي (أتاي) للحضـور في ذلك الاجتماع لا يتبرأ من الخطإ أيضاً. فهذا العلامة المفضال لا يتناول الشـاي قطعاً ولا تتعاطى في منزله بتاتاً لأنه يرتإي أن ما فيهـا من المخدر لا يجوز في نظره تناوله. فإن غاية ما يشرب على ما عرف به كأساً صغيراً من القهوة ممزوجاً بشئ من العسل الطبيعي. ولا يستعمل السكر العادي أيضاً، فكيف يقدم الشاي إذا إلى ضيوفه ؟». أفادنا بهذا النص جامع بيضا مشكوراً.

(65) هو محمد الحميري التواتي، المعروف بابن الونان.

البيضاوي، وامتنعت من شربه واحتجيت لهم بأني مالكي المذهب، ولا يشربه عندنا إلا العامة ورعاع الناس، وطهر الله من شربه الخاصة. فقالوا : يا سبحان الله ! وما مذهبكم فيه ؟ قلت لهم : الكراهة والإباحة والحرمة، لما يعرض له من المضار الدينية والبدنية. فقالوا: يا سبحان الله ! مذهبنا ومذهبكم فيه واحد. فقلت له : ولم تشربه منكم الأشراف والأطراف والملوك وأبناؤها، وأعرضتم عن القول المشهور فيه وهو الحرمة، لأنه يسوّس الذات ويقلل الأكل الذي تقوم به البنية ويُضعف الباءة. فأطرق أحدهم مغضيا، فأنشدته بيتين مسموعين من بعض الأتراك لما عنفوه في شربه، وهما :

وقَد عَنَّفوني في الدُّخان وشُربه فقلْت دَعوا التَّعْنيف فالأمرُ أحْوجا
إلاّ أنَّ شيْطان الهُموم لَقد بَغى عَلينا فدَخَّنا عليه ليَخرُجا

فحصل لهما سرور بذلك، وعوضوني عن شربه شرب الأتاي، العشبة المتعاطية عندهم المعروفة بالشاه (كذا)، وافترقنا عن طيب نفس بطيب مذاكرة، هـ .

وأما عشبة أتاي هذه، فانعقد إجماع المغاربة على إباحة شربه، وغضوا البصر عما فيه من التبذير، وما هو إلا شهوة استلذتها النفس. ومدحه علماؤهم بقصائد يطول بنا ذكرها، وخرقت إجماعهم وذميته، فقلت :

إن الأتاي لَشَهوة مُضر مضرة تُفْضي لجَلْب الهَمِّ والخُسْران
وتَؤول لارْتكاب دَيْن فادِح ولَمحْق مالٍ مَع فَساد عُنوان
تعمي مَكان المَرء تُقْفِر بَيْته والفقْر منه تَكُون الأحْزان
لا ذو خف يَبْقى له وذو حافِر ويَعود للبِساط والدُّكان
تبًا لكُل تاجِر سَعى بها وأتى لُمسلم شَهوة الشَّيطان

إلى آخرها. وبلغت السلطان مولانا عبدالرحمان، ملك الوقت والأوان، فأجازني عليها وقال إنه ذمه لما يعرض له (66). ومدحت في آخرها القهوة فقلت :

دَعْها ومُدّلقَهْوة بُنيَّة وإن تكُن لإفْرنج الرُّهبان

---

(66) يُذكرنا هذا الموقف بما ورد في الرسالة التي أعطى فيها السلطان عبد الرحمان بن هشام توجيهاته حول تربية أبنائه. انظر أعلاه، نص 16.

والقصيدة مذكورة في تأليفنا، **إثمد الجُفون فيمن بعهد الله يوفون**، مع قصائد في مدحه.

[المشرفي، **فتح المنان**، ص 145]

28. الحشيشة الملعونة

انتشرت عادة تناول الشاي بتونس بعد الحرب الإيطالية-التركية (1911-13). وقد وضع مؤلف مجهول النص التالي بالعامية التونسية ونُشر النص سنة 1946م مع ترجمة فرنسية (67). وهو شهادة تؤكد أن «الإدمان» على شرب الشاي بتونس أدى إلى آفة اجتماعية حقيقية.

«التاي يوفي المال، ويْكشف الحال، ويْقطع الآمال».

يا فتّاح يارزّاق، مْن صباحُه عوّق الدخان وتوقتْ ناره وتحطْ عليها البراد المْشوم، اللي ماية ناقة وناقة خرجوا من زنّونْته، وخلّى طْرابلس وكمّل تونس، لا ترحم من زرع في ها البرّ ها الحشيشة المْنْتنَة!

هذا كان يخرْنن به على نفسُه سّي طْبل، وهو جاي يْفلفَص في اجْيابُه، ثمّاش ما يْلقى فيهم عْقاب صْوارد فرضيَّة، من هاك الفْليسات اللّي كان بْلفَطهُم على مْراتُه نْهار السّوق مْن بيع الحْصيرة، بذمّة التّاي، لانُّه هو من عْباد الله البْطّالة، لاصنْعة ولا فْتيلة حْبل، ما نْقول لّك ش لا يْخدَم لا يْقدم، لانُّه يْعطيك ربّي الخدْمة لا يْخدم، أمّا يْقدم ويْثني رْكبتُه على التّاي من صْباحُه لْمساه، من عْرق اللّي ما خْذها باش يْقومّ عْليها كيف ما قال ربّي والنّبي وها هيَ هيَ صْبحَت مْقومَة عليه، وهو عامل عَبدُك الأزهَد.

قلْ لُه أنت آش جايْبك في ها الصباح تْقول ش رْماوا لك التْباخير؟ ما هي شي مْحنة التّاي المْشوم اللّي قَلّلت ما في يْدك، وغْلبتْ عْليك البُخل، وطْيحت لك هْمتك وهْتكت لك حُرمْتك، وأنت بْلاش مْغبون مْقهور في وسْط اجْناس كْثيرةَ عايْشة في ها البرّ بْحذا جْنبك، دابْهم الكدّ والجدّ والتطْمير، وأنت تْزيد تْعين القْضاء بيدّك، تْجيب النّار لكْدسَك وتْتبَع هْوى نْفسك، وتْعمى وتْصمى وتْترك الخدْمَة والتّحصيل وقرْيان العواقب، وبْلا ها

(67) نعيد هنا نشر النص بالعامية التونسية في الصيغة التي ورد بها في مجلة «إبْلا». انظر البيبليوغرافيا.

الخْصايْل ما تْصير رْجال. وتْقعُد النهار واش طُولُه قْدّام كانون يْتّن لكْ في ريحْتك، حسّ ومْعنى، وانْت تْسلعق في التّاي. نْعلة الله علْيك وعلى المْراة لماخْذَتك وعامْلة منّك راس مال! وناويْة تْعَمّر وتْثمّر منّك : ياخيبْة مْسعاها! ولو كان هي بْنفسْها كانت حُرَّة وتْقول أنا وأنا، تْخسركْ وتْفارقكْ وتْقول «مْلاّ راحَة!».

عادْ قُلنا سّي طْبل روّح صْبابَة لقْدام معْمل الضّيعَة والبُخل والخْسارة البارْدة، ولْقى فيه سابْقين ثْلاثة من نّاس مْقَعمْزين لْحيهُم في رْكايْبهُم مْلفلْفين في جْرود بْرانْس من كلّ شقّ كاشْفَة ضْلوعْها، والرّابع مْدربْل مْشلتت مْمدّس بْشلاكَة مْشقْمة ومْعصّبة تْبتْ على عام الحْنايَة (68)، واقفْ على كانون موجّه للرّيح على راس حْجرة، وفي وسْطُه كْمشَة تْبن تعوّق لانْها مازالْت بْندوَة الصّباح، وحْطيبات مْقشقْشَة من الزْبابْل، وهو يْنفخ ويْجيبْ من يْنفخ، ويْقول «يا قْلّة الجْهد!» وعيْنيه تْدمَع، وشْلاغمُه مْدرغْمَة بْالرّماد.

حْبر ما طلّ سّي طْبل وقْبل ما صبّح قال : «ما هو مْعكُم، يا رْفَقاء؟ راني بْفرضيتي، ها هي تْوا حاضْرَة تْشرْنن. أما هاك مْكسب الزّليط».

وْلا احَدّ من الحاضْرين زادُه النّفس، لانْهُم لاهْين في غْلبتهُم. اعْطاوا النّار والفْلوس يْجيبْها ربّي : واحْد عنْدُه شْطر فْرضية، ستّة صوردْي، والاخْر ربْعها، والباقْيين الاثْنين من اوْلة البارْح يْكرْديوا، والحْوانْتي وينّ هذا يْغسلْهُم غْسلان كرْشَه جاري كيف مْن يْشري الهمّ بْالدّقيق (69).

طاحْت جْميرات في الكانون وتْحطّت علْيها حكَّة قْصدير سودَة الوجْهين فيها مْويهَة من بيرْها صافْيَة عْذبَة، ولكنّ تْظهر فيها كأنْها عْروس قْطران.

دْخل الطّياب للحْوانْتي وقال لُه : «رْبيّع، بْالله...» والحْوانْتي جاوْبُه بْكشَّة ناطْ : «راني نْعرْفك أنت فيه (70)، دبّر راسْك، وزادَة إذا تْكسّر كاس، والله ما نْنفسكْ في حقُّه!».

(68) يراد ب«عام الحناية» سنة بناء قنوات الماء بتونس في عهد الرومان. وقد استعملت هنا طريقة التأريخ بالأعوام للتعبير عن الزمن الغابر.

(69) يراد حرفياً ب«غسْلان كرْشَه» الطريقة الدقيقة التي تنظف بها أحشاء الحيوانات قبل استهلاكها. والمقصود هنا معنى مجازي، وهو أن البقال يسلب من صغار المستهلكين مجموع ما في حوزتهم من نقود.

(70) معناه : أنت مسؤول عنه.

ـ هاتْ بَرْك، قال له، ما عْليكْ ش، والله كيف نْبيع جْردي لا نْحوجْك، وكانّك من اصْحابُه خارْصين شادّين حتى النّفس واهْقين لا الخْوانْتي يْدور في العلَّة ويْفسّد لْهُم كيفْهُم.

دخْل الكانون بْسخانُه (71) لوُسْط الحانوت وتْفرشّتْ جْرتيلة (72) خْصيرَة مْهرّدَة مْنتْشَة (73) خلْفتْها بْذمّة الشْعول كلّ يوم وما بْقى منْها كان اسْم الخْصيرَة. والاتْعَس بْكُلها مْملْسَة بْالتاي مْجلّف علْيه الغبْرَة وباين رقْع رقُع تْقول علْيه حنّة بْقُر (74). وجاء تْنصّب علْيها الطّياب ومْدّيْدُه لتْركينَة، جْبد منْها مائدَة لوح، بْكُلها تْتلْبّط، وسودا كانْها بْرهم. ولْقّط الكيسان اللّي كانوا مْطيْشين في التّراب، ما قاعْد لهُم من البلاّر ما عدا الاسْم لا غيْر، «حطّهُم في فمّ البْهيم ينْكّس» وحْطهُم اخينا على داثر برّاد مْقشّر ابْرص مْلقّط من بْعض الزّبابْل، وهزّ الطّيّاب طْرف كاغْظ من العفْس، ونْفضُه من وسْخُه وهْبّط به طاسْة القْصدير المْستعمْلة في عُوض السّخّان واللّي تْغلي بْالماء على الكانون، صبّ منْها شْويَة في كاس ورْدّها على النّار وبْدا يْغسل في عالتُه، ويْميّل في راسُه، ومن بْراعتُه هاك بْزقّة الماء دارْت على البرّاد والكيسان، هذا في جْرّة هذا، لين ظلّت سُوداء، «شْماتَة الأعداء»، واخرْتْها رشْها على المائدة وجاتْ سائلة فوقْ منْها سيلان الرُّب المْحوّل (75)، وسْلتها بْهاك الكْويغْط المحنون اللّي كان هبّط به السّخّان، ومن بعد حطُّه بْحذا جْنبُه، عارْف مازالتْ تْجي به الحاجَة مرَّة اخْرى ومْنها جْبد قْرطاس السكّر فيه ارْبعَة أواق، وقْرطاس التّاي (76) فيه نُصف وْقيَة (77)، وصْظبّ شْطر السكظر وشْطر التاي في البرّاد اللّي إذا طار بْالنّار (78) يْجعْلُوا ش تْرْفع خْموسيَة...

(71) السخان هو المقابل التونسي للمقراج. انظر أدناه، نص 54.

(72) تعني كلمة «أكرتيل» بالأمازيغية: الحصير. و«الجرتيلة» هي كل مفروش بالي مصنوع من مادة الحلفة.

(73) من فعل نتش بمعني نتف. ويشير النص هنا إلى عادة منتشرة في الأوساط الفقيرة عند تناولها للشاي، حيث تُقوّى نار الكانون من حين لآخر بواسطة زغف تُنتف من الحصير الذي يقتعده الحاضرون.

(74) المراد هنا جلّة البقر التي يشبه لونها لون الحناء.

(75) حول المعنى العام للرب، انظر هامش 11 أعلاه. وفي العامية التونسية، تعني الكلمة بشكل أخص شراب يُصنع من الصبارة.

(76) تعني كلمة قرطاس هنا ورقة الكاغد السميك التي يستعملها البقال لبيع كيميات قليلة من مواد مثل الشاي والبزور.

(77) وحدة وزن تساوي حوالي 30 غرام.

(78) تعني هذه العبارة الدفع بالأشياء إلى أقصاها.

الشاي في مقهى شعبي



المصدر : م، كاريط وج. ستيوارت، **ذوق المغرب**، باريس، 1988.

وجْبـد السّخّان من على النّار، وصبّ مْنُه الماء الطّايْب على التـاي والسكر في برّادهُم، وحطّ وقْتـهـا ها البـرّاد على النّار، وزادْ عْليـه بالنّفـيخ وعـادْت النار تْلهْلب وصـار هاك التـاي والسكر يْشكشَك ويْجيبْ من يْشكشَك، تْقول وين ماشي به. أما اخينا يْحبّ يْعملْها كْرشْ أُولي (79) تْزطّل. ولمّا شْعشْعتْ ريحْة التاي وفاحْت، الجْماعَة الكُلّ أُوذانْهُم عْرْشَت وعادوا يْقـمْزوا في الفْضـا، وعينيهُم تْحلّت، ودْرزَت قْـجمَتـهُم، لانّه قْرُب الخير وبانْت اشـايْرُه بْفوحانُه في خْشومْهُم

فْلت النّاس من كلّ تُركـان وتْضربَت الخْويتّة جاتْ للمُغطَة، لانُّه التـاي سْلطان ويْحبّ الجْمَع، يْقولوا العُرّاف، وكُلّ وينْ يْدخُل واحْد، يْعطي فْرضيتُه والاّ يكرْديها كيف غيرُه، ويْشارْك الربْق وإذا كْثرَت الجْماعَة تَتْولّد على اثْنين والاّ اكْثر وتْرا كُلّ حْلقَة، التـاي فيها خْدّام بْلا فكّة، وتْظلّ الارْباع والانْصـاف والارْطال تْتناطْر، وهاك الخْـوينْتَـة تْسري تَري، وتْقـول عْليـهـا عْـرّاقَة، ولا احـدْ داري. ومن الصُّبح للّيل مـا ثـمَّ مْعـبُـود إلا التـاي، وفي الغـالْب الحْوانْتي يْقيّد والمْلاقْيَة نْهار السّوق إن شاء الله، وفي وسْط ها الكوشَة النّاس الكلّ ما يْفرّوا ش على النّهـار كيفـاش يْذُوب وقْليل من يْفارْق الجمْع النهارْ طولُه، حتى مْن القوتْ لا من يْنشد عليه، الواحْد تْقول ش ماكْل مْسلان، وتْراهم بْكُلْهُم لا خْدمَة ولازْدمَة إلاّ تْقرْقيب التاي في قْراجْم لاهْبَة وبْطون خاوْيَة. ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

[ضمن كـيكة ومانْيان، ص 95 - 105]

(79) تعني هذه العبارة حرفياً «الحمْل الأول». ومعلوم أن نفس المقدار من الشـاي الموضوع في الإبريق يستعمل لتحضير ثلاث «دورات» متوالية من المشروب. فالكأس الأول يتيح إذن للشارب أن يحصل على شاي مُركّز.

4. طقوس وقيم: نصوص داخلية

29. [ذيوع الأتاي]

ألّف العربي المشرفي، السابق الذكر، كتاب **نزهة الأبصار لذوي المعرفة والإستبصار**، وقد خصصه لمناقب أبي علي الحسن وأبيه أحمد بن محمد السوسي الأيسي المعروف بالتمكدشتي، غير أن المشرفي ملأ كتابه باستطرادات عديدة من بينها حديثه عن «مدامة الأتاي» التي اعتبرها من «محدثات القرن» (الثالث عشر للهجرة).

وقد تمالأ الشعراء على مدحها [مدامة الأتاي] بمغربنا وتعاطيها في أنديتهم، فقلما تجد الإنسان متسلياً بدونها. وحق لهم تعاطيها، فإنها نسخت شرب الخمر المحرمة كتاباً وسنة وإجماعاً (. . .).

فهذا الشراب اليوم جرى به العمل في عُرف القوم حتى صار يُقدم قرى للضيف، وربما إن قدم له طعاماً بدونه يعتقد أنه استهزئ به. ولو قام الإنسان بواجب الضيافة، وأطعم جلساءه بكل لون من ألوان الطعام وأنواع الحلاوة، ولم يأتهم بشراب الأتاي، لقالوا قصر في جانبنا وازرى بحقنا، وشتموه ومزقوا عرضه في المجالس، وصار عندهم أحدوثة.

ومن أجل هذا صار يتعاطاه الشريف والمشروف، والغني والفقير والضعيف. ومن تصاريف الأقدار أن أوانيه دخلت كل دار، وجالت صينيته في البدو والحضر، وأغراب الخيم والمدر. ما أعظمه للعقول سحراً، مشى الهوينى فبلغ بها تلا وصحراء. فلا سلعة للتجار اليوم أنفق من سلعته، فيه جاءت تجار الطاغية، وباعوا البرابر الجبال الشاغية والراغية. والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويختار. فسبحان من يقول للشيء كن فيكون، ويخلق في كل وقت ما لا تعلمون.

[المشرفي، **نزهة الأبصار**، ص 271-273]

30. مدح الأتاي

نشر أوكوست موليراس (Auguste Mouliéras) الجزء الثاني من كتابه **المغرب المجهول** سنة 1899. وبفضل معرفته للغة العربية، تمكّن من أن يجمع معطيات ثمينة استقاها من جزائريين زاروا المغرب. وفي سياق وصف منطقة جبالة بشمال المغرب، أورد موليراس هذه القصيدة التي يُجهل اسم مؤلفها. وهي لا تخلو من فوائد إثنوغرافية.

إن الأتاي لا نعمة ما فوقَه — فما هو إلا أطيب الجنة
إن الأتاي لنَعمة زادت — وكل نعمة سُلطانها الشَّاهي
فرائضُ الأتاي سبع — بابُور سكَّر أتاي برَّاد صينية (80)
كيسان ماء صافي على النار طائب — سُننه سبع معلقة مجْمر
نعنع وعنبر زنْبيل — كعْب غزال خرقة مطرزة
لمسح الكيسان — والسينية وسُكرية
فَضائله سبع مرشة معمرة — بماء ورْد او زهْر ومبخرة
بعود القماري مع احْصى لُوبان — مناوله اديب شاب
وجلاسه أخيار — وتأنيسُه بالأشعار والأوطار
وشمعة طويلة — وحَسكة مذهبة
ومكروهَته ثلاثة — ماء غير طيب أو قبيح
وكثرة الناس وقلة الفلوس — وتشوُّش البال بقلة الفلوس

[مذكور في موليراس، ص 481]

(80) نجد الإستعارة الفقهية بشكل آخر في التراث الأدبي الموريتاني، وذلك من خلال نوع أدبي يسمى بالقف (من فعل «قف» بمعنى الأمر بالوقوف)، وهو «مصطلح فقهي يعني وحدة فقهية تتحدث عن موضوع معين»، وذلك وفق نموذج مختصر خليل بن اسحاق الذي تم تقسيمه إلى «أقفاف» قصد تيسير حفظه. أنظر نموذج أبي أحمدُّون الذي يتحدث عن الأتاي في نص منسوج على هذا المنوال، وهو مذكور في أطروحة محمد محمود بن سيد المختار، **أدب الشايات في موريتانيا**، ص 154.

31. [أواني الأتاي]

المكي البطاوري (ت 1936/1355) فقيه وأديب من الرباط، احتل مكانة شيخ الجماعة بهذه المدينة (81). وقد تولى خطة القضاء، وعُين في بعض المناصب المخزنية بطنجة والرباط. زار عدداً من البلدان الأوربية، وعينه السلطان الحسن الأول لتعليم بعض أولاده. وقد ترك حوالي ستين تأليفاً من بينها **شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة فيما يحتاج الأتاي إليه ويتوقف شربه وإقامته عليه**. وفي هذا الكتاب يشرح البطاوري القصيدة الشهيرة التي نظمها عبد السلام الزموري المتوفى سنة 1279 (1862م) (82).

ذكر [الزموري] رحمه الله (. . .) بعض ما يحتاج إليه الأتاي من الأواني وغيرها، وفي بعض ذلك تكرار مع ما تقدم. لكن لما كان المقصود من الخاتمة جمع ذلك، اغتفر التكرار. قال رحمه الله تعالى:

يُختار للأتاي بابُورٌ غَدا ... بلَوْنه الأصْفَر يَحْكي العَسْجَدا
ورجح البَقْراج عنه إلا ... لعَدَم مَن يأتي به وإلاّ
إذا المَقام يَقتَضي البابُورا ... كأن ترد أن تُرخي السُّتورا

أشار رحمه الله إلى أنه يختار وينتخب للأتاي بابور، وهو معروف من الأواني المستعملة المحدثة. وكان قبل حدوثه يستعمل البقراج الآتي الكلام عليه قريباً. وينبغي أن يكون البابور أصفر، يحكي في لونه العسجد، يعني الذهب. وقوله: ورجحوا البقراج، الخ. البقراج معروف أيضاً، وهو الذي كان يستعمل قبل حدوث البابور كما مر، إلا أنه لما كان يتوقف على المجمر حسب ما يأتي، أحدثوا البابور لكونه مغنياً عن المجمر لاشتماله على محل النار ومحل الماء، والمطلوب التخفيف وتقليل الآلة ما أمكن. ومعنى البيتين أنهم رجحوا

(81) ترك البطاوري سيرة ذاتية، تحمل عنوان: **ثمرة أنسي في التعريف بنفسي**، وهو نفس العنوان الذي سبق أن استعمله سليمان الحوات في سيرته الذاتية. أنظر كتاب عبد الله الجراري، **شيخ الجماعة المكي البطاوري**، ص 162.

(82) أوردنا هذه القصيدة أدناه، نص99.

استعمال البقراج على استعمال البابور، إلا في صورتين يتعين فيهما البابور. الأولى أن لايوجد من يناول البقراج ويأتي به ليصب منه في البراد، بأن كان الجماعة كلهم ممن لا يليق بهم ذلك. الثانية أن يكون المقام يقتضي البابور، كما إذا إريدت الخلوة وإرخاء الستور، فيتعين في هاتين الصورتين البابور. ثم قال:

واخْتَبر للبَقْراج ما يَحْمِلُه — من مَجْمر الصفْر يكُون مثلَه
ذا أرْجُل غَدا عَليها واقفا — فَيه من الماء الزُلال ما كَفى
ولا تَثق بصوته إذا غَلا — حتى تَرىَ البُخار للجَوِّ عَلا

لما ذكر أنهم رجحوا استعمال البقراج على استعمال البابور إلا فيما ذكر، وكان لا بد له من المجمر، تكلم عليه هنا. والمجمر معروف، وهو ما تجعل فيه النار، ويحمل عليه البقراج لطبخ الماء. ويشترط في المجمر أن يكون من الصّفر مثل البقراج، قصداً للمشاكلة. وقوله: ذا أرجل، الخ. حال من المجمر. فيشترط فيه أن يكون ذا أرجل طوال، لأنه أحسن منظراً وأسهل تناولاً، وضمير فيه للبقراج الزلال العذب. وقوله: ولا تثق بصوته، يعني لا تغتر بصوت البقراج إذا شرع في الغليان، وتظن أنه تم طبخه، وتشرع في العمل. بل لا تشرع في العمل حتى ترى البخار صاعداً إلى الجولان، ذلك هو الدليل على تمام طبخه وصلاحيته للعمل. ثم قال رحمه الله تعالى:

وانْتَخب الصّينيّة السَّنيَّة — من الكُؤوس قَد غَدَت مَليه
وقد جَرى العَمل في الكُؤوس — بَأن تَكون عَدَدَ الرؤُوس
برّادُها كأنّه شَيْخ غَدا — يُمْلي على الكؤوس منه سَنَدا

تقدم ما يتعلق الأولين عند قول الناظم: إن صب في كاساته، الخ. فراجعه ثمه. وقوله: برادها كأنه شيخ، الخ. البراد معروف، وهو الإبريق الذي يقام فيه الأتاي ليصب في الكؤوس. وشبَّه الناظم البراد مع الكؤوس بشيخ مع تلامذته يُملي عليهم، لأن الكؤوس تستمد من البراد كما يستمد التلاميذ من الشيخ، إلا أن الشيخ يُملي والبراد يُمَلأ.

[البطاوري، ص 182-185]

32. [في شرب الأتاي]

هذه أبيات لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمان الجشتيمي (ت 1327/1909). وهو فقيه وشاعر من سوس. ولد ونشأ في تييُّوت قرب مدينة تارودانت، وأشرف على تسيير المدرسة الجشتيمية بعد وفاة أخيه عبد الله.

تضلع من الأتاي ما اسْتَطعْتَ واتَّخذ قداحاً ظرافاً للتَّأنُّس والقُرْب
ولا تَتَجاوَزَ من كُؤوس ثَلاَثة تَنَل مُنتَهى اشْتهاء نَفسك في الشُّرْب
ولا تَقربَنَّهُ قَبل إفْرَاط نُضْج الماء والغَلَيان واجْتماعَك في الشُّرْب
ولا تَقبَلَنَّ مُناولاً غَير عَارف بأحْوالَ تَحْسين الشَّراب عَلى الدَّأب
ولا تَجلِسَنَّ في غَير مَجلِس نُزهَة عَلى أرْفَع الفِراش في المَنْزِل الرَّحْب

[مذكور في السوسي، **المعسول**، ج 9، ص 169–170]

33. [آداب مدير الأتاي]

ولد عبد الله بن محمد سنة 1298/1880، وتوفي بعد 1380/1961. وقد تلقى تكوينه بالمدرسة الإلغية ثم اشتغل بالتدريس في عدة مدارس بسوس، وأخذ عنه داوود بن عبد المنعم الرسموكي. وفي هذه القصيدة التي نظمها حول إقامة الشاي، نلاحظ أنه يولي اهتماماً خاصاً لنظافة الجسد.

لابُدّ في المُدير من نَظافة ومن لَطافة ومن ظَرافة
وأن يَكون طاهر الأعْضاء مِنَ وسَخ وظاهر الاغْضاء
بكَسْوَة حَسَنة نَقية وبِزَّة مَغبُوطة مُرضية
فإن يكُن مُتَّسخ الأبْدان فَما له في المُنتَدى يدان
لأنه مَجلَبة للتَّرَح مبخرة مدفعة للفَرح
وأن يُرى أهلا لسَرد أدب مُناسب لشُرب أهْل الرُّتَب
مُراعياً مِن مُقتضى المَقام والحال ما يُفضي إلى الوِئام فإنه

مُجانباً ذكر النسا في المُنتدى ... مُستهجن متى بَدا
لاسيما والمُنتدى بالأدبا ... قد خص أو بَعض لبعض قربا
وليَحفظنَ مُحاضرات الأدبا ... مُحترساً ممّا يُشين الأدَبا
من كُل ما يُفضي إلى تَكدير ... خَواطر الأصْحاب أو تَغيير
فَلا يرى في مَجلس نَوْمانا ... إن الكرى قد يَحفظ الندمَانا
وليَنْشرح مُنبسط الإيناس ... مُستقبلاً بوَجهه للناس
فلا يُرى يَبصق لكن إن خَرج ... عَن مَجلس القَوم لضر لا حَرج
ولا يُرى يحُكُّ بالأظفار ... إباطَه أو داخل الأشْعار
كذاك لا يدخل من أصابعه ... في أنْفه حرْصاً على تَوابعه
نَعم ولا مُمتَخطاً أو نَاتفا ... لشَعْر وَلا لصَدْر كاشَفا
وليَحْترس من أخْذه القَذانا ... والقَمْلَ والبَق أو الذُّبَانا (83)
وليَحْذر الشُغل بالاسْتَياك ... إذ ذاك بالأُصْبُع أو أراك
ولَعباً بطَرَف العَثْنُون ... وبالسبال فَهو من جُنون
إلىَ هُنا الهنا بي وَقَفا ... من أدَب المُدير حَسْبي وَكَفى

[مذكور في السوسي، **المعسول**، ج 2، ص 186-187]

34. [أتاي في سوس]

رحل محمد بن العربي الأدوزي (ت 1905/1323) عبر المغرب لطلب العلم، وتولى التدريس بعد أبيه بقرية أدوز الواقعة بسوس. وقد ألف في فنون متعددة. وعرف بمعارضته للطرق الصوفية ولاسيما الدرقاوية.

فصل وللأتاي شدّة اعْتنا ... من مُتوَسط وزائد الغنى
وَجَب أن يُفَرد بالكَلَام ... لَكن أبَت نَوازلُ الأيَام
لكنّه لابُد أن نذكُر في ... رَجَزنا هذا قَليلَا اصطُفي
فَلا تَمِل إلى مَقال المُنكر ... بفَهْمه الضعيف شُرب السُكر

(83) القذّان جمع قُذّة وهي البرغوث.

وقـولـهم صُـفيٌّ بالعظام أوْ بالدم فيـما شـاهدوه أو رَوَوْا (84)
بشـاهدَيِ عَـدْل يكونَ الحُكم حَسْـبما أدّى إليـه الفـهْم
مَن أيْن يَعـرفـان مـا هُنالك؟ ودُونهُـما قـد سُـدَّت المَسَالك
مُـعَـامِل السُّكر لا يَراها سِـوَى نَصَاراها ولا يَغْشَـاها
مَن ادَّعى أنه ذو عَـرْفـان مَـا ذاك إلا النقْلُ عن نَصْرَاني
وقَـولُه ليْس له مَن اعْـتبار في الحل والحَظَر ولا لـه يُصار
ولـيْس إلا أنَّه طَـعَـام أهل الكتاب الحل والسَّلام
إن الأتـاي حـلُّـه لا يُـنـكَـر ولا (قَـلاه) مَن بعلم يُذكَر
يَشـرَبُه كلٌّ من أهْل اللـه ومـا بهم مُـحَـرِّمٌ أوْنَاه
قـد ألَّف العـلاَّمَـةُ الزرهُوني مُـؤلفـاً كـالجَـوهر المَكْنُون (85)
في كـونه حـلاًّ فـمَنْ ذا يَنقُض كَـلامَـه من بعْـده أو يعـرض؟
من دَولة الشَّـريف اسْـمَـعيـلا الملك المُعـظَّم الجَلَيـلا
بُديءَ شُـربُه إلى أن انتَـشَـر وعـمَّ مَن بغَـرْبنا مَن البَـشـر
ووَجَـدَ الناسُ ذَوُو الإكْـرَام لـلـواردين غـايَةَ الانْعـام
إن كـان كُل خـيْـر مُـشـتَـهى أو لَم يَكُن لَم يَكُ أُنس انْتَـهى
لذاك فـالرَّجُل ذو الأمـوَال من عـالـم أو حـاكم أوْ وال
أو مَن لـهُ مُـرُوءَة أو الشَّـرَف أو مَن بمال غَـيْـره قـد اغْـتَـرف
لابُد أن يَتـخـذَ «الطَّبْلَة» في مَـنْزلـه لـوارد ذي شَـرَف
تَـزيد مـن وداده ومن قـواه ومن ترحـيب بضَـيْف قـد عَـراه
يُشـرقُ منهـا الوجـهُ من مُـضـيف إشْـراق شَـمس زَمَن المَصـيف
وتـكَـلـم «الـطـبـلـة» مَـن وراءَهـا فـلا يُبـالي أنْ يَرى سِـواها
وهي دَليلُ الخـيْـر إن أتتْ عَلَى البـاقـيـات الصَّـالحـات بالولا
فَـواجب تَنْظيـفُـهـا من الوَسَخ كَـذلك البَـرَّاد إنْ كـان اتَّسَخ
الحَكُّ والتـصْـقـيلَ للأواني لا بُدَّ منهُـمـا مَـدى الأوان

ومن يُقـيم الشُّـرب بَيْن الناس فَـلا تَكُن لـشَـرْطه بنـاس
شَـرْط وُجُـوبه نَقـاء الأرْدية حُـرية أصـالَة أريحـيـة

(84) حول هذا الموضوع، انظر النصوص الفقهية الواردة أدناه في الفصل الثالث.

(85) أوردنا فتوى الزرهوني، **تحفة السالك الراغب** . . . انظر أدناه، نص 59.

وشَـــرطُه الكامل أن يَكونا — من أُمَّـة للمَلف يَلبَسونا
وأن يَكون نَقيَّ الأطراف — مُستَجمِعا شَمائل الظراف
في **حَلبَة الكميت** شَيءٌ كثرا — ومنه يسْتَمَد من قد غَبرا (86)
وهو جَليل النَّفع في أبوابه — وكَمْ مَليك جَدَّ في اكْتسابه
وأن يكون مُتَواضعاً عَلى — مَذهَب مَن قد حَضَروا من المَلأ
وليْس يَخرُج ولَوْ أحْيانا — برأيه عَن قَصْدهم ما كَانا
من المُحال رَعْي كُل أحَد — مَن جالسيه بتَمَام المَقْصد
لَكن مَنٍ يُوافق الغالب ما — عَليه من لَوْم أمام الحُكَما
والحُرُّ واجَب كما مَرَّ وإنْ — لَم يَكُ فالتَّرتيب للغَيْر زكن
يُقدَّم العَبدُ على الحَرْطاني — والكَهْل قَبل الشَّيخ والغلْمان
ولَيس تَجْويز لحُرّ أن يُقيم — بَين الحَراطين بشَرْع مُستَقيم
إذ المُجانَسة في الأمور — شَرط مُسَلَّم لَدى الخَبير
وللضَّرُورات أُمور بالخُصوص — والمَرْء لا يَحْتاج مَعَها للنُّصوص
ومَن أقَامَ لَهم الحَرْطاني — عَليهم العود مَدى الأزْمان
لأنَّه أكْثَر خَلْق الله — سَخافَة وزائد المَناهي
ولَم أشُمَّ من جنْسه مَن أصْطفي — هَيْهات منهم أن يُرَى خل وَفي
إنْ كان لَا بُدَّ له من اشْتغال — فلْيَكنُس الزبْلَ لخَيْل وبغَال
هَذا الذي وَرث عَن أجْداده — لا يَرث الجَدَّ سوَى أوْلادُه
ولا تَرج الخَيْر من فَرْع دَني — يَمْنعُه الطَّبع منَ الوَصْف السَّني
والخَيْر في مَعادن الأخْيار — يُطلَب لا من مَعدن الأشْرار
هَذا إذا اسْوَدَّ وإن اغْبر لا — يَدْنُ من «الطَّبْلَة» ما بَين المَلا
لأن هَذا مَنْصب شَريف — أوْلَى به الأبْيَض والظَّريف
وكُل لَوْن من سوَى البَياض — يُنْبَذ عند الشُّرب بافْتراض
حَتى الذي اسْوَدّ من الأواني — بأصْله أو عارضَ الأدْران
من المَقاريج أو البَرارد — أو المَضَارب أو المَخادد
فَواجب إلْغاؤه والباقيَ — من غَير مَا ذكرت للحُذّاق

(86) **حلبة الكميت** هو عنوان كتاب ألفه شمس الدين محمد بن حسن النواجي القاهري الشافعي (ت 1455/859)، وقد تناول فيه أوصاف الخمر وآداب المجلس.

ذا مَذْهَبي ولسواي مَذْهب ... وللفَتى اخْتيار ما يَنْتخب
يَقول لا يُنْكرَ عنْد الأُنس ما ... سوى السَّواد قَطُّ بَين النُّدَما
لا بأسٍ بالقاني أو الأخْضَر أوْ ... أَصْفَر فاقع إذا الشُّرب انْتَدوْا
إن الزُّمَردي قال قَد عَلا ... عَلى الجَميع عند قَوم فُضَلا
تَعارضَت في الأكْدر الأدلَّة ... تَعارُض الشُّهُود في الأهلَّة
لكنَّما البَياض خَيْر جنسَه ... عندي والمَرْء فَقيه نَفسَه
لك الخيار فاجْتَهد أو اَتَّبع ... فَي المَذهَبيْن ماتَشا أو اخْتَرِع
لكن هَاتيك الفُروض الواجِباتَ ... لا تَهتُكَنَّها وانْتَخب في الباقياتِ

وكَرهوا إقامَة المَزْكُوم ... ونَحْوه لضَرِّه المَعلُوم
ويكره السلسِ والقُروح مَع ... بَاد لغَرهم ومن يكره دع
كَذا الأشَلُّ وذَوو العاهَات ... وسَيِّئوا الوُجوه والصِّفات
أُوصيك لا تَشْرب مَع الضَّرير ... وَصيَّة من عالم خَبير
فَلَو رأى اللهُ له خَيراً لأبْـ ... ـصَر كَمَا في ذكَره منه كتب
وللإمام الشافعي- كتاب ... ذَكَر فيه كُلَ ما يُعاب
لا بأسَ أن تكُون شَافعَيا ... هُنا إذا ما كُنْت أريحيا
تَتَبَّع ما قَد سَنَّه وشَرَّعَه ... في كُل ما خَفضَه أو رَفعَه
والنَّقْص لا يَتبَعُه الكَمال ... ونادر لَيْس به المَقال
واسْتَوص بالأعْرَج خَيراً ودَع ... فَمَا إَلى إسْكاته من مَطمَع
لذاك كان الأعَرَج الزَّمَخشَري ... عَذْبَ المَقال سَيِّء المُخْتَبر
يُعَدُّ حَتى حُجَّة الإسْلام ... من دُونه في الفَهْم والإفْهام
لحُمقه وجَهْله بالبلكفة ... بَعد أهْل الدِّين حمرا موكفة (87)
لَا بَأسَ أَن تُغلَق الأبوابَ ... إذْ ذاك أو تَتَّخذ الحجاب
ولَيْس ذا إلاَّ تَمام الظَّرف ... عندهُم ومن حُقوق الضَّيْف

ومجلسُ الأتاي مَا لَيْس يَليق ... به سوى المِهْذار إن هُو صَدُوق
وما السُّكوت فيه بالمَحْمود ... هَل نَحن في الرُّكوع والسُّجود؟

(87) يشير الأدوزي هنا إلى أبيات قالها الزمخشري، وهو معتزلي المذهب، قدحاً في أهل السنة.

ونُدبَت في المَجلس المُواجَهة لَدى تَعاطي الكأس والمُفاكَهة
والعددُ المذكورُ لابن مالك لمَن يُريد أحْسَنَ المَسالك
«ومُنتَهاه أربعٌ إن جَردا وَإن يزد فيه فَما ستّاً عَدا»
ولا نَرى تَقَرقُب التَّسْبيح فعل أخي تَجَهُّم مشيح
فنَحن في أُنس وفي انْشراح وفي ارْتشاف أشَرٍّ الأقْداح
لا في مَقام الذِّكر لكَنَّ الطغام ما مَيَّزوا بَين مَقام ومَقام
إن التَّسابيح إلى الخُضوع داعية وآلة الخُشوع
والكأسُ مَدْعاة إلى المُباسَطة والجَمْع ما بَيْنهُما مُغالَطة
مَن ليْس يَفْرح بوقْت الفَرح والرَّاح تفتر بوسَط القدح
إمّا بَخيل مُبصر أضْراره بكيسه أو أحَد المكارة
ولَيس بالمَذمُوم أن يُقاما رغم أنْفه من مَجلس النُّدامى
وأن يُؤَدَّبه مَن أقاما فَفاعل التَأديب لَن يُلاما
وكان بَعض سادَة بتزْنيتْ ممَن عَلاَ في فَضله والتَّثْبيت
حَلَف لا يُعْطي الأتاي سائلا حَظاً من السُّكر عَنه مائلا
وقال لا تَشرب متى العُمر بَقي مني، وَذاك فعْل مَرء مُتَّق
وبَعضُهم رفَع عَن أُناس «طَبْلَتَه» لَعَدَم اسْتيناس
ثُمّ اخْتلاط النّاس عند الشُّرْب به جَرى عَمَل أهْل المَغرب
قدَما خُصوصاً عندَ أهْل البادية لأنَّهما في كُل ضَرٍّ بادية
«وما عَلَى أهْل البَوادي من ضَرَر إن تَركوا بَعض مَحاسن الحَضَر»

الأكْل مَنصوص عليه باليَمين ولَيس للشَّراب نَصٌّ مُستَبين
كَذا لبَعضهم وفي **الرِّسالة** نص صَريح دافع ما قاله (88)
لَكنَّه لا فَرْق في القياس إلى اليَمين جَرى هَذا الكاس (89)
وحَسن ثَلاثَة أو مثْلها وتَرا وعادات لقَومك أتلها

---

(88) يراد هنا **بالرسالة**، المؤلف الشهير في الفقه لابن أبي زيد القيرواني (ت 386/ 996)، انظر ضمنها «الباب في الطعام والشراب» بالأخص.

(89) يشير الأدوزي هنا إلى قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

صددت الكأس عنا أم عمر وكان الكأس مجراها

واللّه وتر شاهد لذلك	فلا تكن مبذّراً المالك
وعندهم أن الثلاث واجبة	لكنّما القولة تلك الصائبة
والكأس في قول هو المعنبر	أو المنعنع وهذا أشهر
وهل الأول أو الأخير ؟	فيه خلافٌ عنهم مشهور
وقال بالأوّل أهل الحاضرة	وقولهم لم يخلُ من مكابرة
وقال بالثّاني سواهُمَ وهُم	من حيث صحّةَ المزاج أعْلَم
وفاز أهل البدو بالحلو كما	كان لغيرهم مرارة وما
قد أفسدوا أجسادهُم بالوَخْم	فجنّحوا للمُرِّ خوف التخم
وكثرة الألوان في الطّعام	على الدوام سببُ الإسقام
وليس للنّعنع حقاً من نظير	من كل مشموم بكاسك عطير
ما عابه طبعٌ سليم أبدا	وإن عليه أبداً قد لبدا
لأنه جمع حسنَ المنظر	مثل الزبرجد وطيب المخبر
يحمده حتى الّذي لم يدر	ما بين حلو سائغ والمر
مستنبت حتى بدار الملك	أوراقه كأنّه في سلك

[مذكور في السوسي ، **المعسول**، ج 5، ص 191-195]

35. مزيل النقاب عن طلعة الشراب

ينتمي داوود الرسموكي (ت 1389/ 1969) إلى أسرة عـالمة. وقد تلقى تعليمه بمدارس سوس ثم بمراكش. وتعاطى للتدريس والتـأليف لاسيـما في ميدان الشعـر. وقـد وضع **مزيل النقاب** سنة 1339/1921، وهو مـؤلَّف صـغـيـر يتـضـمن مـعطيـات إثنوغرافية ثمينة.

الحمد لله المتفضل على عباده بنعم لا تُحصى. ومواهب لدُنية لا تُستقصى، والصلاة والسلام على واسطة كل رحمة، منبع الحقيقة والحكمة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسائر الأمة. وبعد،

فقد وقفت على تأليف صغير الجرم عظيم النفع في حد الأتاي وشروطه ووقته وغير ذلك مما يتعلق به منسوب لبعض الأعراب الصحراويين أغرب في معانيه، وأبدع في مبانيه، وأردت ـ بعون الله ـ أن أضع عليه تعليقاً يكون كالشرح لُمقفله، والمستدرك لمغفله، وسميته **مزيل النقاب عن طلعة الشراب**.

فقلت مستمداً من الله التوفيق، إلى أقوم طريق: ولابد أن نقدم هنا مقدمة في حده وعده وحكمه.

أما حدُّه (90)، فكما قال فيه المصنف: «الأتاي ورق وماء مُزجا بسكر»، لكن في هذا الحد نظر لأنه غير مانع، لأن قوله: «ورق» يمكن أن يدخل فيه ورق غير الأتاي كالسعتر لمن استعمله للتداوي. اللهم إلا أن يقال: إنما هو رسم لأحد فيغتفر إذ ذاك ما هناك.

والأحسن أن يقال: شراب حلو من ورق الأتاي وسكر وماء.

فقولنا: شراب، جنس يدخل فيه كل ما يطلق عليه اسم الشراب.

وقولنا: حلو، فصل يخرج به ما كان مُراً.

وقولنا: متخذ من ورق الأتاي... الخ. فصل آخر يخرج به ما كان متخذاً من غير ما ذكر كشراب اللوز والتمر والعنب وغير ذلك، مما يتخذ منه الشراب.

(90) الحد لغة هو «الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر»، وحدّ الشئ من غيره: ميّزه. وقد اهتم الفقه المالكي بهذا الموضوع، ومن أشهر ما ألف فيه كتاب **الحدود** أو **التعاريف** لابن عرفة (ت 1316/1401).

ولا يقال : في هذا الحد دور، في قولنا : من ورق الأتاي، لاشتمال الحد على المحدود وتوقفه عليه، وذلك غير جائز لأنّا نقول : الأتاي المحدود غير المذكور في الحد لأن المحدود هو الشراب بعينه، والمذكور في الحد اسم لذلك العشب الذي تُجنى أوراقه، فقد انفكت الجهة وانتفى الدور.

وأما عده فهو ثلاثة أنواع (91) :

الأول : ما يجنى منه أولاً، وهذا أعلاه، ويختص به ملوك الصين لا يستعمله غيرهم.

الثاني : ما يجنى منه ثانياً، وهو متوسط بين الجودة والرداءة، وهو مختص أيضاً بعمال الصين لايستعمله غيرهم.

الثالث : ما يجنى منه ثالثاً، وهو أردؤه وأقله نفعاً، وهذا الأخير هو الذي عم الأقاليم كلها.

وتحت هذه الأنواع أنواع أخرى (92) :

- منها المفتول، وهو أحسنها وسيأتي وصفه.
- ومنها المكركب، وهو أوسطها.
- ومنها النميل، وهو أردؤها.
- ومنها أنواع أخرى غير هذه.

وأما السكر فمن فوائده أنه يغذي البدن غذاء جيداً ويسمن، وينعش الأرواح والقوى، ويملأ العروق خلطاً جيداً، ويشد العظام والعصب، ويقوي الكبد، ويذهب الأخلاط السوداوية وما يكون عنها كالوسواس والجنون، ويسكن القولنج بالماء الحار، ويزيل السدد وعسر البول والقبض وما في نواحي السرة شرباً بمثليه من السمن حارين، ويزيل الزكام بخوراً عن تجربة، ويوصل الأدوية إلى أعمال البدن لشدة سريانه وجذب القوى له، ويشرب على الريق فيحفظ القوى، وإدامة استعماله تمنع الهرم، ويزيل القوباء والبهق والبرص والكلف والآثار، طلاء مجرب.

---

(91) حول هذا الجانب، انظر كذلك أدناه، نص 71 للحمومي.

(92) حول أنواع الشاي المستهلكة بالمغرب، انظر الملحق الاقتصادي، «مذكرة حول تجارة الشاي بالمغرب»، ص 400-401.

وإذا ذر في الجراحات الضيقة وسعها وأكل اللحم الزائد، وأدمل القروح مجرب. وهو يولد المادة الصفراوية خصوصاً إن شرب على جوع، ويضر بأهل السل، ويصلحه الحليب والحوامض. ذكره في **دليل الرفاق** (93).

وأما حكمه: فالمشهور الذي لا يحيد عنه حليته وجوازه فهو داخل تحت عموم آية المائدة كما ذكره غير واحد. (. . .) (94).

ثم قال المصنف مفتتحاً بالبسملة والحمدلة تقديراً وبالمقصود تصريحاً: «الأتاي ورق وماء مزجا بسكر»، هذا الحد ـ كما قدمنا ـ غير جامع.

ثم قال: «لا كقرنفل وحناء»، لا كقرنفل معطوف على «بسكر»، أي ممزوج بسكر لا كقرنفل، وأدخلت الكاف ما أشبه الحناء كـ «فلي» وغيره، وهذا إذا حملناه على أن القرنفل يجعل مع الأتاي، وأما إن حملناه على أنه يقوم بالقرنفل وحده دون حضور أوراق الأتاي، فما أظن أن هذا كان ولا يكون، فضلاً عن أن يجوز إلا عند غوغاء الناس.

ثم قال «واستحسن مفتوله». تكلم هنا على النوع الأحسن من أنواعه الثلاثة المتقدمة وهو المفتول كما أسلفنا في المقدمة.

ثم قال: «ووجب إن عرف وقدر»: يعني أن المفتول واجب إذا عرف وميز بين أخويه وقدر على تحصيله، فشرط وجوبه أمران: المعرفة والقدرة، وحيثما تخلف واحد منهما انتفى الوجوب حينئذ فيجوز استعمال غيره ضرورة.

ومفهومه: إذا حصل الشرطان لا يجوز الميل عنه وهو كذلك ولا عبرة بمن لا ذوق له من المخلطين، الذين لا يميزون بين أنواعه.

قوله: «وقدر»، أي إذا كان مقدوراً على تحصيله بأن كان موجوداً في البلد، ويمكن اشتراؤه بأن كان رخيصاً.

وفي كون الغلاء من جانب القدرة، فيجب ولو مع الغلاء وهو الأصح، أو من جانب عدمها، فلا يصح أقوال. ثم انتقل إلى من يستحق تقويمه فقال: «وإقامته لذي فضل

---

(93) حول منافع السكر من الوجهة الطبية، راجع أدناه، نص الأنطاكي، رقم 77. ويشير الرسموكي هنا إلى كتاب **دليل الرفاق على شمس الاتفاق**، الذي ألفه ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين، وقد طبع على الحجر بفاس سنة 1321/1903.

(94) أورد المؤلف هنا عدداً من المقاطع الشعرية التي يختلف موقف أصحابها في موضوع الشاي بين مجوز ومحرم. وقد حذفنا هذه المقاطع لأن القارئ سوف يلتقي بها في مواضع أخرى من هذا الكتاب ولاسيما في الفصل الرابع.

اعتاد» : يعني أن إقامة الأتاي لا يستحقها ولا يتولى أمرها إلا من كان من ذوي الفضل في ذاته وملبسه بأن كان أبيض نقياً شاباً إن أمكن، وكان ذا هيئة حسنة وبهجة أنيقة ونكهة عابقة، وكان ذا خبر وقصص وحكايات، وكان أبيض الثياب. وأما الأسود فلا يجوز توليته لتقويمه بحال على ما أجمع عليه أرباب الذوق السليم، والنهج المستقيم.

كما قيل :

وساق صَحيح الوَجْه والثّوب وليكُن ... مَليحاً مَلياً بالنّوادر والخَبَر
أديباً لَبيباً مُنصفاً مُتَواضعاً ... لَطيفاً ظَريفاً بالفُكاهَة والغَرر
مَحاسنُه تكْفي اَلجَليسَ ولا يكُن ... مَريضاً ولا عَبْداً ولا مَن به عَور
ولا أبْرَصاً أو أقْرَعاً مُتقرِّحاً ... ولا شارباً للْكيف أو يَنظُر اَلشَّزر
ولا أعْمَش العَينَين أو صَمّ سَمْعه ... ولا أجْرَباً واحْذَر ثَقيلاً عَلى النَّظَر
ولا لابساً مثْل «الخَنيف» ومَن لَه ... عَمامَة صوف أو مُرقَّعَة الإبر [95]
كَذا فَاجْتنب جلفاً عَنيفاً وطائشاً ... وخِفَّته تَرْمي المَسَرَّة بالشَّرَر

ولا يعترض بأنه ربما عدم الأبيض في بعض المجالس وليس فيه إلا السود، وحينئذ فلا يتأتى هذا الشرط وهو تقويم الأبيض، لأنا نقول كلا منا مع البيض لا ضدهم ولأن النادر لا حكم له، فإن هذا نادر وإن كان كثيراً في نفسه.

وقوله «اعتاد» أي بأن يكون رب «الطبلة» مواظباً على عملها ولا يجوز أن تُعطى لغيره إذا كان صحيحاً حاضراً خلافاً لما يفعله بعض رعاع الناس الذين لا خبرة لهم بأحوالها، ولا ذوق عندهم بأسرارها، ولا اعتناء لهم بتحصيل شروطها الذين ينقلونها كل يوم عن محلها بل كل وقت بأن يتولاها هذا تارة وهذا أخرى فتتسلسل، بل ربما نزل بهم ضيف متعب يجد السير، فأعطوه إياها ويرون أن ذلك مكرمة. هيهات بل ذلك معرة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ثم انتقل يتكلم على عدد كؤوسه المتداول بين الناس فقال : «وحده أربع وهو الأرجح» : يعني أن حد ما يشرب منه من الكؤوس إذا استعمل أربع وهو الأرجح، هذا منطوقه، وفهم منه أن ما دون الأربع لا يجزئ. وهو خلاف ما عليه العمل منذ أعصر طويلة، فإن العمل

(95) "أخنيف" هو لباس للرجال من نوع السلهام، وهو قصير ومصنوع من صوف أسود. أنظر أدناه، نص فوكو، رقم 45.

على ثلاث ولا يخفى أن ما به العمل وإن كان غير مشهور، مقدم على غيره وإن مشهوراً. بل ما عليه عمل الناس له مسند من كلام العرب.

قال بعضهم :

وكَـأس مـثْل عَـيْن الدِّيك صـرف تُنْسي الشّـاربينَ لَهـا العُـقـولا
إذا شَـرِبَ الفَـتى منِهـا ثَلاثـا بغَـيْـر المَاء حـاوَل أن يَطـولا

والشاهد في قوله : إذا شرب الفتى منها ثلاثا، فإنه صريح بأن عمل الأوائل على الثلاث أيضاً. اللهم إلا إن كان غير كيسي بأن لم يشتره بما في كيسه من الدراهم بل شربه عند الغير مجاناً، ويسمى أيضاً بالحمدلي لأنه لا يطالب في مقابلته إلا بالحمد لله، تقبل الله. هذا هو المعول عليه في تحقيق هذا المقام.

وأما قوله «وفي أجزاء ثلاث تردّد»، فهو منحط على الحمدلي الذي قلنا بجواز الأربع فيه، وهو الذي فيه هذا الخلاف، وأما الكيسي فقد تقدم أن العمل على عدم جواز تعدي الثلاث فيه، فكيف يتصور عاقل عدم إجزائها فيه، فافهم ولا يشتبه عليك المقام فتقدم رجلا وتؤخر أخرى.

ثم أشار إلى الوقت الذي يجب فيه، فقال : «وزمن شتاء وعند تعب وبعد كلحم». فقوله : «وزمن» متعلق بقوله : «ووجب إن عرف» الخ. وكذلك «عند» و«بعد» يعني أنه يجب استعماله بالعكس، ولا بدع في ذلك، لأن الضدين قد يجتمعان، بل لا حجر على الله تعالى يفعل ما يشاء، «لا يسأل عما يفعل وهو يسألون»، وكذلك «بعد التعب»، يجب استعماله فيه لأنه يذهب التعب بالكلية وليس للتعب أنجع منه. وكذلك «بعد كلحم»، ادخلت الكاف كل ما له عمد وقوة، بل جرى به العمل الآن بعد كل شيء حتى الحسو بل منهم من يشربه على الريق بلا تقديم شيء عليه، ولا مشاحة لأن المذهب هنا أوسع من العراق (96). ومفهومه أنه لا يجب في غير هذه الأحوال وليس كذلك، بل واجب أيضاً وقت الحر ووقت الاعتدال، فلا مفهوم لقوله : «زمن شتاء» اللهم إلا أن يقال : المراد الوجوب المؤكد فلا ينافي أنه أيضاً يجب في غيره، ثم قال : «وهل تكره الحناوية أو تمنع خلاف». يعني أن الأتاي المشبه للحناء في الحمرة، ولا ذوق فيه ولا نسمة، مختلف في

(96) من المعروف عند الفقهاء أن «مذهب مالك أوسع من [مذهب أهل] العراق إلا في باب الصرف والطلاق». حول هذا الموضوع، انظر الحجوي، **الفكر السامي**، ج1، ص 310-315.

جواز استعماله، قيل بالكراهة وقيل بالحظر وهو الأصح [97]، وأما الجواز فلم يقل به أحد إلا إذا لم يوجد غيره فللضرورة أحكام تخصها.

تنبيه : يجب على من أراد شراءه أن يفحص عنه كل الفحص لأنه ليس شيء يعتني به أهم منه، فلا يتساهل فيه ولا يثق فيه بخبر مخبر ولا بلون رائق، ولا برائحة ذكية لأن ذلك كله قد يتخلف، فلا يصدق إلا البراد كما قيل :

فَلا تَثِقن بِمُخبِرين بِطيبِه ... فَمِعْيارُه البَرّادُ والذَّوقُ لا الخَبَر

ولا يشتري أيضاً من بائع سمج فظ غليظ القلب قبيح المنظر، لأن عينه فراره، بل من سمح لين الجانب ذي الأخلاق المحمودة اللطيفة نقي البشرة والنكهة واللبسة كما قيل :

إذا رُمْتَ من سُوق التُّجار شراءَه ... فمن بائع سَمْح الخَلائق ذي البشر
فخُذهُ رَقيقاً أبْيَضَ اللَّونِ يَابِساً ... وسُكَّرُه الثَّلْجي أقْسى مِن الحَجَر

ثم قال :

وإقامَتُه بِماء طابَ كَوَرَق، ... بِكَأسٍ وسُكَّر اعْتيد لا كَباسِط

تكلم هنا على الإشارة التي يتركب منها وهي أربعة على ما ذكر :

- الأول : الماء، ومن شرطه أن يكون طاهراً نقياً صافي الجوهر طيباً غالياً فوق النار مدندناً كما قيل :

وهَيِّأ له ماءً طَهُوراً وصافِياً ... خَفيفاً سَليماً من رَوائح أو قَذَر
ولاتُسْرِعَنَّ حَتى يُدَنْدن غَالِياً ... فتَغْريدُه للسَّمع أحْلَى مِن الوَتَر

ومن أحسن ما قيل في «المقراج» إذا دندن قولي :

باللَّه حَدِّثْني عَنِ المُقراج ما ... بالُ النَّشيج بصَدره كَمْ يَعتَلي ؟
أبُكاؤُه لِفراق مَن يَهْوى فَما ... بال الدُّمُوع بجَفنه لَم تَنْزِل ؟

- والثاني : الورق، وهو الأتاي بعينه، وتقدم الكلام عليه مستوفى.

---

(97) يؤكد ما ورد هنا رفض معظم المغاربة للشاي الأسود الذي سمي ب«الحناوية».

ـ والثالث : الكأس، وهو الزجاج الذي يشرب منه، ولا يقال له كأس إلا إذا كان مملوءاً بالشراب وإلا فهو زجاج، ويقال له أيضاً : جام [98].

والكأس مؤنثة، قال الله تعالى : «بكأس من معين بيضاء». والجمع كؤوس، وفيها أنواع عديدة أحسنها «البنار والطوس» [99].

ـ والرابع : السكر، وهو فارسي معرب واحدُه سكرة، ومن شرطه أن يكون حجرياً ثلجياً، لا مدقوقاً، فإنه ليس بشيء. اللهم إلا إن لم يوجد الحجري فللضرورة أحكام تخصها. وقوله : «اعتيد»، يعني أن الأفضل منه المعتاد، وهو المسمى بـ «الفرنسيس» القاسي كالحجر، واحترز به عن الباسط، فإنه غير جائز وصرح بهذا المحترز في قوله : «لا كالباسط» لشدة الاعتناء به، والباسط معلوم لدى أربابه، وهو غليظ قليل الحلاوة.

تنبيه : بقيت عليه أشياء لم يذكرها، منها ما هو شرط وجوب، ومنها ما هو شرط كمال. أما التي للوجوب فهي «الطبلة» وهي أنواع : أحسنها معدنية ذات أرجل ويجزئ غيرها بقلة إن لم توجد، والبراد وهو أنواع أيضا أحسنها معدني.

مخطط المتن كمتن الأفعوان.

والمقراج، وهو أنواع أيضاً، أحسنها ما كان مركباً من حمرة وصفرة، ويكون من جنس مجمره. ويصح تبديله بـ «البابور» على إحدى الروايات المصححة، هذه شروط الوجوب. أما شروط الكمال : فمنها ما هو أوكد كالنعناع، وهو أنواع : أحسنها ما كان صغير الورق، عابق النكهة، طيب المغرس. وتليه في الأوكدية «الشيبة»، وهي صالحة للاستعمال وقت البرد فقط، لأنها سخينة الطبع ويليها «بردقوش» [100] وسوى هذا من الأعشاب، فضرره أقرب من نفعه سوى العنبر الشحري، فهو المقدم على الجميع، كما قيل :

ومَــذهَبُنا أن لا يُشــابَ بغَــيْــره   سِوى العَنْبَـر الشَّـحْري فـهُـو خـتـام

ومن شروط الكمال أيضا، دخان العود الهندي وماء الزهر والمجلس البهيج والشُرب النقيون. وسيأتي التصريح بالأخيرين في كلامه.

(98) الجام هو إناء من فضة كالكأس يتخذ للطعام والشراب.

(99) البنار تسمية محلية للبلّور.

(100) هو أحد الأسماء التي تطلق على عشبة المرددوش.

ثم انتقل يتكلم على بعض آدابه الواجبة على مقيمه فقط، فقال : «وقلة رد وطمأنينة بين أركانه»، يعني أنه يجب على مقيمه أن يقلل رده في البراد، والقلة بمعنى التقليل إذ لا تكليف إلا بالفعل، ومن أكثر رده أخطأ وأساء، ويجب عزله عن توليتها لأن ذلك مما يمجه الطبع السليم. وقوله : «وطمأنينة» : يعني أنه يجب عليه أيضاً أن لا يسرع بصببه في الكؤوس وتفرقته على الجلاس بل يطمئن مقدار الواجب، لكن لا يفرط غاية حيث لا ينسى الأول. ويكون في البرودة على أقصى الغايات، فإن ذلك أيضاً مما ينفر عنه الطبع بل يقتصد، فإن السنة في الأمور الاقتصاد، ولذلك يطلب منه أن يكون ذا أخبار وحكايات مطربة يطوي بها تلك المسافة حتى لا تطول على الندماء.

ثم قال : «وتشهير ثالث ورابع جمر» (101) : وهو مبتدأ حذف خبره تقديره والراجح «تشهير ثالث» . . . الخ. يعني أن الثالث مشهر وكذلك الرابع المجمر، لكن اعترض عليه بأن الثالث واجب لا مشهر، كما تقدم، فالأولى إسقاطه، اللهم إلا إذا قصد به مذهب بعض الناس المقتصرين على اثنين ويترددون في الثالث. وقوله : «جمر»، فالأولى إسقاطه أيضاً، لأن هذا التجمير غير عام، بل لا يستعمله إلا بعض الناس الذين لا اعتناء لهم بحفظ ضوابط الشراب، بل أفرطوا في تضييعها بالكلية حتى أغفلوها بأسرها، فتراهم يستصبحون بالقنديل المريض النور المتوسخ الذبالة كأنهم لم يسمعوا قول القائل : «ولا نرى الأتاي بالقنديل . . . »، الخ.

وما يكفيهم ذلك، حتى جعلوا الكؤوس فوق الحصيرة أو العود المعروف عندهم ب «المرفع» (102)، هذا كله مما تأباه الهمة الشماء، والمروءة القعساء، لأنه ليس من النظافة في شيء، ومعلوم أن أمور الشراب كلها مبنية على النقاوة، بل ربما تشم رائحة اللؤم في ذلك التجمير لأنه لا تسمح نفسه بتافه يبقى في أوراق الأتاي، وهذا كله ما يجب التحفظ من مثله، وقد يجاب عنهم بأن بلادهم مفرطة في البرودة خصوصاً أوقات الثلج لأنهم قاطنون في رؤوس الجبال، فتسري البرودة إليهم بسرعة، فيحتاجون لتسخينه ومن قاربهم يعطي حكمهم للقاعدة : «ما قارب الشيء يعطي حكمه».

[ضمن الراضي، ص 200 - 210]

---

(101) في سوس والصحراء، تُستعمل كلمة «التشهير» بدل «التشحير».

(102) يراد ب«المرفع» المائدة، وهي تُستعمل في سوس للأكل وتحضير الشاي.

36. [صراع طريف بين قبائل الشاوية]

ولد هاشم المعـروفي بالدار البيضاء حوالي 1897(15-1314)، وقد عمل خطيباً وواعظاً، وتولى الإفتاء والقضاء بهذه المدينة. ونظراً لشغفه بالتاريخ، فقد انصرف بعد تقاعده إلى تأليف كتاب **عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور.**

تنتمي أحداث هذا النص إلى سياق «السيبة» التي عاشتها منطقة الشاوية في بداية هذا القرن، و«يتدخل» قالب السكر في الصراع القبلي، بشكل يوحي بالمكانة التي يحتلها أتاي والسكر داخل المخيال الجماعي.

كانت الدار البيضاء سوقاً لقبائل الشاوية، يبيعون فيه منتوجاتهم الفلاحية والحيوانية، ويشترون منه حوائجهم الضرورية والكمالية. وكانت مادة السكر على نوعين : قالب كبير وقالب صغير، وزنه [الكبير] 5 كيلوغرام، والصغير وزنه 2 كيلوغرام[103].

ففي سنة 1322 هـ[1904-05] وقعت حادثة بالدار البيضاء، وهي أن جماعة من أعراب الشاوية وقفوا على دكان تاجر في السكر والشاي، وهم أخلاط فيهم الحريزي والمزابي والمديوني. فطلب حريزي من التاجر المذكور أن يناوله قالباً من السكر، فناوله قالباً صغيراً، فقال الحريزي على سبيل الفخر بقبيلته والسخرية بقبيلة أمزاب : هذا قالب صغير أمزابي، وأنا أريد قالباً كبيراً حريزي. فرد عليه أحد من قبيلة أمزاب : بل القالب الكبير هو المزابي، والقالب الصغير حريزي. فوقعت بينهما مشادة كلامية حتى كادوا أن يتشاوروا. وكان بعض العقلاء حاضراً، فجعل يخفضهم حتى سكتوا.

وبعد رجوعهم لقبائلهم، كانت هذه القصة حديث المجالس في مجتمعاتهم. فأنف المزابيون، بما فيهم قبيلة لعشاش، أن يساموا بالسخرية والاستهزاء من قبيلة أولاد حريز، وعدوا هذه الكلمة عاراً في جبينهم يجب عليهم رفعه ولو بالحرب. وفعلاً عقدوا جمعاً

(103) حول حجم قالب السكر، قال الطيب بن إبراهيم بسير الرباطي (ت 1271 /1854-55) :

أتاني أتاني بحمل أتاي شربته صيفي وزدت شتاي
قوالب سكره عظمت إذا ما رأيتها قلتُ : الأي

انظر ابن زيدان، **الاتحاف**، ج 3، ص 89.

لدراسة هذه المسألة، فاتفقوا على الهجوم على قبيلة أولاد حريز لحربهم، ولا يرجعون عن ذلك إلا بالتصريح منهم بأنهم هم القالب الصغير وأمزاب القالب الكبير. وفعلاً اجتمعوا على تنفيذ ما اتفقوا عليه. ولما وصلوا إلى قبيلة أرياح المجاورة لهم في طريقهم، ذهبوا إلى دوار الحاج قدور ابن الحاج عبدالسلام الرياحي، وهو من كبار أغنياء أولاد حريز وعقلائهم، فخرج إليهم وسألهم عن مقصودهم، فأخبروه بالهدف الذي من أجله قدموا، وأنهم لا يرجعون إلا إذا سمعوا منهم أن القالب الكبير هو أمزابي، وأن كلمة القالب الصغير هو الحريزي. فأجابهم بأن لا يقول هذه الكلمة إلا ساقط، ولا يقول بها عاقل من أولاد حريز. وألزموه بأن يقول: القالب الكبير هو المزابي، والقالب الصغير هو الحريزي. فصرح لهم بها فانتهت المشكلة بهذا الحل، وعدوه صلحاً منه ورجعوا إلى قبائلهم.

وبعد ذلك رفعت القضية من الصلح على هذا الوجه، فلم يقبله أعيان أولاد حريز، وعدوا هذا الصلح عاراً في جبينهم، فيجب عليهم رفعه ولو بالحرب. فجعلوا يتحرشون بقبيلة أمزاب، ويستفزونهم، ويتلقوا لقوافلهم الذاهبة إلى الدارالبيضاء على طريقهم، يطلبون منهم واجب الخفارة [104]، وربما نهبوا لهم بعض أمتعتهم. فاجتمع أهل الحل والعقد من قبيلة أمزاب، ودرسوا هذه المسألة، وأجمعوا على الهجوم على أولاد حريز، فرد عليهم بعض العقلاء : إن هذا الهجوم يعرضكم لغضب السلطان وحربه لكم. والرأي أن تقدموا شكاية لخليفة السلطان بالدارالبيضاء، وهو الأمير مولاي عبدالمالك ابن السلطان مولاي عبدالرحمان، وتشعروه بأنهم كانوا عازمين على الهجوم على قبيلة أولاد حريز. ولم يردهم إلا الخوف من عقاب السلطان.

فقدموا إلى الأمير مولاي عبد المالك، وقدموا هذه الشكاية، وأنهم كانوا قد اصطلحوا معهم وأرادوا نقض الصلح. ففرح بهم مولاي عبد المالك خليفة السلطان، وأجابهم بالاطمئنان، وأنه سيقوم بالواجب. وفعلاً كتب إلى السلطان، فأجابه السلطان بالرسالة التالية نصها :

بعد الحمدلة والتصلية،

عمنا الأرضى مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وبعد، وصل كتابك بأن أولاد حريز يرمون نقض الصلح الواقع بينهم وبين قبيلة أمزاب

(104) تسمى الخفارة في الاصطلاح المغربي «الزطاطة»، وهي تعني مرافقة وحماية المسافر بمقابل لاجتياز المسالك غير الآمنة، وتعني في سياق هذا النص إجبار المسافرين والقوافل على أداء واجب عند المرور عبر أراضي بعض القبائل.

والأعشاش، بتعرضهم لهم بطريق الدار البيضاء، وقبضهم الخفارات منهم، ونهبهم بعض أمتعتهم، وعاملهم غاض الطرف عنهم في ذلك. وقد أكثر أمزاب والأعشاش من التشكي بالضرر الحاصل لهم، ولم يصدهم عن مقابلة المذكورين بمثل فعلهم إلا ما يرقبونه من عقوبة جنابنا الشريف، مشيراً بالتعجيل بصدور أمرنا الشريف لعامل أولاد حريز بالمتعين قبل تجديد الفتنة بين الفريقين الخ، وصار بالبال. فقد أصدرنا له أمرنا السامي بالله بتدارك ذلك والوقوف فيه، والسلام.

في 7 ربيع الثاني عام 1322 هـ [21 يونيو 1904]

[المعروفي، ص 333-335]

37. [عن عيسى بن عمر]

كان عيسي بن عمر العبدي (ت 1343/ 1924) أحد نماذج القواد الكبار الذين برزوا في نهاية القرن الماضي. وقد انطلق نفوده من قبيلة البحاترة ثم امتد إلى مجموع اتحادية قبائل عبدة وشمل في عهد ابّا احماد قبائل دكالة والشياظمة كذلك. وأسندت إليه وزارة البحر في دولة السلطان عبد الحفيظ. وقد ترك عيسى بن عمر في الذاكرة الجماعية صورة القائد المستبد على غرار الكلاوي والكندافي. ويحضر موضوع الأتاي في هذه الحكاية التي نشرت بالفرنسية ضمن مجموعة حكايات خاصة بمنطقة عبدة، وذلك في كتاب أصدره حميد مقدم، المولود في الثلاثينات بأسفي.

مثُل رجل من قبيلة تامْرة (105) أمام القائد [عيسى بن عمر] بسبب ارتكابه لجنح خطيرة، فحوكم وألقي به في السجن. وبعد مرور بضعة أيام على اعتقاله، جاء ممثلون عن القبيلة، يلتمسون من القائد أن يطلق سراح السجين. فأجابهم :

- أوضحوا لي، من فضلكم، لماذا تريدون أن أطلق سراح إنسان صدرت منه مثل تلك الجنح؟

(105) تنتمي قبيلة تامرة إلى اتحادية عبدة الواقعة جنوب السهول الأطلنتيكية.

- ليكن في علمكم، سيدي، أننا لم نشرب الأتاي قط منذ اعتقال هذا الرجل ! فهو الوحيد من بين أعضاء القبيلة الذي يتقن تحضير الأتاي.
- اذهبوا إلى دار الضيافة.

فذهب الوفد هناك. ونادى القائد على الحارس، وأمره بأن يطلق سراح السجين، ويزوده بلباس لائق، و يحضره في وقت الأتاي.

قُدم طعام الغذاء للجميع. وحين جاء وقت شرب الأتاي جيء بالسجين، وأحضرت له جميع أواني الأتاي. فنادى القائد أحد خدّامه، وهمس إليه قائلا :

- بمجرد أن يبدأ الماء في الغليان، أضف إليه قدحا من الماء البارد.

وهذا ما حصل بالفعل. ثم بدأ الماء يغلي من جديد. فأقام السجين الأتاي، وصبه، وأعاد، وذاقه، لكن لم تظهر عليه علامات الرضا. فالمشروب الجاهز لم يناسب مذاق ذلك الرجل الذي كان إتقان الشاي موهبته وهوايته المفضلة.

مل القائد من الانتظار، فقال للسجين :

- ماذا تنتظر لتصب لنا الأتاي ؟
- لقد تلقى الماء طعنة في جوفه. فلا يجوز أن يُقدَّم لكم، يا سيدي.
- اذهبوا بأخيكم ! فقد عفوت عنه.

[مترجم من الفرنسية عن : مقدم، ص 170-171]

38. [هدايا الزواج بعبدة]

أحمد بن محمد الصبيحي (ت 1363/1944) من أسرة سلاوية معروفة. تقلد عدة وظائف مخزنية، وقد عُين سنة 1918 ناظراً على أحباس أسفي، فأقام بهذه المدينة أكثر من ثلاث سنوات، ووضع أربعة مؤلفات حول أسفي ومنطقتها، ومن بينها **باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة**. وهو كتاب يجمع بين التاريخ المحلي والوصف الإثنوغرافي.

عادة الزواج بأسفي أن أهل الزوج لما يتراكنون مع أهل الزوجة، يرسل الزوج إلى دار

الزوجة نحو ثلاثين طيراً من الدجاج، وآنية صغيرة من السمن، ونحو خمسة أرطال[106] من الزيت، وآنية صغيرة من العسل، وكبشاً، ومائدة مملوءة سميداً، ونحو أوقية من الزعفران، وقالباً كبيراً من السكر يزن نحو 25 رطلاً، ونحو رطل من الأتاي، و5 من الشمع، و5 ريالات للمسمعات والمزغرتات[107]. فيقوم أهل الزوجة بتيسير الطعام لأهلي الزوجة والزوج والعدول، ثم يحضر الجميع في يوم معين للعقد الرسمي، وهو في الوسط على صداق مائة ريال إفراداً لعجلة وكبش، وآنية سمن، وخروبتين (120 كيلو) من القمح، وعشرة أرطال من الشمع، وقالب كبير من السكر، ورطلين من الأتاي، وثلاثة أريلة للحمام ولوازمه.

ثم المرأة تأتي للرجل بناموسية نحاس وزربية، وثلاث مضربات، ولحافين، واثنتي عشرة مخدة وغطاء وكساء، وحسكتي صفر، وطست، وصندوقين كبير وصغير، ومرآتين كذلك، ومائدتين، وطست للحمام.

وقبل الزفاف يجعل الزوج الإطعام العام في يوم أو يومين أو ثلاثة.

وفي ليلة الزفاف يذهب أهل الزوج إلى دار الزوجة ليأتوا بها إلى دار الزوج في القبة، التي تكون مكسوة في شارة حسنة، ومعها في القبة صبي من أهلها فوق بهيمة جيدة والطبل والغيطة يسمعان الناس أحسن النغم. فيوصلونها كذلك إلى دار الزوج ويدخلونها، ثم يذهبون للإتيان بالزوج الذي يكون في الانتظار مع أصحابه وأحبابه في زاوية أو دار، فيخرجون به ذاكرين ومغنين. ولما يصلون به كذلك إلى الدار، يدخلون معه إلى البيت الذي به العروسة التي تكون إذ ذاك في ناموسية مكسوة فيقرأون «يستبشرون» إلى آخر السورة وغيرها من القرآن، ثم يخرجون. وفي صبيحة ليلة الزفاف يوجه والد الزوجة إلى الزوج وأصحابه الذين يكونون معه نحو عشر موائد من الطعام.

وفي هذا اليوم تتم أعمال العرس عندهم، وهي والحق يقال أفضل بكثير من عادات أهل بعض مدن المغرب الذين أفرطوا في قدر الصداق الذي يقدمه الزوج للزوجة، وفي قدر الشورى[108] التي تذهب بها الزوجة إلى الزوج، وفي تطويل أيام العرس والإسراف في لوازمها. وقد انتبه بعض نبهاء مدن المغرب إلى وخامة عاقبة ذلك فنقحوه، وتفضل المخزن

---

(106) وحدة وزن مقدارها حوالي نصف كيلوغرام.

(107) المسمعات هنّ النساء اللواتي تحترفن إنشاد السماع.

(108) وتسمى أيضاً «الشوار» بالعامية المغربية، ومعناه الأثاث التي تأتي به العروس إلى بيت الزوجية، ويبدو أن هذه الكلمة غير متداولة بمدينة أسفي.

الشريف بتعضيدهم بإصدار الظهائر الشريفة بمساعدتهم على ما اتفقوا عليه شفقة على الرعية وحرصاً على المصلحة القومية. والمؤكد سريان ذلك إلى سائر المدن المغربية مع المحافظة على أصل العوائد المحلية لما فيه من الذوق اللطيف والصبغة البهية.

[الصبيحي، ص 43-44]

39. [إقامة أتاي]

هذا نص شفوي مجهول المؤلِّف، دوَّنه الباحث الفرنسي جورج س. كولان (Georges S. Colin) في إطار اهتمامه بالعربية الدارجة المغربية. وقد ورد هذا النص في كتابه **منتخبات مغربية**، المنشور سنة 1951م.

المْسلمين، حْرام عليهُم شريب الخمر، زعْما الشراب وماحْيا، ما عدا الما والحْليب والقهوة وآتاي، واللّي مولوعين به كْثير ف هذا الشّي هو آتاي. القهوة كثيرتْهم كا يْشربوها غير مرّة وحدة ف النهار، ف الصّباح، قبل الفطور. أما آتاي، ما كاين شي اللي يْصبر علْيه؛ كا يشربوه ثْلاثة د المرّات ف النهار: مرّة بعد الفطور، ومرّة بْعد الغْدا، ومرّة بعد العْشا؛ وكايْن اللّي كا يْسبّقوا على الماكْلَة.

حيث كا يْبغيوْ يقيمُوه، كا يْجيبوا الصينية والقْشاوْش[109] ديالْها: البراد والكيسان دايْرين به، والربيعة د السكر، والزنْبيل د آتاي، والزليفَة د الاقامة[110]. وكا يْكون عندهم واحد المجمر معمّر بالعافية، وفوق منّو المقراج د الما كا يْطيب. مْناين كا يْطيب الما، كا يْعملوا واحد الثلاثة د المْعالق د آتاي ف البرّاد، ويْكبّوا عليهم شي شْويَّة د الما طايْب، ويْقطْروا البراد ف الكاس: كا يْتسمَّوْا هُمَ شْللوا آتاي. عاد كا يْزيدو عليه النعناع والسكر، ويْكبو عليهُم الما طايْب حتى يْعمْر البراد. كا يْصبرو عليه واحد القْسم حتى يْطلق آتاي؛ عاد كا يْعمّرو الكاس ويْذوقوه واش مْسوّس ولا حْلو؛ عاد كا يْكبّو للناس ف الكيسان مْجموعين، ويْفرقوهُم عليهم، ويْعاودوا يْلقّموا البراد، ف ديك السّاعة، كا تْبدا تْسمع الناس خدّامِين كا يْزكْفوا بْحال اللي كا يْشخر!

(109) معناه الأواني بالعامية المغربية.

(110) المراد بها: النعناع.

وآتاي المْزيان، عنْدهُم، هو الاشْـهب؛ وهو على الاشْكال: فـيـه المْفـتـول، والصـويري والنمـيلي؛ وآتـاي النْيكرو، ما بْقى حدْرادْلو الوْلهَة. وف أيام البرد، كـا يْزيدو معَ الإقـامـة شي عْشوبات، بْحال السّالْمة والشّيبة واللويزة وحْبق الطّرنج ومْردْدّوش. وعاد الناس الخْوانْج (111)، ف أيام البرد، من اللّيل للّيل، كا يْشربوا آتاي بْالعنبر؛ كا يْديرو العنبر ف العْنيبرَة، ويْدلّيوْها ف البراد حتى تْطلق النْسمَة ديالْها، وحيث يْشربوه، ما بْقاوْش يْخرْجوا ميعَاد الصّباح، لا يْضربهُم البرْد ويْوقَع بهُم شي؛ على حقّ، كا يْقولو هاد العْنبر كا يْسخّن بْنادم بزّاف.

[كولان، **منتخبات مغربية**، ص 189]

40. [تحضير الأتاي في الرباط]

نشـر لويس برونو (Louis Brunot) الجزء الأول من كتـابه **نصوص عربيـة من الرباط** سـنـة 1931. وقـد سـبق للمـؤلف أن نشـرها سنة 1918 ووظفـها لتدريس العربية الدارجة في «معـهد الدراسات العليا المغربية». والنص التالي مجهول المؤلف.

اللّي كـا يْقيـم أتاي، كـا يْبـدا يْشلّل البـراد بالما غلْيان، وكـا يْدير فيـه أتاي حْبـوب، وكـا يْشلْلو، يْعني كا يكبّ عْليه الما سْخون، وكا يْخوي البرّاد من الشّلالة. من بَعد كا يْدير النّعنع والأحْبق الطّرنج والأ المَنتَة(112)، والسكّار فُـوق مْنّه. وكـا يْكبّ الما طايْب من المْقَـرج ف البـرّاد، وكـا يْحرك بْالمْعلقَة (كـا يْقـولوا لهـا العـاشيقّ عـاوْد ثاني)، وكـا يْكبّ أتاي ف واحْد الكاسْ وكا يْذوق، وإذا كان أتاي هو هَذَاك واخْذ حقُّه من السكار ومن أتاي يْعني مْتقادّ، كا يْكبُّه ف الكيسـان ويْفـرقُّه عل الناس، وكـايْنين اللّي كـا يْديروا العْنبـر ف أتاي، كـا يْصـُوبوا العَنْبرَة عنْد اليهودي الصِّياغ وف راسْها سنيَسلَة لاصْق فيَها مْخيطف، وهي كـا تْتحلّ من وُسطها، كا يْرقيوْا ف قَلبْها العنبر، من أيْن كَا يْجيوْا يْرقيوْا أتاي، كا يْدلّيوْها ف البراد، وكـا يْرقيوْا المْخيطفَ ف جْنبُه، كا تْطلق العنبر طيبَة مْزيانَة فَ أتاي.

[برونو، **نصوص عربية من الرباط**، ج 1، ص 18ـ20]

(111) مفرد ها «خواجي»، وهي كلمة من أصل تركي تعني الأثرياء.

(112) راجع ملحق النباتات والأعشاب.

41. [الأشربة عند أهل سلا]

محمد بن أحمد شماعو باحث معاصر من مدينة سلا . عمل في حقل التعليم، وأصدر في السنوات الأخيرة أعمالاً حول الأمثال والعوائد الحضرية. وفي كتابه **المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة (1350- 1400هـ)**، يتحدث عن الأتاي والقهوة ضمن موضوع الأشربة.

[الماء]

أما الأشربة ففي طليعتها ـ طبعا ـ الماء، وقد كان يحمل من السقايات العمومية، أو من العيون إذا كانت قريبة، أو من الآبار الحلوة، وتحرص بعض النسوة على أن تغسل الآنية الخزفية الضخمة المعروفة ب «الخابية» غسلاً جيداً، وأن توضع داخلها مبخرة لتبخرها بالمسكة أو «المصطكى» وأن ترمى في القعر قطعة من الكبريت، وعند صب الماء في هذه الآنية لا بد وأن يمر على «صفاية»، وهي ثوب قطني شفاف أبيض، ويحكم غلق فوهة الآنية، ولا يسمح لأي كان أن يدس أية آنية في الخابية، وإلا قامت قيامة ربة الدار، وعند اشتداد الحر كانت تحول الخابية إلى مكان ظليل وتلف بالخيش، وقد تتخذ بجانب ذلك «برادة» بتشديد الراء، توضع في مجرى من مجاري الهواء وتُلف هي أيضاً بالخيش، أما الغرّاف، أي آنية الشرب الخزفية أو المعدنية، فتُلطخ عمداً بقليل من القطران «الخاثر» أو «الغليظ» كما يسمى، ليعطي نكهة طيبة ويكون وسيلة لدفع أضرار الصيف . . .

[الحليب والمخيض]

بجانب هذا يشرب الحليب الطري بكثرة، من حيث كان «مول الحليب» يحضر كل صباح أو مساء لإعطاء الدار حصتها اليومية، وإلا فإن فرداً من العائلة يذهب إلى دكان «الحلاّب» لإحضارها، ويحذر الصغار من أن «يسرقوا» بعض الجرعات أثناء الطريق وأن يضيفوا الماء، على حد المثل القائل «ما حدو بيض وهو حليب» . . .

أما في وسط النهار، وعلى الخصوص في الصيف، فإن من المرغوب فيه أن يؤتى باللبن، المنزوع الزبد، وهو مشروب مبرد، في وقت لم تكن هناك مبردات.

[المبرّدات]

نعم، هناك مشروبات مبردات، بلا ثلج، إذ صانعات الثلج، ، كذلك الثلاجات لما تظهر وتشع، وهي إما من عصير البرتقال أو من الرمان لرب الدار، وهو يبقى منها لرفيقة حياته، ولا يظنن ظان أن هذه المعاصير تقدم كما عصرت، وإنما هي تصلح بالمقطرات، وبعض العقاقير، كماء الزهر والقرفة وغيرها . . .

هناك مشروبات أخرى دافعة للتخمة : كالماء المخلوط بالزعتر المقطر، أو «الكروية»، وفعلاً يشعر الشارب بانفراج في جوفه، بعد تناول بعض الجرعات وبذلك يأخذ قيلولته في راحة.

[الشاي]

ونصل إلى الحديث عن المشروبين الأساسيين المفضلين : الشاي والقهوة، والواقع أن الاحتفاء بهما معاً كبير، وليس مقبولاً أن تكون الجلسة أثناء إعدادهما بكيفية مرتجلة أو سوقية، فالشاي لا بد له من أدوات : البابور، والصواني، والبراد، والكؤوس المناسبة، والنحاس هو المعدن الغالب، إنما كان هناك أدوات من المعادن البيضاء يمتلكها ذوو اليسار . . . عندما يعلو بخار الماء من «الغلاي» [113] أو «البابور»، فإن على ربة الدار أن تكون متهيئة بلباس لطيف وتجلس جلسة رزينة لائقة، وعندئذ توضع بين يديها الأواني، ويطلق البخور الطيب إن أمكن، ويأتي الزوج اللبق ليُجالسها، وقلما يوجد زوج لا يفعل هذا، وتعد الشاي بكل أناقة، والزوج يراقب العملية من طرف خفي، وجوانحه مليءة بالحمد، وتناوله هو الأول كأسه، ثم ينادي على الآخرين ليأتوا لأخذ كؤوسهم . . . وأهم حصص إعداد الشاي، هي حصة الحادية عشرة ضحى [114]، وهي لا يحضرها الزوج فهي نسوية، أما التي يحضرها وينفرد مع زوجته فيها فهي التي تأتي بعد الغذاء، وبعض الأسر تفضل أن يقوم رب الدار نفسه بإعداد الشاي.

[القهوة]

أما القهوة فمراحل إعدادها أصعب، فهي تُشترى نيئة، وعملية القلي نفسها ذات أهمية، فالقهوة لا يستلذ منها طعمها فقط وإنما رائحتها قبل نكهتها . . . وهكذا يحضر

---

(113) المراد به البقراج.

(114) حول هذا الطقس، انظر كتاب حياة دينية، **الطبخ المغربي في الرباط** (بالفرنسية)، ص 144.

مجمر مشتعل، وتوضع عليه مقلاة خاصة تعرف بـ «الوصف»، وتصب القهوة وتأخذ المرأة المكلفة - وقد تكون الخادمة - تأخذ في تحريك الحبوب فوق المقلاة، من هذا الجانب لذاك بقصد التقليب، ويأخذ لون القهوة في التغير من الخضرة إلى السمرة، كل هذا، والرائحة الفواحة تملأ المكان، وتلك هي أولى متع القهوة، ويؤتى بالهاون النحاسي ويبدأ الدق، وعندئذ يرمى ببعض حبات «المصطكى» وقليلاً جداً من القرفة . . . وتواصل الدق حتى تصير القهوة مسحوقاً دقيقاً. بعد ظهور «الطاحونة» الصغرى اليديوية استغنى عن الهاون ربحاً للوقت.

ربة الدار هي نفسها التي تعد المشروب في الإبريق، وهذا الإبريق الذي يغلى أولاً، ولما يتصاعد بخار المياه ينزل عن النار، وتحلل فيه عدة معالق من مسحوق القهوة، وتعيد المرأة الإبريق إلى مكانه على النار، ويبدأ الغليان، والحذر كل الحذر من أن يفيض الإبريق على النار، فذلك خلل لا يغتفر، وهكذا بعد رفع ووضع وتحريك تزول الرغوة، ولا يبقى إلا المشروب الأسود الفواح . . . ويرفع كل شيء ولا تبقى إلا الصينية بكؤوسها. وهنا أيضاً يحتفى بتوزيع كؤوس القهوة الفواحة المسكرة، خصوصاً وأن المشروب، لا بد، بل ومن المستحسن، أن يكون مصحوباً بما يُقضم، من الأشياء المحلاة، «الشبّاكية» أو «المخرّقة» أو «الغريبة» أو «الكرص» أو «الفقّاص» . . .

جاءت بعد ذلك عادة مزج القهوة والحليب، وذلك لأن بعض المعدات لا تحتمل مشروب القهوة وحده، فاضطروا إلى مزجه بقصد التخفيف من تأثيره، وإلا فإن القهوة هي القهوة عند المتذوقين وقد يسلمون في كؤوس من الحليب، ولا يسلمون في كؤوس من القهوة . . . وكل وذوقه!

[اشماعو، ص 115-117]

42. [احتفال طفولي بمراكش]

ولد عبد الغني أبو العزم بمراكش سنة 1944 م. وهو باحث مغربي معاصر، ألف أخيراً كتاب **الضريح**، وهو «سيرة ذاتية روائية»، استحضر فيها مرحلة طفولته بحي زاوية أبي العباس السبتي. ويضعنا النص التالي أمام مشهد يتصل بطقوس الدراسة التقليدية.

كان يوم «التخريجة» من الأيام التي نتطلع إليها، نفرح ونستعد إليها ونهيئ أمعدتنا لها، وغالباً ما كان يتم توقيتها، وهي تبدأ أولاً بتهييء دواة يحتفظ بها الفقيه للمعني، وبها عدة ثقوب، كل ثقبة تحتوي على مداد أحمر وأزرق وأصفر بجانب مداد الصمغ، من أجل تزويق اللوحة، وعلى الطالب المتخرج أن يتفنن في إبداع الرسم الذي تجود به قريحته، كنا نترك لوحاتنا جانباً لنتطلع إليه، وبمجرد ما ينتهي من انجاز تزويق اللوحة تبدأ استعدادات الخروج والطواف في الحي.

كان منظر الطالب «اللي كمل التخريجة»، وهو راكب فوق جواده المطهم، تثير فضولنا وشهيتنا للحفظ، وكل واحد يسأل الآخر متى سيكمل السلكة؟ خصوصاً عندما نسمع عبارة: العُقبا ليك.

كان يبدو «الطالب» فوق الجواد عريساً ببلغته الصفراء الجديدة وجلبابه الأبيض وقد أنزل «القب» على وجهه حياء وتواضعاً شاداً بين يديه اللوحة المزوقة المغطاة بثوب مطرز، بينما يشد أحد أقربائه لجام الجواد، وأثناء الطواف يتسابق المارة لوضع عدد من الريالات فوق اللوحة المغطاة والممتدة لهذا الغرض، وحسب الأعراف، فكل تلك الريالات من نصيب الفقيه، ويستمر الطواف إلى أن نصل إلى باب سيدي بالعباس، ويدخل الطالب للقيام بالزيارة والتبرُّك ونحن نمشي من ورائه نقوم بما يقوم به، وبعدها يعود إلى ساحة الضريح، ومنها إلى الساحة الثانية المحادية للمسجد، محفوفاً بالجمع الغفير من الصبيان الذين تجمهروا حوله بجانب أفراد العائلة وما أكثرهم، وهم الذين يساعدونه من جديد على ركوب الجواد الذي ينتظره.

يكثر الهرج والمرج أكثر من ذي قبل، وترتفع الزغاريد وسط أصوات «اللّه خالقُه»، وتتسارع الخطى في اتجاه الرياض، حيث تنتظرنا الوجبة الغذائية الدسمة والتمر والحليبَ.

وكما هي العادة، فيوم «التخريجة» هو يوم عطلة، يوم أكل ولعب وقفز وهيجان ومؤامرات وخدع ومشادات وعراك، ولأننا كنا نجد في رياض المرياكـ وكرمه الدائم مجالاً واسعاً للعب والمشادات والتحرك، حيث نختلي فيه دون رقيب.

ومن بين تلك المؤامرات التي لم أنساها في يوم حفلة تخريجة سي امحمد، أن فرداً منا انكشف أمره فيما بعد ـ لأن من تآمر معه فضحه في اليوم التالي ـ وضع لنا الغيطة[115] (وهي نبات عندما يزهر يصبح على شكل بوق وتفوح منه رائحة زكية) في «براد أتاي». وعندما شربنا كؤوس الشاي المُنعنعة والمختلطة بنبات الغيطة، احمرت وجناتنا وعيوننا وفقدنا جميعاً السيطرة على أعصابنا وحركاتنا وتحولنا إلى حيوانات كاسرة، كسرنا كل ما حوالينا وقلبنا الأفرشة وقطعنا الأشجار، وبدأنا نتشاجر بالأيدي والأظافر والعصي وكان أكثرنا عنفاً ذلك اليوم عبد اللطيف المرياكـ، إذ كان قريباً لي، وكنت على الدوام أعرف كيف أنسق معه خفايا كل الحيل والمكائد التي كنا نحبكها للآخرين، وبعدما بلغ السيل الزبى خرجنا نجري بدون هدف، ونحن لا نعقل شيئاً، وتركنا من ورائنا حطام ومخلفات معركة حامية الوطيس، وفهمنا فيما بعد أن تلك الغيطة كانت مخدراً حقيقياً.

وفي الصباح التالي، وبعد انفضاح خيوط المؤامرات ومدبريها، تم تعليق المتآمرين معاً، ولم يكن الفقيه رحيماً بهما ونحن نشاهد بأعصاب متهالكة نزول السياط على أجسامهما، وقد نلنا بدورنا حقنا من السياط، وإن كنا مجرد ضحايا لم نَعِ ما قمنا به من أفعال.

[أبو العزم، ص 57-59]

---

(115) الغيطة تسمية محلية للداتورة، وهي نبتة سامة تنتمي إلى نوع الباذنجانيات. انظر جمال بلخضر، **الطب التقليدي والسمامة** ... (بالفرنسية)، ص 308-309.

ارتسامات

43. [المغاربة والشاي المُهدى]

نشر ميشال دوشينه (Michel de Chenier) (ت 1795م) كتابه حول تاريخ الإمبراطورية المغربية، انطلاقاً من معلومات وذكريات سجلها خلال إقامته كقنصل فرنسي بالمغرب. وقد لاقى هذا المؤَلّف نجاحاً كبيراً عند صدوره سنة 1780م.

المغاربة مولعون ولوعا كبيرا بالشاي والسكر. وهم لايشترون من الشاي سوى القليل، لكنهم يحبون كثيرا أن يهدى لهم. وهكذا فقد توصلوا من أم الشمال بعادة استهلاك هذا المشروب الذي لم يتعود الأوربيون على استهلاكه إلا منذ فترة متأخرة. ولا شك أن المغاربة يحبون الاتاي لأنه مسخن، إذ يبدو لي أنه لا يتلاءم مع شظفهم في العيش، ولا مع مزاجهم اليابس (116). بل من الطبيعي أن يكون الشاي أكثر نفعا في البلدان الباردة، حيث تزداد دسامة اللحوم، وحيث تعوّد السكان على استهلاك الزبدة والألبان والجُعة. ويفضل المغاربة الشاي على القهوة، لكنهم يحبون، على العموم، كل ما يُهدى لهم، بحيث يجري عندهم مجرى المثل، أن الخَل المُهدى أفضل من الخمر المشترى (117).

[مترجَم من الفرنسية عن: دو شينيه، ج 3، ص 208-209]

(116) تحيل فكرة المزاج اليابس هنا على نظرية الأمزجة. انظر أدناه، النصين 66 و67.

(117) يُقال عادة أن الخمر تخلل، ومعناه أن الخل يشكل مرحلة فساد بالنسبة لمادة الخمر.

44. [أتاي عند المغاربة]

نلتقي مرة ثانية بالإسباني علي باي العباسي (ت 1818م)، وهو يمثل في هذا النص نموذج الرحالة الذي بالغ في وصفه لانتشار الشاي بين المغاربة في وقته، كما أنه أخطأ حين أكد أن القهوة كانت مشروب المغاربة فيما قبل.

كان المغاربة في الماضي يكثرون من استهلاك القهوة، حيث كانوا يشربونها في كل أوقات اليوم، كما هو الشأن في بلاد المشرق. لكن بعد أن قدَّم الأنجليز الشاي هدية إلى سلاطين المغرب، أهدى هؤلاء بدوْرهم المشروب الجديد إلى أعضاء حاشيتهم، وسرعان ما انتشرت عادة الشاي تدريجيا إلى أن عمت أسفل طبقات المجتمع، بحيث أن المغاربة يفوقون الأنجليز في استهلاك الشاي إذا ما اعتبرنا الفرق بين عدد سكان البلدين. فكل المغاربة، مهما تواضع شأنهم، يتوفرون في بيوتهم على هذا المشروب الذي يُقدمونه لزوارهم في كل أوقات اليوم. ويُشرب الشاي في المغرب قوياً جدا، ونادراً ما يضاف إليه الحليب. أما السكر فهو يوضع داخل البرَّاد. والأنجليز هم الذين يزودون المغاربة بهاتين المادَّتين، إلى جانب كميات هامة يستوردها المغاربة من جبل طارق.

[مترجَم من الفرنسية عن : علي باي، ج 1، ص 34 - 35]

45. [أتاي في تازناخت والصحراء]

الْتحق شارل دو فوكو (Charles de Foucauld) بالجيش الفرنسي في الجزائر بعد أن تلقى تكوينه العسكري بفرنسا، ثم اعتزم القيام برحلة استكشافية بالمغرب، وتهيأ لها بعمل توثيقي هام، واتخذ زي يهودي يرافقه حاخام. وقد كانت رحلته عبر بقاع المغرب خلال سنتي 84-1883.

[من وصف تازناخت]

توجد بين سكان تازناخت ومدينة مراكش علاقات تبادل منتظمة. حيث تقصد قوافل

تازناخت مراكش، وهي محملة بالجلود والجوز والتمور، وتعود بالأقمشة القطنية والسكر والشاي وعود الثقاب، الخ. وهذه السلع توضع في مخازن قبل أن تعرض في يوم السوق. وقد ازدهرت صناعة الخنيف بقرية تازناخت التي أصبحت بمثابة مركز لهذ الإنتاج، إذ يشتغل غالبية السكان في نَسْج الخنيف وطرزه. ورغم الرواج الذي تعرفه هذه البضاعة، فإن تجارة تازناخت تمر بمرحلة تراجع. فقبائل زناكة لا زالت تأتي بأصوافها وحبوبها، لكن عددا كبيرا من قوافل سوس ومزگيتة وگلاوة كانت تتردد فيما قبل على سوق تازناخت، بينما قل عددها اليوم، وتقلص حجمها، وانقطعت قوافل واحات الجنوب بالمَرَّة. ففي بعض الأحيان لا يبلغ عدد الأجانب بالسوق ستين شخصاً. وكثيراً ما ينقص الزيت بتازناخت، إلى درجة أن السكان يضطرون لإحراق قَبضة من الأعشاب اليابسة من أجل توفير الإنارة. لقد اشتد الفقر بهذه المنطقة في هذه الأيام، وقلت فيها الخيول والبغال، وأصبحت من قبيل الترف، كما قَلَّ عدد الأبقار، وانقطعت الجمال بالمرة حيث لا توجد الوفرة سوى من الحمير والغنم والمعز.

غرفة استقبال الضيوف بالأطلس الكبير



المصدر: جان روبيشه، **المنطقة الوسطى المغربية** (بالفرنسية)، غرونوبل/باريس، 1946.

[من وصف الطريق من تازناخت إلى تيسينت]

تتوزع تغذية سكان «قصور» هذه الناحية على الشكل التالي :

في الصباح، يشكِّل «الحسو»[118] طعام الفطور، وحوالي الساعة الحادية عشرة تؤكل «العصيدة»، وفي المساء «الطّعام»[119] مع اللفت. و«الحْسو» يُتناول بملعقة، وهو عبارة عن شُربة من خضر تحضر بالماء مع قليل من الإدام أو الزيت، وحفنة من دقيق الشعير. و«العصيدة» أكلة كثيفة تصنع من دقيق الشعير أو الذرة المطبوخ بقليل من الماء، يوضع في وسطها الزيت أو الزبدة المذابة. ويحضَّر «الطعام» هنا من الشعير، وهو التسمية المحلية لما يُعرف ب«الكسكسو» في مناطق أخرى. أما اللحم فليس من المأكولات المعتادة في وجبات الغذاء، بل إن الأغنياء أنفسهم لا يأكلونه إلا نادراً. وعند العائلات القليلة التي تملك البقر تُشرب جرة من المخيض مع التمر مكان «الحْسو» الصباحي.

ولا يحصل تغير كبير عند حضور الضيوف : فهم يُستقبلون بصحن من التمر، وهو ما يقدم لهم كذلك قبل «طعام» العشاء، كما تُقدم الأسر الغنية لضيوفها المرموقين رغائف ساخنة مع عسل التمر عوض «الحْسو». وعندما يتوفر الحليب، فإنه يُشرب حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، ويؤكل معه «بويطّوب» أو «بوفگّوس» [120]، وهذه الوجبة هي عبارة عن تصبيرة. ويقام الشاي مرتين في اليوم : مرة قبل الفطور، ومرة قبل وجبة العشاء. ويقدم للضيوف كذلك الكسكسو مع اللحم.

يشكل الشاي عند المغاربة أشهى مشروب على الإطلاق. أما القهوة فهي غير معروفة بالمغرب، باستثناء مراكش وفاس والموانئ، وحتى في هذه المدن فالقهوة لا تُشرب إلا قليلاً. وعلى عكس ذلك انتشر الشاي عبر مجموع أطراف الامبراطورية، وهو يمثل في الصحراء متعة مُكلِّفة لا يتوصل إليها سوى القواد والشيوخ والمرابطون واليهود.

قد تحدثنا فيما قبل عن تغذية السكان المستقرين وهي لا تختلف عن تغذية الرحل إلا من حيث أن الحليب ـ خاصة حليب الناقة ـ يحتل مكانة هامة في تغذية الرحل لأنهم يتوفرون على الماشية. وسواء عند المستقرين أو الرحل، فإن التمر هو الطعام الوحيد الذي يتزود به المسافر مهما كان طول الطريق.

[مترجَم من الفرنسية عن : فوكو، ص، 110، 125 - 126]

---

(118) كانت الأحساء في العصر الوسيط، تتخذ من الحنطة والشعير والأخباز المختمرة. انظر ابن زهر، **كتاب الأغذية**، ص 14.

(119) «الطعام» هو إحدى التسميات المحلية لأُكلة الكسكسو، إلى جانب تسميات أخرى مثل «العيش».

(120) هما نوعان جيدان من أنواع التمر.

46. [في گندافة]

كان لويس طوماس(Louis Thomas) عضوا في الفريق الطبي المتنقل الذي توجه من مراكش إلى أگادير في دجنبر 1917، وذلك بأمر من الجنرال دو لاموط، قائد ناحية مراكش آنذاك. وقد دوّن طوماس مشاهداته بالأطلس الكبير ومنطقة سوس في كتاب صدر سنة 1918.

شرب الشاي هو عملية تقليدية، وممارسة مقدسة، مليئة بالجدية والدلالة، والوقار والوعود. إنه المبادرة الأولى في الضيافة المغربية، وهي التي تتيح الانتظار في الوقت الذي يُحضر فيه الخدم وجبة الأكل القادمة، بينما يتبادل الكبار كلمات المجاملة المعتادة، وهم في الواقع يتهيَّئون للحديث الجاد الذي يشكل موضوع الزيارة واللقاء.

يحتل الشاي مكانة بالغة الأهمية في حياة المغاربة. فهو مشروب الجميع : الغني والفقير، القائد و«المسكين» الذي يعبُر مرتفعات الأطلس، وعلى رأسه وظهره كيسٌ من الشعير، ومع ذلك فهو لم ينس أن يأخذ معه البراد، ولم ينس أن يلف في الورق قطعة من السكر وقليلا من حبوب الشاي، لكي يحضر المشروب الذي سوف يرافق الخبز المغمس في زيت أرْگان [121]. وسواء في المنزل أو تحت الخيمة، فإن الشاي يُحضر تبعا لطقس تقليدي. و تُسند هذه المهمة للخادم المفضل لدى رب البيت، وهذا التكليف هو بمثابة علامة واضحة للثقة التي يحظى بها ذلك الخادم. ومن الواجب أن يشرب الحاضرون ثلاثة فناجين على التوالي. وفي زمن سابق كان عدد الفناجين الواجبة أربعة، ثم انخفض إلى ثلاثة بفعل «القاعدة».

هذا نقصان، بل هو انحطاط. الكل يمر، والكل ينحَط. لم يعد الناس يشربون سوى ثلاثة فناجين من الشاي.

[مترجَم من الفرنسية عن : طوماس، ص 201 - 202]

(121) ورد الحديث عن «زيت الهرجان» عند الجغرافي الأندلسي أبي عبيد البكري (ت 487 /1094)في سياق وصفه لبلاد السوس الأقصى: «وبالسوس زيت الهرجان وشجره يشبه شجر الكمثرى إلا أنه لا يفوت اليد وأغصانه نابتة من أصله لا ساق له. وهي شوكاء وثمرها يشبه الاجاص، فيجمع ويترك حتى يذبل، ثم يوضع على النار في مقلى فخار فيستخرج دهنه، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدر البول». انظر **المسالك والممالك**، ج 2، ص 454-855.

جلسات

47. [جلسة في ضيافة أحد أعيان مراكش]

زار الطبيب الفرنسي مارسيه (A. Marcet) المغرب سنة 1882م، رُفقة وفد دبلوماسي قدم لمقابلة السلطان الحسن الأول بمراكش. وقد خصص الدكتور مارسيه حيزاً هاماً من كتابه لهذه المدينة التي لم تكن معروفة آنذاك سوى عند عدد قليل من الأوربيين. وفي النص التالي يصف المؤلف حفلة استقبال حضرها مع صديقه «بوطالب» عند أحد أعيان المدينة.

انطلق الحديث شيئاً فشيئاً مع وصول الضيوف. وقد بلغ عدد الحاضرين خمسة عشر، بما فيهم مُضيفنا. وكان واضحاً أن بوطالب يتمتع بتقدير كبير، مما جعلني أحظى بعناية خاصة. وبينما كنا نتبادل الحديث، كنا نشرب الحليب في إناء واحد ينتقل من ضيف إلى آخر.

ثم دخل خادم وفي يديه صينية كبيرة من الفضة، وفوقها أواني رفيعة : برّادان، وزنبيل الشاي، وعلبة السكر، والعدد الملائم من الفناجين الصغيرة، وهي مصنوعة من الخزف الرقيق، ومُزينة بطريقة مرونقة.

وضع الخادم الصينية فوق الأرض أمام رب البيت، فعكف هذا الأخير مباشرة على تحضير ذلك المشروب المحبوب لدى كافة المغاربة. وهذا التحضير عبارة عن فن حقيقي. فبنظرة الخبير، يعمد المضيف إلى تناول المقدار المناسب من الشاي. وآنذاك يأتي الخادم بالماء في مقراج نحاسي كان يغلي منذ لحظة فوق مجمر بفناء المنزل. وبمجرد أن يُملأ البرادان بالماء المغلّى، يصب المضيف في أحد الفناجين شيئا من المشروب ويذوق منه. وبعدما يتأكد من أن مقدار الشاي مناسب، يضع قطعاً من السكر في المنقوع. ولا يلبث أن يذوق المشروب مرة ثانية، فثالثة، ورابعة إن اقتضى الأمر. وبعد ما ينتهي من هذه العملية بالشكل المطلوب، يملأ الفناجين، فيقدمها الخادم إلى كافة الضيوف واحدا تلو الآخر. ويتذوق كل ضيف مشروبه باستمتاع وتأمل، مرتشفا كل جرعة منه ارتشافا يرفقه صوة حاد.

إقامة الشاي في بيوت الأعيان



المصدر : م. كاريط وج. ستيوارت، **ذوق المغرب**، باريس1988 .

ثم يشرع المضيف مباشرة في تحضير الشاي ثانية، حيث يكتفي بإضافة قدر من السكر والماء المغلى. ويذوق المشروب عدة مرات كما فعل في المرة الأولى غير أن مدة النقع تطول أكثر في هذه المرحلة. وأما الفناجين الفارغة فهي توضع فوق الصينية. وبعدما تملأ من جديد، تُقدَّم للحاضرين، فيتناول كل واحد الفنجان الذي يصادفه أمامه، دون أن يتأكد قط من أنه نفس الفنجان الذي شرب منه فيما قبل.

إن هذه المهمة تشغل رب البيت بشكل بالغ. فهو يكاد لا يجد لحظة واحدة ليمسح العرق الذي يتصبب على جبينه، وليُبعد بمنديله الذباب الذي يزعجه. إنه منهمك في إقامة الشاي وكأنه يؤدي طقسا دينيا. وهو لا يرفع عينيه سوى ليوجه إليَّ نظرة تساؤل، محاولا أن يلمس مدى إعجابي بالمشروب. ومع كل هذا المجهود لم يصل بعد إلى نهاية مهمته، إذ عليه أن يعيد عملياته. فإن آداب الضيافة عند العرب(122) تقتضي أن يقدم المضيف ثلاثة فناجين من الشاي على الأقل، وأن يقبلها الضيف. لذلك تناولت نفس العدد مثل الآخرين. وبعد أن أُضيفت أوراق النعناع للشاي المنقوع، أصبح المزيج الجديد مشروبا أكثر لذة. وعادة ما تضاف كذلك حبات من العنبر، وهي مادة لا تُستعمل لعطرها بقدر ما تستعمل بسبب منافعها باعتبارها منشطا يزيد في قوة الجماع. وهكذا إذن تم إعفائي من العنبر.

وبينما كنا نرتشف تلك الفناجين المتوالية، انطلق ثلاثة ضيوف في الغناء بنفس الإيقاع البطيء والرتيب، ونفس الأصوات الحلْقية، ونفس الانتقال العنيف من صوت إلى آخر. كل هذا يثير القلق والانزعاج في البداية، غير أن الانطباع يتغير بشكل تدريجي، فيعترف المرء في النهاية، لتلك الأغاني العربية، بما لها في الواقع من غرابة لا تخلو من جاذبية. ويرافق المغنون أصواتهم بتصفيقات أيديهم لضبط الإيقاع. وكان من بينهم عازف لم يُحضر آلته الموسيقية. فقُدمت له مندولينة وكمان، غير أن الكمان كان بدون حيوية، والمندولينة بدون وتر. لذلك اعتذر العازف، فلم تُتح لنا فرصة التعرف على موهبته.

عاد الخادم، وفي يده مرشة كبيرة مملوءة بماء الورد. فدار على جميع الحاضرين، ورَشَّ كل واحد منا. وعوملتُ بعناية خاصة بصفتي أجنبياً. فبلل الماء المُعطر ثيابي ورشح به شَعَري ووجهي.

---

(122) نُلاحظ أن المؤلف اعتاد استعمال كلمة «العرب» بدل «المغاربة»، مما يُضفي على النص طابع التعميم الذي كثيراً ما نجده عند الرحالة الأوربيين.

ثم جاء دور المبخرة، وهي على شكل كرة معدنية تكسوها ثُقوب، وفي داخلها عود معطر يحترق فوق جمرات قليلة. تعرض المبخرة على الحاضرين، فيتناولها واحد تلو الآخر حيث يستنشق البخور التي تنبعث منها، ويبخر لحيته، ثم مجموع جسمه وثيابه عن طريق ثنيات القميص وفتحة الكُمَّين. وكان يبدو أن بعض الحاضرين يجدون متعة ولذة خاصة في هذه العملية.

[مترجَم من الفرنسية عن : مارسيه ، ص 174 - 177]

48. [في ضيافة الشيخ الحباسي]

رافق گبريال شارم (Gabriel Charmes) ممثلَ فرنسا بطنجة في مهمة دبلوماسية بفاس. وفي كتابه **سفارة بالمغرب** (الصادر سنة 1887) يصف المؤلف مشاهداته بين طنجة وفاس. ومعلوم أن كتابات شارم شكَّلت لحظة هامة في بناء صورة المغرب في المخيال الأدبي الفرنسي (123). وفي النص التالي، يتحدث شارم عن توقفه بقرية الحباسي الواقعة على بعد مرحلة

لقد تعلمت آداب حفلات الاستقبال المغربية في بيت الشيخ الحباسي. ذهبنا لزيارته كي نشكره على الحفاوة البالغة التي خصصها لنا عند وصولنا، وعلى المُونَة الرائعة التي أمدنا بها. وقد استقبلنا بمنزله، في قاعة مفتوحة بشكل واسع على بستان من أشجار البرتقال والليمون، فيها زرابي مفروشة على الأرض فوقها مخدات كي يتسنى للحاضرين أن يجلسوا أو يتمددوا كما يرغبون. أما الشيخ فقد جلس على أريكة أوربية بالية، لها أرجل متآكلة ومهتزة، وخصص للسيد فيرو كرسياً أوربياً في نفس الحالة. وكان البستان يغص بمجموعات من الخدم والجنود على هيئة توحي بأنهم مصطفون في حفل أقيم لتوزيع الأوسمة. وكان الشيخ يتحدث مع السيد فيرو، معبراً عن انبهاره لسعة معرفة السفير الفرنسي باللغة العربية، حيث طلب منه أن يكتب له قطعة من اختياره بحروف عربية جميلة. حينئذ رأينا رجلاً وقوراً، عليه أرفع الألبسة البيضاء، يجلس وسطنا لإقامة الشاي. ومن اللازم أن يعرف المرء أن المغاربة لا يستهلكون القهوة، وأن الشاي هو المشروب الذي

(123) انظر محمد الحجمري، **صورة المغرب في الأدب الفرنسي** (بالفرنسية)، ص83 وماتلاها.

يقدم للزائر أينما حل. وكأن الأنجليز - لعنهم الله - سبق لهم أن مروا بهذا البلد ! فلا شيء يضاهي القهوة التركية والعربية التي تشرب بالمشرق برغوتها القشدية وعطرها الممتع، بينما الشاي المغربي من أردإ المشروبات. غير أن المغاربة يجهلون القهوة التركية أو العربية. وزيادة على ذلك، فهم لا يعرفون التدخين باستثناء الكيف الذي يدخنونه بطريقة متسترة. فبالنسبة لمن سبق له أن عاش في المشرق، يستحيل علَيه أن يعترف بصفة المسلمين لأناس لايدخنون ولا يشربون القهوة. وفي اعتقادي أن المغاربة يتصرفون بهذه الطريقة بسبب تشددهم في اتباع تعاليم الدين، لكنه تشدد يفتقر إلى الجاذبية. ومع ذلك ينبغي أن نضيف على سبيل ظرف التخفيف، أن الشاي المغربي، المُسمًّى ب«الأتاي»، يعطَّر بالنعناع واللويزة (المسماة على غرار اللغة الاسبانية)، وهو ما يجعله يختلف عن الشاي الأنجليزي الكريه.

وفيما يلي طريقة تحضير الشاي المغربي وشربه. بمجرد أن توسطنا الرجل الوقور الذي أشرت إليه آنفا، جاء عبد أسود ليضع أمامه صينية فوقها صف من الفناجين الصغيرة، وبرادان، وإناء مملوء بالنعناع واللويزة، وآخر بالشاي وعلبة سكر، وبضعة كؤوس صغيرة. وجاء عبد أسود آخر فقرب منْصَباً أنيق الشكل وُضع عليه بابور نحاسي. في البداية، قاس مقيم الأتاي في كف يده المَقدار الملائم من الشاي الذي سوف يوضع في كل من البرادين. ثم أمر الخادم الأسود بصب الماء، «وشلَّل» الأوراق، كما هي العادة في أوربا، ورمى ماتبقى من السائل. وبعدَ هذا، اختار قطعتين كبيرتين من السكر، ووضعهما في البرادين، وأمر بملأ البرادين بالماء الساخن. وعندما اعتبر أن المنقوع بلغ الدرجة المطلوبة، أفرغ قدرا من الشاي من كلا البرَّادَيْن في كأسين مختلفين، وذاق ثم أعاد إلى البرادين ما تبقَّى في قعر الكأسين. وأضاف آنذاك شيئاً من السكر أو الشاي قبل أن يتذوق المشروب من جديد، وكان يعتني دائما بإعادة صب ما تبقى من الشاي في البرادين. لقد كان الشاي جاهزاً، وهو ما أشار إليه المقيم بطريقة فهمها كل من تعود على الضيافة العربية، وهي طريقة عطرة تمتاز بارتشاف يرافقه صوت حاد، بحيث لا تحتفظ بعد ذلك بأدنى شك في الرضا الذي تحس به مَعدة مستعملها، باستثناء من لا يتوفر على حاسَّتَيْ السمع والشم. فالفنجان الأول لا يحتوي سوى على الشاي. ويصُب المقيم الشاي من كلا البرادين في كل فنجان، وذلك لكي تتوازن محاسن البرادين ومساوئهما. ويشرب الحاضرون على التوالي، ثم يعيدون الفناجين فوق الصينية. وحينئذ تبدأ العملية الثانية، وهي إعادة للأولى، مع اختلافين اثنين، إذ يُضاف النعناع واللويزة إلى الشاي الموجود في البرادين،

وتنظف الفناجين بطريقـة بسيطة، وذلك بإعـادة مـا تبـقى في الفناجين إلى البـرادين. وفي بعض الأحيان، لا تتم عـملية التنظيف، وهكذا تكون النظافة الحقيقية! فعوض أن تتوصل ببـقايا كافة الحاضـرين، لا تصلك سـوى بقية أحـدهم، إذ لا يعـود نفس الفنجـان إلى نفس الشـخص الذي شـرب منه. وتقـتضي اللياقة من الضـيف أن يشـرب ثلاثة فناجين، كلهـا مفـرطة في الحـلاوة، غيـر أن الفنجانين الأخيـرين معطران بالنعناع، مع بقـايا الفنجـان أو الفنجانَيْن الأولين.

يتحمل المرء كل شيء في السفر، بل وحتى الشاي المغربي. فمع التعود، استحسنت الشـاي الذي شربته بفاس ووجدت أنه ممتاز ومُحَضَّر بعناية، لكن الشـاي الذي شربته عند الشيخ الحباسي بدا لي مُرا بعض الشيء، بالرغم من كثرة السكر. ومن حسن حظي أنني كنت مختفياً في إحدى زوايا قاعة الاستقبال، فتيسر لي أن أفرغ الفناجين على زربية، دون أن يثير ذلك انتباه أحد.

[مترجَم من الفرنسية عن: شارم، ص 77-81]

49. [شراب الأتاي]

كـان بـادجت ميـكين (Budget Meakin) أول من ترأس تحـرير جريدة **تايمز أوف مرّوكو** التي صـدرت بطنجـة ابتـداء من سنة 1884. وقـد جـمع ميـكين في كـتاباته بين الجغـرافيـا والتـاريخ والإثنوغرافيـا. وتوجه المؤلف إلى الجمهور الواسع من القـراء انطلاقاً من مادة توثيقية هامة.

يتناول المغـاربة الشـاي، مشروبهم المفضل، قبل انطلاق وجبة الغذاء أو العشـاء، وفي المناسبات الهامة على الأخص.

ويعلن صـاحب البيت عادة على تناول الشـاي بتقـديم «مبخرة» وضعت داخلها جمرات فحم فوقها البُخور مع قطع صغيرة من العود القمـاري أو الجاوي أو حصلوبان. وتنتقل «المبخرة» من ضيف إلى آخر، ويضعها كل واحد منهم تحت قُبّه وجلبابه بحيث تحتفظ كل ملابسه برائحة هذا الدخان أياماً عديدة.

وبعد ذلك يأتي دور «المرشَّة»، وهي إناء صـغير مَملوء بماء الورد أو زهر البرتـقال، وله

عُنق طويل في آخره ثُقبة أو ثقب صغيرة. وبحركة سريعة للمعْصَم، تصوَّب المرشة نحو كل ضيف فيُرش في وَجْهه وعُنقه ويديه، كما تُرشّ عمامته، وبعد ذلك تَتبَّخر القطرات شيئا فشيئا. ففي غرفة ساخنة وفاسدة الهواء، تخلق هذه العملية بالضرورة برودة يجد فيها الضيوف الراحة والانتعاش.

وبعد كل هذه العمليات التمهيدية التي تَقوم بها أمَة صغيرة، يَأتي دور الشاي الذي أصبح الآن مشروباً وطنياً، إذ أن الشاي والقهوة لم يكونا معروفين بالمغرب إلى حدود سنة 1670، ويبدو أن مُقيماً أوربياً تحدث عن وجود المشروبين بالمغرب بناء على أخبار سمعها دون أن يتحقق من صحتها.

توضع أمام رب البيت أو نائبه صينية كبيرة من النحاس الأصفر، وعليها كؤوس من الزجاج وفناجين مرتّبة يفوق عددها عدد الحاضرين، وبرّاد من المعدن يشبه في شكله الاجاص، وملْعَقة طويلة، وقدح كبير توضع فيه حزمة من النعناع، ورَعْي الحمام، أوالصّعْتر أو حزمة من كل واحدة من هذه الأعشاب، وهي تستعمل لتحضير براريد متوالية. ويُستعمل هذا القدح في الأخير لإفراغ ماء «التشلال». ثم يُحضر بابور من النحاس الأصفر- وهي آنية روسية - وعُلبَة صغيرة من القصدير، ووعاء يحتوي على قطع من سكر القالب ومطْرقة تُوضع في نفس الوعاء لتكسير قالب السكر. ويَأخذ المقيم كَمّية من حبوب الشاي في يده، ثم يضعها في البراد مع قليل من الماء الساخن لغسل الشاي خَوفا من أن يكون التاجر النصراني قد أضاف مادة مُلوِّنة، لأن الشاي كثيرا ما يكون أخضر اللون. ويُفرغ هذا الماء حيناً، ويُملأ البراد بالسكر والماء الساخن. وبعد مرور حوالي دقيقة، تُوضع غُصينات من النعناع داخل البراد ويُترك المزيج داخله لينقع خلال بضع دقائق.

يَذوق المقيم شيئا من المشروب في كأس، ويُفرغ الباقي في البراد، ومن المحتمل، بعد هذه العملية، أن يزيد من المقومات حسب الحاجة قبل أن تُملأ الكؤوس والفناجين. إن جميع هذه الحركات تُقام بمهارة خاصة. فكلما يريد المقيم أن يملأ كأساً، يُميل البراد نحو الأمام، ثم يرفعه ويُنزله، وكأنه سيضعه فوق الصينية، ثم يُكرّر العملية ثانية. وبعد ذلك تُقدم الكؤوس والفناجين للضيوف واحدا تلو الآخر، بدءا بأرفع الحاضرين مكانة. يُمسك كل ضيف كأسه من الأعلى والأسفل، حيث يضعه بين أصبعيه، السبّابة والإبْهام، ثم يتناول رَشَفات طويلة بأرْفع صوت ممكن. ورغم أن تلك الرشفات تُصدر صوتا يزعج أذناً مثل أُذننا، فإن الهدف منها لا يقتصر على تلطيف سخونة المشروب، بل يقصد منها

كـذلك الزيادة في المتعـة التي يوفـرها الشـاي. فـمن المؤكـد أن تناول الشـاي المغـربي المنعنع بطريقـة مـخـالفـة لن يُوفـر اللذة المطلوبة. وتقـتـضي آداب المعـاشـرة تناول ثلاثة من هذه الكؤوس الصغيرة، لا أقل ولا أكثر، ولا يعفى من ذلك إلا من كان له عذر ملائم. وبعد كل هذا تُسحب أواني الشاي.

ومن أجل تعطيـر الشـاي، يضـيف الأثرياء المغـاربة العنبـر أحـيـاناً، حيث تُوضع قطعـة صغيرة منه في فنجان مع الماء الساخن لكي تذوب، فتطفو قطراتها الزيتية على سطح الماء، وتنقل تلك القطرات إلى كؤوس الشاي. وفي بعض الأحيان تُبخَّر الكؤوس كذلك مُسبّقا بالمُصطكى، كما يُستعمل هذا الأخير لتعطير الماء البارد.

نادرا ما تُستهلك القهوة بالمغرب، وهي تُحضر بطريقة غير ملائمة، إذ يضاف إليها قدر كبير من السكر، ومن الحمّص المحمَّص أحيانا. فنادرا ما تُستعـمل الطريقـة المعروفـة في الجزيرة العربية، كما أن المغاربة لا يستعملون نوع فناجين هذا البلد.

[مترجَم من الانجليزية عن : ميكين، ص 82 - 85]

قائد يحضر الشاي (1902)



المصدر : بادجيت ميكين، **المغاربة** (بالأنجليزية)، لندن، 1902.

50 . [طقس أتاي]

التحق الضابط الفرنسي پول أودينو (Paul Odinot) بالجيش الفرنسي بالمغرب في عهد المقيم العام ليوطي. وقد عاش بفاس في العشرينات، وكان من بين الفرنسيين الأوائل الذين عاشوا تجربة الزواج المختلط بنساء مغربيات. وألف أودينو عدداً من الأعمال الروائية، إلى جانب مقالات ودراسات عامة حول الثقافة المغربية. وقد تحدث عن الشاي في كتابه **العالَم المغربي** الصادر سنة 1926.

لقد وصف الكثيرون طريقة تحضير الشاي، لكنني أعود إلى الموضوع في هذا المقام، لأنه من المستحيل أن نَصف المجتمع المغربي دون أن نتحدث عن الدور الهائل الذي يلعبه الشاي في حياة السكان.

إنه التسلية، والراحة، والمُنبِّه.

فالعائلات الأكثر فقرا تشرب الشاي مرتين في اليوم، بينما يشربه الميسورون عادة أربع أوخمس مرات، كما أنهم يشربونه كلما استقبلوا زائرا.

في كل بيت، يظل المقراج ساخناً طيلة اليوم، حيث يصدر صفيره، وهو على موقد من الطين أو النحاس، وبداخله فحم يحترق. وحين تستقبل العائلة عددا كبيرا من الضيوف، فإنها توقد البابور الذي يوفر الماء المُغلَّى بدون انقطاع.

ينبغي أن ننظر بإمعان للمغاربة، وهم يشربون الشاي، كي نفهم الأهمية التي يُولونها لهذا المشروب.

إنه طقس حقيقي، بحيث لا يدخل أي تغيير على أشكاله وجزئياته.

يتم اختيار مقيم الأتاي من بين الحاضرين، وعادة ما يعين لهذه المهمة الرجل الفقيه، وهو الذي تُفترض فيه صفة الطهارة. ومع ذلك يؤتى له بالطست والصابون، ويصب الماء على يديه بواسطة المقراج. ثم توضع أمامه صينية من فضة أو نحاس، وقد وضعت عليها كؤوس البلور، والبراد، وربيعة السكر، وجبَّانية النعناع، والمطرقة. وكل هذه الأواني مغطاة بمنديل مطروز يُسحب بحركات طقوسية تذكر بالحركات التي نشاهدها بفرنسا عند تدشين تمثال جديد.

هناك خادم مكلف بمراقبة الماء الساخن.

يُلمح مـقـيـم الشـاي، فـيـأتي الخـادم، ويصب قليـلا من الماء المُغلَّى في براد من مـعـدن الرصـاص، وذلك كي يغسل، ثم يفرغ الماء في كـأس خـاص. وآنذاك يقيس المقيم المقـدار المناسب من الشاي، ويضعه في البراد، ثم يشير مرة أخرى للخادم المتخصص في صب الماء الساخن، من أجل غسل الشاي، كي تزول الغبرة العالقة به، وتنقص مرارته.

إذا كـان السكر على شكل قطع، فإن المقـيم يضعـه في البـراد، ويقـيس المقـدار المناسب بعناية. وإذا كـان السكر في شكل قالب كـامل، فـإنه يبدأ بتكسيره إلى نصفين، ثم يأخذ النصف الأعلى، وهو الأفضل والأصغر، فيكسره بسرعة، على طريقة صانع الزليج، فينقسم السكر إلى قطع يساوي حجم الواحدة منها نصف قبضة اليد.

بعد السكر، يملأ البراد بالماء الساخن، وبواسطة ملعقة فضية مكسوة بالثقوب، تزاح وُريقات الشاي والرغوة التي تطفو على سطح البراد.

ثم يأتي طقس التعطير. ماذا سوف يُختار لتعطير الشاي؟ النعناع أو اللويزة؟ الحبق أوالمردوش؟ الشيبة أوالوردة، أو ربما وُضع البنفسج في الشاي خلال فصل الربيع؟ و إذا لم تتوفر أزهار البرتقال الطرية، سوف تغطس في الشاي تلك العنبرة التي تطلق عِطرها الخاص.

خـلال هذه العـمليـات، يتبـادل الحـاضـرون الحـديث، وفي آن واحـد، ينظـرون إلى هذا المشهد الذي تعـودوا على رؤيتـه ألف مرة، ومن المؤكـد أن المغـاربة يحكمـون على المرء من خلال طريقتـه في تحضير الشـاي، بل هناك من يدعي بأن المدنسين والأشرار يقيمون دائما شايا رديئا لا طعم له.

يعمد المقيم الآن إلى تذوق المزيج. ثم يضيف شيئا من السكر، مع أن «القاعدة» تقتضي أن يكون البـراد الأول مُرا بعض الشيء. ثم يصب الشـاي أربع مـرات، في الكأس ثم في البراد، وذلك كي لا يبقى السكر في القعر. ثم يصب الشاي الجاهز. وهنا ترقى الحركات إلى مستوى الفن الرفيع. ينبغي على المقيم أن يعرف كيف يصب المشروب من الأعلى في الكأس الواحد، بواسطة براد أو برادين. وينبغي أن تتكون رغوة تطفو على سطح الشاي الساخن، دون أن يراق شيء من السائل فوق الصينية.

حينئذ يأتي الخادم ليقـدم الكؤوس للحـاضرين، ويعمل بالقاعدة المتبعة، بحيث يبدأ بالشرفاء، ثم ينتقل إلى الضيوف، ثم إلى المُسنين.

يعكف كل واحد من الحاضرين على شرب الشاي، حيث يرتشفه بطريقة تحدث صوتا حادا، مما يساعد على ابتلاع السائل المغلّي. ويمتدح كل الحاضرين مقيم الشاي. و بعد ما تُفرغ الكؤوس، تعاد إلى الصينية، كي يهيَّأ براد جديد، حيث يضيف المقيم شيئا من الشاي والسكر و«الإقامة»، غير أنه في هذه المرة، سوف يضع البراد على النار مباشرة، لأن الماء أصبح بارداً. ومن اللازم أن يصل هذا البراد الجديد إلى درجة الغليان قبل أن يُشرب.

من المفروض أن يتناول الحاضرون ثلاثة كؤوس على الأقل، لكن من الممكن أن يشربوا أكثر من هذا العدد. وخلال أيام الأعياد، لا يتوقف شرب الشاي إلا مدة الوقت اللازم لتنظيف الكؤوس اللزجة بسبب كثرة السكر. وقد رأيت مرارا رجالا بلغوا حالة تكاد تشبه السُّكْر لمجرد أنهم شربوا شاياً قوياً معطراً بالنعناع.

[مترجَم من الفرنسية عن : أُودينو، ص 158 - 160]

51. [طقس الأتاي بفاس]

أقامت السيدة زيط گينودو (Zette Guinaudeau) بالمغرب منذ سنة 1929م، حيث رافقت زوجها الدكتور پول گينودو الذي كان أول متخصص في طب العيون بمدينة فاس. وتوفيت في مارس 1997 بفرنسا. وقد نشرت سنة 1957 مرجعاً هاماً حول الطبخ الفاسي، ومنه اقتطفنا هذه الصفحات.

دخلت ياسمينة بتنورتها المشمرة فوق سراويلها الفضفاضة، وأردافها الملفوفة في «الفوطة»، وأذنها المزينة بوردة حمراء، وفي يديها الحلويات المغطاة بثوب شفاف كأنها باقات ورد، وعلب الشاي والسكر المرصعة، والحوَيض الذي يُطل منه النعناع كأنه قُربان مُعطر. وبذراعيها المفتوحتين وصدرها المُنحني قدَّمت للضيف المشهود له بالحظوة، والذي يحرص رب البيت على تشريفه، صينية المعدن الأنجليزي المرصعة، المحملة بكؤوس من البلور الملون وأكواب من الخزف المزخرف.

آنذاك أُحضر البابور، وكأنه آلة بخارية ثقيلة. فانبعث منه البخار . . . حينئذ أمكن إقامة الشاي، حيث يسود الصمت، وتتجه أنظار الجميع نحو المشهد المعتاد.

لقد حاولتُ أن ألتقط لكم هذا السر الذي يملكه كل طفل بفاس منذ لحظة الولادة. . . وهو فن إقامة الشاي (. . .).

إن إقامة الأتاي بمثابة موهبة من الله، والموهبة لا تكتسب، إنما تصقل مع الممارسة. ولاتوجد مقاديرأو قاعدة محددة لتحضير الأتاي، إذ لا يكون لكأسين اثنين نفس المذاق. وتتنوع أصناف أوراق الشاي بشكل لا حد له. فقبل الحرب الأخيرة، سمعت بوجود أكثر من ستين نوعا. ثم هناك مقدار النعناع ومصدره. ولكل هذه العناصر دور في هذا المنقوع الذي يقيس كل واحد عطره بواسطة الحليمات وحاسة الشم. سوف يلقنكم الوصف التالي طريقة تحضير منقوع الشاي المعطر بالنعناع. . . إنه في اعتقادي مشروب جيد، ولا أدعي قط أنني توصلت إلى الضبط الأمثل لمقادير المواد المستعملة، حيث يأتي عطر النعناع، فيضيف طراوته ونكهته لمرارة الأتاي وحلاوة السكر المفرطة.

يقام البراد الأول بدون نعناع، عند عشاق الأتاي الحقيقيين، وعند أولئك الذين يتوفرون على الأنواع المشهورة. وتتراجع «قاعدة» البراريد الثلاثة المتتالية، بسبب ارتفاع ثمن الأتاي والسكر.

في المقادير التي سوف أقدمها فيما يلي، سوف أحيل على البراد الذي يحوي ثلاثة أرباع الليتر الواحد، وهو براد يمكنكم من تقديم المشروب لعشرة أشخاص.

التحضير: لنأخذ برادا يحوي ثلاثة أرباع ليتر. ينبغي أن يبل بالماء الساخن، ثم يوضع فيه مقدار ملعقة حساء ونصف من الأتاي الجيد، ثم يصب كأس ونصف من الماء المغلى، و«يشلل» الأتاي بسرعة، بواسطة حركة دائرية، ثم يفرغ هذا الماء الذي يزيل الغبار وجزءا من المرارة. ثم تؤخذ كمشة من النعناع، بما فيه الأوراق والسيقان، وحوالي مائة وخمسون غرام من السكر. ثم يملأ البراد بالماء المغلى، وذلك من مفتاح البابور.

دعوا البراد لينقع مدة سبع أو ثمان دقائق، ثم حركوا بملعقة، ثم ذوقوا قدرا قليلا في كأس، ثم أضيفوا السكر إذا اقتضت الضرورة. وتأكدوا من أن النعناع لا يطفو على سطح البراد، لأن من شأن ذلك أن يسيء إلى مذاق المشروب.

إذا كنتم تقيمون حفلة استقبال، ينبغي أن تتجنبوا دائما تحضير براد واحد، بل من الأفضل أن تستعملوا برادين اثنين، وتقيسوا مقاديرهما بنفس الطريقة، وتصبوا الشاي منهما ومن أعلى في الكأس الواحد. إنه مجهود إضافي، لكن حاولوا أن تتمرنوا على هذه الحركة لأنها تمنحكم قدرا كبيرا من الرشاقة.

تعودت بعض العائلات أن لا تضيف النعناع إلى الشاي في هذا المنقوع الأول. وليس من اللازم أن «يشلل» الشاي.

* * *

البراد الثاني : هاهُم ضيوفكم يتذوقون الشاي الذي حُضر في البراد الأول، في نفس الوقت الذي سوف تعكفون فيه على تحضير المنقوع الثاني. اتركوا الشاي والنعناع داخل البراد، وأضيفوا إليهما مقدار ملعقة قهوة ونصف من الشاي، وبضع ورقات من النعناع، ومائة وخمسين غرام من السكر. ثم صُبوا الماء المغلى. وضعوا البراد فوق أنبوب البابور، أوعلى جمرات الكانون، ودعوا المزيج ينقع. وانتظروا حتى يصعد النعناع إلى السطح. ثم حركوا، ودعوا المزيج ينقع من جديد. وذوقوا، فإذا وجدتم أن المشروب لا يناسبكم، أضيفوا السكر من جديد.

سوف تُفرغ ياسمينة [الخادمة السوداء] في كؤوس كافة الحاضرين هذا الشاي الذي عادة ما يكون معطرا أكثر بالنعناع، ويكون لونه أكثر سوادا.

* * *

البراد الثالث : اتبعوا نفس الطريقة. ويمكنكم أن تستعملوا الشيبة بدل النعناع.
وعند شرب هذا المنقوع، تنطلق الألسنة أخيرا، و تزداد وتيرة الحديث و تبادل الأخبار.

* * *

لقد رغبت في أن أرسم لكم مشهد اللحظة التي تلي جلسة الطعام حيث يحتل طقس «إقامة الأتاي» موقع المركز الذي يدور حوله جو البيت بكامله. لكن لا تنسوا أن هذا المشروب الشديد الحلاوة، يشكل عماد تغذية المغاربة وزادهم الأساسي من الطاقة.

يُشرب الشاي في كل وقت من اليوم، كيفما كان نوع المبرر، بحيث لا يحد من استهلاكه سوى ارتفاع ثمنه.

* * *

في الورش، عندما يستريح العامل في منتصف النهار، فإنه يكتفي بالخبز والزيتون، لكنه سوف يغلي الماء فوق بضع حجيرات. وبحركات مضبوطة، سوف يأخذ خرقة، ويخرج منها اللوازم الضرورية لتحضير مشروبه المفضل : شيء من الشاي، وقطع كبيرة من

السكر، وأوراق من الشـيبـة إذا مـا تعـذر النعناع. ثـم يجلس العـامل بلبـاسـه المهـترئ على الأرض، ويتذوق أخيـرا هذا المشروب الممتع الذي سوف يشعره، خلال بضع دقائق، بأنه يتسـاوى مع البـورجـوازي الكبير. وعند ما يعـود العـامل إلى بيتـه في المسـاء، سـوف تكون وجبة العشاء، على بساطتها، تمهيدا للحظة الراحة، حيث تجتمع الأسرة في نهاية اليوم، وترتشف الشـاي المغلى، بصوت مرتفع، وهي تتبادل أخبار اليوم، وتتحدث عن آمالها، وعن مستجدات السياسة. وبعدما تعطّر نكهة أعضاء الأسرة، وبدون أن يتخلوا عن الكأس الذي يمسكونه بأيديهم، سـوف يسـتـسلم الجـمـيع للنوم، صـغـارا وكـبـارا، فـوق نفس الحصير الذي كانوا يقتعدونه، حالمين بجنة تجري من تحتها أنهار محملة بشاي ذي عطور لم يعهد لها مثيل.

* * *

تعوَّد رجل البادية، هو الآخر، على شرب الشاي. إن طعامه غاية في البساطة: خبز من شعير أوذرة، ومخيض، وزبدة طرية، وفاكهة الموسم. لكن الوجبة لا تكتمل إلا إذا رافقها منقوع خفيف من الشاي المحلى بالسكر، والمعطر بقدر كبير من النعناع.

لكن، عندما يستقبلكم الأمازيغي داخل خيمته، ويُخرج من علبه الحديدية المزيَّنة، شايَه الذي اشتراه بثمن مرتفع، فإنه سوف يقدم لكم منقوعا قويا جدا، وشديد الحلاوة، وهو مشروب يساعد على هضم الرغيف الكثيف والسمْن الحار.

[مترجَم من الفرنسية عن: گينودو، ص 175- 177]

1989- "الخــادمـــة" - ألوان مائية شفافة



المصدر **ابن يسف**، فلاسكس ونظر (قاعة نظر للفن الحديث، 1995).

وصفات

52. [الشاي عند اليهود]

هل هناك خصوصيات تتميز بها طريقة تحضير الشاي عند اليهود المغاربة ؟ تقلُّ المعطيات حول هذا الجانب. والفقرات التالية هي مجرد هامش ورد في **نصوص يهودية-عربية من فاس**، وهو كتاب ألفه لويس برونو(Louis Brunot) وإيلي مالكا، (Elie Malka) وصدر سنة 1939.

يستهلك يهود المغرب الشاي مثل المسلمين، كما يقيمونه بنفس الطريقة. فهم يستعملون الشاي الاخضر، ويحضرون منه مشروبا أخف من المشروب الذي يحضره المسلمون، كما أنهم يستخدمون قدرا أكبر من المواد المعطّرة مثل النعناع الذي يطلق عليه بفاس اسم «الإقامة»، خلافا لسكان الرباط. ويحصلون بهذه الطريقة على منقوع خفيف يُسمونه «أتاي مخفوط»(124). وفي مدينة الرباط، لا يقال «كاس دْ أتاي»، بل «كاس دْ النعناع». وحين يقدَّم الشاي في الأعياد والمناسبات، يضاف إليه ماء الزهر، ويحك السكر على أترنجة قبل أن يوضع داخل البراد. وتسود حاليا موضة تنويع المواد المعطرة، حيث تستخدم الشيبة والمرددوش واللويزة والعطرشة. ولا يضاف الكحول أبدا. أما اليهود العصريون فهم، على غرار الاوربيين، يضعون شريحة من الليمون داخل فنجان الشاي.

إن تحضير الشاي عند اليهود عمل تقوم به النساء. ويشرب الشاي خلال طعام الفطور مع الخبز المعطر بالأنيسون أوالمذهون بالزبدة، وفي الوجبة الخفيفة التي تقام بعد الزوال والمسماة بال«حويزة»، ويشرب كذلك في حفلات الاستقبال والاعياد.

وبما ان إشعال النار خلال يوم السبت أمر تحرمه شريعتهم، فإن اليهود يتزودون بالماء المغلّى من الأفران العمومية التي عادة ما يدبرها المسلمون، إذ يحتفظ صاحب الفُرن بالماء المغلى، ويضعه رهن اشارة زبنائه. وتضع بعض ربات البيوت اليهوديات مقراجا صغيرا

(124) عند الحديث عن الشاي الخفيف، تعوَّد اليهود على استعمال الصورة التالية: «جاري بْحال شي يْهودي جاريين عْليه المْسلمين»، وذلك مع نطق حرف الجيم زاياً.

مملوءا بالماء الساخن فوق نار خافتة ابتداء من مساء يوم الجمعة، وذلك ليتمكنَّ من تحضير الشاي خلال اليوم الموالي .

إن الشاي مشروب يتناوله الكل بمتعة، بل يقدم أيضا للأطفال[125]، الذين يطلقون عليه بلغتهم الخاصة اسم «أتويوي» .

[مترجَم من الفرنسية عن : برونو ومالكا، ص 321 - 322]

53. [تحضير الشاي عند الطوارق بالجزائر]

تُعد دراسات مارسو گاسط (Marceau Gast) من أهم الأبحاث الميدانية التي أنجزت حول التغذية في الجنوب الجزائري، وربما على مستوى المغرب الكبير . ونقدم هنا بضع صفحات من كتابه حول منطقة أهكار، لأنها تتيح المقارنة مع باقي المناطق الصحراوية .

في استعمال الزمان الذي يتبعه سكان المنطقة، من رحل ومستقرين، تعرَّفنا فيما سبق على الإيقاع اليومي لاستهلاك الشاي (. . .). وعلى العموم، فكلما سمحت بذلك موارد العائلة، يُشرب الشاي في الصباح عند الاستيقاظ، وفي نهاية الصبيحة، قبل وجبة الغذاء أو بعدها، أو بعد صلاة الظهر، ومرة أخيرة عند غروب الشمس . ويقيم البعض جلسة شاي في وقت العصر ـ المسمى «تاكّسط»، وأخرى بعد طعام العشاء . وبذلك يبلغ عدد المرات التي يشرب فيها الشاي أربعة . و بالإضافة إلى ذلك، فكلما قدم زائر مباغت، يقدم له الشاي ويشرب رفقته . وهكذا فكثيرا ما نلتقي بأشخاص تناولوا ثلاثة كؤوس صغيرة من هذا الشراب القوي خمس أو ست مرات في اليوم الواحد .

لاشك أن الطريقة التي يمارس بها طقس الشاي حاليا في الصحراء الوسطى، قد ورثت صبغة القدسية التي اقترنت بها في الشرق الأقصى منذ عهود قديمة . فالبيئة الصحراوية، وغلاء هذا المشروب، والقيمة التي تعطى له، و«الخشوع» الذي تتميز به جلسة الشاي، كل

(125) ذكرت بعض المصادر أن الأطفال، في الوسط اليهودي المغربي، كانوا يُعانون من مضار ناتجة عن استعمال بعض أواني الشاي . راجع كتاب الدكتور ل . رينو، **دراسة في الوقاية والطب بالمغرب** (بالفرنسية)، ص 115 .

هذه العـوامل عـادة مـا تمنحه نوعـا من الاحتـفـاليـة والطقوسية اللتين تخلقان مناخا ملائما للعـلاقـات الانسـانيـة داخل المجتمع . فبعـد تناول الكأس الثـالث ، تبـدأ المناقـشـات الجادة والمواضيع المطروحـة للنقـاش . وعـادة مـا تسند مـهـمـة إقامـة الأتاي لرب العـائلة ، أو لحاكم الموقع ، أو لأحـد الضـيـوف ، وهو صـديق مـاهر من الممكن أن توكل إليـه هذه المهـمـة الممتـعـة والنبيلة بدون تخـوف . يتـربع مـقـيم الأتـاي في زاوية ، ليكون في مـأمن من حـركـة مـرور الأشخاص ، وما يصاحبها من إثارة للغبار ، وقلب للأواني . وأمامه وفي متناول يده مقراج الماء المغلى ، فـوق جمـرات ، وصـينيـة تحـتـوي على برادين اثنين وكـؤوس ، وعلبـة صـغـيـرة خاصة بالسكر - في شكل مثلج ، أوعلى شكل قالب - ، وعلبة حديدية ، أوكيس من القماش أو الجلد ، تحفظ فيه أوراق الشاي الأخضر . ولا تتوفر جميع العائلات بالضرورة على صينية أوعلى صندوق صغـيـر يغلق بقـفل . غيـر أن اللوازم الأسـاسـيـة تتـوفر دائمـا ، وأعني بذلك المقراج ، والبرادين ، والكؤوس . عمد أحد أقرباء العـائلة إلى تسخين المقراج فوق نار كبيرة . وحين يوشك الماء على الغليان ، يُنقل فوق مجمر صغير قرب الضيوف . وينطلق صوت الماء ، ويرتفع بسبب تحـرك حبـات الرمـل في قـعـر المقـراج . وينظف المقـيم الكؤوس بمنديل بال ، أو جانب من قميصه أو شـاشيته . ويستعمـل من الأوراق اليابسة مقدار كأس (20 غرام لأشخاص يتراوح عددهم بين ثلاثة وستة) ، أو أكثر حسب عدد الضيوف . ثم يصب شيئا من الماء المغلى على الأوراق الموضوعة داخل البراد . ثم يحرك ذلك الماء لحظة قبل أن يريقه على الأرض . ويعـمـد البـعض إلى الاحـتـفـاظ بهـذا الماء غـيـر الصـافي والمائل إلى الخـضـرة ليضيفـه في تحضير البراد الثـالث أو الرابع كي يضاعف من قـوته . وتتـمثل هذه العـملية في تطهير أوراق الشاي من البقايا الرقيقة التي تغير لون المشروب إذا ظلت عالقة به . وحينئذ يوضع البـراد المملوء بالماء المغلى فـوق الجـمـرات لمدة خـمس دقـائق إلى أن يغلي العـصـيـر المخضر ، وكثيرا ما يفيض على المجمر . آنذاك يفرغ المقيم محتوى هذا البـراد الأول في البراد الثاني الذي ظل فارغا حتى ذلك الحين . ويضع مباشرة قدرا من الماء المغلى في البراد الأول ، قبل أن يضعه مجددا فوق الجمرات ، ويضيف حفنة من السكر داخل البراد الثاني (أو يضع فيه السكر قبل أن يصب الشاي) . وهنا تبدأ العملية التي يتميز بها هذا التحضير . يمسك المقيم البراد الثـاني ، ويصب المشروب من علو يتراوح بين 30 و40 سنتيمتراً ، حيث يسقط بدقـة في كأس أول ، ثم ثان ، ثم ثالث أو رابع . وتهدف هذه العملية إلى إذابة السكر داخل المشروب عن طريق تهويته . ويعاد إفراغ محتوى الكؤوس داخل البراد ، وتكرر هذه العملية عادة ثلاث مرات . وإذا ظل السائل شديد السخونة ، فإن المقيم يملأ الكؤوس للمرة

الأخيرة، ويقدمها للضيوف، وإلا فإن البراد يرد فوق المجمر لمدة دقيقتين أو ثلاث. وفي نفس الوقت، يذوق المقيم المشروبَ ليتأكد من حلاوته، ويضيف إليه أحيانا قدرا من السكر. ومعلوم أن الهواة المتضلعين لايحبون أن يكون البراد الأول مفرطا في الحلاوة، بل يفضلون أن يحسوا بحموزة الشراب المُغلى وبقوة الشاي. وخلال كل عمليات التحضير والتذوق، يمكث البراد الأول فوق النار، بينما يغلي الثاني لمدة سبع أو ثمان دقائق. ويفرغ المقيم هذا الشراب ثانية في البراد الثاني الذي أفرغ من محتواه السابق وأضيف إليه السكر مُجددا. ثم يعود الرجل إلى صب المشروب من أعلى في الكؤوس، مما يؤدي إلى تكوين رغوة كثيفة. ثم يذوق المقيم، ويضيف السكر، قبل أن يعيد إفراغ محتوى الكؤوس داخل البراد مرتين أو ثلاث. وهذه العمليات تدوم ما بين خمس وسبع دقائق. ثم يقدم الكؤوس للمرة الثانية، حيث يكون للمشروب لون فاتح بالمقارنة مع السابق، فهو أقل اخضرارا، وأكثر ميولا إلى الصفرة. كما أنه أكثر حلاوة بعض الشيء، وأقل قوة، دون أن يفقد نكهته. وفي هذا الوقت، تغلي الخلاصة الثالثة داخل البراد الأول، حيث تفقد الأوراق شكلها الملتوي، وتصبح أوسع ولتعطي شرابا فاتح اللون، وأقل نسبة من الثايين. ويترك السائل فوق النار حوالي عشر دقائق، ثم يوضع السكر في البراد الثاني على غرار المرَّة السابقة. وهذا الكأس الثالث يكون دائما خفيفاً، وبدون قوة، فهو عبارة عن شراب من السكر الساخن، ذي لون مذهب. ومن أجل الزيادة في كثافة الكأس الثالث، تضاف إلى الشاي عند الإمكان أوراق من أحد النباتات العطرية. وعلى غرار المغاربة، فسكان المنطقة لم يتعودوا على استعمال النعناع في تحضير الكأس الأول، بل يستعملونه في تحضير البراد الثالث. وعندما يتعذر النعناع الطري أو الجاف، توضع بضع أوراق من أعشاب طبية مثل :

- «تاغوق» *(Artemisia campestris glutinosa)*؛
- «تاهرغلّي» *(Artemisia judaica ssp. sahariensis)*،
- «أميو» *(Pulicaria undulata)*،
- «أزيزّري» *(Artemisia herba-alba)*،
- « تانيهارت » *(Mentha longifolia)*،
- « تاكمزّوت» *(Teucrium polium)*؛
- « تاكّلت » *(Cotula cinerea et C. anthemoides)*.

وهناك نبات عطري مستورد من منطقة غات، انتشرت عادة استعماله حاليا لتعطير الكأس الثالث، وهو يسمى بالعربية «الآعياة»، والراجح أن هذا النبات نوع من المردوش.

ونشير في الأخير إلى أن الگوزة والقرفة تضافان أيضا إلى الشاي، كما يُضيف البعض شيئا من ذلك اللمعين المعطر بالياسمين، وهو يباع في الحوانيت في علب صغيرة ذات شكل مدور لها غطاء مُحدب في أعلاه ومُقعر في أسفله.

حين يخشى الضيف أثر الشاي على صحته، فهو يُعلن مسبقاً أنه لن يشرب الكأس الأول: «وار ساسّاغ وا يزّارن» (« لا أشرب الأول»)، أو«أشرب الثاني» : «ساسّاغ وان غيري غيري» («أشرب الأوسط»). أما الضيف الذي لا يرغب قط في شرب الشاي، فهو يتَجنب الإخلال بحسن السلوك، فيُعلن مسبقاً أنه لن يَشرب سوى الكأس الأخير : «ساسّاغ وان كراض راص» (« لا أشرب إلا الثالث»). وهكذا يأخذ المقيم هذه المعطيات بعين الاعتبار منذ البداية حين يقيس مقادير الماء والأوراق. ويُقبل عذر الممتنع عن الشرب حين يتعلق الأمر بمبرر صحي، لكن إذا تناول المرء الكأس الأول دون المواليَيْن، فإن ذلك يُعتبر إساءة للأدب، بل من باب الإهانة. ذلك أن عشاق الشاي يعتبرون الكأس الأول أشهى الكؤوس، لكنه في نفس الوقت أعنفها وأضرها لمن يشكو من هشاشة القلب أو ضعف المعدة.

وكثيراً ما يُحضَّر كأسٌ رابع للأطفال، لأن الشاي لا يحتفظ آنذاك إلا بقدر ضئيل من الثايين، لذلك فهو لا يضر بصغار السن. وقد يقدم هذا الكأس الرابع إلى الضيوف أيضاً إذا ما احتفظ المشروب بمذاق شهي. لكن تحضير كأس خامس أو بالأحرى كأس سادس، معناه أن المضيف يدعو الحاضرين بوضوح لمغادرة المكان في أقرب وقت. غير أنه من النادر جداً أن يحصل هذا التصرف الذي يعتبر من قبيل الإهانة، لأن دلالته لا تغيب على أحد. وهذه العادات التي تعبر عن الصداقة أوالاحتقار، أوحَت بقصيدة قصيرة نظمها القبطان ڤيڤيان دو سان مارتان، رئيس ملحقة عين صالح. وهي أبيات بالعربية الدارجة، لا زال يرددها لحد الآن جنود فرقة الجَمّالين : - أتاي صْفاري

- سكر ثلجي
- ثلاثا قانون
- أربعا فنطازي
- خمسا فْساد
- ستّا دِفانْدي

لا يستخدم مقيم الشاي في الغالب سوى يده اليمنى في كل حركاته. ولا تُسند مهمة إقامة الشاي للرجل الأعسر. ومعلوم أن اليد اليمنى تحتل مكانة رمزية متميزة في الثقافة الإسلامية.

عند مجموعة «كيل ريلا» ، يحتفظ كل واحد من الحاضرين بنفس الكأس في كل دورة. ويقدم الشاي وفق نظام التراتب السائد في المنطقة، لأن كبار القوم يشمئزون من تناول الشاي في كأس شرب منه الغير. فهم يعرفون أن بعض الأمراض قد تنتشر بتلك الطريقة، لا سيما مرض التهاب الأقنية الأنفية. ويُغسل كأس الشخص المصاب بهذا المرض بعناية أكبر. أما القبائل الأخرى فهي لا تبدي نفس الصرامة في احترام هذه الجزئيات الدقيقة، حيث لا تقدم الشاي في نفس الكأس إلا لضيف الشرف.

إن معظم الصحراويين يؤكدون أنهم يُحضرون «أتاي الصفاري» بطريقة النقع في براد واحد، في الوقت الذي كانوا يتوفرون على هذا النوع من الشاي. فقد كانوا يضعون أوراق الشاي داخل البراد، ثم يصبون عليها الماء المغلى، ويغطون البراد بثوب أو فوطة كي يحتفظ بسخونته. وبعد مرور بضع دقائق، يمزجون الشاي مع السكر داخل الكؤوس، ويشربون مباشرة ثلاث مرات كما هو الشأن في الوقت الحالي. وبعد سنة 1941، انقطع «أتاي صفاري»، وظهرت أنواع أخرى أقل جودة، فتعممت حينئذ عادة تشحير الشاي على ما يبدو. ومع ذلك فإن السكان يعتبرون أتاي «المكرْكب» و«الشعرة» من أجود الأنواع. فلماذا إذن لا يُنقع هذان النوعان؟ يجيب المستهلك أنهما لا تُناسبَانه، كما أن نقع هذين النوعين يعطي مشروبا يضرُّ بالصحة بالغ الضرر: «إذا لم تُغلَّ الأوَراقَ فهي لا تطلق سوى السم»، كما أن سكان المنطقة يقولون : «ينبغي «طبخ» الشاي كي يسهل هضمه». فكيف نشأت هذه التبريرات بعد حين؟ يجيب كثير من الناس على هذا السؤال الصعب بأن الشرفاء - وهم على العموم دخلاء على المنطقة - قد تعودوا على «طبخ» الشاي وهم الذين لقنوا هذه الطريقة لمجموعة «كيل أهكار»، وقدموا التبريرات التي ذكرناها آنفا. ومن الواضح أن هذه التغلية الطويلة التي تجعل الشاي أقرب إلى الشراب المُحلَّى تُلائم ذوق الصحراويين ملاءمة تامة، بحيث كانت مدة بضع سنوات كافية ليتبع الجميع هذه الوصفة الجديدة. وقد جاء دعاة تشحير الشاي من الشمال والغرب. لكن من المحتمل أن الرحل في الشرق، وحتى الجهات البعيدة من بلاد طرابلس الغرب، يتبعون نفس الطريقة قبل «كيل أهكار».

[مترجَم من الفرنسية عن : گاسط، ص 189-192]

54. [تحضير الشاي عند التونسيين]

«كيف يتناول التونسيون الشاي؟» هو عنوان هذا المقال القصير الذي نشره سنة 1940م الباحث الفرنسي إ. گوبير (E. Gobert) المعروف بدراساته العديدة حول تاريخ واجتماعيات التغذية بتونس.

دخلت عادة شرب الشاي وتقنية استعماله إلى الإيالة التونسية على يد الطرابلسيين [الليبيين] الذين طردوا من بلادهم خلال الحرب الايطالية - التركية. فقد أخذت جميع العائلات المهاجرة معها اللوازم الضرورية لتحضير الشاي، وتتكون هذه اللوازم من :

- «برادين» صغيرين من لون أزرق، مصنوعين من الحديد المطلي،
- «سخان»، يستخدم لتغلية الماء،
- «كانون»، من طين،
- «گلاية»، وهي مقلاة معدنية،
- وكؤوس صغيرة مخروطية الجذع.

وقد استعمل التونسيون نفس الأواني، واحتفظوا بنفس طريقة استعمالها.

يتم تحضير الشاي على الشكل التالي :

يُوضع الماء في السخان. وبمجرد أن يصل إلى درجة الغليان، يوضع القدر المناسب من الشاي في أحد البرادين (سوف نصطلح عليه البراد رقم 1 من أجل وضوح العرض). وتضاف إليه الكمية الضرورية من الماء المغلى قبل أن يوضع على النار. ويترك عليها إلى أن يغلي محتواه، فيسحب منها.

توضع الكمية الضرورية من السكر داخل البراد رقم 2، ثم يصب فيه الشاي الذي تمت تغليته في البراد رقم 1. ويحتفظ هذا الأخير بأوراق الشاي، ويتوصل من جديد بقدر من الماء الساخن.

يوضع البرادان، رقم 2 ورقم1، على التوالي فوق الكانون.

عندما يغلي البراد رقم 2، وهو المُحلَّى بالسكر، يُسحب من النار، ويصب محتواه في الكؤوس. ثم تفرغ الكؤوس في البراد، وتملأ من جديد، ثم تفرغ مجددا في البراد، وهكذا

دواليك خمس أو ست مرات. و يُصب الشاي في الكؤوس من أعلى، وذلك من أجل تبريد المشروب المغلى، وكذا لتوزيع السكر على الكؤوس بشكل متساو.

وبعد ما يوزع الشاي أخيرا، يوضع السكر من جديد في البراد رقم 2، ويفرغ فيه الشاي المغلى للمرة الثانية الجاهز في البراد رقم 1.

يتم التحضير الثاني على غرار الأول. فبعدما يشرب التحضير الأول، تملأ الكؤوس من جديد.

تتكرر نفس العملية أربع مرات. فأوراق الشاي تغلى إذن أربع مرات، وتُستنفذ قبل أن تُرمى.

وبموازاة مع هذه العمليات، يتم تحميص «الكاو كاو» [الفول السوداني] في الگلاية وتُنزع منه قشرته الحمراء. وفي التغلية الرابعة للشاي، توضع حبات الكاوكاو المقلي في الكؤوس قبل أن يصب عليها المشروب المغلى. وهكذا يعمد الهواة إلى قضم الكاو كاو رفقة الشاي.

تستعمل أنواع من الشاي الأخضر أوالأسود بحسب الأذواق والظروف. ويضاف النعناع إلى الشاي الأخضر، ولايضاف أبدا إلى الشاي الأسود.

أما الكميات المستعملة، فهي كالتالي :

يباع الشاي «بالأوقية»، وهي تساوي ثلاثين غرام. والمقدار المناسب من السكر، الذي يباع ويشترى في نفس الوقت، هو نصف الرطل، أي 250 غرام.

تُمثل أوقية ونصف رطل الزادَ المعتاد لثمانية أشخاص (أوثمانية كؤوس)، أولجلستين يقدَّم الشاي في كل واحدة منهما أربع مرات، إذا كان عدد الحاضرين لا يتعدى أربعة، كما وصفنا ذلك سابقا.

عادة ما يكون التحضيرالأول من الشاي المغلى شديد التركيز، حيث يحضَّر بقدر قليل جدا من الماء. والمقدار الذي يُصب منه في الكأس الواحد لا يتعدى في الغالب قيمة ملعقة حساء، أي 15 غرام. وفي التحضيرات الثلاث الأخرى، يكون مقدار السائل ضعف مقدار التحضير الأول. ولا تملأ الكؤوس أبدا، باستثناء المرة الرابعة، بفضل الكاوْ كاوْ.

إن طريقة تحضير الشاي وشربه عند التونسيين لا تتم بالسرعة التي قد يوحي بها هذا العرض. فمع تكرار عمليات التسخين، وقياس المقادير، وتقشير الكاوكاو، والاعتناء

بالكانون، والحديث الذي لا ينتهي، فإن أوقية واحدة من الشاي تكفي لجلسة تستغرق نصف يوم، بحضور ثلاثة أو أربعة هواة. وتقيم النساء الشاي في غياب الرجال. ومن أجل الحصول على الشاي، يبعن كل شيء، بل حتى ثيابهن، وذلك لأنه بخلاف القهوة، يخلق الشاي المغلى حالةَ إدمان تصعُب مقاومتها على ذوي الطباع الضعيفة.

[مترجَم من الفرنسية عن: گوبير، ص 322-323]

55. مطالب نساء الفزان

قد يصعب على البعض تصديق ما جاء في الوثيقة التالية. ومع ذلك فقد نُشرت سنة 1951، وأوردها النقيب دوپان (Dupin) الذي كان يعمل بمنطقة الفزان الواقعة على الحدود الجزائرية الليبية، والتي كانت آنذاك خاضعة للسيطرة الفرنسية. يبدو أن حاكم إحدى المقاطعات لاحظ أن نوعاً من القلق والتوتر ساد بين الأهالي، بدون أي مبرر أو سبب واضح. وذات يوم، عثر الحاكم الفرنسي على رسالة دسّها له شاب من قرية تعمّد المؤلف عدم ذكر اسمها الكامل... وهذا نص الرسالة.

لقد اجتمعت نساء قرية «أو...»، وهن يطلبن من السيد الحاكم أن يعمل على استيراد الشاي الأخضر. وفيما يلي سبب هذا الطلب: عندما يشرب الرجل الشاي الأخضر، فإنه يقترب من زوجته مرتين في كل ليلة. لكن إذا تناول الشاي الأحمر (126)، فإنه لا يتوفر على القوة الضرورية، فينام أربع ليال متوالية دون أن يقترب من زوجته.

فلهذا السبب الهام، جاءت النساء، في وضعية انفعال كبير، كي يقدمن احتجاجهن ضد بيع الشاي الأحمر. فالشاي الأخضر هو «نفس» الرجل بينما يزيد الشاي الأحمر في بدانة النساء. لذلك تطلب نساء «أو...» من السيد الحاكم أن يعمل على استيراد الشاي الأحمر والشاي الأخضر. وينبغي على الحكومة أن تعرف جيداً مصلحة سكان فزان:

(126) هي نفس التسمية التي يُطلِقها الصينيون على ما يُعرف بالشاي الأسود.

الشاي الأخضر يعطي القوة للرجال، والشاي الأحمر يزيد في بدانة النساء. فعلى الحكومة أن لا تجهل هذا الأمر.

وبعد أن توصل الحاكم بهذه الرسالة، حرر مباشرة برقية مرموزة هذا نصها : «نطلب باستعجال طُنَّيْن من الشاي الأخضر».

[مترجَم من الفرنسية عن : دوبان، ص 40]

قالـب السكـر



المصدر : جورج سيدبون، **الكتاب الذهبي المغربي** (بالفرنسية)، الدار البيضاء1948 .

الفصل الثاني

الحلية والحرمة

56. المستصفى في حلية السكر المصفى

محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1823/1239) هو من علماء الزاوية الناصرية بمنطقة درعة. درس بتامكروت، ثم بفاس. وكانت له علاقة وطيدة بالسلطان سليمان. وقد زار المشرق مرتين، وكتب **الرحلة الكبرى والرحلة الصغرى**، إلى جانب مساهمته في فن النوازل. ونقدم هنا الفتوى التي ألفها سنة 1229/ 13-1812، حول موضوع السكر.

بسم الله الرحمن الرحيم،
وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله.

نحمدك اللّهم على ما أسْدَيت من مُباح المطعومات والمشروبات، وتكرَّمتَ به من الطيبات والمستلذات. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصَحبه ذوي العُلا والمَزيات. وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، إلاهٌ جلَّ عن النظير وتعالى عن الظهير. أما بعد.

فقد سُئلت عن السُّكر هل وُجد له أصل ذكر في الصَّدر الأول زمان البعثة فما بعده، أو إنما ظهر بعدها. وعلى الأول فهل أكله صلى الله عليه وسلم ورآه أم لا؟ وعن حُكمه بعد التَّصفية وانعقاده، إذ زعموا أن الرُّوم يَعقدونه بالمسفوح من الدماء، أو بخصوص دمِ الخنزير أو أنْفحَته[1].

فأجَبتُه مُتبرئاً من الحول والقوة، مستعيناً بمولاي باهر القدرة: أما حلية السكر فمعلومة من الدين بالضرورة، كتاباً وسنةً وفقهاً وإجماعاً. قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَات مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]. وقال: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

---

(1) ج. إيريو، «تاريخ مختصر لتصفية السكر بفرنسا»، ضمن كتاب بإشراف ج. ل. مييج، **السكر في بلدان البحر الأبيض المتوسط** (بالفرنسية)، ص 100.

(2) الآية 172 من سورة البقرة(2): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

كَسَبْتُمْ﴾[3]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا منْ الطَّيِّبَات﴾، الآية[4]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾، الآية[5]. واختَلف المُفسرون في الطيبات، فقيل المُباحاَت، وَقيل المُستلَذات، وقيل الكَسب الطَّيب، كعَمل داوود عليه السلام كان يأكل من عَمل يده ومن غَزْل أُمِّه.

وأخرج الأئمة السِّتة مَرفوعاً[6]: «كان صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل»، وفيها: «أَتَدْرُونَ مَا سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم، نَقَّعْتُ لَهُ ثَمَرَات اللَّيْلَ في تَوْر»[7]. وفيها: «كَانَ يُحبُّ الحُلْواء البَارد»[8]. وفي حَديث أنس عند الأربعة، عَن عائشة رضَي الله عنها: «كَانَ أَحَبَّ الفَاكهَةَ إِلَيْه الرُّطَب والبطِّيخ»[9]. وفيها: أَكْلُهُ أَعْظَمَ المُستلذات في جماعة من أصحابه الشواءُ فَي المسَجد[10]. وفَي حديث صحيح: «سَيِّدُ طَعَام الدُّنْيَا وَالآخرَة اللَّحْمُ»[11]، إلى غير ذلك من الأحاديث الدّالة على أنه صلى الله عليه وسلم في نادر أَحوَاله يَتخيَّر لذيذ الأطعمة والأشربة تشريعاً لأُمته.

قال البيهقي في **شعب الإيمان**[12]: في هذه الأحاديث دليل على جَواز اتّخاذ الحلاوات والأطعمة من أخلاط شتّى. قال أهل اللغة، الأزهري وابن سيده وغيرُهما[13]: الحلوا إسم

(2) الآية 172 من سورة البقرة (2): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا منْ طَيِّبَات مَارزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون﴾.

(3) الآية 267 من سورة البقرة (2): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَنْفقُوا منْ طَيِّبَات مَاكَسَبْتُمْ وممَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ منَ الأَرض...﴾.

(4) الآية 51 من سورة المؤمنون(23): ﴿يَاأَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطَّيِّبَات وَاعْمَلُوا صَالحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَليم﴾.

(5) الآية 168 من سورة البقرة (2).

(6) المراد بهم أصحاب الكتب الستة في الحديث، وهم: البخاري (ت 870/256)، ومسلم (ت 875/261)، وأبـو داوود (ت888/275)، والترمذي (ت 892/279)، وابن ماجة (ت 886/273)، والنسائي (ت 915/303).

(7) في البخاري، الأشربة 7: «أَنْقَعتُ له تمرات من الليل».

(8) في الترمذي، الأشربة 21: «الحُلْو البارد».

(9) في الترمذي، الأطعمة 36: «البطيخ بالرطب».

(10) في ابن ماجة، الأطعمة 39: «طعاماً في المسجد قد شُوي».

(11) في ابن ماجة، الأطعمة 39: «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم».

(12) ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458/ 1066)، وهو من أئمة الحديث ومن كبار فقهاء الشافعية. نشأ في بيهق وتوفي بنيسابور. ومن مؤلفاته **الجامع المصنف في شعب الإيمان**، وهو تأليف مشهور وضعت له عدة مختصرات.

(13) لعله خالد بن عبد الله الأزهري (ت 1499 م)، وهو نحوي مصري، ومن مؤلفاته **المقدمة الأزهرية في علم العربية**، و**تمرين الطلاب في صناعة الإعراب**. أما علي ابن سيده المرسي (ت 1066/458) فهو أندلسي ألف في اللغة والأدب والمنطق. ومن مؤلفاته **المحكم والمحيط الأعظم**، و**المخصص** الذي يعتبر من أبرز المؤلفات المعجمية العربية.

لطعام عُولج بحلاوة. لكن قال النووي في **شرح مسلم** وفي كتابه **تهذيب الأسماء واللغات** **ما نصه**[14]: المُراد بالحَلوا في الحديث كل حُلو وإن لم تدخله صَنعة، وقد تُطلق على الفاكهة، هـ .

قال المناوي في **شرحه الكبير على الجامع الصغير** ما نصه[15] : وقد تَنعقد الحَلوا من السكر فيَتعارَضان، وحُبُّه لذلك لا للتَّشهِّي وشدَّة نُزوع النفس له. وتأنُّق الصَّنعَة في اتخاذها كفعل أهل التَّرفُّه المُترفِّهين، بل معناه أنه إذا قُدِّم له تناوَل منه قليلاً صالحاً، فيُعلم منه أنه أعجَبَه. وفيه حلّ اتخاذ الحلاوات والطيبات من الرزق، وأنه لا يُنافي الزُّهد، وردٌّ على من كان كره من الحلَوا كيفما كان مَصنوعاً. وفي **فقه اللغة**[16]، أن حَلواه التي كان يُحبها المَجيعُ كعظيم ثمرٌ يُعجن بلَبن. وفيه ردٌّ على زاعم أن حَلواءه كان يشرب كل يوم قدْح عسل بماء، وإن الحلواء المَصنوعة لا يعرفها، ولم يَصحَّ عنه عليه السلام أنه رأى السكر. وخَبَرٌ أنه حضَر ملاك، يعني زواج أنصاريّ، وفيه السكر. قال السهيلي[17] : غير ثابت.

تَنبيه، قال ابن العربي[18]: والحَلاوة مَحبوبة لمُلاءمتها للنفس والبدن، ويختلف الناس في أنواع المَحبوب منها. كان ابن عمر يتصدَّق بالسكر، ويقول[19]: إنه تعالى يقول: ﴿ لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفقُوا ممَّا تُحبُّونَ﴾[20]، وأنا أحبه.

إلى هنا كلام المناوي، فأنتَ تراه مصرِّحاً بوجود السكر في العهد الأول، ولا يلزم من وجوده أنه، صلى الله عليه وسلم، رآه ولا أكله. وقد عَلمتُ منه أنه لم يره، ونفْي الرُّؤية

---

(14) يحيى بن شرف النووي (ت 1277/676)، وهو فقيه ومحدث ومتصوف، شافعي المذهب من الشام. له تآليف غزيرة من بينها **تهذيب الأسماء واللغات**، و**المنهاج في شرح صحيح مسلم**.

(15) عبد الرؤوف المُناوي (ت 1621/1031)، وهو إمام شافعي عاش في مصر واعتبره البعض أعلَم معاصريه بالحديث. ومن مؤلفاته **التيسير بشرح الجامع الصغير**.

(16) لعله الكتاب الذي ألفه عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429 /1028)، وهو أديب ولغوي ومؤرخ عباسي من نيسابور.

(17) عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي (ت 581/ 1185). ولد ونشأ بالأندلس، وتوفي بمراكش. وهو مؤرخ وحافظ وعالم باللغة.

(18) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت 543/ 1148)، وهو محدث أندلسي، درس بالمشرق حيث ألتقى بالإمام الغزالي. وقد تولى خطط القضاء بإشبيلية، ثم تعاطى للتدريس، وألف في ميادين متعددة من حديث وفقه وأصول ولغة وتاريخ.

(19) هو عبد الله بن عمر (ت 73 أو 74/ 692 أو 694)، ابن الخليفة عمر ابن الخطاب.

(20) الآية 92 من سورة آل عمران (3).

يلْزم منه نفْي الأكل، والأمصار مصر والشام والعراق إذ ذاك لم تُفتح، وهي دار عَجم. فهذا السبب والله أعلم في عدم رُؤيته وأكله، وهذا والله أعلم فيما بعد البعثة، وإلا فقد دخل صلى الله عليه وسلم الشام، وهي دار عجم، وفيها السكر والحَواريَ والمُرققات من الأخباز، فلا يَبعد أن يتناول منها إذ ذاك.

ولما فُتحت الأمصار زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمن بَعده، واتَّسع الصحابة في المأكول والمشروب، وكان ابن عمر من أشدِّهم مُتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزهدهم يتصدَّق بالسكر، ولا يَلزم من تصدُّقه عدمُ أكله، بل الظاهر أنه أكله لقوله: إنه يُحبه لاستدلاله بالآية بناء على أن مَن فيها تَبعيضيَّة.

وأما الفقه فالسكر طعام طاهر، وكل طعام طاهر حلال، فالسكر حلال. وفي ابن الحاجب ومتن **المختصر**[21]: المُباح طعام طاهر. وممّا يرشدك إلى أن السكر موجود في العصر النبوي وما قاربه، قول أمَّهات المذهب **المدونة**[22] وأسْمعَة **العتبية** و**الموازية** و**الجلاب** وابن بشير وابن شاس[23] وابن الحاجب وخليل في البُيوع في الكلام على الجائحَة[24]: اختُلف

---

(21) جمال الدين عثمان المعروف بابن الحاجب (ت 1249/646)، وهو فقيه مالكي عاش بمصر والشام. وقد ألف كتاب **المختصر** الذي لخص فيه مذاهب المالكيين المصريين والمغاربة. وقد ذاع صيته ببلاد المغرب إلى أن حل محله **مختصر** خليل بن إسحاق في القرن الخامس عشر للميلاد.

(22) المراد بها **المدونة في فروع المالكية**، لسحنون عن أبي عبد الله عبد الرحمان ابن القاسم (ت 806/191)، تلميذ الإمام مالك. وهي من أبرز المؤلفات في المذهب المالكي. وقد كانت موضوع عدد من المختصرات والشروح.

(23) **العتبية** وهي المسماة كذلك ب **المستخرجة**، هو مؤلف مشهور في الغرب الإسلامي، وضعه الفقيه الأندلسي محمد بن أحمد العتبي القرطبي (ت 254/ 868). وتعتبر **الموازية** من أمهات كتب المذهب المالكي، وقد ألفه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بابن المَوّاز (ت 894/281)، وهو من فقهاء الإسكندرية، وقد انتهت إليه رئاسة المالكية في وقته. أما كتاب **جلاب الفوائد "الموائد" في شرح التسهيل** في النحو، فقد وضعه شمس الدين ابن ياسر محمد بن عمار المالكي (ت 844/ 1440-1441)، وشرح فيه كتاب **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي (ت672/74-1273). وابن ابراهيم بن عبد الصمد ابن بشير (عاش حوالي 1100م) هو فقيه مالكي من افريقية، علّق على **المدونة** مثلما فعله ابن يونس (عاش حوالي 1100م) واللخمي (ت 1085/478) وابن محرز والتونسي (ت 447 /56-1055). أما عبد الله بن نجم الدين محمد ابن شاس المعروف بالخلال (ت 616 /20-1219) فهو فقيه مصري، ألف كتاب **الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة**.

(24) خليل بن اسحاق الجندي (ت 1374/776)، هو من كبار فقهاء المالكية بمصر. وقد كان كتابه **المختصر** من أكثر المؤلفات الفقهية تداولاً بين المالكية.

في القصب الحُلو. وفي عبارة ابن يونس[25] : السكر على قَولين، هل هو مُلحق بالثمار في الجائحة أو بالبُقول، والغرض من هذا إثبات قدم السكر، ويَشهد لذلك ما في كتب قدماء الأطباء، ففيها تناوُل السكر في أدْويَّتهم.

فبان بهذا أن السكر أصله نَبات تكوَّن على أصل الطهارة، يُعصَر فيُستخرج منه المُسمى بالخام، أي غير المُصفى، حسبما شاهدناه بمصر. فوزانُه وزان الزيت من الزيتون، فالأصل الطهارة حتى يَطرأ عليها ما يُنجسها، فيجب طرحُها بَالنسبَة للأكل والحَمل في الصلاة. فإن ثبَت بشهادة العُدول من المسلمين، أن الروم لا يُصفّون أو لايَعقدون السكر إلا بدَم ونحوه، كان طَعاماً نجساً لا يُؤكل على المشهور، ويكون حينئذ سبيلُه سبيل الجُبن الرومي الذي ينعقد بأنْفحة الخنزيَر.

قال الطرطوشي[26] : الجُبن الرومي ينْعقد بأنفحة الخنزير ولا يَسلم من شَحمه. وفي الجلاّب : لا يُؤكل جُبنهم للأنفحة التي فيه. ومثلُهَ للتونسي والقرافي[27]، فلا يَنبغي لمسلم شراء شيء في حانوت موجود فيها، لأنه يُنجس الميزان والبائع والآلة.

وخالف الطرطوشي غيره كابن العربي فأباحَه لقوله تعالى : ﴿وَطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الكتَابَ حلٌ لكُمْ﴾[28]. قال القلشاني[29] : رأيت تَأليفاً فيه احْتجاج القَولين، وسَمعت في دَرس الغَبريني[30] أن ذا الحاجة يأتي قَبر الطرطوشي بالأسكندرية، فيَطلب من الله تعالى مُتوسِّلا بالشيخ ومُلتزماً مَذهبه في عدم أكل جُبنهم فيَقضي حاجته، هـ .

---

(25) هو أبو بكر محمد بن عبد الله ابن يونس (ت 1059/451). وضع تأليفاً عن **المدونة والمختلطة** لسحنون، وضمَّنه عدة مسائل من كتاب **النوادر** لابن أبي زيد القيرواني.

(26) أبو بكر بن الوليد الطرطوشي (ت 1162/520). وُلد بالأندلس، ورحل إلى المشرق حيث درَس بالشام والعراق والإسكندرية. وقد ألف في البدع والآداب السلطانية. وله رسالة في تحريم جبن الروم.

(27) أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن التونسي (ت 1055/447)، هو صالح وفقيه مالكي عاش بالقيروان. ومن مؤلفاته تعليق على كتاب ابن الموّاز وعلى **المدوّنة** . وشهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت 1285/684)، . هو فقيه مالكي من مصر، وضع مؤلفات هامة في الفقه والأصول، من بينها **الفروق** ، **والذخيرة**، **والإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرُّف القاضي والإمام**.

(28) الآية 5 من سورة المائدة (5) : ﴿اليومَ أُحلَّ لكُم الطَّيِّبات وَطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الكتَابَ حلٌ لكُمْ وطَعامُكُم حلٌ لَهُم . . . ﴾.

(29) هو أحمد القلشاني (ت 1460م)، فقيه من تونس، وضع شروحاً على **التحفة والمدونة ومختصر** ابن الحاجب.

(30) أبو المهدي عيسي بن أحمد الغبريني (ت 815/ 1413). وهو فقيه وقاضي بتونس، وُصف بحافظ المذهب المالكي بتونس بعد ابن عبد السلام وابن عرفة.

ويدلُّ لمُخالف الطرطوشي قولُ ابن ناجي [31] : وإذا كان الكافر يسلُّ عُنق الدَّجاجة، فالمشهور لا تُؤكل. وأجاز ابن العربي أكلها، وقد رأيناه يسلُّ عُنقها لأنه من طعامهم وهو بعيد. وبالغ غيره فقال : ليْت قوله هذا لم يَخرج للوجود ولا سُطِّر في الكتب، هـ. ابن سراج[32] . وهي هَفوَة لأنّا إذا لم نَستبح الوَحشي بعقرهم فأحْرى الأنْسي، وعلى استباحته فعلَّله اللخمي بأنه ذكاة عندنا [33] ، وعُقر الأنسي ليس بذكاة، فلا يُباح بذلك. وقد وافق الفُقهاء في **أحكام القرآن**، هـ. أي ابن العربي، وكذا انتصر الحفَّار لإبن العربي ووجَّه قوله [34] ، وسكتَ عن فتواه ابن عرفة وأقرَّها[35] ، وقال : حاصله أن ما يَرَونه مُذكى عندهم حلٌّ لنا، وإن لم تكن ذكاتُه عندنا ذكاة، هـ. ، نَقله بجَميعه الشيخ أحمد بابا في حواشيهَ على قول المَتن في الذكاة [36] : وإن أكلَ المَيتَة، وعليه فيَتحرَّج في السكر هذا الخلاف بعد تحقُّق عَقده بالدم.

ومن قواعد المذهب، كما للقرافي والأُبي في **شرح مسلم**[37] ، أنه لا يُنكر من المنكر إلا ما أجمع عليه، وأقرَّه شُروح **المختصر** في صدر الجهاد. فلا يُشوَّش على العامة والخاصة اليوم في تناولهم للمُصفى من السّكر في أدويتّهم أو أطعمتهم أو مُستلذاتهم، مثل أتَيْ (كذا)

(31) قاسم بن عيسى ابن الناجي (ت 1433/837)، وهو فقيه قيرواني تولى خطط القضاء في عدة مدن بإفريقية. ومن مؤلفاته **شرح المدونة**، و**شرح الرسالة**.

(32) لعله أبو القاسم محمد بن محمد ابن سراج (ت 848 / 45-1444). وقد تولى قضاء الجماعة والإفتاء بغرناطة، ونقل عنه الموّاق في شرحه **لمختصر** خليل ابن إسحاق.

(33) علي بن محمد اللخمي (ت 1085/478)، وهو فقيه مالكي، عاش في مدينة صفاقس بإفريقية، ومن مؤلفاته كتاب **التبصرة**. أما «الذكاة» فهي تعني شرعاً «ذبح أو نحر الحيوان المأكول اختياراً أو عقر الممتنع بالطريق المشروع»، انظر أبو شريع عبد الهادي، **أحكام الأطعمة والذبائح في الفقه الإسلامي**، ص147.

(34) محمد بن على بن محمد الشهير بالحفّار (ت 810 /08-1407) هو محدث ومفتي من مدينة غرناطة. وقد وردت مجموعة من فتاويه في **معيار** الونشريسي.

(35) أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي (ت 803 / 1401)، هو خطيب تونس ومفتيها. وقد اعتُبر مرجعاً هاماً في المذهب المالكي، حيث كان يُستفتي من مجموع بلاد المغرب والأندلس. ومن مؤلفاته كتاب **المختصر في الفقه**.

(36) أحمد بابا التنبوكتي (ت 1627/1036)، هو عالم من تنبوكتو، نفي بمراكش بسبب موقفه من احتلال أحمدالمنصور السعدي لبلده. وأقام بنفس المدينة حتى 1014 / 1605 حيث عاد إلى وطنه. وقد ألف في التراجم والحديث والفقه واللغة.

(37) محمد ابن خلفة الوشتاني التونسي الشهير بالأبي (ت 828 /24-1423)، هو فقيه من أصحاب ابن عرفة السابق الذكر. وقد اهتم بفقه الفروع، وشرح **المدونة** و**صحيح** مسلم.

المَجلوب من بلاد الروم، فليس فيه ما يُنكر إن خلا عن التشبُّه بالخمر في شُربه مع الأوْباش ومن لا خَلاق لهم، أو دوَران كيزانه[38] بساق وشاذن ونحو ذلك. نعم لا يَنبغي الإدْمان عليه للترفُّه والإسراف وقساوَة القلب، وهو صلى اللهَ عليه وسلم وإن لم يأكل في سُكرجة[39]، فلا يَلزم من عدم أكله الحُرمة ولا الكراهة كالضبِّ، وإنما هو، صلى الله عليه وسلم، كان لا يُكثر من الأكل، فلم يَحتج إلى المُهضم، فلم يتَّفق له صلى الله عليه وسلم الأكل والشرب في الأواني الصغار العجيبة المُزخرفة، ويَحذر من شربه في أواني الذهب والفضة أو المُذهب أو المُفضضة لحديث **الصحيحين**[40] : «الأكل فيها كالذي يزنجر في بطنه نار جهنم».

وما ادُّعيَّ عن نجاسة المَعقود من السكر، إن كان من الحُمرة التي تَظهر فيه عند مُلاقات النار، فهي جَودة في أصله قبل التَّصفية والعَقد أخالها من القصَب وخُبثه بمن لم تكمل تصفيتَّه، وبما بقي فيه ذلك الأثر، فيَظنُّ الظان أنه دم، فتنشأ عن ذلك وسوَسة، أو تنطُّع في الدين، أو تزهُّد في الحلال، أو إرادة الشُّهرة بهذه الدعوى كما قيل : خالف تعرف، وكل ذلك لمعنىً في نظر الشرع.

وما هذه النَّزعة إلا كنَزعة المَلف من المَلبُوسات، إذ قيل إن الروم يُرطِّبونه بشحم الخنزير. قال الأُبي في **شرح مسلم** على حديث : «هلك المتنطعون[41]»، ما نصه النووي : هم المُتعمِّقون قاله المازري[42]، أي المُتجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم، ويعني بهَلاكهم هلاكهم في الآخرة.

قُلت : ويحتاج إلى الفرق بين التَّنطُّع والورع والوسوسة، ويظهر الفرق بالمثال. فمن وجد ثوبين أحدهما طاهر لم يَلحقه شيء، ولحق الآخر طين مَطر، فيختار الصلاة في الذي لم يلحَقه شيء، هذا ورع. ولو وجَد ثوبين أَحدهما لمَ تلحقه نجاسة، ولحِقت الآخر

---

(38) الكوز (جمع كيزان) كلمة من أصل أرامي، تعني إناء كالإبريق لكنه أصغر منه.

(39) السكرجة إناء صغير.

(40) يراد بهما **صحيح** البخاري و**صحيح** مسلم.

(41) رواه مسلم في كتاب العلم، حديث 7.

(42) هو محمد بن علي المازري الصقلي (ت 536 / 1141). فقيه مالكي عاش بإفريقية، حيث تلقى تكوينه علي يد ابن السايغ واللخمي. وقد نبغ في الفقه واشتهرت فتاويه التي امتاز فيها بالإجتهاد. ويوجد من بين تلامذته رجال مشاهيرمثل القاضي عياض والمهدي ابن تومرت.

وغُسلت، فيترك الصلاة بالمغسول لأنه مسَّه نجاسة، هذا تنطُّع. وما يُحكى عن الشيخ تقي الدين يعني ابن دقيق العيد[43]، من أنه كان لا يلبس الملْف، وأنه إذا قبَّل أحد يده يغسلها. كان شيخنا ابن عرفة يقول: إن هذا ورع، لأنه إنما يُريد أن يَخرج من عُهدة التكليف بيقيه، لأنه من الجائز أن يكون بيَد من مسَّه نجاسة، لا سيما العوام ومن لا يتحفَّظ ولا يعرف أحكام الطهارة. وليس هذا وسوسة، وإنما الوسوسة ما يتَّفق لبعض الناس من إكثار الماء في الوضوء وإطالة التدلُّك.

وكان الشيخ الفقيه الولي أبو محمد المرجاني[44]، لا يُصلي في الملف، لما يذكر أنهم يرطِّبونه بشحم الخنزير. ويستدلُّ على ذلك بأن الإبرة إذا وُشكت فيه فإنها لا تصْدى، ولو جُعلت في الرّطب صوف أو غيره تصدَّت. فما ذلك إلا لصحَّة ما يُقال. وكان الشيخ يقول: ترك الصلاة به إنما هو ورع، لأن ما يقال من ذلك لا يَثْبُت بخبر مقبول ولا ببيِّنة. قال: وكان السطي وابن عبد السلام يُصلِّيان بالملف[45]، قال: وأنا أُصلي به في الدَار، ويَمنعني من الصلاة به في الجامع، خَوف أن يأتمَّ بي من يكره الصلاة به. قيل: وإذا غُسل بالماء الحار فإنه يُطهَّر، هـ. كلام الأبي. وتقدَّم له في حديث: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ»، إلخ.[46]، ما حاصله، عياض[47]: وأما إن كان الشك وتجويز النَّقيض لا مُستند له إلا الوهم والتقدير، فلا يُلتفت إليه وليس من الورع الترك لذلك، كَمَن أتى إلى ماء باق على أصل خِلقته ولم يَجد غيره، فقال في نفسه: لعلَّ نجاسة سقطتْ فيه، فامْتنع من

---

(43) هو أبو الفتح محمد بن علي ابن وهب القشيري المصري المشهور بتقي الدين بن دقيق العيد، المتوفى عام 702 / 03-1302. وصف بالمشاركة في علوم الحديث والأصول واللغة. وتميز بإفتائه على مذهبي مالك والشافعي معاً. وقد وصفه السبكي ب«المجتهد المطلق».

(44) لعله فقيه من تونس عاش في القرن السابع الهجري.

(45) أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي نسبة إلى سطة، أحد بطون أوربة بنواحي فاس (ت 1350/750)، هو أحد كبار الفقهاء والمفتين بالمغرب في وقته. وقد أخذ عن أبي الحسن الصغير الزرويلي، وأخذ عنه ابن عرفة والعقباني وابن خلدون. وله مؤلفات في الفقه، من بينها تعليق صغير على **المدونة**. أما أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، فهو قاضي الجماعة بتونس، وأحد شيوخ ابن خلدون، وقد توفي في الطاعون الكبير سنة 749 / 1348.

(46) في البخاري، الإيمان 39: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعلَمُها كَثيرٌ من النَّاس. فمن اتَّقى المُشبَّهات استبرأ لدينه ولعرضه، ومن وقع في الشُّبهات: كالراعي يرعى حول الحِمى، يُوشِك أن يُواقعه ...» (أنظر أيضاً، البخاري، البيوع 2).

(47) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 / 1149). ولد بسبتة، وتلقى تكوينه بالمغرب والأندلس في عهد دولة المرابطين. وقد تولى الإفتاء والقضاء بسبتة وغرناطة. ويعتبر من أعلام المالكية بالغرب الإسلامي.

استعماله . فهذا ليس بمَمدوح وهو خارج عن مُقتضى الحديث، لأن الأصل الطهارة واستصحابها وعدم الطارئ. وكذلك لو اشْتهى النساءَ، وقال : لعلَّ في العالم مَن أُرضعت معي، فامتنَع من الزواج لذلك.

فلا يُلتفت إلى شيء من هذه الخواطر، والإصغاء إليها والدوام على مُوجبها يتَّسع به الخرق ويعظم به الضرر، فهي ساقطة في نظر الشرع. قال بعض الفقهاء : الأولى إضراب النفس عنها، والتغافُل عن إحضارها بالبال، كما يقولون في الوسوسة بعد الوضوء إنه يَنبغي أن يُنهى عن ذلك.

قلت : وهذا المعنى جعله الغزالي[48] من ورع الموسوسين الذي ينبغي الإعراض عنه ولا يُعمل بمُقتضاه. وانظر ما يُحكى عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد من التحفُّظات، وأنه إذا قبَّل أحدٌ يَده أو مسَّها غَسلها لاحتمال أن تكون بفيه أو يَده نَجاسة، إلى غير ذلك ممّا يُحكى عنه في هذا المعنى، وكذلك ما يُحكى عن الشَيَخ الصالح أبي الحسن المنتصر، من شيوخنا التُونسيين، أنه كان يَغسل الرُمان لاحْتمال أن يكون بيَد قاطعه نجاسة، والرمان مَبلول بالنَّدى. وأيضا فإنه يُحمل بالزَّنابيل ولعلَّها غير طاهرة، فنصُّ كلام الغزالي أو ظاهره أن هذا من الوسوسة المأمُور بالإعراض عنها.

قلتُ : وكذا هو نص العبدري في **رحلته**[49]، قائلاً في ابن دقيق العيد : إنه مُوسوَس يَغسل يده إذا صافحته، أو كما قال، ثم قال الأُبي : وكان الشيخ يميل إلى تصويب فعلهما، وأنَّهما أرادا أن يبْنيا أمرهما في ذلك على اليقين، ومُستندهما وإن كان الوهم والتقَدير فلم يَشهد الشرع بإلْغائه. ثم أطال الأُبي في المسألة إلى أن قال : فإن قيل قولكم إذا كان مُوجب الشكّ الوهم والتقدير، لا يُلتفت إليه، فحديث إلغاء التَّمرة خشيةَ أن تكون من الصدقة يدلُّ على خلافه، أُجيب بأن تلك الاحْتمالات لا أمارة لها، والأمارة في التمَرة قائمة، لأنهم كانوا يأتُون إلى المسجد وحُجره صلى الله عليه وسلم كانت مُتصلة بالمسجد، فتوقَّع صلى الله عليه وسلم أن يكون صبيٌّ أو من لا يَعلم ذلك أدخل الثمرة بَيْته، هـ. إلخ.

---

(48) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المعروف ب«حجة الإسلام» (ت 1111/505). ولد بخراسان، وعاش في العراق والشام ومصر. وقد ترك تأليفاً غزيراً في عدد من المجالات الدينية والفلسفية، حيث وفق بين التصوف والإسلام السني، واستوعب الفلسفة الاسلامية من أجل استعمالها للدفاع عن العقيدة. ويُعتبر كتابه **إحياء علوم الدين** أهم ما أنجزه الاسلام السني التقليدي في العهد الكلاسيكي.

((49) هو محمد بن محمد الحاحي العبدري (ت حوالي 700 / 1300). عُرف **بالرحلة** التي حكى فيها سفره إلى الحج.

وقد حكى ابن العربي الإجماع على حلِّية طعام الكافر الكتابي، ومَنسوج الكافر مُطلقاً، ومُستنَدُه في الطعام آية : ﴿وَطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الكتَابَ حلٌّ لكُمْ﴾ . وفي المَنسوج وما دخلته صَنعة قبول النبي صلى الله عليه وسلَم هداياهم منَها ولباَسه لها . وفي الحديث : «أهدى له النجاشي خفين أسودين ساذجين، فلبسهما ومسح عليهما، ولم يدر ذكاة الحيوان المتخذ منه ذلك»[50] . وفي الصحيح : «لبس صلى الله عليه وسلم في سفره جبة ضيقة الكمين رومية»، أي صانعها أو مُهديها رومي.

وصرح القرافي في **الفروق** بأن جميع ما يَصنعه أهل الكتاب والمسلمون الذين لا يُصلُّون ولا يَستنْجون ولا يَتحرَّون من النجاسات، من الأطعمة وغيرها مَحمول على الطهارة، وإن كان الغالب عليه النجاسة، زاد الحطاب[51]، وأخذه ابن ناجي من **المدونة**، وقال ابن شعبان في **الزاهي**[52]: والثياب التي يَلي غَسلَها الكفّارُ طاهرة.

فتحصَّل من الأنقال السالفة، أن السكر قبل تصفيَّته وانعقاده طعامٌ طاهرٌ مباحٌ تناولُه إجماعاً. وبعده ولم يثبُت مُلابسة النجاسة له، وبعد ثُبوته يأتي فيه خلاف ابن العربي وغيره في الجُبن الرومي، إذ لا فرق ولا يُنكر من المنكر إلا ما أجمع عليه كما تقدَّم، والله ربّنا أعلم وأحكم.

ولمن شاء أن يُترجم هذا المجموع ب **المستصفى في حلية السكر المصفى**. وكتب المُتطفل على العلم وأهله، الولاَّج على ما يُحسن من فَرعه وأصله، مَحمد بن عبدالسلام الناصري الدرعي لطف الله به، سنة 1229[1814 م]، انتهى.

[مَحمد بن عبد السلام الناصري]

---

(50) النجاشي هو عاهل الحبشة في فترة ظهورالإسلام.

(51) محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب (ت 954 / 1547) هو فقيه متصوف من أصل مغربي. ازداد واشتهر بمكة وتوفي بطرابلس الغرب. وقد ألف في ميدان الفقه واشتهر على الأخص بكتابه **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**.

(52) أبو إسحاق محمد بن القاسم ابن شعبان (ت 355 / 966). وقد كان من أبرز فقهاء المالكية بمصر في عصره، شارك في علوم متعددة، ومن مؤلفاته **الزاهي الشعباني** وهو كتاب مشهور في مجال الفقه.

57. [دفاع عن سكر القالب]

هذه قصيدة لحمدون ابن الحاج السلمي (ت 1817/1232). وهو أديب وفقيه ينتمي إلى أحد بيوتات العلم بفاس. أخذ عن الطيب بن كيران ومحمد بن عبد السلام الناصري السالف الذكر. وكان من بين تلامذته السلطان سليمان والعربي الدمناتي ومحمد بن إدريس الوزير وابنه محمد الطالب بن حمدون. ومن المعلوم أن حمدون ابن الحاج كان على صلة وثيقة بالسلطانين محمد بن عبد الله وخلفه سليمان.

أسادَتَنَا أهْلَ العُلاَ في المَواكِبِ ... ومَنْ زَحَمُوا بَدْرَ الدُّجَى بالمَناكِبِ
وسَعْدُ التُّقَى في حَيِّهِم وَاضِحُ الطُّلَى ... وطَالِعُهُم في أُفْقِهِم غَيْرُ غارِبِ
أُسائِلُكُم سُؤالَ مُستَرْشِدٍ فإنْ ... أجَبْتُم فَقَدْ وفَيْتُم حَقَّ واجِبِ
وإلاّ وُقيتُم فالِّلجامُ لِكاتِمٍ ... معدٌّ وحَقُّ اللَّهِ أدْعى لِراغِبِ
لَقَدْ حَدَّثونا أنَّ سُكَّرَ قالَبٍ ... بصافي الدَّمِ المَسْفوحِ يَصْفو لِشارِبِ
فَبعضُهُم عَمَّنْ رَواهُ وبَعضُهُم ... رآهُ عِياناً لَيسَ عَنهُم بِغائِبِ
ولَيسَ بزَعمٍ ما بِه قَدْ تَحَدَّثُوا ... وما زَعَموا إلاّ مَطيَّةُ كاذِبِ
لَقدْ حَدَّثُوا بالحَقِّ، والحَقُّ أبْلَجُ وما ... وما الحَقُّ عَنْ سَمْعِ الذَّكيِّ بعازِبِ
وفي تونُسٍ مِنْ قَبلِ هَذا تَحَقَّقوا ... بِهِ إذْ أتاهُم ذاكَ مِنْ كُلِّ جانِبِ
فَجَنَّبَهُ أهلُ العُلومِ تَورُّعاً ... وذلكَ عاداتُ النُّجومِ الثَّواقِبِ
وهَبْ أنَّ منهُ ما يُصَفّى بِدونِهِ ... أمّا الحَقُّ أنَّ الحُكْمَ نيطَ بِغالِبِ
فإنْ قُلتُمُ الَّذي ادَّعَيتَهُ غالِباً ... يُعارِضُهُ الأصْلُ الأصيلُ لِذاهِبِ
إذا حِكْمَةٌ عِندَ النَّصارى ... ولا مانِعٌ مِنْها يَلوحُ لِطالِبِ

يُصَيِّرُها أصْلاً أصيلاً لَديهِمُ عَلى وذلكَ أمْرٌ واضحٌ غَيرُ عازب
أنَّه لَو سُلِّمَ الأمْرُ جُمْلَةً فَتلكَ حُدودُ اللَّه رَدْعٌ لراهب
كَذاكَ الحَلالُ والحَرامُ مُبَيَّنٌ وبَينَهُما ما فيه رَيبٌ لرائب
وماذا الَّذي يَدعو اللَّبيبَ إلى صَلاة شَكٍّ وما أدّى إلى عَتْبِ عاتب
وعَنْهُ يَرى مَنْدوحَةً بوُجود ما يُصَفّى صَفاءً خالصاً من شَوائب
فهَذا الَّذي يَبْدو لَنا ولَعَلَّهُ لَديكُمُ ما فيه قَضاءُ المَآرب
أجيبُوا بما فيه كفايَةُ طالب وما لَيسَ فيه مَطْعَنٌ إلى طالب
وما وخَلُّوا تَعاليلَ العَوامِ فَإنَّهُ بكُمْ يُقْتَدى في الدّينِ لَيسَ بحاطب
فَحاطِبُ لَيْلٍ ما تأمَّلَ قَولَهُ فَوَيْلٌ لَهُم مِمّا وَوَيْلٌ لكاسب
«ولِلنّاسِ فيما يَعْشَقُونَ مَذاهِبُ» وحكْمَةُ رَبّي في اخْتلاف المَشارب
وما عَجَزَتْ خَرْقاءُ مِنْ علَّةٍ بها تُلَبِّسُ وَجْهَ الحَقِّ رَدّاً لواجب

[حمدون بن الحاج ، **الديوان العام**، ج 1 ، ص 88 - 90]

58. تغيير المنكر في من زعم حرمة السكر

هذه فتوى أخرى كتبها سليمان بن محمد الشفشاوني المعروف بالحوات (ت 1231 / 1816). والمؤلف شريف علمي ولد بشفشاون من أب تولى القضاء. وقد انتقل الحوات إلى فاس حيث درس واشتهر في الوسط العلمي، وبفَضل موارده العائلية فضل أن يخصص كامل وقته للدراسة والتحصيل بعيداً عن الخطط القضائية أو الدينية. وبعدما بلغ سناً متقدماً، تولى منصب نقيب الأشراف بطلب من السلطان سليمان. وقد ترك الحوات مؤلفات كثيرة، لاسيما في الأنساب والمناقب والتراجم.

بسم الله الرحمن الرحيم،
وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله.

الحمد لله الذي بيَّن الحلالَ والحرامَ، وألغى حُكم الشَّك في تَحريم أنواع الطعام. وصلى الله على أشرف نَبيٍّ بَعثه الله بالدين اليُسر، وعلى آله وصحبه الذين لم يأت أحد بأهْدى مما كانوا عليه في سالف الدهر. وبعد.

فإن بعض المسلمين ممَّن سافر لبلد النصارى، أخبر أنهم يجعلون الدَّم في السكر عند طبْخه للتَّصفية، ثم يُبالغ بالعمل فيه طبخاً وتصفية إلى أن يَصير في نهاية من البياض والصلابَة، مُفرغاً في القوالب على الشكل الواصل إلينا. فكثُر الكلام بين الطَّلبة في حُكمه بالتحريم لنجاسة الدم الذي خالطه.

وأقول : الذي يَظهر بل يتعيَّن في هذا الخبر، أنه غلط نشأ من [توهُّم أن الحُمرة التي في السُّكر أول طبْخه هي حُمرة دم يُخالطه حينئذ. وليس الأمر كذلك، بل ذلك الأحْمر الذي توهم أنَّه الدم إنما هو عيْن السكر في أول أطوار طبخه، فإنه إذ ذاك يكون أحمراً كأنه عَنْدَم[53]، وحُمرته أصالة لا لأنها عن دم، وربَّما عاد إليه شيء من أثرها بعد اسْتقصاء أعماله إذا قابَلتْه نار أو أصابته رُطوبة باردة.

(53) العَنْدم نبات يُستعمل للصباغة.

الصفحة الأولى من مخطوط "تغيير المنكر" للحوات.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي بين الحلال والحرام والغى حكم الشك في تحريم انواع الطعام
وصلى الله على اشرف من بعثه الله بالهدى للبشر وعلى آله وصحبه
الذين ليس بانت احد باهدى مما كانوا عليه في سالف الدهر وبعد
فان بعض الصالحين من سابر لبلاد النصارى اخبر انهم يجعلون الدم
في السكر عند طبخه لتصفيته ثم يبالغ بالحرارة فيه طبخا وتصفية
الى ان يصير في نهاية من البياض والصلابة مجرغا في القوالب على
على الشكل الواصل الينا وكثر الكلام بين الطلبة في حكمه بالتحريم
لنجاسة الدم الذي خالطه وافهم الذي يظهر بل يتعين في هذا
الخبر انه غلط نشأ من توهم ان الحمرة التي في السكر اول طبخه هي
حمرة دم خالطه حينئذ وليس الامر كذلك بل تلك الاحمرار الذي توهم انه
الدم انما هو عين السكر في اول اطوار طبخه وانه اذ ذاك يكون احمر
كانه عندم وحيث انه اطالة الا انها عن دم وربما اعاد اليه شيء من اثرها
بعد استقصاء اعماله اذا قابلته نار او اصابته رطوبة بادرة هذا
هو الواقع الذي لا زلنا نتلقاه عن الرائي والسامع وبه كان يحدث من
ادركناه من اعاظم السفراء الى الروم عن هذه الدولة العلوية
وكانوا ممن لا يخدع ولا تلتبس عليه الاشياء لمزية العلم والادب
وقوة التيقظ مع شدة البحث عن امور وجدوها سيما غرائب
ما ليس عندنا وكذلك اكابر التجار في اكثر البلاد الاسلامية والنصرانية
لان السكر من جملة العصارات الحلوة بل افواها حلاوة ولا يختبر ان

هذا هو الواقع الذي لازلنا نتلقاه عن الرائي والسامع، وبه كان يُحدث من أدركناه من أعاظم السفراء إلى الروم عن هذه الدولة العلوية [54]، وكانوا ممَّن لا يُخدع وتلتبس عليه الأشيَاء، لمزيد العلم والأدب وقوَّة التيقُّظ، مع شدَّة البحث عما يرون ويسمعون، سيما غرائب ما ليس عندنا، وكذلك أكابر التجّار في أكثر البلاد الإسلامية والنصرانية، لأن السكر من جُملة العصارات الحُلوة بل أقواها حلاوَة، ولا يَخفى أن لونها كلها الحُمرة كالعسل وقَصيبة البين ورُبّ السوس ورُبّ العنب ورُبّ التَّمر وغيرها.

ولقد استوفى الحكماء في تأليفهم، قديماً وحديثاً، الكلام على السكر طبعاً وطبخاً، افراداً وتركيباً. وكلهم يَذكر أنَّه يكون أحْمر في أول أطواره، ولم يَذكر أحدٌ منهم أنه يُشاب بشيء من الدَّم في قسم من أقسامه، وناهيك بالإمام آخر حكماء الإسلام الشيخ داوود الأنطاكي رحمه الله [55]، فإنه ذكر في تذكرته التي قيل إنه لم يُؤلَّف مثلها، فيما وضعت له صُنعة عمل السكر، وكيْفية طبخه في جميع أقسامه الكائنة منه بحسبَ الطبع، فقال :

وصَنعته أن يُقشَّر، ويُدرس ويُعصر بآلات معروفة، ويُطبخ حتى يُثخن، ويُسكب في فخّار عظيم كبير واسع ممّا يَلي أعلاه، يُضيق تدريجياً حتى يَصير كفَم الشارب. ويُترك في هذا مُغطى بثجير القَصب في محلٍّ يميل إلى الحرارة نحو أسبوع. ويُسمى هذا بالأحْمر. ثم يُكسَّر ويُكبُّ في أقماع دون الأوائل، وتمصٌّ من الرأس حتى يَخرج ما فيها من الأوساخ، وهذا هو السليماني. ثم يُطبخ ثالثاً، فإن سُكب في قالب مُستطيل ولم يستقص طبخه، فهو الفانيد. وإن اسْتقصى بأن جعل اقماعاً صنوبرية وهو المعروف بالإيلدج، أو مُستطيلة على السَواء، فهو القلم. وإن طُبخ هذا رابعاً، كُبَّ في قُدور الزجاج، وقد تَشبَّكت بقشر أو قصَب، فهو القزّازي. وقد يَقع هذا الطبخ الأخير بالشام، فيكون جيداً ويُسمى الآن بالحَموي. فهذه أقسامه الكائنة منه بحسب الطبخ في نفسه، هـ. باختصار قليل.

وقال قبل هذا، بعد أن ذكر جُملة من البلاد التي يَنبت بها قصَبه : إن أولى البلدان به الآن مصر، فإن النيل يَجود قصبه فيكون به عظيماً، هـ. ومن المعلوم أن مصر هي العالم الأصغر الذي اجْتمع فيه ما افْترق في العالم الأكبر كلِّه، وبها في كل وقت من أئمة المذاهب ما لا يُحصى كثرة، ولا حِرفة لهم إلا مَعرفة الحلال والحرام، والبحث عمّا يَحدث في الدين على

---

(54) انظر عبد المجيد قدوري، **سفراء مغاربة في أوربا**، ص21 - 30.

(55) أنظر نص رقم 77.

الدوام، وما توَهَّموا قط في السكر أنه يَختلط في صَنعته بمّا يُنجسه من دم أو غيره، مع وُقوفهم بالمُعاينة على كيْفيته في جميع أطوار صَنعته .

ولو قيل إن طَبخه بالدم خاص بصَنعة النصارى، كلاً أو بعضاً، لقُلنا إن عُلماء المِلّة الإسلامية في المعمور كله أكثروا من التَّنقير عمّا يَصل إلينا الانتفاع به من صنائعهم، ثم لم يقفوا إلا على أفراد نادرة بطريق الشكّ فقط، فضلاً عن غلَبة الظنّ المُعتبرة شرعاً. وما ذكر أحدٌ منهم السكر مع أنه لا يُستغنى عنه في الأطعمة الفاخرة، ولا قوام للأشْربة والمعاجين والجوارش والسُّفوف العجيبة الفعل إلا به [56]. وأكثر الناس عناية بهَذا كلّه أهل الصولة من عُظماء الدولة، ولا جرم أن مجالس المُلوك والكُبراء أسواق تُجلب إليها بضائع الأخبار من بعيد الأقطار، ولا يَروج فيها إلا خالص الابريز، لما احْتوت عليه من كثرة النُّقاد على صَيارفة الحديث بما كان وما يكون. وما ذكر لهم أحَدٌ هذا، ولا سُمِع من فاه عندهم فيه ولو ببنْت شَفَة.

فلم يَبق حينئذ إلا العُذر للمُخبر بهذا الخَبر في آخر الدَّهر، بحَمل خبره الذي يوَسوس في صدور الناس، على مُجرَّد الغلط والالتباس. وما زال الغلط يقع بمثل هذا في الأواخر والأوائل من العالم فضلاً عن الجاهل.

ففي **الرحلة العياشية** [57]، عن شيخه أبي عبد الله محمد بن مساهل [58]، أن سيدي علي الخُضيري ذكر في شرحه على **المختصر** [59]، أن الزّباد المُسمّى في عُرف غربنا بالغالية نَجس [60]، وإن كان عَرق حيٍّ، لمُروره بمحلّ البول. قال: وكان بعضُ الصالحين لا

(56) تدل هذه الكلمات على أنواع من الأغذية، وكذا على أنواع من المستحضرات الطبية.

(57) هي رحلة حجازية ألفها أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي الفاسي (ت 1090/ 80- 1679). وقد ألف العياشي في مجال الفقه أيضاً.

(58) أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مُساهل (ت 1074/64-1663) هو فقيه متصوف من طرابلس الغرب، تولى الفتوى لمدة أربعين سنة تقريباً، ثم استعفى منها وتفرغ للتدريس.

(59) يلاحظ أن كتابة اسم هذا الفقيه اختلفت حسب نسخ المؤلفات التي ذكر فيها: الخضيري، الخضري، الحضري.

(60) الغالية كلمة محلية تعني إفراز الزباد، وهو نوع من المسك يجلب من الساحل السوداني، وهناك أنواع أخرى تستورد من بعض بلدان الشرق الأقصى. ويعتبر المسك من أشهر أنواع الطيب، إلى جانب العنبر والعود والكافور. ويستعمل المسك كذلك للتداوي والتجميل، كما يدخل في تركيب البخور المسمى بالند المجلوب من الشرق. انظر، يوحنا ابن ماسويه، «كتاب جواهر الطيب المفردة»، ص 9-11. راجع كذلك جمال بلخضر، **الطب التقليدي والسمامة بغرب الصحراء** (بالفرنسية)، ص 186-187.

يَتطيَّب به لذلك، وأظنُّه الشيخ اللقاني [61]. قال شيخنا : وكُنت أتَوهَّم ذلك إلى أن بعثت بحضرة الشيخ عبد الحفيظ، إلى قط من القُطوط التي يُستخرج منها الزباد، وكان عند بعض الأتراك. فلما أحضر، أمرنا مُتولّي اسْتخراج الزباد منه بإخراجه بحَضرتنا، ففعل، فشاهدنا محلَّ اجْتماع ذلك منه خارجاً عن محلِّ البول لا يمرُّ به أصلاً، وإنما هو جليدة رقيقة عن يَمين المحلِّ أو يَساره، يَجتمع فيها ذلك العرق وتَشتدُّ عليه، وتَنطوي حتى يُؤخذ منها. قال : فحينئذ اطْمأنَّت نُفوسنا وأيْقنَّا بطهارته، هـ. [62]] [63].

وإن ادعَّى هذا المُخبر نفيَ الغلط عنه، بسَماعه من النصارى لهذه الخيانة، وقد كانت قَبله عندهم ممَّا يتَوارى، فهو لعَمري غرٌّ إمَّعَة، لا يَعرف المضرَّة من المَنفعة. وليْته لم يسأل، وترك هذا الأمر ممّا يَجهل هل المسلمَ عندهم إلا مَسخرة، سيَّما إن لم يكن من أهل الرئاسة المُعتبرة. فاخبارهم له لا تُحمل إلا على الكذب، لما عهد من خطابهم له بمَحض الهزء واللَّعب. ثم على تقدير أن يكون لخبر هذا المخبر أصلَ، فيحتمل أن يكون عن أخبار كاذب أو شاك، أو عن رُؤية لا تَنضبط لبُعد أو حائل. كما يُحتمل أيضاً على فرض صدقة، أن يكون ذلك في بلد خاص، أَو في زمن خاص، أو لغرض خاص والنّادر لاحُكم له شرعاً، وأيضاً على كل حال لا يُفيد ذلك إلا الشك، وهو لا يُعتبر في طرح الطعام.

سُئل مالك رضي الله عنه في **العتبية**، عن جُبن الروم الذي يُوجد في بُيوتهم، وقد قيل إنَّهم يَجعلون عليه أنْفحة الخنزير، فقال : ما أحبُّ أن أُحرِّم حلالاً. وأما أن يكرَهه رجلٌ في خاصة نفسه، فلا أرى بذلك بأساً، على أن الشكَّ حاصل بدون خبر مُخبر أصلاً ضرورة أن الغالب في أطعمة الكفّار أن لا تنْفكَّ عن النجاسات، لأنهم لا يتَّقونهّا، ولا يَعتبرون في التطهير الماء المُطلق، وإن كان الأصل اسْتصحاب الطهارة، لكن يَلزم من اجْتنابها حَرجٌ وضرر، فتمسَّك بالأصل لذلك.

[قال أبو الحسن الأبياني [64]، في كتابه الذى أَلَّفه في الورَع، بعد أن أطال في تَوجيه

---

(61) لعله إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني (ت 1041/ 32-1631). وهو فقيه ومحدث ومتصوف من مصر، له تآليف من بينها **حاشية على مختصر خليل**.

((62) ورد نص الخضيري، مع اختلاف طفيف، عند محمد بن الطيب القادري في كتابه **نشر المثاني**، ج 2، ص136، وذلك في سياق ترجمة مفتي طرابلس محمد بن أحمد ابن مساهل المذكورأعلاه. انظر هامش 58.

(63) الفقرات بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عند الزرهوني. انظر نص 59 أدناه، ص 195.

(64) لعله أبو الحسن علي بن اسماعيل الأبياري الإسكندري (ت 616/20- 1219). اشتهر في علوم كثيرة لاسيما الفقه والأصول.

القولين من الأصل والغالب : والصحيح عندنا التمسُّك بالغالب، إلاّ في كل موضع يلزم فيه جُرح أو إضاعة مال مُحترم. فإذا اقْتضت الضرورة، أو دعتْ الحاجة إلى التمسك بالأصل، فَعَلْناه وأعْرضنا عن الغالب، هـ . ومثله للقرافي في الفروق. ومن الأدلّة عليه ما أخرجه أبو داوود [65]، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : «أُوتِيَ رَسُولُ اللَّه صَلى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم بِجُبْنَة فِي تَبُوك مِنْ عَمَلِ النَّصَارَى، فَدَعَى بسكِّين فَسَمَّى وَقَطَعَ وَأكَلَ» [66].

وما في العتبية أيضاً قيل لمالك رضي الله عنه، فيما نَسجه أهلُ الذِّمة، أنهم يبلون الغزل بأيْديهم وهم أهل نَجاسَة، فقال : لا بأس به، ولم يزل الناس على ذلك، هـ .

وقال شراح المختصر[67] : إن صَنائع الكفّار ولو مجوساً كلُّها تُحمل على الطهارة، لأنهم يتوَقون فيها بعض التوقّي، لئلاّ يَجتنبَهم الناس فتكسد صَنعتهم. هذا فيما صَنعوه لغيرهم، وكذا الحُكم في ما صنعوه لأنفسهم أو أهْليهم كما للبرزلي [68].

وَهَب أن تنْجيس النصارى للسكر بما ذكر قد ثَبت الثُّبوت المُعتَبر، بل تَواترَ فيما مضى وغبَر، فلا يُحرَّم أكله ولا يُمنع بيعه، أما لأن الفقهاء كثيراً ما يَغتفرون ما عمَّت البلوى به وجرى العمل فيه، سيَّما الأزْمان المُتطاولة في الأقطار كلّها من غير نكير. وسبَق قول مالك رضي الله عنه، فيما نَسجه اليهود، أنه لا بأس به، ولم يَزل عمَلُ الناس على ذلك. وفي العاصمية المشهورَة [69] : ورَخصُّوا في الزبْل للضَّرورة، أو يُخرجونه على غير المشهور في المسألة. وقد أتَوْا من ذلك بنظائر مُجملة ومُفصَّلة، لا يَجهلها إلا من لم يُنسب إلى معرفة شيء من فروع المذهب.

---

(65) وُصف أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275/ 889) بإمام أهل الحديث في وقته، وقد عاش في البصرة، وأخذ عن ابن حنبل، وأكثر من الرحلة والجمع والتأليف. وله كتاب السنن الذي يعد من الكتب الستة في الحديث.

(66) أبو داود، الأطعمة 38.

(67) لعله مختصر خليل بن إسحاق. وقد بلغ عدد شراحه خمسة عشر على الأقل، من بينهم : ناصر الدين اللقاني، وبدر الدين القرافي، ومحمد الرعيني، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشي، وعلي الأجهوري.

(68) أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني المعروف بالبرزلي (ت 844/ 41-1440) هو فقيه تونسي، وُصف بشيخ الإسلام في عصره، حيث انتهت إليه رئاسة الإفتاء بعد الغبريني وابن عرفة. وقد ألف في النوازل.

(69) المعروفة بـ تحفة ابن عاصم، انظر أدناه، هامش 128.

وأمّا لطهارته بعد بالاسْتحالة إلى صلاح وعدم الاسْتقذار كالمسْك، فإنّه دم مُنعقد طاهر لاسْتحالته إلى صلاح، وإن كان جُزء حيوان لاتصافه بنَقيض علّة النجاسة وهي الاستقذار. وقد قال الحطاب : إن جواز أكله كالمعلوم من الدين بالضرورة، وكلام الفقهاء في أكل المُحرم الطعام المُمسك دليل على ذلك، هـ . وقد صحّح البُرزلي جواز استعمال ما يُصبغ بالدم أو بالبول، أو أجراهما على أن النجاسة تَنقلب أعيانُها إلى صلاح. وقال أبو الحسن الزَّرويلي [70] : المَنصوص في الدم إذا غُسل فلمَ يَذهب أنه طاهر، هـ . ونقل ابن الحاج في **نوازله** [71]، عن مُصنَّف عبد الرزاق [72]، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هَمَّ أن ينهى عن الحبْرة تُصبغ بالبول، فقال له رجل : أليس قد رأيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسُها؟ فقال عمر : بَلى. قال الرجل : أفلَم يقل الله لقد كان لكم في رسول الله إسْوَة حسنة؟ فتركها عمر. وقال عبد الرزاق : رأيت الزهري يلبس ما صُبغ بالبول [73]، هـ . وما حكاه عبد الرزاق عن الزهري حكاه البخاري عن معمر عنه.

وأما لطَهارَته، فكثُرت الأعمال فيه من تكرُّر الطبخ مراراً، والسَّكب في أواني تختلف بحسب كل طور من أطوار طبخه، إلى غير ذلك ممّا سبق عَن **التذكرة** [74]. فكأنّك به أحْمر قان مائع، فإذا هو أبيض يقوير، أو جامد كالحجارة أو أشدّ، لا أثر لعيْن الدم النَّجس فيه بحال، لا طعْماً ولا لوْناً ولا ريحاً. وإذا تحقّق ذهاب عين النجاسة، فلا معنى لمنع ما سواه، نحو ما في **الرحلة العياشية**، عن مُحقق المغرب، سيدي أحمد بن عمران، في الملف الذي يُصنع ببلاد الروم من الصوف المَنتوفَة عن الغنم الحيَّة، فإن الجزء النَّجس منها لا يَبقى مع الأعمال الكثيرة التي يَصير بعدها ملفاً بالغ الصَّنعة، من غسل ودقّ ونفش وقصر وغزل

---

(70) أبو الحسن الزرويلي المعروف بالصُّغير (ت 719/20-1319) هو فقيه عاش بفاس، وتولى القضاء بتازة ثم بفاس. واعتبر أشهر فقهاء المغرب الأقصى في وقته، وقد ألف تقييداً على **المدونة** وشرحاً على **الرسالة** وآخر على **تهذيب** البراذعي.

(71) لعله كتاب **نوازل الأحكام** لمحمد بن أحمد بن خلف التجيبي المعروف بابن الحاج (ت 529/1134). وقد تولى المؤلف القضاء بقرطبة، واشتهر في ميدان الإفتاء. وقد كانت **نوازله** متداولة عند أجيال من الفقهاء اللاحقين.

(72) هو عبد الرزاق بن هُمام الصنعاني الحميري (ت 211/ 827)، من كبار حفاظ الحديث، وهو صاحب كتاب **المصنف في الحديث**، المعروف ب**الجامع الكبير**، وله أيضاً تفسير للقرآن.

(73) هو أبو عبد الله بن سعد بن منيع الزهري (ت 230/ 45-844)، وكان كاتباً للواقدي. وقد ألف في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء، وكذا في الفقه والحديث.

(74) المراد هنا كتاب **تذكرة أولي الألباب** للأنطاكي.

ونسج وغير ذلك، بل يَضمحل بالكلية، فلا يمنع حينئذ من لباسه لتحقق ذهاب عين النجس منه.

ودون هذه الأعمال المُتداولة على السكر والملف بكثير، غَسْل الزيت المُتنجس. وقد أفْتى المازري بجواز اسْتعماله إنْ لم يتغيَّر أحد أوصافه، وقال: إنه الصحيح عنَدي على أصل المُحققين، ثم التطهير بكثرة الأعمال في المُتَنجس كالسكر والزيت أظهر منه في نفس النَّجس الذي هو الصوف المَنتوف، كما أنه أظهر فيهمَا معاً من الطعام الذي طُبخ فيه رَوْث الفارة وهو غالب على الطعام، وقد أفتى ابن عرفة بأكله.

لا يُقال إن هذا السكر يحتمل عقلاً أن يَبقى فيه شيء من أثر الدم النَّجس ولو بُولغ في أعماله كما وُصف، لأنّا نقول: هذا الاحْتمال إنما هو من جُملة التَّجويزات العقلية، وهي لا تُعتبر في الأحكام الفقهية التي هي على غلَبَة الظنِّ مَبنية، على أنه احتمال جار عقلاً في أكثر الأشياء دائماً، إذ ما من طعام أو شراب أو ثياب أو غيرها إلا وهو مُحتمل عقلاً تعلُّق شيء من النجاسة به، ولا يَنتفي الاحتمال عنه بتكَرير الأعمال فيه أبداً. فالاستناد إذن في ذلك إنما هو إلى حكم العادة، لا إلى مُجرد التجويز العقلي الذي لم يستند إلى عادة في الغالب. فإذا غلَب على الظن غلبة قوية عدَم بقاء شيء من الدم فيه، مستنداً إلى العادة الواضحة في أن تعدُّد الأعمال والأشغال المُتداولة عليه إلى أن صار على شكل يُناقض ما كان عليه أولاً من كل وجه، وفي أن بقاء شيء من الدم مما يُخلُّ بإتقان تلك الصنعة، فلا معنى للتوقُّف في طهارته، إذ بهذا الطريق حكمنا بطهارة كل مُتنجس. واعتبار مثل هذا الاحتمال العقلي هو عيْن الوسوسة المُنهى عنها، وقد قالوا إنها خَبال في العقل أو جهل بالسُّنة، نعوذ بالله من وسوسة المُتورعين الذين ضلُّوا عن سبيل التفقُّه في الدين، ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَات مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ المُعْتَدين.﴾ [75]] [76]

وأخرج أبو داوود والترمذي [77]، عن قبيصة بن هلب الطائي، عن أبيه رضي الله عنه قال: «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَقَال: إنَّ منَ الطَّعَامِ طَعَاماً أَتحَرَّجُ منْهُ،

(75) الآية 87 من سورة المائدة (5).

(76) الفقرات بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عند الزرهوني. انظر أدناه. ص 191.

(77) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت 279 /93-892). ولد ببلخ ورحل في خراسان والعراق والحجاز لجمع الحديث. وألف كتاب **الشمائل** وكتاب **الجامع** الذي يعتبر من الكتب الستة في الحديث. وقد ضمنّه مواد تفيد مجال الفقه.

فَقَالَ : لا يَخْتَلِجَنَّ في صَدْرِكَ شَيْءٌ ضَارَعْت فيه النَّصْرَانِيَّةُ» (78). وأخرج الدارقطني وغيره(79)، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضيعُوهَا، وَحُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَان فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا» (80).

[وفي **الإحياء**(81) أن الصَّحابة رضي الله عنهم إنَّما كان هَمُّهم تطهير القلوب، وأمّا أمور النَّجاسات فكانوا يَتساهَلون فيها، بلْ كانوا يَمشون في طين الشَّوارع حُفاة ويجلسون عليها، ويُصلُّون في المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البرّ والشّعير وهو يُداس بالدَّواب وتَبول عليه وتَروث، ولا يَحترزون من عرَق الإبل والخيل مع كثْرة تَمرُّغها في النَّجاسات. ولم يُنقل قط عن واحد منهم سُؤال عن دقائق النَّجاسات، فهكذا كان تَساهُلُهم فيها.

وقد انْتهت النّوبة الآن إلى طائفة يُسمّون الرُّعونة نَظافة، ويقولون هي مَبنى الدين. فأكثر أوْقاتهم في تَزيينهم الظواهر، كفعل الماشطة بعَرُوسها، والباطن خراب مَشحون بخبائث الكبْر والعجب والجهْل والرِّياء والنِّفاق، وَلا يَستنْكرون ذلك ولا يَتعجَّبون منه. ولو اقْتصر مُقتَصر على شيء ممّا كان عليه الصحابة من التَّساهل، أقاموا عليه القيامة، وشدّدوا النَّكير عليه، ولقَّبوه بالقدري، وأخرجوه من زُمرَتهم، واسْتنكَفوا من مُؤاكلته ومُخالطته، فسمّوا البَذاذة التي هي من الإيمان قَذارة، والرُّعونة نظافة. فانظُر كيف صار المُنكَر معروفاً، والمَعروفُ مُنكراً، وكيف انْدرس من الدين رَسمُه، كما انْدرس تحقيقُه وعِلمه] (82).

اللّهمَّ طهِّر قلوبنا وقالَبنا، وزيِّن ظاهرنا وباطننا، وأغْننا بحلالك عن حَرامك، ولا تحرمنا بجَهلنا طيِّب طعامك وشرابك، إنك واسع الإنْعام. ثم لك الحمد كما يَليق بجلالك على الدَّوام.

[الحوات، **تغيير المنكر**، مخط. النص الكامل]

---

(78) الترمذي، السير 16.

(79) علي ابن عمر الدارقطني (ت 385 / 995)، نسبة إلى مسقط رأسه دار القطن، أحد أحياء بغداد. وهو شافعي المذهب، وُصف بإمام عصره في الحديث. ومن مؤلفاته **السنن**، و **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**.

(80) رواه الدارقطني في **السنن**، 4 : 298.

(81) المقصود هنا كتاب **إحياء علوم الدين** للغزالي.

(82) الفقرات بين هاتين العلامتين [ ] منقولة عند الزرهوني، انظر نص 59 أدناه، ص 191.

الصفحة الأولى من مخطوط "تحفة السالك" للزرهوني

59. تحفة السالك الراغب في بيان الحكم في سكر القالب[83]

هذا جواب وضعه محمد العربي بن محمد الزرهوني الهاشمي (ت 1260 / 1844)، وهو فقيه وأديب درس على يد شيوخ من بينهم محمد بن عبد السلام الناصري. تولى الزرهوني القضاء والإفتاء بفاس وتوفي بالصويرة. وقد ألف في الفقه والنوازل.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله أجمعين.

الحمد لله الذي أحْيى بالعُلماء معالم الدين، وقَمع بأقوالهم الشّافية ونُصوصهم الكافية آراء الجَهلة المُعتدين، وجعل بحِكمته طائفةِ منهم على الحقّ حتى يأتي أمر الله ظاهرين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بيَّن الحلال والحرام، وألْغى حكم الشكّ في تحريم الطعام، ووضّح لأمَّته الشريفة معالم الهُدى، حتى تركها على المحجَّة البيضاء والفجْر الصادق المُستبين.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والمُقتدي بواضح الشرع المَنقول، النابذ للرَّأي المُجرد ومُستحسنات العُقول، وكل مُتَّبع لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،

فيقول أفْقر الوَرى لعفْو مولاه ورحمته، محمد العربي بن محمد الهاشمي الزرهوني تغمَّده الله برحمته، وغطَّى بوصفه على وصفه، وبنعْته على نعته، أنَّه قد كان وقع قبلٍ هذا الوقت بما يَنيف على عشرين سنة كلام في سكر القالب المُصفَّى، بسبب قول بعض التّجار

(83) اعتمدنا هنا على مخطوط خاص، ونشير إلى أن المهدي الوزاني قد أدرج نص «تحفة» الزرهوني في ج 11 من كتاب **المعيار الجديد**، ط. ح.، ص 346-357.

الذين يترددون للتجارة ببلاد النصارى، أنهم عاينوا النصارى في بعض البُلدان يجعلون في سكر القالب الدَّمَ عند طبخه للتَّصفية إلى أن يَصير في نهاية من البَياض والصَّلابة، على الشَّكل الواصل إلى بلاد المُسلمين ويَجلبونه لهم، حتى أُنْهي ذلك الخبر لأمير المؤمنين المُقدَّس المُنعم، عالم الشرفاء وشريف العُلماء، أبو المكارم وأبو الربيع مولانا سليمان، جدَّد الله عليه شآبيبَ رحمته، وأسكنه في أعلى الفراديس من دار كرامته. فردَّ ذلك على عادته إلى أهل العلَم، فكلُّهم أجاب بالإباحة على الأصل في الأشياء، وإلغاء حُكم الشك في ذلك على فرض وُجوده في القضيَّة. وبعضهم قيَّد في ذلك وأبْدى وأعاد، ووضَّح للمُستنصحين المُراد، ونقل في ذلك ما يُشفى به من الأسقام، وتزول به عوارض الشُكوك والأوْهام.

فممن ألَّف في ذلك من مَشايخنا الأعلام، أئمَّة الهُدى ومصابيح الظلام، شيخنا وعُمدة مغربنا، الحافظ المُحدِّث الرَّحّالة المُسنّ البركة العلاَّمة، سيدي مَحمد بن عبدالسلام الناصري، والعلاَّمة البركة المُفتي المُؤلِّف القدوة، سيدي محمد الرهوني [84]، والعالم النِّحرير، المَوصوف بالإتْقان والتَّحرير، الجامع المانع بإقرار العُلماء الأعيان، أبو عبدالله شيخنا سيدي الطيب بن كيران [85]، رحمهم الله تعالى ورحمنا من بعدهم، وحشرَنا في زُمرة العلماء العاملين، والأئمة العارفين، بمَحض فضله وكَرمه، وغير هؤلاء الأئمة ممَّن أظهرهم الله في الوقت للأُمَّة.

ولا عبرة بخلاف من خالف في ذلك برأيه المجرَّد، لما ثبَت عن إمامنا مالك، من التحذيرَ من بيِّنات المسالك. فإنَّه لم يزل أهل الخير والصلاَّح والدين من مشايخ الاقْتداء وعُلماء المُسلمين، على ما كانوا عليه في ذلك من إباحة الإستعمال أكلاً وشُرباً، اختياراً ودواءً، على ممرِّ اللَّيالي والأيّام إلى هذه الأزمنة. أعاد بعض التُّجار المُسافرين لتلك البلاد

(84) هو محمد بن أحمد الرهوني (ت 1230/1815) نسبة إلى رهونة، إحدى قبائل غمارة بشمال غرب المغرب. نشأ بفاس وتعلم بها، حيث أخذ عن التاودي بن سودة ومحمد بن علي الورزازي. وقد عاش بوزان حيث لازم الشرفاء الوزانيين، وتعاطى للخطابة والتدريس، وكان السلطان سليمان من بين تلامذته. وقد نبغ الرهوني في مجال الفقه والنوازل، ومن مؤلفاته **حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل**، و **حاشية على شرح ميارة الكبير للمرشد المعين**.

(85) محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران (ت 1227/1812) هو عالم وفقيه مالكي بفاس، وقد تولى منصب شيخ الجماعة بعد التاودي بن سودة، وكان السلطان سليمان يحضر الدروس التي يلقيها ابن كيران بجامع القرويين، وقد وُصف بالإجتهاد. ومن بين مؤلفاته **حاشية على أوضح المسالك**، و **شرح الحكم العطائية**.

المذكورة الكلامَ في ذلك، وزادوا أنّهم سمعوا من بعض الروم واليهود، أنه يُصفّى أيضاً بعظام الميتة مُطلقاً. فكثُر اللّغط بسبب ذلك، والقيل والقال، والتّشاجر والتّلاحي بين الرّجال، حتى حصل بذلك وسوسة في صدور أهل الدِّين من عوام المومنين، فأكثروا السؤال عن بيان حُكم ذلك، بما يوضّح الحق لكل مُتّبِع وسالك. وطلبوا من العبد الفقير، تقييد ما يُشفي الغليل، ويُبري العليل. فقيّدت ماتيسّر جَمعُه، ورَقْمه ووَضعُه، وسمّيته **بتحفة السالك الراغب في بيان الحكم في سكر القالب**، وبالله أستعين، وعليه أعْتَمد فهو القوي المُعين.

مقدمة :

اعْلم أنّه

لم يَدع من مَضى للّذي قَد غَبَر * فَضْل عِلم سِوى أخْذُه بالأثَر

وأن العلم كما قيل، طُحن وصُفي وأُكل، ولم يبْق إلا فهمُ كلام الناس ووضْعه في محلّه. فإنه ليست المُصيبة في فُقدان العلم، إنَّما المُصيبة والدَّاهية وضعه في غير محلّه، كما قال إمامُنا مالك. وفي **مدارك** القاضي عياض[86]، أن تقديم من أخر الله وتأخير من قدَّم الله فتنةٌ في الأرض وفساد كبير، هـ.

فكان اللاَّئق بالعوام الخائضين في مثل هذا، بل المُتعيّن عليهم، أن يعمروا أوقاتَهم بما هو المُتعيَّن عليهم. والأوْكد في حق كل أحد منْ تعلّم العلم العيني، الواجب على كل مُكلّف وُجدت فيه شروط التّكليف، وهو ما لا يَسع أحداً من المُكلّفين تأديَّة ما وجب عليه إلا به. وذلك كمسائل المُعتقدات، وفروع الدِّيانات، ومسائل المُعاملات، وعلم دواء أمراض القُلوب، القاطعة للعبد عن معرفة علاَّم الغُيوب.

فإن ترك ذلك المُتعين والاشْتغال بغيره من مُتابعة الهوى المُردي في هُوى. ومِمَّا يُفضي بالعبد إلى ضرر عظيم في إيمانه، ومَعرفته وإيقانه، أن اعْتقد اعتقاداً فاسداً في الرُّبوبية أو النُّبوة، كما ذلك مُشاهد بالعيان، فيمَن ليس معه ما يكفي من العلم الواجب على الأعيان.

---

(86) يراد به كتاب **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**.

وقد ذكر أبو محلي [87]، في كلام له في التَّوحيد، ما أدّى إليه الحال في هذا الزَّمان، الذي أُهمل فيه الاشْتغال بتقديم الواجبات، وتعلُّم الشرائع والدِّيانات، من الاعْتقاد الفاسد، والرأي العاطل الكاسد، حسبما ثَبت ذلك عن جهَلة كثيرين مَن المَفتونين المَغرورين، هـ، المُراد منَه بمَعناهَ: وما أحقَّ الخائضين في مثل هذا، المُضيعين نَفائس أعمارهم في القيل والقال بآرائهم، أن يُجابوا بقول سيدنا عبد الله بن عمر للّذين سألوه عن حُكم دم البراغيث هل هو طاهر أو نجس، فقال: من أنْتم؟ فقالوا: أهلُ الكوفة. فقال واعجباً! سفكتم دم ابن نبيّكم الحُسَين، وتَسألون عن دم البراغيث. أو يُقال لهم: تركتم الضَّبَّ لصغره، وأكَلتُم الخنزير بشَعره وبَعره. وما أحْسن قوله في الحُكم من علامة اتِّباع الهوى الإسراع إلى نَوافلِ الخيْرات والتكاسُل عن القيام بالواجبات، هـ. فافْهَم والله المُوفّق للصَّواب، الهادي للحقِّ في الجواب:

اعلم أن خبر هؤُلاء لا يُؤثر شيئاً في إباحة السكر الّتي هي الأصل في الأشياء [88]، لأنَّه على فرْض أن يكون له أصل يحتَمل أن يكون من اخبار كاذب أو شاكّ، أو عن رُؤية لا تَنضبط لبُعد، أوصَولة مَن يُخاف منه، كما يَحتمل أيضاً على فرض صدقه، أن يكون ذلك في بلَد خاص، أو في زمن خاص، أو لغَرض خاص، والنَّادر لا حكمَ له. وأيضاً لا يُفيد ذلك إلا الشك لا مَحالة، وهو لا يُعتبر في طرْح الطعام للقاعدة المُقرَّرة المُجمع عليها:

وقد سُئل إمام الأئمة مالك رحمه الله عن جُبن الروم الذي يُوجد في بُيوتهم، وقد قيل إنَّهم يجعلون عليه أنفحة الخنزير، فقال: ماأُحبُّ أن أُحرِّم حلالاً، وأما أن يكرهَه الرجل في خاصة نفسه، فلا أرى بذلك بأساً.

فهذا إمام الأئمة وعالم المدينة في خير القُرون، لم يقلْ بتحريم جُبن الروم، مع ما بَلغه من أنَّهم يجعلون فيه أنفحة الميتة، ورأى أنَّه من طعامهم الّذي أحلَّ الله لنا أكْله.

---

(87) أحمد بن عبد الله السجلماسي، المعروف بابن أبي محلي، هو فقيه ومتصوف ادعى أنه المهدي المنتظر وثار بتافلالت على السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي، واحتل مراكش. وقد مات قتيلاً في إحدى المعارك التي دارت على مشارف مراكش في مواجهة جيش القائد يحيى الحاحي سنة 1022/ 1613. وقد ترك ابن أبي محلي مؤلفات عديدة، من بينها **كتاب الإصليت**، حيث تناول بإسهاب قضية التبغ. انظر دراسة وتحقيق عبد المجيد قدوري.

(88) حول «البراءة الأصلية والاستدلال بها في العصر النبوي»، انظر الحجوي، **الفكر السامي**، ج 1، ص 103-104.

فالسكر المُدَّعى تصفيّته بالدَّم أولى بهذا الحُكم كما لا يَخفى، على أن الشك حاصل بدون خَبر مُخبر أصلاً ضرورة أن الغالب في أطعمة الكفار أن لا تنْفكَّ عن النَّجاسات، لأنهم لا يتوقّونها ولا يَعتبرون في التَّطهير الماء المُطلق، وإن كان الأصل استصحاب الطهارة، لكن يلزم من اجْتنابهَا حرج وضَرر فتمسَّك بالأصل لذلك (. . .) (89) .

وأخرج الدارقطني وغيرُه عن أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرائضَ فَلا تُضيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أشْيَاءَ فَلا تَنْتَهكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أشْيَاءَ رَحْمَةً لكُمْ غَيْرَ نسْيَان فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا». وأخرج أبو داوود والترمذي عن قبيصة بن هلب الطائي عن أبيه رضي الله عنه قال : «سَأل رجلٌ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إنَّ منْ الطَّعَام طَعَاماً أتَحَرَّجُ منْهُ، فَقَال : لا يَخْتَلجَنَّ في صَدْركَ شَيْءٌ ضارَعْتَ فيه النَّصْرَانيَّةَ» (. . .) (90) .

فبَان بهذا أن طعام أهْل الكتاب مع احْتمال النَّجاسة فيه، أجاز الجُمهور من الأئمة أكلَه عَملاً بالآية الكريمة، بل أفْتى الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي بجواز أكْل ما قَتلُوه من الحيوان بغير ذَكاة شرعية عندنا، وإن رأيْنا ذلك وتحقَّقناه قائلاً : لأنه من طعامهم، انظر نصَّه في **أحكام القرآن** له.

ولا يَخفى أن السكر المَوصوف أولى بالجواز من هذه الأشياء كلِّها. وأيضاً فإن الروم يُصفُّون السكر بغير الدَّم في مَواضع كثيرة من بلادهم : فمنهم من يُصفِّيه بالبيض، ومنهم بالجير، حسبما هو مَعلوم وشهير. وعليه، فالوارد علينا منه يَحتمل أن يكون مُخلَّصاً بغير الدَّم، فيُعتبر فيه الأصْل الذي هو الحلية، ويُحكم على جميع الوارد من بلاد الرُّوم بذلك جَرْياً على القواعد المذهبية. فقد قال ابَن رشد في **البيان** (91) : إن مَن كانت له أُختٌ في بلد

---

(89) حذفنا هنا فقرات يجدها القارئ في نص لسليمان الحوات وقد وضعناها بين معقوفتين. انظر نص 58، ص181-184.

(90) حذف مماثل. انظر أعلاه، ص 185.

(91) محمد بن أحمد ابن رشد (ت 520/1126) هو جد ابن رشد الفيلسوف، وقد وُصف بزعيم الفقهاء ببلاد الغرب الإسلامي. وكان القاضي عياض من بين الذين أخذوا عنه. وقد تولى ابن رشد القضاء بقرطبة، ثم تفرغ للتأليف، وهو من الفقهاء الأندلسيين الذين علقوا على **العتبية**. ومن بين مؤلفاته كتاب **البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**، وهو يعتبر من أهم المراجع الذي اعتمدها رجال المالكية بعده لاسيما في ترجيحهم **مختصر** خليل.

من البُلدان لا يَعرف عَيْنها لا يُحرَم عليه أن يَتزوَّج من تلك البلْدة. شبَّه به مَسألَة القَمْلة تقع في الدَّقيق ثم يُعجن، انظر نصه في الحطاب.

وقد ذكر شهاب الدين القرافي في **فروقه**، نَظائر قدَّم الشرع فيها النَّادر على الغالب رحْمة للعباد. وقد غَفَل عن هذا قوْم فدَخلهم الوَسواس، وهم يعتقدون أنَّهم على قاعدة شرعية وهو الحكم بالغالب. وهذا كما قالوه، لكنّ الشَّرع ألغى هذا. ثم ذكر عشرين مثالاً اعتبر فيها الشرعُ النادرَ دون الغالب، ومن جُملتها ما يصنعُه المسلمون الذين لا يستنْجَون بالماء ولا يتحرَّزون من النَّجاسات، من الأطعمة الغالبُ نجاستها والنَّادر سلامتُها، فألْغى الشرعُ حكم الغالب، وأثْبت حكمَ النادر، وجوَّز أكلها توْسعة للعباد، هـ.

وممَّا قُدِّم فيه النادر على الغالب، مسألة الصَّامت الذي يأتي من الجبال [92]، ويُباع بأسواق تطوان وغيرها، مع ما عُلم من حال صانعيه وما هُم عليه من كثرة تعاطي الخمر ومُناولتهم إيَّاه. فالغالب على أوانيهم استْعمال الخمَر فيها، فقد ذكرها في الأجوبة الفاسية [93]، وقال: إن حُكمها الجَواز، عملاً بالأصْل الذي هو النَّادر، ودفعاً للحرَج والمَشقَّة، حسبَما يتبيَّن مما تقدَّم، هذا مُقتضى قواعد المذهب. أما مُقتضى الورَع فأمْر زائد على ذلك، إذ مَبناه على الخروج من الشُّبهات، هـ. قفْ على نصِّه فيها.

فهذا دليل واضح على تقديم الأصل واعْتباره وإن كان نادراً، دون الغالب عند الاحْتمال. ومسألة السكر أوْلى من ذلك كلِّه حسبما هو ظاهر. فيُحكم بأنه مُباح طاهر، لاتصافه بنَقيض علَّة النجاسة وهي الاسْتقذار، وقُصارى أمره أن يكون كالمسْك والخمر إذا تحجَّر أو خلّل. فإن المسك، كما تقدم، دم مُنعقد، وحيث استَحال إلى صلاح صار طاهراً مُباحاً. وكذا الخمر حيث زالت منه علَّة النَّجاسة التي هي الإسْكار، اسْتحال إلى صلاح، وليس هو كجُبن الروم كما لا يَخفىَ؛ لإن جُبنهم فيه أنفحة الميتة مُختلطة به، قائمة لم تذهب منه، ومع ذلك لم يُحرِّمه الإمام رحمه الله.

بخلاف السكر على فرض تصفيته بالدَّم، فإنه لم يبْق للدَّم أثر ظاهر فيه. وقد ذكر الإمام ابن جُزي [94] في تفسير قوله تعالى: ﴿وطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الكتَابَ حِلٌّ لكُمْ﴾، ما نصه: وأما الطَّعام فهو على ثلاثة أقسام:

(92) انظر نص 63 للمهدي الوزاني، وهو مقتطف من **المعيار الجديد**.

(93) لعل الأمر يتعلق بعبد القادر الفاسي (ت 1091/1680)، وقد ألف **الأجوبة الكبرى** و **الأجوبة الصغرى**.

(94) أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741/ 41-1340) هو عالم تعاطى للتدريس وألف في الفقه والحديث والتفسير. ومن بين مؤلفاته كتاب **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية**، و**تهذيب صحيح مسلم**.

- أحدهما الذّبائح، وقد اتّفق العلماء على مُرادة في الآية.

- القسم الثاني ما لا مُحاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة، فهو جائز باتّفاق.

- والثالث ما فيه مُحاولة لهم كالخُبز، وتعصير الزّيت، وعَقد الجُبن، وشبه ذلك مما يُمكن استعمال النجاسة فيه. فمنعه ابن عباس [95]، لأنه رأى أن طعامهم هو الذّبائح خاصة، ولأنه يُمكن أن يكون نجساً، وأجازه الجُمهور لأنهم رأوه داخلاً في طعامهم، هـ.

ومسألتُنا من القسم الثالث كما هو ظاهر. فمذهب الجمهور فيها الإباحة جرْياً على الأصل في الأشياء. فتحصَّل مما قدَّمناه من أقوال الأئمة ونقلْناه، ومن عُموم القواعد المذهبية استفدناه، أنَّ جميع أنواع السكر المُصفّاة المَجلوبة من بلاد الروم، قالَباً كانت أو غيره، مَحكوم بإباحَتها وحليتها، تمسُّكاً بالأصل فيها عند احتمال كوْنها مُخلَّصة بالدم أو بغيره، من الأشياء الطاهرة، وليس من الشُّبهات التي ينبغي تركها ورعاً.

وبتفسير الشُّبهات يتّضح الأمر. قال الإمام مفتي الإسلام، أبو الحسن المعروف بالأبياني [96]، في تفسير الشُّبهات ما نصّه : القسم الثالث ما نهي عنه بسبب الالْتباس، وهذا قسم الشُّبهات. والشُّبْهة تُطلق على ما لا حقيقة له، وهو من جنس الأوْهام. وهذا يُفهم من الشُّبهة إذا أُطلقت في مُقابلة الدَّليل، ومعناه أنَّه اشتبه الأمر علَى المُستدل حتى تخيَّل ما ليس بدليل دليلاً. وليس هذا مُرادنا في هذا المكان، وإنما الشُّبهة هنا ما اشْتبه على النَّاظر ولم ينْكشف له حقيقة أمره. وقد قال صلى الله عليه وسلم : «الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أمُورٌ مُشْتَبِهَات»، الحديث [97]. والمُشكل منها هو القسم المتوسِّط، وهو الشُّبهة، فلا بدَّ من بيانها فنقَول : الحلال المُطلق هو الذي انْتفت عن ذاته الصِّفة المُحرِّمة، وانْتفى عن أسبابه ما طرق إليه خللاً، والحرام ما فيه صفة مُحرِّمة كالخمر، أو حصل بسبب لا يحل للمكلّف شرعاً كالغَصب والرِّبا. فهذان طرَفان ظاهران، ويلتحق بهما ما تحقَّق أمره، ولكَن احتمل طرَيان مُغير، ولم يدلّ على ذلك الاحتمال دليل ولا أمَارة، وليس هذا من مواضع الشُّبهات، إذ الشُّبهة إنما تنشأ عن الشكّ، فليُتنبَّه للفرق بين الشك والاحتمال، وليَقتصر

---

(95) هو عبد الله بن عباس الملقب ب«حبر الأمة» (ت 68 / 687)، ابن عم الرسول وقد روى الكثير من الحديث وله تفسير في القرآن.

(96) حول الأبياني، انظر أعلاه، هامش 64.

(97) البخاري، البيوع 2.

الورعُ على محلّ الشكّ دون مُجرَّد الاحتمالات. ثم مثَّل للشُّبهات بأقسام أربعة، ثم قال: فإذا اقْتضت الضَّرورة التمسُّك بالأصل والإعراضَ عن الغالب فعَلنا ذلك، والدَّليل عليه كتاب الله وعمَل الماضين من الصَّحابة والتَّابعين.

أمَّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. ولا يَخفى أن أهْل الكتاب لا يتوَقوْن النَّجاسات، ولا يعتبرونَ في التطهيرَ الماء المُطلق. فأطعمتُهم لا تَنفكُّ من ذلك، ولكن يَلزم من اجْتنابها حرَج وضرَر، فيُتماسك بالأصْل لأجل ذلك كما تقدَّم.

وأما عمل الماضين، فقد نُقل عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القُدوة والإسْوة، أنهم كانوا يخُوضون في طين المطر، ويُصلُّون ولا يَغسلونه. وكذلك ما نُقل عن مالك رحمه الله، أنَّهم كانوا يُصلُّونَ فيما نسَجه أهْل الذِّمَّة، وقال: مضى الصَّالحون على ذلك.

وأما المذهب، فكان مالك رحمه الله يكره سُؤر النَّصارى في الماء دون الطَّعام، واعْتذر بخفَّة الماء ويَسارة أمره. ولو كان ما تَرى عليه النَّجاسة ما كره فضلته من الماء، ولولا أن يكون الْتفت إلى الحاجة، ما أباح سُؤره من الطعام والشراب، ولَم ير في تركه ورعاً. وفي هذا تَنبيه على أصل عظيم، وهو أنه لا تَنبني الأحكام على مُجرَّد الخيال واخْتلاط الحلال بالحرام، ولا بدَّ من التَّنبُّه للأدلَّة، وإدراك افْتراق المسائل، ومعرفة نفس الشريعة في كل أصل.

وليعلم المُوفَّق أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أعْلم خلق الله تعالى بالشَّريعة، وأشدُّهم ورعاً، وما كانوا يُضيِّقون كل هذا التَّضييق، ولا يبْنون أُمورهم على الأوْهام. ولو تورَّع إنسان عن أكل اللَّبن والطعام الذي شربت منه الدَّجاج المخلات، وكان مُقلداً لمالك، كان غالطاً لأنه لم ير بأكله بأساً. فلا يَجوز بناء الورَع على شيء من هذه الخَيالات التي لا تَقتضيها الأدلَّة، هـ. كلامُه بنقل ابن الفاكهاني في **شرح الأربعين حديثا النووية** [98].

فاتَّضح لك بهذا كلِّه إباحة السكر المذكور، وأنه من الطَّيِّبات المُباحة. فلا ينبَغي ترْك أكله ورعاً، إذ ليس من الشُّبهات كما تبيَّن ممَّا تقدَّم. قال مَولانا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

(98) تاج الدين عمر بن الفاكهاني اللخمي الإسكندري (ت 1934/734) فقيه ونحوي من مصر. نذكر من بين مؤلفاته **شرح الأربعين حديثا النووية** وشرح **لرسالة** بن أبي زيد القيرواني.

أخْرَج لعبَاده وَالطَّيِّبَات منَ الرِّزْق﴾، الآية [99]. هذا هو الحقُّ الذي لا يَحيد عنه إلا مَخذول راضٍ عَن نفسه، زُيِّن لَهُ سُوء عمَله فرآه حسناً، أو ما علم أنَّ من حرَّم ما أباحه الله كمَن أحلَّ ما حرَّم الله سَواء، إذ لا يتقرَّب إلى الله بالعُقول، وإنما يتقرَّب إليه بالشَّرع المَنقول، وكيف لا ونحن مُقلِّدون، فحسبُنا الاتِّباع لما اقْتضتْه نُصوص المذهب (. . .)[100].

فافهم هذا ترشد، وحَسِّن الظَّن بأئمَّة الدِّين، وتحقَّقْ بأنهم على هُدى من ربِّهم، وأنهم لا يتكلَّمون بهَوى أنفُسهم. ولِلَّه من قال :

لَم يَدعْ مَن مَضى للَّذي قدْ غَبَر * فَضْلَ عِلْمٍ سِوى أخْذهُ بالأثَر

قُلتُ: ولم يَزل أهلُ الخَير والفَضل والعلم والدِّين، ومَن يُشارُ لهم في الوقْت بالولاية والصَّلاح والمَشيخة والتَّربية، يَستعملون السَكر بأنْواعه، أكلاً وشُرباً بالأتاي وغيره. عَايَنّا بعضَهُم، وبلَغَنا عن البعض بواسطة الثِّقات. وبقَوْا على ذلك إلى أن انْتقلوا إلى دار القرار. ولم نَسمع عن أحد منهم أنَّه تركَه أو حذَّر منه قطّ، وهم أهلُ القلوب الَّذين يُدركون بقُلُوبهم المُنوَّرة الأشياءَ على ما هي عليه، ويَحفظُهم الله تعالى من الوُقوع في المنهيات ولو مكروهة، إذ لهم قلوبٌ يُدركون بها ما لا يُدركُه غيرُهُم كما هو معلومٌ.

نسأل الله ربَّنا أن يُلهمَنا رُشدنا، وأن يَستعملنا فيما فيه نجاتُنا، وأن يُطهِّر قُلوبنا وقالَبَنا، ويُزيِّن ظواهرنا وبَواطنَنا، وأن يُغنيَّنا بحَلاله عنَ حَرامه، وأن لا يَحرمنا بجَهلنا طيِّب نعَمه وطعامه وشرابه، إنه واسع الفَضل والإنْعام. فالحمد للَّه كما يَليقَ بجَلاله على الدَّوام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله البُدور الكرام، وصحابتُه الأئمَّة الأعْلام، تَسليماً كثيراً أثيراً، والحمد لله ربِّ العالمين، انْتهى ما تَيسَّر جَمعُه، والحمد لله أولاً وآخراً، هـ .

ثمَّ بعد هذا بمُدَّة، ورَدت أخبار مُستفيضة لتجَّار من تُجار ببلاد الكفَّار، أنهم عاينَوا مَراكب عظام الميتَة ترد من النَّواحي، وشاع هُناك أنَّها تُراد ليُصفَّى بها سكر القالب، وذلك بأنْ تُحرقَ حتى تصيرَ رَماداً، ثم تُغربَلُ بصَفيق ناعم حتى تَصير كالدَّقيق، ثم تُلقى في

(99) الآية 32 من سورة الأعراف (7) : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللَّه الَّتي أخْرَجَ لعبَاده وَالطَّيِّبَات منَ الرِّزْق، قُلْ هيَ للَّذينَ آمَنُوا في الحَيَاة الدُّنْيَا خَالصَةً يَوْمَالقيَامَة كَذَلكَ نُفَصِّلُ الآيَاتَ لقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

(100) حذفنا هنا فقرات يجدها القارئ في نص لسليمان الحوات وقد وضعناها بين معقوفتين. انظر أعلاه، نص 58، ص 178-181.

طَنْجير طبْخِ السكر حتى يَنْماع، فإذا أُلقيت غاصت، ثم تُصعد فيَجتمع عليها ما بالسُّكر من الخَبث، فيُزيلون ذلك الخَبث، ثم يُلقون الغبْرة المذكورة كما فعلوا أولاً، ثم هكذا حتَّى يُصفَّى السكر من الخبث، ثم يَصُبُّونه في قَوالبه حتى يَنعقدَ بها. هذا هو الواقع المُستفيض المُتواتر، وقد تقدَّم ما يُفيد حُكمه.

وكذا ورَد بقُربه عن بعض التُّجّار بمَرسيلية بلاد افرانسيس [101]، أنَّه سَمع أن منه ما يُصفَّى بعذرة الأدَمي، كتَب بذلك يسأل عن الحُكم وهو لم يُعاين ذلك بنَفسه، وإنما بلَغه فقط.

فتَثبَّت وفَّقك الله في هذه الأُمُور والأخبار المُستفيضة عن التُّجار، وما ثَبت لذلك بمُوجب الشَّرع والثُّبوت المُعتبر في نظره فاعْمل عليه. أما الآن فإنه لم يثبت شيء يُعتمد عليه في الحُكم بالتَّحريم، فبَقي الأمرُ على مُراعاة الأصل في الأشياء وهو الطَّهارة، وعلى الغالب فيها وهو أنَّهم يتَوقَوْن في صنائعهم ما يُؤدي لكَسادها عليهم أو عدم شرائها منهم بالكلِّية. واخْتر لنفسك ما يحلُو، وتَطيب به النفس والقلب. والله يَتولّى هُدانا وهُداك، ويَخلق في قُلوبنا الهداية لطاعَته، والبُغض لمَعصيَّته، ويَستعملنا ويَحفظ دينَنا أجمعين بمَحض فضله وكرمه آمَين. والسَّلام على من يَقف عليه من مُقيِّدهَ، تَغمَّده الله برحمته بمَنِّه، انْتهى بحمد الله تعالى وحُسن عَونه.

[الزرهوني، مخط.]

(101) انظر وصف الجعايدي لمعمل تصفية السكر بمرسيلية، نص 25.

2. الأتـــاي

2. الأتـــاي

لا شك أن القارئ لاحظ أن موضوع سكر القالب المستورد من أوربا شكل، بصفة غير مباشرة، مجالاً تساجل فيه الفقهاء حول موضوع شرب الشاي. غير أننا لم نعثر على نماذج من النصوص التي دعت إلى تحريم استهلاك المادتين، والراجح أن «الضياع» المذكور نتج عن انتصار دعاة الحلية.

وشاءت الصدفة أن نعثر، في إحدى الخزانات الإسبانية، على نسخة من مخطوط فقهي موريتاني، اتخذ صاحبه موقف تحريم الأتاي. وتعود الفتوى إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن العشرين، كما أنها تعبر في بعض جوانبها عن خصوصيات البيئة الشنكيطية، لكنها تتضمن نماذج من الأدلة التي اعتمدها الفقهاء المغاربة في السابق لمعارضة المشروب الجديد.

الصفحة الأولى من مخطوط "تحريم الأتاي" لأحمد حامد

60. تحريم الأتاي

صاحب هذه الفتوى، حسب ما ورد في النص المخطوط، هو أحمد حامدٌ بن محمد. ولعله الشيخ أحمد حامد بن محمذ ابن المختار الله، وهو فقيه شنكيطي لا نعرف عنه سوى أنه من آل اعمر بن بيج، ومن رجال مدرسة الركاكنة (102).

[مقطع 1]

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا خاتم النَّبيين، وعلى ءاله وصحبه أجمعين. والحمد لله على ما أعطانا بفضله من الإيمان والدين، وأرجو منه أن يُميتنا على كلمة الشهادتين، وأن يحشرنا في زُمرة النَّبيين، وأن يُسقينا من حوض سيدنا سيد المرسلين، وأرجو منه أن نكون للنَّواهي مُجتنبين، إجلالا له وللأوامر مُمتثلين. وبعد،

فإنِّي أتقرَّب إلى الله تعالى بذكر أُمور تَعرض للأتاي غالباً والذي بَعثني على هذا الغالب أسباب اليَقين، ولأني كُنت من أهْله جداً، وشربتُه على كلٍّ وصف، وشربتُه مع الأرذال والسُّفهاء، وما جاز على المثل يجوز على مُماثله. وشاهدتُه لا يَخلو من عارض حَرام يَعرض له غالباً. ولا دليل أقوى من المُشاهدة، وليس مَن رأى كمَن سمع. ورأيتُ التَّواتر على ما شاهدتُه وهو ثابت بالعقل والعادة. والمُشاهدة والتواتُر والعقل والعادة هُم أسباب اليَقين. ومن قال : إن هذا ليس كذلك، قُلت له : قُل أسْتغفر الله العظيم وأتوب إليه، لأنه

(102) انظر المختار بن حامدٌ، **حياة موريتانيا**، ج 2، ص 266. وننبه القارئ هنا أننا انطلقنا من مخطوط موريتاني توجد نسخة منه ب«معهد التعاون مع العالم العربي» بمدريد. وقد ساعدنا الزميل مصطفى النعيمي في التغلب على بعض الصعوبات التي تتخلل النص. وفي مرحلة لاحقة تفضل الباحث الموريتاني أحمد ولد الحسن بمراجعة النص، وزودنا بمعلومات حول عدد من المصطلحات والأعلام، كما أنه نبَّهنا إلى خلل محتمل في النص من حيث تسلسل بعض الصفحات ووجود عدد من الثغرات. لذلك حذفنا بعض الفقرات من أجل الاحتفاظ بمقاطع متماسكة. وننبه القارئ من جهة أخرى إلى أن النص مكتوب بخط رديء، وهو مليء بالأخطاء اللغوية. وقد عمدنا إلى تصحيح عدد كبير منها، وتفادينا شحن النص بهوامش تورد الصيغ والتعابير الواردة في المخطوط.

من باب الهَوى والنفس والشيطان. وأرجو من الله أن يَهدي كل من رأى كتابي هذا على تَرك الأتاي، لأن تَركه فيه خلاف النفس والهوى والشيطان، والبعد من المعاصي، وصَون المال وراحة النفس. وفيه تَرك الشبه لأن الراتع حول الحمى يُوشك أن يَقع فيه. وشُربه فيه طاعة النَّفس والهَوى والشيطان، والقرب من المَعاصي، وإضاعة المال، وإهانَة النفس، وفعل الشّبه.

ذُو الاحْتياطِ في أُمورِ الدِّين ... مَن فرَّ مِن شكٍّ إلى يَقين [103]

إذا شككْت قفْ.

والأمور المُحرَّمة التي تَعرِض للأتاي ستُذكر إن شاء الله عن قريب.

فمنها أنه يُؤدي لهَلاك النفس، ولمَرض الجسم، وللصُّداع الشديد.

ومنها أنه يُؤدي لضَياع المال، لأنهم يَشتغلون به آخر النهار في أرض السباع، ويُؤدي ذلك إلى ضَياع المال، وضَياع المال حرام، وما يُؤدي إلى الحرام حرام. ويَشتغلون به أول النَّهار عن إيصال الحيوان إلى المَرعى، وذلك يؤدي إلى ضَياعه مع أنه، أي الأتاي، لا يُسمن ولا يُغني من جوع.

ومنها أنهم يَشتغلون به أيضا عن أبْناء البقر والغنَم في الخريف، فيرضع كلٌّ أمَّه، وذلك يؤدي لضياع المال، وضياع المال يؤدي لضياع النفس.

ومنها أنهم يَشتغلون به عن الصَّلاة حتى يَفوت وقتُها المُختار.

ومنها أنه يؤدي لفَوات فضْل الجماعة، مع أنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع.

ومنها أنهم يَشربَونه على الريق، وذلك يؤدي إلى ضرر يَنالهم من الجوْف ألماً شديداً لشدَّة هَضمه.

ومنها أنه يؤدي لسُؤال المُؤمنين والضَّرر بهم.

ومنها أنه يؤدي إلى التَباغُض بين الأحباء.

ومنها أن أهله يأتيهم أهل الظُّلم، فإذا صَنعوه لهم جحف بهم، وإلا خافوا من بأسهم.

---

(103) بيت من منظومة «إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة» لأحمد بن محمد المقري، صاحب كتاب نفح الطيب، والمتوفى عام 1041/ 32-1631.

ومنهـا أنه يؤدي لأخْـذ مـال الغـيـر حـيـاءاً، لأنَّ أهله فـيـهـم من يُسكِّك على الناس[104]، فيسقونه حياءاً، ويؤدي ذلك لاغْتيابهم له فيأثَم الجميع .

ومنها أن شُربه يؤدي للاخْتلاط بالنِّساء، لأنهُنَّ يتَعاطين بيْعه كثيرا .

ومنهـا أنه يؤدي للاخْـتلاط بالمُرد والعَبيد والصِّـبيـان[105]، لمُلازمتهـم لمواضعه وسـماع الغيْبة والكلام الفـاحش والكذب الكثير من الأرذال الذين يجتمـعون لشُـربه، كـمـا تَسقط المُروءة بالمُواظبة عليه .

ومنها أنه يَقطع الباءة[106]، قاله كثير من الرجال والنساء .

ومنها أنه يَنقص القوَّة .

ومنها أنه يُهزل الجسم .

ومنها أنه يسهر الجُفون .

ومنهـا أن أوَّل من صَنَعـه ملكٌ لولـد يَشـرب الخـمـر، وامْـتنع من تركـه، ولم تنفع فـيـه الأسباب، فلمَّا صنع له الأتاي ترك[107]. فهذا يدلك على أنه يُشابه الخمر .

ومنها أنهم يَلتهون به، وفي كل لَهوٍ يَلهوه المُؤمن حرام، إلا مُلاعبة الرجل أهله، وتأديبه فرسه ورميه على كِبر قوسه .

ومنها أنه يُسوِّد الأسنان[108] .

ومنها أن الدَّواء من السكر لا يوجد في غالب الأحيان .

ومنهـا أنهـم يكونون في حـال السَّـفـر، ويشـتـغلون به صبـاحـاً حتى تأتيـهـم الظهيـرة،

---

(104) «سكَّك» عبارة بالعامية الحسانية تعني «تطفَّل»، وتستعمل كلمة «السكاك» للدلالة على طفيلي الأتاي .

(105) المُرد : جمع أمرد وهو الشاب بدون لحية . وفي الحديث عن مخالطة المرد في هذا السياق، تلميح لوجود ظاهرة اللواط .

(106) ننبه إلى أن هذا النص هو الوحيد الذي يذهب إلى أن الشاي يقطع الباه، على عكس جل النصوص التي تقول أن الشاي يقوي الشهوة الجنسية .

(107) إحالة على قصة الأمير زيدان ابن السلطان إسماعيل الذي ساهم الأتاي في إشفائه من إدمان الخمر . انظر أعلاه، نص 11 .

(108) هذا القول يخالف المعطيات الحديثة التي توصل إليها علم التغذية . انظر الملحق أدناه، ص 408 .

ويشتغلون به آخر النَّهار حتى يأتيهم الليل، ويؤدي ذلك إلى سَيرهم بالليل والهَجير. وذلك فيه إدخال الغَرر على النفس بلا حاجة، ويؤدي إلى فَوات الحاجة.

ومنها أنَّهم يَشربونه عند الغُروب، وبين طُلوع الشمس وطُلوع الفجر، ويَخوضون فيما لا يعني في هذين الوقْتين المَذموم الكلام فيهما بغير ذكر الله. قال تعالى: «يا عَبدُ احْفظني في ساعَتَيْن أكْفيكَ مَا بيْنَهُمَا»، والخَبر: لَعن اللهُ المُغردين مساءاً وصباحاً. وقالتْ الصُّوفية: إذا رأيت وَهَناً في عَظمك أو حِرماناً في مَالك، فاعْلم أنَّك تكلَّمت بما لا يَعنيك. وشُربه سببٌ في ما لا يَعني.

ومنها أنه ليس مَشروباً إلا على الهَوى، لأن ابْتداء شُربه في بلادنا لم أر له سبباً إلا مُجرَّد الهوى، مع ما يَنضَمُّ إلى ذلك من العَبث واللَّهو في أكثر الناس. ولأنهم يَشربونه كل يوم وليلة بالكثرة والقلة حسب كثرته أو قلَّته، ولم يَتركوه يوماً واحداً إلا لعَدمه أو عدم ما يأخُذونه به. ويَشربونه ليس قبلَه طعام ولا بَعده. ويَشربونه في الصَّيف والخريف وفي أوْقات الرَّاحة والوَنى. فإذا تمهَّد هذا علمت أنه ليس مَشروباً إلا على الهَوى، وما شُرب على الهوى قيل فيه ما قيل، راجعه إن شئْت في الكتب تجده مَذموماً.

ومنها أنه يُورث كثرة نوْم الصُّبحة كالخمر إن لم يكُنْها [109].

ومنها أنه يُورث الانْبهار.

ومنها أنه يورث ضُعف البصر وعدم المُبالاة بغيره.

ومنها أنَّ مَن وجد منهم درهماً صرَفه فيه، ويترُك عِياله جائعاً، ومن يُطالبه بديْن مَمطولا.

ومنها أنه يُشابه الخمر في كثير من الأشياء، كقول أهْلها إنَّها تُوقف الهُموم والأحْزان، والغُموم والكروب، وتَشرح الصدر، وأنها مُقوِّتة.

---

(109) إشارة إلى قول أبي الأسود الدُّؤلي في شأن النبيذ:

دع الخمر تشربها الغواة فإنني ... رأيت أخاها قائماً بمكانها
فإلاّ يكُنْها أو تكُنْه فإنه ... أخوها سقَتْه أُمُّها بلِبانها

قال الشاعر :

قـالُوا اتْرك الخَمرَ واجْتنبها ... لا تتعدَّ الحَرام حَدّا
قُلتُ أراها للرُّوح قُوتا ... وطَالِبُ القُوتِ ما تَعَدّا

ومِمَّا يُشابهُها فيه الضَراوة والصُّداع وشدَّة وُلوع أهله به. فلم يُوجد شَراب ولا مأكول أحبُّ إليهم منه، يَشتاقون به كشَوْقهم للنساء، بل هو أشدُّ شوقاً، ويُغنون ويَشعَرون، ويُشابهُها في الهضم. قال الضحاك بن مزاحم لرجل : ما تَصنع بشُرب النَّبيذ ؟ قال : يَهضم طعامي. قال : إنَّه يَهضم من دينك وعقلك أكثر.

ومما يُشابهُها فيه الانْبساط عند وُجوده والحُزن عند فُقدانه. قال بعض الشعراء :

بَلوْتُ نَبيذ الخَمر في كلِّ بَلْدة ... فلَيس لإخْوان النَّبيذ حفاظ
إذا دارَت الأرْطالُ رَضوكَ بالمُنى ... وإنْ فَقَدوها فالوُجوهُ غِلاظ

ويُشابهها في بعض الألْوان، فمنها الصَّفراء ومنها الحَمراء. قال الشاعر :

وصَفراءُ من ماء الكُروم كأنَّها ... فِراق صِيام أو لِقاء صَديق

وقال آخر :

حَمراء لَو تركت السقاة مِزاجها ... أغْني تَلألُؤُها عَن المِصباح

ويُشابهُها في إخْفاء لون الكأس إذا صُبَّت فيه. قال الشاعر :

لَستُ أدْري مِن رقَّة وصَفاء ... هِي في الكأس أم هُو الكأس فيها

ويُشابهُها في الحُباب الذي يكون مُستديراً في رَقبَة الكأس إذا كان الأتاي مُتوفِّر الشروط.
قال الشاعر :

كأنَّ الحُباب المُستدير بطوْقها ... كواكِب درٍّ في سَماء عَقيق

وقال آخر :

حَبَبٌ يُظلُّ به الكُؤوس كأنَّها ... خصْر الفَتاة مُمَنطَقٌ

وقال آخر :

حمراء مروقه صفراء فاقعة ... كأنما مزجت من طرفك الوَسِن

وقال آخر :

حَمراءُ من وَجْنَة السَّاقي لَها شَبَه   فَهلْ جَناها مِن العُنْقود عاصِرُه

ويُشابهُها في قصر الشُّرب في الغداة والعشى. قال الشاعر :

قُمْ واغْتَبق مِن شَمس كاسِك واصْطَبِح   بِكَواكِب طَلَعتْ مِن الكاسَات

وقال آخر :

قُمْ بنا نصْطبح صَهْباء وصافية   تَنْفي الهُمومَ ولا تُبْقي عَلى الحَزَن

وفيه أيضاً :

ساقٌ تَكوَّن من صُبحٍ ومن غسَق   فابيَضَّ خدّاه واسودَّت غدائرُهُ
بيضٌ سَوالِفُه لُعسٌ مَراشِفُه   نُعسٌ نَواظِره خُرسٌ أساوِرُه

ويُشابهُها في تقديم الغِلمان لبعض من أُمورها، وقصد شُرب الفَجر وعدم قَبول كلام النَّاصح. قال الشاعر :

قُمْ يا غُلام ودَع مَقالَة من نصح   فالدِّيكُ قدْ صَدَع الدُّجى لمّا صَدَح
خَفيت تَباشيرُالصَّباح فَاسْقني   ما ضَلَّ في الظلْماء مَن ناراً قَدَح
صَهْباءُ ما لَمَعت بكَفِّ مُديرَها   لُمقْطب إلاَّ تَهلَّل وانْشَرَح
تَاللّه ما مَزَج المُدامَ بمائهَا   لكنَّه مَزَج المَسرّة بالفَرَح
هي صَفوَة الكرْم الكَريم فَما سَرت   سَراؤُها في باخل إلا سَمَح

ويشابهها في تعدد الكؤوس. قال الشاعر :

إذا ما الخَمر في الكاسات صُبّت   رأيت لَها شُموساً في بُروج
إذا جَليت عَلى النُّدْمان يَوْماً   تَزاحَمتْ الهُمومُ عَلى الخُروج

ومِمَّا يُشابهُها فيه الخلاف في عدد الشَّاربين، هل أفضل الثَّلاثة أم الأرْبعة أم الخَمسة أم السِّتة أم السَّبعة ؟ قال الشَاعر :

ثَلاثة في مَجلس طيب   مَجلسُهُم ما فيه تَكْدير
هَذا يُغنّي ذا وهَذا الَّذي   يَسْقي وذا بالشُّرب مَسرور

وقيل في شُرب الأربعة :

ألا إنَّمـا خَـيْـر المَجالس مَجْلسٌ ... به وله صَفْوُ الزَّمان مُساعد
فَتاةٌ وساقٍ والمُغَنّي وصاحِبٌ ... وَخامِسُهُم كلٌّ عَلى الكل زائد

وقيل في شُرب الستة :

خَيْر المَجالس خَمسَةٌ أو ستَّةٌ ... أو سَبْعَةٌ وعَلى الكَثير ثمانية
وإذا تَعدّى صَارَ شُغلاً شاغِلاً ... وتَكسَّرتْ بَيْن الرِّجال الآنِيَة

ويُشابهُها في كَوْنها لها إبْريق والإبْريق الأبْرّاد (كذا)، لأن الإبريق ماله عُروَة وخُرطوم، انظر **الجَلالَيْن** [110] عند قوله تعالى : «وَآبَارِيقَ» [111].

وقال الشاعر :

أفْنى تلادي وما جمَّعتُ من نَشَب ... قَرْعُ القَوافيز أفْواه الأباريق
كأنَّهُنَّ وأيْدي الشُّرب مُحَملة ... إذا تَلألأنَ في أيْدي الغَرانيق
بناتُ ماء معاً بِيضٌ جَناجِنُها ... صُفرٌ مَناقِرُها حمر الحَماليق

فإذا تأمَّلت هذا علمت أن الأتاي يُشابه الخمر، وكل ما شُرب على شَبَه الخمر فهو حرام، لخَبَر : إذا شَرب العبد الماء على شَبَه الخَمر كان الماء عليه حراماً. والعَوارض التي حرَّم بها الحطّاب القهوة أكثرها في الأتاي. ونصُّه : ظَهَر في القرن العاشر أو قُربه شراب يُتَّخذ من قشر البنِّ يُسمى القهوة. ومن الناس مُتغال فيه يَرى أن شُربه قُربَة، ومُتغال يرى أنه مُسكر. وَالحق أنه لا إسكار فيه لكنْ فيه نشاط، ويَحصل بالمُداومة عليه ضَراوة عند تَركه، كَمن اعْتاد أكل اللَّحم بالزَّعفران والمُفترات وانْشراح عند شُربها. لكن تَعرِض له أُمور تَجلب له الحُرمة.

منها أن شُربها في مَجامع أهلها يؤدي للاخْتلاط بالنساء لأنَّهن يَتعاطَيْن بَيعها كثيراً، وللاختلاط بالمُرد لمُلازمتهم لمَواضعها وسَماع الغيبة والكلام الفاحش والكذب الكثير من الأراذل الذين يَجتمعون لشُربها بما تسقُط المُروءة بالمُواظبة عليه.

---

(110) **الجلالين** : كتاب في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي.

(111) الآية 18 من سورة الواقعة (56). ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

ومنها أنهم يَلتهون بها عن صلاة الجَماعة (؟) بها ولوُجود ما يُلهي من الشَّطرنج ونحوه في مواضعها .

ومنها ما يرجع على شاربها عمَّا أخبرني والدي رحمه الله ، عن الشيخ العارف بالله تعالى العلامة سيد أحمد زروق[112]، أنه سُئل عنها في ابتداء شُربها ، فقال : أما الإسْكار [فليست] مُسكرة ، ولكن مَن كان طَبْعه الصفراء والسوداء يُحرَّم عليه شُربها لأنها تضُرُّه في بدنه وعقله . ومن كان طبعُه البَلغم ، فإنها تُوافقه . وقد كثُرت في هذه الأيام واشتهرت وكثُر فيها الجدال ، وانتشر فيها القيل والقال ، وحصلت بسببها فتن وشُرور ، واختلفت فيها فتاوي العُلماء وتَصانيفُهم ، ونُظِّمت في ذَمِّها ومَدْحها القصائد . فالذي يَتَعيَّن على العاقل أن يَجتنبها بالكُلِّية إلا لضرورة شرعية . ومن العوارض الُموجبة للحُرمة أنَّها تَرجع في حقّه إلى أصلَ الإباحة ، والله تعالى أعلم .

وذُكر أنهم يَجتمَعون عليها ويُدوِّرونها كما يُدورون الخمر ، ويُصفِّقون ويُنشدون الأشعار من كلام القوم ، فيه الغزل وذكر المحبَّة وذكر الخمر وشُربها ، فيَسري إلى النفس التشبُّه بأصحاب الخمر ، خصوصاً ممَّن كان يَتعاطى ذلك ، فيُحرَّم حينئذ شُربُها مع ما يَنضَمُّ إلى ذلك من المُحرَّمات . ولا شكَّ أن كثيراً من أهل الأتاي يفعل ذلك في بعض الأحيان لأني رأيتُهم يَشربونها في كأس واحد ، ويُدوِّرونها عليهم كما يدورون الخمر إن لم يجدوا غيرها ، ويَتجمَّعون عليها ويَذكرون أشعار القوم عليها ، ويُنشدون أشياء من شعر الجاهلية ، فيها ذكر الخمر وشُربها . والأشياء التي يذكرون من شعر الجاهلية :

- منها : صَددْت الكأس عنّا ، الخ .
- ومنها : أفْنى تلادي وما جمَّعت من نَشب ، الخ .
- ومنها : ومَهماَ تَرى الإبْريق للكأس راكعاً ، الخ .
- ومنها : مُشعْشعَة ، الخ .
- ومنها : ألا فاسْقني كاساتٍ ، الخ .
- وغير وغير وغير .

(112) أحمد زروق هو شهاب الدين أبو العباس أحمد البرنسي الفاسي (ت 899 / 1493) . ولد بفاس وتوفي بناحية طرابس الغرب . وهو فقيه مالكي ، ومتصوف ينتمي إلى الطريقة الشاذلية . ونذكر من بين مؤلفاته **شرح الحكم العطائية** و**شرح مختصر خليل**.

ورأيتُ بَعضَهم يَحدُث له عند شُربها شيءٌ غريب من الطَّرب، ويَهدُر عليها[113]، وفيه نَشاط غريب شاهدتُه في نفسي، ورأيتُ بعضَهم يكُبُّها عمداً من شدَّة الفَرح والطَّرب والنَّشاط واللَّذة والهدَر، ورأيتُ بعضهم يقول لمَن معه : اقلعْ عنّي شيئاً في بصري، وهو كاذب، ويمدُّ يده بالكأس ويقول : انْظر الدَّشرة الفُلانية، وهو بيْنه معها مَسافة زمان طويل، ويقول : أتاكُم الشَّيء الفُلاني، ويقول عند ارْتشافه منها : أهَحْ ! بأرفَع صوت، ويقول : آحْ ! بالإ شْباع، ويقول : حَحْ ! والله والله ألا حَحْ حَحْ ! بويا بويا حَحْ ! وما لا يَنتهي من الأقوال والأفعال القَبيحة.

فانظر العَوارض المُحرِّمة للقهوة مع كَونْها قشر شجرة وحَلوى وماء. وقال كل أحد : إن القهوة هي كَافَ ونحن كافَ، شَربْناها بآلاتها ولافرق فيها مع الأتاي في الهَيئة. وانظر قول الحطاب : فالذي يَتعيَّن على العاقل أن يَجتنبها بالكُلِّية.

[مقطع 2]

[. . .] وأما قولُهم إن شارح **الوسيلة**[114] نَّص على حلية الفواكه التي لا نَفع فيها إلا لشهوة عند قول الناظم : الحق سعى في المَعاش البادي، إلى قوله :

وغَيره الضَّلال بالإمْعان ومنهُ الاشْتِغال بالدُّخّان

وهذا لم يَجلُبه من له عقل أيضاً نصاً لإباحة الأتاي، لأن النّاظم حَصر الحلال على ما تقدَّم وحرَّم غيره. وقال الشّارح : إن كلام النَّاظم غير صحيح، لأنه حَصر الحلال على السَّعي في المَعاش البادي وحسنة المعاد، وحرَّم ما لم يكن كذلك من سائر الحركات والفواكه التي لا نفع فيها إلا لشهوة فقط وهي جائزة، فهذا لم يُؤخذ منه إجواز تَبذير المال فيها، وأنها جائزة إن أدَّت لأمر حرام كالأتاي.

وأمَّا استدلالُهم : «يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحرِّمُوا طَيِّبَات مَا أحَلَّ اللَّهُ لكُمْ» . قال ابن مَتالي في كتابه **قلائد اللُّجين**[115]: إلا [ما] في تَحليله فسادَ، ومن أعظم المَفاسد تَحليل

---

(113) الهدرة كلمة تعني في موريتانيا الكلام الذي يعبر عن الطرب الحاصل عند شرب الأتاي. ويقال في هذا الصدد :

لا تشرب الكأس بلا هدرة فإنما اللذة للهادر

(114) لعه كتاب **وسيلة السعادة فيما تضمنته كلمة الشهادة** للمختار بن بُونا الجكَني الشنقيطي (ت 1805/1220).

(115) محمذ فال بن مَتالِي (ت 1288 / 1871) هو من أكبر علماء شنكيط في القرن التاسع عشر.

الأتاي، لأنه يؤدي إلى فساد الدِّين والدُّنيا والآخرة. ولم يقل مُفسِّرٌ عند ذكر تفسير الآية بحلية الطَّيِّبات إن أدَّت لعارض حرام كالهيئة وغيرها من المُحرَّمات، والأتاي لم يُحرِّمه أحد إلا بالعَوارض. وأما الطيبات لم يُحرِّمها من له عقل ودين ومروءة لُمجرَّد الطِّيبة واللَّذة. قال تعـالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. وقال : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾، الخ[116]. وقال : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وقَالَ صلى الله عليه وسلم : ﴿مُحَرِّمُ الحلال كَمُحَلِّلِ الحرام﴾[117]. وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿إن الله يُحبُّ أنْ يَرَى نِعْمَتَهُ عَلَى عَبْده في مَأكله ومَشْرَبه﴾[118]. وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[119].

هذا كُلُّه نص صريح في حلِّية الطَّيِّبات، لكن يُستدلُّ به على حلية الأتاي المُحرَّم بالعَوارض الثَّابتة التي لا يَخلو منها غالباً، بل يُستدلُّ به على حليته إن كان خالياً من العوارض كلِّها وعلى أفراده مُجتمعة أو مُفترقة. واعْلم أن تحريم الطَّيبات إن كان لعارض لم يُحرَّم، بل الحَرام تحريمها لُمجرد اللَّذة والطيبة. ويُرشد لذلك ما قاله ابن متالي في **قلائد اللُّجَين** ونصه : بل أقول سماع الأوْتار من ضَربها على غير وزْن مُتناسب مُستلذ حَرام أيضاً. وبهذا نَتبيَّن أنَّه ليس علَّة تَحريمه في مُجرَّد اللَّذة والطيبة، بل القياس تحليل الطَّيبات كُلِّها إلى ما في تحليله فساد. قَال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾. فهذه الأصوات لا تُحرَّم من حيث أنَّها أصوات مَوزُونة، وإنمَا تُحرَّمَ لعارض آخرَ. والنَّباتَات كلُّها حلال ما لم تُؤد إلى ضرَر أو تُغطِّ العقل، ولم يقل مُفسرٌ عند ذكر الآيات إن الطَّيبات جائزة ولو أدَّت إلى مُحرَّم. واتَّفق أهل المذهب أن الحلال يَجب إذا أدَّى تركه لترك

---

(116) الآية 4 من سورة المائدة (5) : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

(117) أورده ابن أبي حاتم الرازي في كتاب **العلل**، ج 2 : 308، وقال : هذا حديث منكر.

(118) الترمذي، الأدب 54 : «وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يحب أن يرى [أثر] نعمته على عبده، [خلقه] في مأكله ومَشربه». (انظر أيضا، ابن حنبل 2 : 311، 4 : 438).

(119) الآية 168 و169 من سورة البقرة (2).

واجب كصَوم ووُضوء وإدْخال ضرر، ويُحرَّم إذا أدَّى لُمحرَّم كضَياع مال أو نفس، وكذا إن قَوَّى على المَعصية. فإذا تمهَّد هذا علمت أيُّها (؟) أن النُّصوص مُحتملة، والشيَّء إذا طرَقه الاحْتمال سَقط منه الاسْتدلال. وعلمت أنّا رأيْنا كثيراً من النُّصوص على تَحريم الحَلال بالعوارض كما تعلم، وعلمنا أنَّ تحريم ما أصْله الحَلال بالعَوارض الثَّابتة المُجمع على تحريمها يُثاب عليه إن كان احْتساباً ونَصيحة للمُسلمين.

وأما قولهم إنَّه لا يجوز تَحريمُه إلا ما وقع فيه العارض لا مُطلق الأتاي، فالجواب والله تعالى أعلم إن أكثر النَّاس لا يَستعملُه إلا على وجْه حَرام، والحُكم للأكثر، وإن الغالب فيه أنه يُؤدي إلى فعل مُحرَّم، والغالب مُقدم على الأصل إلا في كل مَوضع فيه حَرَج أو إضاعَة مال مُحترَم، قاله أبو الحسن البياني [120]، في كتابه الذي ألَّفه في الورَع بعد أن طال في تَوجيه القَولين من الأصْل والغالب : إلا في كُل مَوضع يلزم فيه حرج أو إضاعة مال مُحترم. ومثله للقرافي في **الفروق** : يأمن بدوْره التَّمسك هُنا بالغالب فيه صَون المال والدِّين، ولم يكن فيه حرج وهذا فيما أصْله الحَلال. والأتاي ورَقُه مُضرّ، والمُضر المَشهور فيه أن أصله حرام، والسكر فيه الخلاف.

وأمَّا اسْتدلالهم على إباحَته بكوْن الفقيه شَربه، وابّاهْ شَربه مرَّة أو مَرَّتين، وشَربه الشيخ أحمد بَنْبَ، والشيخ محمد، والشيخ سعد أبيه، والشيخ ماء العينين [121]، فهذا كلُّه لا فائدة فيه، يأتي ردُّه إن شاء الله.

[مقطع 3]

[. . .] وأمّا الشيخ امْحمد، والشيخ أحمد بَنْبَ، لم يَقل أحد أنَّه رأى واحداً منهما يَشربه، وهُما الشيخ سعد أبيه، والشيخ ماء العينين، أوليّاء الله لا يُقاس عليهما. وبعد

(120) انظر أعلاه، هامش 64.

(121) أحمدُ بَنْبَ هو شيخ تصوف سنغالي مشهور، ومؤسس الطريقة المريدية. وقد نفاه الفرنسيون إلى الغابون، ثم أعادوه إلى بلده ووضعوه تحت المراقبة. والشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل (ت 1335/1917) هو أخو الشيخ ماء العينين لأبيه. كان عظيم النفوذ في جنوب موريتانيا والسنغال. وقد عرف، عكس أخيه، بمساندة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وألف في هذا الموضوع كتابا يحمل عنوان : **تحذير العامة والخاصة من محاربة فرانصه**، كما وضع فتوى في موضوع الأتاي (مخط. 1682، قسم المخطوطات، دار الثقافة، نواكشوط). وأما ماء العينين (مصطفى بن محمد فاضل بن مامين القلقاني) فقد تلقى تربية صوفية على يد أبيه، ثم أسس طريقته المعروفة بالعينية، واستقر بالساقية الحمراء ووادي الذهب. وقد أقام علاقات وثيقة مع السلطنة المغربية، وجاهد ضد الأوربيين في ساحل الصحراء. وإلى جانب ذلك تعاطى للتدريس والتأليف. وقد توفي بمدينة تزنيت سنة 1328 / 1910.

هذا، فالحادث غير مَعصوم، يُحتمل أن يكونوا جاهلين حُكم الأتاي لأنه لم يُبحَث عنه في زَمَنهم ولا يُقضى بمُحتمل. وبعد هذا أيضاً، نصّوا أن الأوليّاء يَتشكّلون، فمن رءاهم يفعلون شُبهة، فذلك لشَقاوة الحاضر. انظر كنون في آخر المُباح [122]، فحينئذ يدخل الاحْتمال، والشيء إذا تَطرَّقه الاحْتمال سقط منه الاسْتدلال.

وأمّا قولهم إن الجَراءة على الله حَرام، ومن الجراءة عليه التَّساهل بالفتوى، فهذا حُجةٌ عليهم فلْيَتركوا التَّساهل بالفتوى في تحليل الأتاي.

وأمّا الشيخ لم يُفت بتحريمه إلا بعد سُؤال العلماء، وقولهم له إنه حرام، وألّفوا له في تحريمه بعد التأنّي والنَّظر الطويل في جميع الكُتب. وأنا لم أقل فيه إلا ما أخذتُه من شيخي، أو ما أطلتُ فيه النَّظر والفكر. واعلموا أن الشيخ أدْرى بالحقيقة والمَجاز، والدّليل والمدلول، واللاّزم والملزوم، والمنطوق والمفهوم، والأصول والفروع، والقواعد وفروعها، والمَدلول والاشتقاقات، والغرابة والأحوال، وأمُور الدُّنيا والآخرة ممن يقول بحلية الأتاي. فإذا تمهَّد هذا علمت أنّه لا يقول إنَّه حرام بالإطلاق إنْ كان غير حرام، وعلمتَ أنّه لا يَتساهل بالفَتوى ولا يقول شيئاً يكون حراماً، ولا ردَّة من تحريم الحلال وغيره، وأنا رَعيَّته والرَّعيَّة على قلب الأمير، لكن الخَصم جَريء علَى الله بتَساهله بالفتْيا، إنَّنا تَساهَلنا بالفتوى على قوله.

وأمّا قولهم: إنَّه ليس بسَفه، الجواب: السَّفه هو تَبذير المال في مُباح أو مُحرَّم أو مكروه. وأمّا صَرفُه في طاعة الله تعالى لا يُقال في ذلك سَفه، ونصّ **المدونة**: وصفَة من يُحجَّر عليه من الأحرار أن يكون مُبذِّرا لماله في شَهواته. الجوهري [123]: تبذير المال إنْفاقه إسرافاً. وفيه أيضاً: والإسْراف في النَّفقة التَّبذير. **المصباح** [124]: تَبذير المال تَفريقه في غير القَصد، وفيه أسْرَف إسرافاً، جاوز القصد. **القاموس** [125]: الإسراف التَّبذير أو ما أُنفق في

---

(122) لعله محمد بن المدني كنون (ت 1302/85-1884). أصله من قبيلة مستارة، ولد وعاش بفاس، واشتهر بعلمه الواسع في ميدان الفقه وبمواقفه الجريئة تجاه الحكام. ومن بين مؤلفاته **حاشية على موطا مالك**، **واختصار لحاشية الرهوني**. و«المباح» المشار إليه هو فصل من كتاب خليل ابن إسحاق.

(123) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت. حوالي 393 / 1003). وقد اشتهر بتأليفه لكتاب **الصحاح في اللغة**، وهو معجم ظل مرجعاً أساسياً حتى ظهور **قاموس** الفيروزبادي.

(124) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأبي العباس أحمد بن محمد الفيومي (ت. حوالي 770 / 1368)، هو معجم اصطلاحات، خصوصاً في ميداني الفقه وعلم الكلام.

(125) هو كتاب **القاموس المحيط** لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت 1414/816).

غير طاعة. وفي ق [126] عنه قوله : ورَجعتْ بما أنفَقتْ عليه من غير سرْف. التبذير إنْفاق المال في سرْف مُباح (؟)، قاله الثعالبي [127]. والسٍّرف قيل سرَف زائد على ما يَنبغي، والتَّبذ يرصرْف لشيء في ما لا ينبغي. وبعد هذا شاهدناه، أي الأتاي، أفْقَر من الأغنياء وأفْلس منهُم ومن الفُقراء مالا يعلمه إلا الله، ولا دليل أقوى من المُشاهدة، يُبذِّرُ أحدهم في شراب أيام عن نَفقته شهراً (؟) ويَترُك النَّفقة الواجبة عليه كنَفقته ونفقة عياله وسائر الحقوق الواجبة عليه، وهذا لمُجرد هَوى النفس مع أنه لا يَنفع في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال صاحب **التحفة** [128] في تحريمه لذات الدُّخان ما نصه : اتَّفق العلماء أن ضَياع المال في ما لا يَنفع في الدُّنيا والآخرة حَرام ولو قليلاً. وقد عُلم أن الدخان لا يُنتفع به ويَضرُّ، فإنفاق المال في ما لا ينفع بلْ يضرُّ حرام، سواء كان الذي يتعاطاه غنيّاً أم فقيراً. فمَفهومُه أن استعمال الشيء في الشَّهوة ليس مَنفعة. وذكر جواباً لعلي الأجهوري، وهو : والحاصل أنه لا يُحرَّم [إلا] على من يُغيِّب عَقله أو يَضره في بَدنه أو يُؤدي استعماله إلى ترك واجب عليه، كنَفقة مَن تَلزم نَفقتُه، أو تأخير الصلاة عن وقتها أو يُقْتر على نفسه أو يَصرف في ثمن الدَّخان ما يَحرُم عياله من الأشياء المُباحات، فإذا وافى بذَلك كلِّه يُكره عليه فقط. وهذا كلُّه مُشاهَد في الأتاي ولا يَخلو منه أو من بعضه. وفي **رسالة السلوك** [129] ما نصُّه : والأشياء التي لها لذَّة عاجلة ولا ثَمرة لهاَ بعد الموْت مَذمومَة، كالمَعاصي والمُباحات الزّائدة على قَدر الحاجات. والأتاي لا شكَّ أنَّه زيّادة، والله أعلم.

وأمّا قولُهم إن مَن بذَل شيئاً في ثَمنه المُعتاد في البلد ليس بسَفه، الجواب والله تعالى أعلم : إنْ كان البَذل لحاجة شرعية جاز، وإن كان البذل لشهوات النَّفس فقط، وضُيِّع المَبذول في الشَّهوات وصار هذا لا بدَّ منه كُل يوم وليلة وطال فيه الزَّمان، قُلت : هذا هو السَّفه، لأن السفه تبذير المال في شهوات النَّفس. ولما ضيِّع المَبذول فيه وتكرَّر تَضييعه ودام وطال الزّمان فيه، ءال أمرُه إلى تبذير المال في شهوات النفس. والله تعالى قد جعل الأمْوال

---

(126) لعله اختصار لاسم أبي عبد الله محمد بن يوسف القاسم العبدري ابن المواق، توفي وهو قاضي غرناطة في شعبان من سنة 897/ 1492.

(127) انظر أعلاه، الهامش 16.

(128) لعله أبو بكر بن محمد ابن عاصم (ت 829 / 1427)، وهو فقيه من غرناطة، اشتهر بمنظومته **تحفة الحكام**. وقد اعتبر هذا النص بمثابة دليل يسترشد به القضاة في أحكامهم.

(129) ربما تعلق الأمر ب **رسالة في السلوك** التي وضعها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي (ت 632/35-1234).

قوام العَيْش، ونَهى عن إضاعتها وتبذيرها في غير وُجوهها فقال : ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذيراً﴾ [130]. وَقال : ﴿[و] الَّذينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا﴾، الآية [131]. وأمرنا أن لاَ نُمكِّن منها السفهاء، فقال: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ [132]، وقال : ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى﴾ [133]. فوَجب الاحْتياط للأموال وقطع مادّة الضَّرر عنها، اهـ . من **المقدمات** [134].

وأمَّا قولُهم إن نص الحطاب في القهوة ليس على ما فهمناه لأن العُلماء لاشكَّ أنهم نَظروه ولم يُحرِّموا به الأتاي، قلتُ : قد يَصحُّ أن يكونوا لم يَطَّلعوا عليه، أو اطَّلعوا عليه ولم يشتَغلوا به لعَدم وقُوعه فيهم ، أو اطَّلعوا عليه واحْترزوا منه، والعلماء من أهْلنا لم يَحضُروا خبر الأتاي.

وأمّا قولهم إن القهوة فيها الخلاف بين الإسْكار وعدمه، والأتاي ليس كذلك، قلتُ : المَدار على ما قال الحطاب، والحطَاب نصُّه : والحق أنَّها لا إسكار فيها، وإذا سلَّمنا تسليماً جدلياً أن علَّة القهوة الخلاف بيْن الإسْكار وعدَمه ، قلتُ : الأتاي. قال بعض الناس أنه [يُسكر].

أمّا قولُهم إن الضَّرر الذي يؤدي [إليه] الأتاي ليس هو الضَّرر المَنهي عنه، وإلا حُرِّم كلُّ حلال. قلتُ : هذا عمل يد ، لأن الأتاي شاهدناه يقتُل ، وشاهدناه يؤدي للمَرض الشَّديد والضَّعيف، مع أنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع. قال ابن أتنف : إنه قَتل أخاه (عبد ؟)، وقال : إنه داءٌ ودَواء، والشيء إذ كانت فيه مَنفعة ومَفسدة دَرء المَفاسد أولى من جلْب المصالح، وهذا إن كان للمَصلحة. والأتاي ليس مشروباً لغير الشَّهوة ولم يوجد نصٌّ ضعيف على نحو جواز إدخال الضَّرر اليسير على النفس بمُجرد الهَوى، إن سلَّمنا تسليماً جدلياً أن ضرره يَسير. لكن رأينا النُّصوص الكثيرة على إباحة الحرام للضَّرورة وحُرمة الحلال إن كان فيه ضرر، كإدخال الطَّعام على الطَّعام قبل الهَضم، والشُّرب قبل ذهاب

---

(130) الآية 26 من سورة الإسراء (17) : ﴿وآت ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيل ولا تُبَذِّرْ تَبْذيراً﴾.

(131) الآية 67 من سورة الفرقان (25) : ﴿والَّذينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلكَ قَوَاماً﴾.

(132) الآية 5 من سورة النساء (4) : ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَماً وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾.

(133) الآية 6 من سورة النساء (4) : ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَى إذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإنْ آنَسْتُمْ مِنهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إسْرَافاً . . . ﴾.

(134) المراد كتاب **المقدمات** لابن رشد.

الغَذاء، والجَري جداً، والجماع قبل الاحْتياج، وما فَوق ثلاث أُنمُلات من العَسل إذا تكرَّر ذلك أسبوعاً، وغير ذلك بمَا لا يَنتهي. وهذا كلُّه لكَون مُحتمل الضَّرر إلا لضَرورة حالية. نص على ذلك أهلُ الطِّب . . .

[مقطع 4]

[. . .] وأمّا قولُهم إن الطَّرب الذي يؤدي [إليه] الأتاي ليس هو طرَب الخمر، ذكر كنون في آخر الحشيشة أنَّه لا يُشتَرط تَعيين كوْن الطَّرب المُماثل لطرب الخمر أصلاً، إذ الأعمُّ لا إشعار له بالأخصِّ المُعيَّن. وقال تقي الدين [ابن دقيق العيد] : إن السَّابق إلى الذِّهن أن مَفسدة الخمر السُّكر وتشويش العقل، فإنْ أُخذ هذا لمُجرَّده، لزم منه أن يكون شُرب القَطرة الواحدة غير كبيرة لخَلائها من المَفسدة، مع أنَّها الكبيرة المَذكورة لأنها تَقتَرن بها مَفسدة التَّجرأ على شُرب الخمر المُوقع في المَفسدة. فهذا يُؤخذ منه أن تَشويش العقل مَفسدة وأنَّ تناول الشيء القليل الذي لا يُوقع [في] المَفسدة حَرام إذا كان كثيره يُوقِع في المَفسدة، لما فيه من التَّجرأ على ما يُوقِع [في] المَفسدة.

وأمّا قولُهم إن العَجوز التي لا تَرجو نكاحاً يَجوز لها أن تَبيع شيئاً من مالها في زينَتها لمُجرَّد شهوتها، وذلك يؤخَذ منه جَواز بذْل المال في الأتاي لمُجرَّد الشهوة. الجواب : إن العَجوز إذا باعتْ شيئاً من مالها في زينتها وصار عندها، فذلك ليس فيه تبذير المال. لكن جَعلَته مالاً آخر من غير جنس الأول، ولذلك إذا احْتاجت إلى بَيعه لنفقة أو كَسوة أو لقضاء حق تُطالب به فَعَلَتْه. ومَنَ باع ثلاثين أُوقية مثلاً في الأتاي، وصار يَشربُه ليله ونهاره حتى مضَت مدَّة يسيرة ونَفَذ هذا كلُّه فإذا راجع نَفسه فإذا هو ضيَّع مالاً كثيراً في غير هَمِّ الدُّنيا ولا الآخرة، ولا يُمكنه الانْتفاع من شيء منه إذا احْتاج إليه كالعَجوز لأنه صار ماءاً وناراً وبولاً وعذرة بعد ذلك. وهذا يكفي كلَّ من له عقل من قلّة فائدة الأتاي، بل يدلُّه على حُرمَته.

وأمّا قولُهم إن الرَّجل يَجوز له أن يَبذُل صداقاً كثيراً لامْرأة لكَونه يَشتهيها، وهو يَجد غيرها بصداق أقل، وهذا يُؤخَذ منه أيضاً أنَّ بَذل المال لمُجرَّد الشهوة جائز. قلتُ : حبُّ الزوج لزوجته يؤدي إلى حُسن المُعاشرة، ويؤدي إلى كثرة التَّمتع بها، وذلك فيه الثَّواب الكثير، ويؤدي إلى سَمع الجَنين. وإذا قالوا هذا لم يَقصده الزَّوج لأنه لايَعلمُه إلا الخاصَّة، قلتُ : فإن لم يكن يَعلمُه، فإن الشَّارع الذي أجازه يَعلمه. واعْلموا أيها الإخْوان أنّي أعْلم وأجْزِم به أن الأتاي ليس مشروباً إلا لمُجرَّد شهوة النفس والهَوى. قال صلى الله عليه وسلم «أعْدَى عَدو الإنسان نَفسه التي بين جَنبَيه». ثم إن النفس حاجبة للعبد من الوُصول إلى الله

تعالى، وما من داعية للّه دعا إليها خَلقَه ليَتقربَّوا بها إليه إلا ولها داعية تُخالفها. قال تعالى: ﴿إنَّ النَّفسَ لَأَمارَةٌ بالسُّوء إلاَّ مَا رَحمَ رَبِّي﴾[135]. وقد وقع الإجماع من العُلماء والحُكماء على أن لا طَريق للسَّعادةَ الأُخرَوية إلا من نَهي النَّفس عن الهَوَى وسَوقها إلى الطّاعات. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإنَّ الجَنَّةَ هيَ المَأْوَى﴾[136]. وذلك إنَّما يكون بشيء من الرِّياضاتَ بيَّنها أهلُ الصُّوفية في كُتبهم، ومُجَاهدة النَّفس ومُقاتلتُها إلى ما طُلب منها من عكس ذلك. قال في **تاج العروس**[137]: فيُبدّل البطالة بالاشْتغال باللّه، والكلامَ بالصَّمت، والقُعود على أبواب الخَيرات بالخُلوة، والأُنْس بالمخلوقين بالأُنْس بالله، وقُرَناء السُّوء بأهْل الخير والصَّلاح، والسَّهر في المَعصية بالسَّهر في طاعة الله، والإقْبال على أهل الدنيا بالإقبال على أهل الخير، والإصْغاء بالإصغاء والاسْتمتاع بكلام الله وذكره، والأكلُ بالشَّرَه والشَّهوة بالأكل القليل الذي يُعين على الطّاعة. قال تعالى: ﴿وَالَّذينَ جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدينَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[138]. وقال صلى الله عليه وسلم: «الحَلالُ بَيِّن، والحَرَامُ بَيِّن، وبينهما مُشتبهات لا يَعلَمُها كَثيرٌ من النَّاس. فمَن اتَّقى الشُّبُهات فقد اسْتَبرأ لعرضه ودينه، ومَن وقَع في الشُّبُهات وقع في الحَرام، كالرَّاعي حول الحمى يُوشك أن يقَع فيه». والأتاَي أدْنى مراتبه يكون شُبهَة. وقال ابن حمدون[139]: والظّاهر أن ما خَطر على بال الإنسان ممّا لا يَعلم حُكم الله وأنه ليس مُنهى عنه، بلْ من قَبيل الخير. لكنّه لا يَتحقَّق الإخلاص فيه فإنه يُطلب فيه أن يُثبت في ذلك الخاطر حتي يتبيَّن له أمرُه. فإن كلا من الخاطر الشَّيطاني والنَّفساني قد يأمُر بالخير ومَقصودُه الشَّر.

فصْل. ومن أقوى أدلّة تحريمه كونُه معلَّلاً بالمَظان: القَويُّ أنَّه لا يَتخلف عنه العارض الحَرام، فصارَ لا يَخلو أمرُه من أمْرين: أحدُهما أن يَقع فيها العارض فيُحرَّم لأجله، والثاني أن يَتخلَّف عنه فيُحرَّم أيضاً لأنه مُعلَّل بالمَظان، والمُعلّل بالمَظان لا يَتخلَّف الحكمُ بتَخلُّفه.

---

(135) الآية 53 من سورة يوسف (12): ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسي إنَّ النَّفْسَ لأَمارَةٌ بِالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحيمٌ﴾.

(136) الآية 40 - 41 من سورة النازعات (79).

(137) هو كتاب **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الزبيدي المصري (ت 1205/1791). وهو شرح لـ**جواهر القاموس** للفيروزابادي.

(138) الآية 69 من سورة العنكبوت (29): ﴿وَالَّذينَ جَاهَدُوا فينَا لَنَهْدينَّهُمْ سُبُلَنَا وَإنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسنينَ﴾.

(139) لعله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج، انظر أعلاه، نص 62.

وعن أبي محمد الحسن بن علي، رضي الله عنهما سبْط رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : حَفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دعْ ما يُريبُك إلى ما لا يُريبك»(140).
وعن ابن عَباس : إذا دارَت الأقْداح ما بَين قَوم، هَجرتهُم الملائكة ولَعنَتهُم، وحضَرتهُم الشياطين(141)(. . .).

[مخطوط، ميكروفيلم، مدريد]

الشاي في الصحراء



المصدر : ألان كيزر، **سكان الصحراء**، سترسبورغ، 1992.

(140) حديث رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح».
(141) نجد في الدامري، **فضائل القرآن** I : « . . . تهجره الملائكة وتحضره الشياطين».

61. السكر والقهوة

اقتطفنا هذا النص من كتاب مخطوط، **هداية الضال المشتغل بالقيل والقال**، للمامون بن عمر الكتاني (ت 1309/ 1891-92)، وهو فقيه من فاس، أخذ عن أحمد الحجرتي وأحمد العراقي. وقد ألف في الأنساب والمناقب.

ولنَرجع إلى ما كُنتُ بصدده فأقول: ومن الحرف حرفة السكّار(كذا). ولقد أشار إلى كيْفيتها القاضي العلاّمة أبو حامد الزرهونيَ (142) في تَوْليف له، وحكاها نقلاً عن الشيخ داوود الأنطاكي، ووبَّخ القائلين بالحُرمة وحمّرهم.

قُلت: وهو نعمة أنعم الله بها وبظُهورها على عباده في آخر الزَّمان، بعدما انْكبَّت الجهَلة من عَوام الإسلاَم على الخمر، وهو ماء حرام. ولمّا ظهر وقتُ الأمير الأعظم، تاجُ الأمراء الأفخم، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله، سجد لله شُكراً. ووقع وقتئذ اضطراب كثيرٌ وخلافٌ شهيرٌ: فمن مُحل ومن مُحرم. وممَّن ألف في جوازه وتنافَس في شُربه، الفقّيه العلاّمة أبو حامد بن شيخ الجماعة أحمد بن شيخ الشيوخ محمد التّاودي بن سودة(143)، وتبعه على نَسقه أبو حامد العربي الزّرهوني.

ولقد أرسل ولد الأمير المذكور، وهو السلطان أبو داوود سُليمان رحمه الله، مَن يُوثَق بدينه وعلمه، ويُرجَع إليه في فصل القضاء وحُكمه، حتى وقّف على عيْن آلاته وماهيَّة صُنعه. ورجع فأخبر بطهارة أصله، وإباحة فَرعه. فسُرَّت بمقالته القُلوب، وانْكبَّ على شُربه ذوو الشروف. هذا والمُحرَّم إنما حُرِّم ما عدا الجامد منه، وهو ما يُعرف بسكّار

(142) انظر أعلاه، نص رقم 59.

(143) أبو حامد العربي بن أحمد بن التاودي ابن سودة (ت 1271/1854) هو فقيه من أهل فاس، ناب عن أبيه في الخطابة والقضاء، واستفتاه السلطان سليمان وعينه لتدريس **الموطا** بضريح مولاي إدريس بفاس. وقد ترك مؤلفات عديدة، من بينها **تحقيق الأنباء فيما يتعلق بالطاعون والوباء**، **والرد على من حرم سكر القالب**.

صفحة من مخطوط «هداية الضال» للكتاني

القالب، وأمّا غبرته المعروفة بلُبانة فلا. وهذا منه مَحْض ورَع انْفرد به، ولقد رأيتُ أصحابه من بعده يشربونه ويُثنون عليه. وهو أحد المسائل التي بَرزت للوجود بعد وفاة التّابعين ومَتبوعهم من أصحاب سيِّد الوجود. وفي **الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز** مانصُّه [144]: إذا ظهر شيءٌ بعد وفاة الصَّحابة والتّابعين، ولم يُدرَ حكم الله فيه، فيُنظر إلى خيار أهل الوقت هل يَستعملونه أم لا. فإن كانوا يستعملونه قلنا به، وإلاّ فلا، هـ. بالمعنى. وقال مولانا تبارك وتعالى في وصف نبيِّنا صلى الله عليه وسلم حَسبَما أنزله عليه: ﴿يُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ﴾[145].

وإذا ثَبت هذا، علمتَ أن السكار من المسائل التي لا يَنبغي النَّهي عنها، لأنَّه هو طيب، بل من أطيَب الطَّيِّباتَ. ومحبَّة الحُلو سُنة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحبّ الحُلو ويثني عليه، وقال يوماً عليه الصلاة والسلام: «المُومن حُلو يُحبُّ الحُلوَ» [146].

ولا شكَّ أن أصله طاهر، لأنَّه نبات وجميع النَّبات طاهر، إلاّ طابَغه[147]، ففيها ومَن في معناها خلافٌ بين المشارقة والمغاربة، لِما يَعرض لها من الأُمور الَّتي نهى الشارع عنها بخلاف السكار والأتاي [148].

فحاصل ما يُقال إنَّه لمّا كان يُصنع في بلاد الرّوم كان مَجهول الحال. وقد تقدَّم ما رأيتَ عن الأمير المذكور وغايَته الشكّ، والطَعام لا يُطرح بالشك، وقد قدَّمنا أنَّه من أطيَب الطَّيبات. وكيف لا وقد حكى شيخُنا وشيخ جماعتنا بفاس، أمنها الله من كل باس، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان الفلالي [149]، قدَّس الله روحه وأسكَنه من الجنان

---

(144) هو كتاب **الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ**، لأحمد بن المبارك السجلماسي. وقد وضع هذا التأليف سنة 1129/ 1717، وهو عبارة عن محاورات دارت بين المؤلف وبين شيخه الولي عبد العزيز الدباغ.

(145) الآية 157 من سورة الأعراف (7): ﴿الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ في التَّوْرَاة والإنجيل يَأْمُرُهُم بالمَعْرُوف ويَنْهاهُمْ عَنِ المُنكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبات ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمَ الخَبَائِثَ ويَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ والأَغْلاَلَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمَ . . .﴾.

(146) حول نفس الموضوع، انظر كتاب نينا جميل، **الطعام في الثقافة العربية**، ص 42 ـ 45.

(147) حول أسماء التبغ، انظر أعلاه، الفصل الأول، هامش 14.

(148) حول هذا الجدال، انظُر محمد حجي، **الحياة الأدبية في عهد الدولة السعدية**، ج 1، ص 246-266.

(149) هو محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي (ت 1275/ 59-1858). ونذكر من بين شيوخه بدر الدين الحمومي والطيب بن كيران وحمدون ابن الحاج، شيخ الجماعة بفاس. وقد تعاطى الفيلالي للتدريس والإفتاء، وألف في مجال الفقه.

فسيحَه، يوماً وهو على كُرسيِّه في مَجلس درسه، أن رجلاً من أهل فاس، صلى العشاء ذات ليلة بجامع القرويين، ثم جلس ما شاء الله، وكانت ليلةً مُمطرة مظلمةً، ثم لا زال ينتظر الصَّحوَ، وإذا بالشَّريف الغطريف، السُّمَيْدعي اللَّوذعي المُنيف، الحائز من الفضل والمزايا التَّليد والطَّريف، قُطب زمانه، ووحيد عصره وأوانه، أبا عبد الله مولايَ الطيِّب بن محمد الإدريسي الحسني الشهير بالكتّاني نفعنا الله به [150]، جالساً هُناك، فناداه فامْتَثل. فلم يَبرحا هناك حتى قام الشريف، فاتَّبعه الرجل إلى ناحية البرج، ووقفا فجعل الشَّريف يطول في عُنقه، والرَّجل ينظر ويرعش خوفاً ومهابة. وإذا بالشريف قد عاد على حالته المعهودة، وبيده قالب سكّار فقال له : يا هذا لا تخف ! إني لمّا نشأتُ وجدتُ الناس مُنكبّين على الخمر وهو ماء حرام. فسألتُ الله تعالى أن يُبدله بماءٍ حُلو حلال، فأعطاني ربّي ما ترى والحمد لله.

وفي رواية أنَّه قال يوماً لبعض من سأله ورداً : هذا وردي. وأشار إلى البرَّاد والكيسان. فالله أعلم بمُراده الذي أشار إليه. وحُكي أنَّه كان لا يُفارقه ويأمرُ أصحابه بشُربه.

وحُكي أيضاً أن النّاس قد قحَطوا في بعض السِّنين في زمانه رضي الله عنه من قلَّة المطر، وضاقوا جداً، فأتوه فأمرهم أن يجعلوا قالَب سكار في قادوس، ويصبّوا عليه الماء السخون (كذا). قال الراوي : فوَ الله ما استكمل القالبُ حتَّى أتت السحابُ من كل ناحية بالريح والماء، ومُطرنا والحمد لله، إلى غير ذلك. راجع **الغَمام الصيب في مناقِب مولانا الطيِّب**[151]، إن أردت شيئاً من كرامات هذا السيد رضي الله عنه.

وبالجُملة فإن الأتاي قد وقع اتّفاق الخلق على حِليته، واتَّفقت الأديان على إباحته (. . .) [152].

(150) أبو عبد الله الطيب بن محمد الإدريسي الكتاني (ت 1253 / 1837) هو وليٌ ينتمي إلى بيت الشرفاء الكتانيين بفاس، ويقال إنه كان في البداية حراراً، وأن الجذب اعتراه مرة عند رجوعه من زيارة ضريح عبد السلام بن مشيش ولقائه بمولاي العربي الدرقاوي.

(151) وهو من تأليف المامون الكتاني، صاحب **هداية الضال**، قريب الطيب الكتاني المذكور.

(152) وهنا يورد المؤلف أبياتاً لكل من محمد الحراق، وسليمان الحوات، وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي بن سودة، وعبد القادر بن شقرون، وعبد الواحد الفاسي، وحمدون بن الحاج، وأحمد زروق بن صابر التواتي الجعفري. ثم يذكر قصيدة الزموري المشهورة، وأبيات لأبي حامد الدمناتي ومحمد ابن إدريس.

وأمّا القهوةُ فهي نَوعان : أجوَدهُما الأصفر الحُرّ وهل شُربها حرام أو مُباح ؟ يأتي ذلك إن شاء الله تعالى . وقد مدحها أيضاً غيرُ واحد (. . .) [153].

وأما ما نُسب للفقيه العالم العامل، المشارك الصالح الكامل، شيخ الشُّيوخ، وإمام أهل الرُّسوخ، أبو الحسن سيدي علي الأَجْهوري [154]، نفعنا الله به وبعلومه، ورضي الله عنه من قَولهم ما نصُّه :

أقُول لأصحابي عَن القهوَة انْتَهوا ... ولا تَجلسوا بمَجلس هي فيه
فلَيستْ بمَكروه ولا بمُحرَّم ... ولكنْ غَدَت مَشروب كلّ سَفيه

فقد أنكر هذه النِّسبة على ما لصاحب المطالع، عالم السَّلاطين وسُلطان العُلماء، أبو الرَّبيع مولانا سُليمان بن محمد الأمير، ولا يَخفى أنَّه بذلك جدير .

قُلت : وما ذُكر من أنَّها ليست بمكروه ولا بمُحرَّم، هو كذلك ما لم تُؤدِّ إلى مَكروه أو مُحرَّم، كما هي اليوم من اجتماع السّفلة عليها بالمَزامير واللُّواط وغير ذلك[155]. فإن كان الأمرُ كذلك فجديرةَ بالتَّحريم، وما لم تُؤد أيضاً إلى التَّمادي عليها، المضارع لذوي الحَشيشة، فإنه يُؤدّي أيضاً إلى السّقم ونُحولة الجسم وفساد الدِّماغ . فإن كان كذلك أيضاً فجديرة بالتَّحريم والأول بالكراهة . وهذا الثاني غالب الناس عليه اليوم وجُلُّهم على الأول .

وبالجُملة فإنَّها من الأشياء التي ينبغي تجنُّبها لأنها من الإسراف، على ما يظهر من كلام بعض، والله يقول الحق وهو يَهدي السَّبيل . فقد قال سيدنا عُمر رضي الله عنه : كَفى بالمَرء سَرفاً ألاّ يَشتهي شيئاً إلاّ اشتهاه فأكله . وعَن مُعاوية رضي الله عنه قال : إنَّ الله يرزُق العبد رزق شهر في يوم واحد، فإنْ أصلَحه الله أصلح الله على يَديه، وعاش هو وعيالُه بقية شَهرهم بخَير، وإن أفسده أفسد الله على يديْه وعاش هو وعيالُه بقية شهرهم بِشر . وعن

(153) وهنا يورد المؤلف أبياتاً لكل من عبد الغني النابلسي (ت 1143 / 1731)، ومصطفى البكري الدلائي (ت 1162 / 1749)، وعبد الوهاب أدراق. فالأول فقيه حنفي ومتصوف وشاعر من الشام، رحل كثيراً عبر بلاد المشرق وألف في فنون متعددة، نذكر من بين أعماله **الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان**. والثاني أديب ومتصوف من الشام، ترك عدداً من الأوراد والأشعار. وفيما يخص أدراق، انظر النص أدناه.

(154) هو علي بن محمد الأجهوري (ت 1066/ 1656)، من كبار فقهاء المالكية بمصر في عهده. وقد وضع شرحاً على **مختصر خليل**، وحاشية عليه، وشرحاً على **الرسالة**.

(155) حول نفس الظاهرة، انظر أعلاه، هامش 105.

أنس رضي الله عنه [156]، أن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال للزُّبَيْر بن العَوّام : «إن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له».

قال صاحب **الفوائد الحِسان في شُرب الدُّخان** ما نصه : وهذا الحديث احْتجَّ به المامون على استحباب السَّخاء. ونصٌّ ما لصاحب **الفوائد**: وعن واقد بن محمد الواقدي، حدَّثني أبي قال : إنه رفع رُقعة للمامون، فذكر له فيها كثرة الدين وقلّة صبر أهله عليه. فكتب له المامون العباسي بظهر الوَرَقة : إنك لرَجل اجتمعت فيك خصلتان : سَخاءٌ وحَياء. فأمَّا السخاءُ فهو الذي أطلَق ما في يَدك، وأمّا الحياءُ فهو الذي مَنَعك أن تُخبرنا بحال ما أنت عليه. فقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم، فإن كُنت أصبت فزدْ في بَسط يدك، وإلاّ فجنايتك على نفسك. وأنت الذي حدثتني وأنت على قَضاء الرَّشيد، عن محمد بن إسحاق [157]، عن الزُّبير عن أنس. فذكر الحديث ثم قال له : أنت أعلمُ. قال الواقدي : والله لَمُذاكرة المامون إيّايَ أحبُّ إليَّ من مائة ألف درهم جائزة ، هـ . منه بلَفظه.

قلتُ : ولا يُعارض هذا ما تقدَّم، لأنَّ الأمر يختلف باختلاف أحوال النّاس، من غنيٌّ وفقير، وشريف وحقير. فمن وسَّع الله عليه ساغ له التَّوسعة، ومن لا فلا. قال تَعالى : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَة منْ سَعَته، ومَنْ قُدرَ عَلَيْه رزْقُهُ فَلْيُنْفقْ ممَّا آتَاهُ اللّهُ، لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [158].

والحاصل أنَّ في الإنْفاق، كما قال العلاَّمة ابن زكري ، نَقلاً عن شَيخه ابن حَجر رحمهما اللّه تعالى [159]، ثلاثة أوجُه :

- إنْفاقُه في الأمور المذمومة شرعاً، فلا شكَّ في مَنعه،
- الثّاني إنفاقُه في الأمور المُباحات، فهذا بنفسه يَنقسم إلى قِسمين. أحدُهما أنْ يكون

(156) أنس بن مالك هو أبو حمزة الأنصاري (ت 93 / 711)، من صحابة الرسول. وقد روي عنه الحديث الصحيح.

(157) أبو عبد الله محمد ابن إسحاق (ت 767/150). ازداد بالمدينة وتوفي ببغداد. وقد روى الحديث وجمع روايات كثيرة حول حياة الرسول، وهي المادة التي اعتمد عليها ابن هشام في تدوين **كتاب سيرة رسول الله** . وقد حصل له خلاف مع مالك بن أنس الذي اتهمه بالتشيُّع، مما دفعه إلى الانتقال إلى مصر ثم إلى العراق.

(158) الآية 7 من سورة الطلاق (65) : ﴿لِيُنفق ذو سعة . . . سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

(159) أحمد بن محمد ابن زكري (ت 899 / 1493) هو فقيه أصولي من أهل تلمسان. وقد ذكر عدد من فتاويه في **معيار** الونشريسي. وتوفي شيخه ابن حجر العسقلاني سنة 852 / 1448.

على وجه يَليق بحال المُنفق وبقَدر ماله، فليس هذا بإسراف. والثاني ما لا يَليق به عُرفاً، وهو يَنقسم أيضاً إلى قسمين. أحدُهما أن يكون لدفع مَفسدَة إمّا ناجزة أو مُتوقَّعة، فهذا ليس بإسراف. والثاني ما لا يكون في شيء من ذلك، فالجُمهور على أنّه إسراف، وذهب بعضُ الشّافعية إلى أنَّه ليس بإسْراف، قال: لأنَّه تَقوم به مَصالح البَدن وهو غرضٌ صحيح.

- وإذا كان في غير مَعصيَّة، فهو مُباح، هـ.

وإذا ثبتَ هذا علمتَ أنَّ الأتاي لا يَخلو إما أن يكون لجَلب مصلَحة أو لدَفع مَفسدة، وإن شئتَ قلتَ هُما حاصلان معاً. وقد تقدَّم عَن ابن صابر الجَعفري وغيره، أنَّه يَطردُ الرِّيح ويُخصب البَدن. وكذلكَ القهوةُ تُعين على العبادة للعُبّاد، بل قال النابُلسي: تُذكر صاحبَها الشَّهادةَ. وأطبَق الحُكماء على أنَّ مَنفَعتها أكثرُ من ضرَرها، بل لا ضرر فيها أصلاً.

لكنَّها لّما كانتْ أكثر ما توجَد وغالبه اجتماع السفلة عليها، حتَّى صارت أماكن اجْتماعهم تُسمَّى بالقَهوَة، ولاتُشرب إلاّ مَصحوبةً بالحَشيشة سحْقاً أو حرْقاً، إمّا اسْتَفافاً مُضافة للماء، وإمّا اسْتفافاً مُضافةً للنّار، ويُعرف هذا النَّوع بالكيف، لكنَّه أخُّف ضَرراً للعَقل من اسْتفافها بالماء. ولّما كان أصحاب هذا الاسْتفاف لابُدَّ لهَم مَن محلٍّ دَنيٍّ أو فُندق أو خُلوة في حُكم الدنَّاءة تُسمى بالقَهوَة، ويَشربون مع الدُّخان القَهوة، عرَض لها ما عرض. فإن كان اجْتماعُهم على شُربها فقط، من غير اسْتفاف ولا غيره ممّا تقدم، فلا بأس على ما يَظهر، والله أعلم وبه التَّوفيق.

وحاصلُ ما يُقال إنَّ الأتاي والقَهوة سَواء، فمَا عمَّ أحدهما لا يخُصُّ الآخر. لكن لّما كانت القهوَة قد تَعرض لها أحكامٌ لا تُوجد في الأتاي عُمل عليها، ولو عَرضتْ للأتاي دونَها لحُرم أيضاً دُونها. فَالعلَّة تدور مع المَعلول وُجوداً وعدماً.

تنبيه. قد تقدَّم قوْل: ما لم يُؤد إلى الإدمان عليها المُضارع للحَشيشة، أي فإنَّها مكروهَة. المُراد أنَّها تُكره إذا لم يُقصَد الشَّبه. أمّا إذا قصد التَّلذُّذ بها مُتشبِّهاً بأهل الحَرام في لذَّتهم بها تُحرم، ولو شرب إنسانٌ لبناً خالصاً مُتشبِّهاً في نفسه بالخمر، ومُتلذِّذاً به كالْتذاذ أهل الخمر بخَمرهم لحَرُمَ. وكذلك إذا وَطأ إنسانٌ زوْجتَه مُتشبِّهاً في نفسه بأجنَبية كأنَّه يَلتذُّ بها، فإنَّ وطْأهُ حرامٌ. وانظر شُرّاح **المختصر**، وعند قوْله: وخَمر تَحجَّر أو خُلِّل، إلخ (. . .).

[المامون الكتاني، مخط، ص 133 - 152]

62. [في القهوة]

تلقى محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج (ت 1273 / 1857) تكوينه بفاس على يد علماء من بينهم أبوه حمدون ابن الحاج السالف الذكر. وأخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ محمد الحراق. وقد امتهن العدالة، ثم تولى القضاء بمراكش لمدة ثلاث عشرة سنة. وألف في التصوف والأنساب والفقه. وقد ورد النص التالي في الحاشية التي وضعها على شرح محمد ميارة للمرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر.

وأمّا القهوةُ [المُتخَذة من قشر البُنّ، فقد اختلف الناس فيها. فمن مُتغال فيها يَرى أنَّ شُربها قُربه، ومن غال يرَى أنَّ شُربها مُسكر كالخمر، والحقُّ أنَّها فيَ ذاتها لا اسكار فيها، وإنَّما فيها تنشيطَ للنَّفس، ويَحصُل بالمُداومة عليها ضَراوة تُؤثِّر في البدن عند تَركها، كمَن اعتاد اللَّحم بالزَّعفران والمُفترات [160]، فيتأثَّر عند تركه، ويحصُل له انشراَح باستعماله]. غير أنَّها تَعرض لها الحُرمة لأمور ذكرها ح [الحطّاب] في **شرح المختصر**، واللّقاني في **شرح الجوهرة**، وسُئل عنها بعضُهم فأجاب بقوله [161] :

أقول لأصْحابي عَن القهوة انْتهوا ولاتَجلسوا بمَجلس هي فيه
فليْست بمَكروه ولا بمُحرَّم ولكنْ غَدَت مَشروب كلِّ سَفيه

وقال الشَّيخ زروق : مَن كان طبعُه الصَّفراء أو السَّوداء، يُحرَّم عليه شُربها لأنَّها تَضرُّه في بدنه وعقله. ومَن كان طبعه البَلْغم، فإنَّها تُوافقه [162]. وقد ألَّف بَعضُهم في مَنافعها رسالة سمّاها **السرُّ المكنون في مَنافع القَهوة والبُون**، نقَلها الشَّيخ عج [علي الأجْهوري] في شرحه على **المختصر**. وإلى بعض تلك المَنافع أشار الشَّيخ عبد الغني النابُلسي بقوله :

(160) وردت بدل المفردات عبارة «المفترات» في نص احمد حامد بن محمد «تحريم الأتاي» الذي يحيل على نفس نص الحطاب.

(161) حول نسبة هذين البيتين لعلي الأجهوري، انظر ما أورده المامون الكتاني أعلاه، ص 220.

(162) ورد كلام زروق سابقاً في نص 60 حول تحريم الأتاي. انظر أعلاه، ص 206.

شَرابُ البُنّ يَهضم كلّ أكلٍ ... ويُشفي الجوفَ من داء مُضرّ
ويُنقّي الفَم من طَعْمَ كَريهٍ ... ويَقطع دمْعة في العَيْن تَجري
وصاحبُه يُذكّره الشّهادَة ... قُبيْل المَوت عند نُزول قَبْر
وَوضعُه سَبع حَبّات ومنهُ ... يُجابُ دُعاؤه في كلّ أمْر
وصارَ الضّيفُ لم يُكرم بغَيرِ ... ولو كان الطّعامُ عَسيلا يُبْري

وقال غيره :

عَليْك بشُرب البُنّ في كُل ساعَة ... فَفي شُربه ياصاح خَمسُ فَوائد
نَشاطٌ وإهْباط وإذْهاب بَلْغَمٍ ... ونُورٌ لأبْصارِ وعَونٌ لِعابِد

وقال الشيخ العارف البكري[163] :

اسْقني في الصَّباح قَهوة بُنٍّ ... أوْهَجتْ نارُها لَهيباً ووَقدا
وأدرْها واشْرَبْ مَعي في أمان ... وتَجاوَزْ حَدّاً ولا تَخْشَ حَدّا
مثل نار الخَليل تَظهَرُ ناراً ... وعَليه كانَتْ سَلاماً وبَرْدا
سَخنَةُ اللّمس طَبَعُها فيه بَردٌ ... عَجباً كَيْف مازَج الضِّدُّ ضِدّا
كَذبَ القائلُون لا نَفْع فيها ... فَهي عَونٌ عَلى فُروض تُؤدّى
وهي تَنْفيَ تَكاسُلاً وفُتوراً ... ومَناماً لمَن يُحاولُ سُهْدا
نَفعُها قاصر عَلى شاربيها ... فالّذي لاَمَ شاربيها تَعدّى
أيُّها اللاّئمُ المُشَدِّد فيها ... لا تَلُمْني فَقدْ بَلَغْتُ الأشُدّا
إنْ تُوافِق فَمَرحَباً أو تُخالف ... فاتّخِذ بَينَنا وبَينَك سَدّا

163) هو مصطفى البكري، انظر أعلاه، هامش 153 .

وما ألطَف قوْل بَعضهم :

قَهوَة البُنِّ حَلال وشفا ... أيَّد اللَّهُ بها أهْلَ الصَّفا
لَوْ يَكُن في شُربها مِن رَيْبَة ... ما سَقَوْها عند قَبْر المُصطَفى

وأفاد ح [الحطّاب] أنَّ أوَّل ظُهورها كان في القَرن العاشر أوقَبله بيَسير. وذكر ابن حجَر، **في فتح الباري**، أنَّ أوَّل مَن شربها، وأمر أصْحابه بشُرْبها ليَستَعينوا بها على السَّهَر في العبادة، الشَّيخ الولي الصَّالح المُتَّفَق على ولايَته، أبو الحسن علي الشّاذلي، اليَمني لا المَغربيَ [164]. ونقل الأجْهوري عن الجُنيد [165]، أنَّ البُنَّ شجرة في الجنَّة غرسها سَبعون ألف ملَك، تُسمّى شجرة السُّلْوان. فلمّا أهْبط اللهُ آدَم، هَبط بها مَعه من الجنَّة، للسُّلْوان عمّا كان عليه من النَّعيم المُقيم، ورَماها في هذه الأرض، وهي أرض زَيْلع الحَبشة. وقال ابن سينا، نقلاً عن صاحب **النّاموس في كتاب الطبّ** [166]: إنَّ البُنَّ المَعلوم في بلد زَيْلع الحَبشة هو البُند بزيادة الدّال بلِسان الحَبش.

[م. ط. ابن الحاج، ص 147 - 148]

---

(164) يتعلق الأمر بالعيدروس الشاذلي (ت 914 /1509). وهو زاهد ومتصوف يمني، ازداد بحضرموت، وينسب إليه اكتشاف القهوة خلال سياحته في اليمن، ويقال إنه دعى أتباعه إلى تناولها، مما أدى إلى انتشارها عبر بلاد المشرق.

(165) هو الصوفي المعروف أبو القاسم بن محمد بن الجنيد الخزاز (ت 298 / 910)، الذي لُقب بـ«سيد الطائفة». ولد ببغداد وعاشر الحارث المحاسبي وأثر على الحلاج.

(166) أبو علي الحسين بن علي ابن سينا (ت 438 /1037) هو الفيلسوف المعروف، ألف في الإلهيات والمنطق والطبيعيات والطب. أما صاحب **الناموس** فهو الطبيب اليوناني إبقراط (ت 377 قبل الميلاد)، ويُعدّ أشهر رجال الطب القديم، وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربية.

63. [مشروب الصامت]

كان مشروب الصامت المنتشر في جبال غمارة، موضوع جدال فقهي نجد صداه في كتاب المعيار الجديد لأبي عيسى المهدي بن محمد الوزاني (ت 1342 / 1923)، وهو من كبار الفقهاء والمفتين بفاس في عصره.

قال الشَّيخ الرّهوني نقلاً عن **الموَطأ** ما نصُّه [167]: قال مالك: السُّنَّة عندنا أنَّ كلَّ مَن شَرب شراباً مُسكراً فسكر أو لم يَسكر فقد وجب عليه الحدُّ. قال في **المنتقى** [168]: وهذا كما قال: إنَّ مَن شرب مُسكراً، أيَّ نَوع كان من الأنواع المُسكرة، من عنب كانتْ أو من غير عنب، مَطبوخاً كان أو غير مَطبوخ، قليلاً أو كثيراً، فقد وجَب عليهَ الحَدُّ سكَر أو لم يَسكر. هَذا مَذهب أهل المَدينة، مالك وغيره، وبه قال الشّافعي. وقال أبو حَنيفة [169]: ما خرج من النَّخل والكرْم، فَقليله وكثيَره حَرام ما لم يُطبَخ، وطَبخُه أنْ يذهَب ثُلثاه ويَبقى ثُلثه، وماعدًا ما يخرج من النَّخل والكرْم، فهو حَلالٌ من غير طبْخ، إلاَّ أنَّ المُسكر منه مُحرَّم.

ثمَّ قال في **الموَطأ** عن عائشة رضي الله عنها قالتْ [170]: «سُئل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن البَتع فَقال: كُلُّ شَراب أسْكرَ حَرام» [171]. قال في **المنتقى**: سَألوه عن البَتع، وهو شَراب العَسل، وذلك أنَّه نزل تَحريم الخمر، وعلموا تَحريمها بنصٍّ الكتاب، فسألوه عمّا يَقع عليه هذا الإسم، ليَعلموا أنَّ الذي ورَد من ذلك مَحمول على عُمومه أو مَخصوص ببعض ما يَتناولَه اللَّفظ. إلى أنْ قال: حاصل مَذهب أبي حَنيفة رضي الله عنه، أنَّ ما يُسكر من عَصير العنب والنَّخل، ولم يُطبخ أو طُبخ فلم يَذهب منه ثُلثاه، فهو خمر مُحرَّم قليله وَكثيره، ويُحدُّ شاربُه مُطلقاً، قليلاً كان أو كثيراً، سكر أم لا. وما كان من غير عَصير العنب

(167) حول الرهوني، انظر أعلاه، هامش 84.

(168) كتاب للفقيه الأندلسي أبي الوليد الباجي، انظر أدناه، هامش 176.

(169) أبو عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي (ت 204 / 820) هو تلميذ مالك بن أنس ومؤسس أحد المذاهب الأربعة، ويعتبر كذلك مؤسسا لعلم أصول الفقه. أما أبو حنيفة (النعمان بن ثابت بن زوطي المتوفى سنة 150 /767) فهو أيضاً مؤسس أحد المذاهب الأربعة. ويعتبر كذلك مؤسساً للمدرسة الشرعية العراقية.

(170) هي بنت أبي بكر الصديق وزوج الرسول، توفيت سنة 57 / 667). وقد روَت الكثير من الحديث النبوي، ونجد العديد من فتاويها في كتب الصحاح.

(171) البخاري، الوضوء 71 (/ الجهاد 9): «سُئل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن البَتع فَقال: كُلُّ شَراب أسْكرَ فهو حَرام».

والنَّخل أو منهُما، وطُبخ حتى ذهب ثُلُثاه وهو يُسكر، فالقَليل الذي لا يُسكر حَلال، فلا حدَّ على مَنْ شَربه، وما يُسكر حَرام ويُحدُّ شاربُه. حتى نقل عنه أنَّه قال: إذا شَرب تسعَة أجْزاء ولا يَسكر، ويَسكر إذا تمَّ العاشر، فالعاشر هو المُحرَّم. هذا لفْظ الشَّيخ يوسفَ بن عُمر في شرح الرِّسالة عنه إلى أنْ قال [172]: وقدْ رَوى ابن المَوّاز في طبْخ العَصير [173]: لاأحُدُّه بذَهاب ثُلُثيْه، وإنَّما أنْظرُ إلى السكْر. وجَعل أبو حَنيفة ذهابَ الثُّلُثيْن حداً في جَواز شُرب ما يَبْقى، وإنْ كان يَسكر من كثيره. والدَّليل على ما نَقولُه أنَّ هذا شَرابٌ فيه شدَّة مُطربة، فوَجب أنْ يكون قَليلُه حرَاماً، إلخ.

وقال أيضاً عن المُوَطأ: «إنَّ عُمر بن الخطّاب حين قَدم الشّام، شكى إليه أهْلُ الشّام وَباءَ الأرْض وثقَلها، وقالوا: لا يُصلحنا إلا هذا الشَّرَاب. فَقال عُمر: اشْرَبوا [هذا] العَسل. فَقالوا: لَا يُصلحنا العَسل. فقال رجلٌ من أهْل الأرْض: هَل لَك أنْ نَجعل لكُلٍّ من هذا الشَّراب شيئاً لا يُسكر. قال: نعمْ. فطبَخوَه حتى ذهب منه الثُّلُثان وبَقيَ الثلُث [174]، فأتوا به عُمر، فأدْخل فيه أصبعه [ثم رفع يده]. فتَبعها يتَمَطَّطُ، فقال: هذا الطِّلاء هذا مثلُ طِلاء الإبل. فأمَرهم عُمر أنْ يَشربوه، فقال له عُبادَة بن الصّامت [175]: أحْلَلتَها واللّه. فقال عمر: كلاَّ واللّه، اللَّهمَّ إنّي لاأُحلُّ لهُم شيئاً حرَّمته عليهم، ولاأُحَرِّم عليهم شيئاً أحْلَلتَه لهُم». هـ.

ثمَّ قال الرهوني بعد كَلام طويل ما نصُّه: تَنبيه. بتأمُّل كلام المُوَطأ والباجي [176]، يُعلم أنَّ ماشاع على ألسنة كثيرمن النّاس، أنَّ ما اشْتدَّ طبخه من العصير إنَّما في شُربه الضَرر ولانفع فيه للأبْدان، غيرَ صَحيح. وبتأمُّل ذلك أيضاً يُعلم ما في مَدحهم لما خفَّ طبخُه، فلم تذهب مائيتُه، ويتَنافَسون في ذلك جداً حتى أدّى ذلك إلى فَساد عظيم وضَرر في الدِّين جسيم، فعظُمت رغبَة النِّساء في ذلك والرِّجال، وآلَ إلى شُربهم المُسكرَ مع اعْتقادهم أنَّه حَلال.

---

(172) يوسف بن عمر هو أبو الحجاج الأنفاسي (ت 761/ 1360) فقيه مالكي وإمام جامع القرويين بفاس. وقد ألف تقييداً على **رسالة** أبي زيد القيرواني.

(173) ابن المواز هو صاحب **الموازية**، انظر أعلاه، هامش رقم 23.

(174) حول هذا الموضوع، انظر **الموطأ**، كتاب الأشربة : 14.

(175) هو من كبار الصحابة، وقد تولى قضاء فلسطين. وقيل إنه ممن جمع القرآن في عهد الرسول.

(176) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474 /82-1081) هو فقيه وقاضي أندلسي درس بالمشرق، وله تآليف شهيرة، من بينها **المنتقى**، وشروح على **الموطا** و**المدونة**. وكتب أيضاً في الحديث والأصول.

وقد شاع على ألسنة كثير أنَّ مُستنَدهم في ذلك ومُعتمَدهم على فَتوى شَيخنا الجَنوي(177). فإنَّه سُئل عن شُرَب الصَّامت المَطبوخ، الذي فيه قوَّة يُحسّ بها مَن شَربه، بحيْث يجدُ في نَفسه سُروراً وكثرة الكَلام وصَخانة (كذا) في جَوفه فقط، هل ذلك ممَّا يُوجب تَحريمه أم لا. فأجابَ: حَقيقة المُسكر هو ما غيَّب العقل دون الحَواس مع نَشوة وفرَح كما في **التوضيح** وغيره (178). وعليه إنْ كان العَصير المَذكور إنْ تُرك بلا ماء وشُرب يَفعل ما يَفعل الخمرُ، فلا إشْكال في كونه خمراً. وإن كان إنَّما يُصخِّن (كذا) ويحصل فرحاً إلا أنَّه لا يُغيِّب العقلَ فليْس بمُسكر. وكثير مِن المَعاجين تُفرِح، وكذا الزَّعفَران، وعند الفرَح يَحدثُ كثرَة الكلام، لأن المَهموَم كثير الصَّمت. فإذا لم يَقع تغْييبٌ للعقل فليس بمُسكر، واللَّه أعْلم. وكتبَ محمد بن الحسن الجَنْوي الحَسني لطَف الله به آمين، هـ.

فتأمَّل كيف يكون هذا حُجَّة لهم، وقد صرَّح أولاً ووسطاً وآخراً بأنَّ ما يُسكر منه خمر فلا يُحِلّ شُربه، فأعْرضوا عن ذلك وتمسَّكوا بقوله: وكثير من المَعاجين تُفرح، الخ. وليس في السؤال ولا في الجَواب أنَّ كثرَة الكَلام الَّذي يَحدُث عند شُربه هو من الكلام السَّاقط الَّذي يُشبه الهَذيان، ولا يَصدُر من صاحبه حيثُ لا يَشرب ذلك الشَّراب، ويَستحيي بعد أنْ يُخبَر أنَّه صدَر منه من صُدوره منه. فليْس في جَواب شيْخنا الجَنْوي ما يُؤخذ منه شيء من ذلك. ومع ذلكَ فقَدْ حدَّثني الثِّقة عن الفقيه الصالح سيدي الصادق الرّيسوني (179)، أنّه كان يُنكر عليه هذا الجواب ولا يَقول به، وما ذلك والله أعْلم إلا لمّا رأى أنَّه يُنافي ما بُنيَ عليه مَذهب مالك رضي الله عنه من سدّ الذَّرائع، مع أنَّه عالم كبير. فتكون فتْواه سبباً لإباحَة شُرب المُسكر. فهو كقول عُبادة بن الصَّامت لعُمر رضي الله عنهما: أحْلَلتَها والله. ومَن تأمَّل جميع ما قدَّمناه من الأحاديث وكَلام الأئمَّة، وكان مَعه قُلامة ظفر من الإنْصاف، تَبيَّن له صحَّة جميع ما قُلناه، والعلم كلُّه لله، هـ. كلام الرهوني. وفيه نَظَر لأنَّهم مُتَّفقون على أنَّ ما خفَّ طبْخه غير مُسكرٍ، وإنَّما يُحدث صَخانة فقط، ولذلك يَشربونَه نساءً ورجالاً في أيَّام البرْد. وعليه ففَتْوى الجَنْوي حُجَّة لهم قطعاً.

والحاصل أنَّ ما خفَّ طبْخه إنْ كان مُسكراً فالحقُّ ما قالَه الرهوني، وإنْ كان غير مُسكرٍ ففَتوى الجَنْوي شاهدة لهُم واللَّه أعْلم . . .

[الوزاني، ج 3، ص 28 - 30]

(177) أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي، نسبة إلى المدينة الايطالية جنوة، (ت 991 / 84-1583) هو فقيه ومحدث من فاس من أب مسيحي وأم يهودية اعتنقا الإسلام.

(178) لعله كتاب **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لأبي محمد جمال الدين بن عبد الله بن هشام المصري (ت761 / 1360).

(179) لعله الفقيه المغربي محمد الصادق الريسوني المولود سنة 1282 / 1865، وهو صاحب **كتاب الفتاوي**.

64. قضية الأعشاب المرقدة

أحمد بن خالد الناصري (ت 1897/1315)، هو مؤرخ وفقيه وأديب من مدينة سلا. وقد تولى خطة العدالة بمدينته كما شغل مناصب مخزنية بمراكش وفاس وبعض المراسي المغربية. وفي كتابه الشهير **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تعرض الناصري لملف «الأعشاب المرقدة والمفسدة»، ومعلوم أن المؤلف كان من بين الفقهاء الذين استشارهم السلطان الحسن الأول في الموضوع. وقد ارتأينا إدراج هذا النص رغم طوله لأنه يتضمن فوائد دقيقة حول العلاقة المعقدة التي كانت ولازالت قائمة بين المبادىء الشرعية وبين واقع الممارسة الاجتماعية والسياسية.

ثمَّ دخلتْ سنة أربَع وثَلاثُمائة وألف [87 - 1886 م] فيها كَتبَ السُّلطان مولاي الحسن أيَّده اللّه إلى عُلماء فاس كتاباً يَستفْتيهم في حُكم التِّجارة في الأعْشاب المُرقدة والمُفسدة، ويَستَشيرُهم في تَسريحها وإمْساكها، ونصُّ ذلك الكتاب بعد الافْتتاح : أحبّاءنا فُقهاء فاس الأجلَّة المَرضيين، وعُلماءها المُرشدين، سلام عليكمَ ورَحمة الله تَعالى وبَركَاتُه، وبعد،

فطالَما قدَّمنا رجْلاً وأخَّرنا أُخرى في تَسريح الصَّاكة، الَّتي هي الأعْشاب المُرقدة والمُفسدة ونَحوها. وكان تَسريحُها من أهمِّ الأُمور لدَينا، وآكَد من تَسريح غيرها كالأبْواب، لما نَجده في نَفسنا لها من الاسْتقباح، ونَستَقذره من أمْرها في الغَدو والرَّواح، مع مَزيد ثقَلها على فُؤادنا، وكونْها أحرَجَ فَي رَوعنا.

وكان أسْلافُنا قدَّسهم اللّه اجْتهدوا في قَطعها وحَسم مادَّتها بكلِّ ما أمْكنهم، وأفْضى بهم الحال إلى إحْراقها مراراً. ولَمّا رأوْا تَمالُؤ الرّعاع والسُّفهاء والمُقلّين والمُعدمين عليها، ارْتكبوا فيها ما يَحصل به التَّضييق على مُستعمليها، وتُمنع منهم فلا يَلحقها إلاّ مَن عنده ما يَشتريها به، وهُم في أولئك الرّعاع قليل، مع النَّظر لما يَحصُل لبيْت المال من النَّفع الكثير. فحيزَت لجانب المَخزن لتحصيل المَقصَديْن المَذكوريْنَ.

وحيث قذَف الله في قَلبنا تَسريحَها، ورفْضَ درَن ما يَحصُل منها، تَعارض لدَينا أمْران : وهُما إبْقاؤها بيَد المَخزن وتَسريحها. أمّا الأوَّل فهُو الذي فرَرنا منه وبيَّنا علَله. وأمّا الثّاني

وهو التَّسريح، فمُقتَضاه إغْراء الرَّعاع والسُّفهاء على اسْتعمالها، ولاسيما مع انْحطاط ثَمنها، فيَتناولها القَويُّ والضَّعيف، فيَصير ذلك ذريعَة إلى إباحَة ما كانوا مَمْنوعين منه، فيتَجاهَرون به ولا يَخشَون رَقيباً. ويأتي منها من بَرِّ النَّصارى ما لا حصْر له، فيُعشِّر كسائر المُعشَّرات المُباحة، وتَنبَنى على ذلك مَفاسَدُ هي أعْظم من كونها محوزَة. وأشكلَ الأمْرُ فلتُبيِّنوا المخلص من ذلك بما تَقتَضيه قَواعد الشَّريعة المُطهَّرة، حتى نَخرُج من عُهدة ذلك فإن الخطْب عظيم، والسَّلام.

في الثّالث والعشرين من المُحرَّم عام أربَعة وثَلاثُمائة وألف [21 أكتوبر 1886] انْتهى كِتاب السُّلطان أيَّده اللَّهَ.

وأجاب عنه عُلماءُ فاس وقَّرهم الله بجواب طويل، مَرجعه إلى حُرمة اسْتعمال تلك الأعْشاب والتِّجارة فيها، حسبَما عليه الجُمهور من الفُقهاء والصّوفية رضْوان اللّه عليهم. ولمّا كان المَقصود الأهمّ للسُّلطان أيَّده اللّه، هو الإشارَة بكَيْفية التَّخلُّص من ورْطة تَسريحها، والحُصول عَلى السَّلامة ممّا عَسى أنْ ينْشأ عنه من المَفاسد المَرموز إليها في الكتاب الشَّريف، كتَب إليَّ بعضُ الأحبَّة من فاس بقَصد المُذاكرة في النَّازلة، فأجبْته عنها بما نصُّهُ:

اعْلم حَفظك اللَّه أنَّ ما أجاب به سادتُنا فُقهاء فاس من حُرمَتها ووُجوب تخلّي المَخزن عَن بيْعها، هو الحقُّ الذي لا مَحيد عنه، لما اشْتمَلتَ عليه تلك الأعْشاب من المَفاسد العديدة التي كلٌّ واحدة منها كافية في الجَزم بحُرمتها. وقد بيَّنا شيئاً من ذلكَ في **كتاب الإستقصاء** عند الكلام عَلى حُدوثها ودُخولها لبِلاد المغرب أيّام المَنصور السَّعدي. فليَنظره مَن أرادَه، فإنَّه كاف في هذا الباب.

وأمّا ما أشار إليه الكتاب الشَّريف من أنَّ مَصلَحة احْتياز المَخزن لها، واسْتبداده ببَيعها هي التَّضييق على مُستعملَيها، حتى لا يَتناولَها منهم إلا المَلي بثَمنها دون الفَقيَر، الخ. ، فهي مَصلَحة مَوهوبَة أو مَعَدومَة لجَزمنا بأنَّ الحامل لمُتعاطيها على اسْتعمالها، إنَّما هو التَّبذُل وقلَّة المُروءة ورقَّة الدِّيانة وخسَّة النَّفس وسُقوط الهمَّة. كما أنَّ الوازِع لمن لم يَتعاطاها إنَّما هو كمال المُروءة ومَتانة الدِّيانة وشرف النَّفس وعُلو الهمَّة، لا فُقدان ذَلك الثَّمن التافه. كيْف لا وهي لا يَتعاطاها في الغالب إلاّ الفُقراء المُقلّون، فمَصلحة التَّضييق عليهم في ثَمَنها مَفقودة كما ترى.

وإذا كان كذلك، فالواجب شرْعاً ومُروءةً هو تَنزيه مَنصب الإمامَة الإسْلامية والخلافة النَّبوية، التي هي أهمُّ الخِطَطَ الدِّينية والمَناصب الشَّرعية عن التِّجارة فيها، وتَطهيرَ تلك

السّاحَة الكريمَة من التّلوُّث بأقْذارها . إذْ لا يُناسب ذلك حال مُطلق المُسلمين ، فكيْف بجَناب أمير المُؤمنينَ .

وأيضاً ففي تَناول ذلك الجَناب لها بالتِّجارة والاسْتبداد بالرِّبح تَهييج للعامَّة عليها ، وإغراءٌ لهم بتَعاطيها كما قرَّره عُلماء فاس حفظهم اللَّه . ولو نُهوا عنها كَما انْتهوا ، بل ربَّما احْتجُّوا بأنَّها لو كانت حراماً ما احْتازها المَخزَن واسْتبدَّ برِبْحها . ومن العادة المُقرَّرة أنَّه لا يَمتَثل إلاّ بقوْل المُمتَثل ، ولا يُؤتَمر إلاّ بأمر المُؤتَمر .

«ولمّا انبرم الصُّلح بيْن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وبيْن قُريْش يوم الحُديبيَّة ، وأمَر أصْحابه أنْ ينحَروا ويَحلقوا ، أمْسكوا ولم يَفعلوا حتى قال ذلك ثَلاث مرّات . فلمّا لم يقُم منهم أحدٌ ، قام صلى اللَّه عليه وسلم ، فدَخل على أمِّ سلمة ، فذكر لها ما لَقيَ من النّاس ، فَقالتْ أمُّ سلمى رضي الله عنها : يا نَبيَّ اللَّه اخرُج ، ثم لا تُكلِّم منهم أحداً كلمةً حتى تَنحَر بدنك وتَدعو حالقك فيَحلقك . فخَرج صلى الله عليه وسلم ، وَلم يُكلِّم أحداً منهم حتى نَحر بدنه ودعا حَالقه فحلَقه . فلمّا رأوْا ذلك قاموا ، فنَحروا وجعل بعضُهم يَحلق بعضاً حتى كادوا يَقتتلونَ ، اهـ . » . فكذلك نقول هنا إنَّ العامَّة مهْما رأوا الأميرَ تعاطَى شيئاً تعاطوْه ، وإذا رآوه نبَذ أمراً نبذوه ، لأن العامَّة مُولَعون بالاقتداء بالأمير ومَن في معناه من الكُبراء ، حسبَما قرَّره ابن خلدون في كتاب طبيعة العمران منَ **تاريخه**(180) .

وأما التخوّف من الإتْيان بها من برِّ النصارى ، واشتغالهم بالتِّجارة فيها بأسواق المُسلمين ، ونصْب الدّكاكين لبيْعهاَ ، وما ينشأ عن ذلك مَن المفاسد ، فهُو مأمون بمُقتضى الشروط المُنعقدة بيْننا وبيْنهم ، حسبَما تضمَّنه الشرْط الثاني والخامس والسابع من شُروط التِّجارة المُنعقدة مع النَّجليز خصوصاً ، وغيره عُموماً ، سنة ثلاث وسَبعين ومائتين وألف [1856] (181) . فقد صرّح في الشرط الثاني مَنها ، بأنَّ هذه الأعشاب ونحوَها من جُملة الممنُوعات دخولاً وخروجاً ، ثم نبَّه على ذلكَ أيضاً في الخامس والسابع فليَنظُره مَن أراده . وإنَّما يكون لهم بعد تَخلّي السُّلطان عن بيْعها ، أنْ يجلُبوا منها ما يحْتاجونه لأنفُسهم فقط ، لا أكثر منه كالخمر . ألا ترى أنَّهم اليوم إنَّما يجلُبون منها ما يشربونه ويتَبايَعونه فيما بينهم ،

(180) انظر **مقدمة** ابن خلدون ، الفصل الثالث والعشرين من الباب الثاني ، وعنوان الفصل : «في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده» .

(181) حول مضمون وأبعاد الاتفاقية المغربية-الانجليزية لسنة 1856 ، انظر جان-لويس مييج ، **المغرب وأوربا** ، ج 2 ، ص 261 -347 ، وحول بنود الاتفاقية ، انظر على الأخص ، ص314 - 318 .

ولا سَبيل لهم إلى التِّجارة بها في أسواق المُسلمين ونصْب الدَّكاكين لبيْعها، فكذلك هذه الأعْشاب حُكمها حُكم الخمر حَذْو النَّعل بالنَّعل. وإذا امْتنع المَخزن من التِّجارة فيها، مع بَقاء منْع الرَّعية منها أيضاً، فلا حُجَّة للنَّصارى في ذلك، ولا مُتكلم لَهم فيه. إذ ليْس في امْتناع المَخزن حينئذ إلاّ تأكيد المنْع الذي كان قبل. وإنَّما تكون لهم الحُجَّة إذا بيعَت لبعض الرّعايا دون بعض، لأن حاصلَ شُروط التِّجارة الخمسة عشر ومدارَها على أنَّ رعايا الأجناس يكون لهَا ما لرعيَّة الإيالة المغربية، من التَّحجير والإطْلاق والتخصيص والتَّعميم، بحيث لا يستبدُّ أحد من الفَريقيْن بنوع من أنواع التِّجارة دون الآخر، إلاّ ما للمَخزن فيه غرَض ومصلَحة في تثْقيفه من أشياء مَخصوصة، فإنَّه يُثقِّفه بنظره إذا شاء، ويُسرِّحه كذلك متى شاء. وإن اقتضى نظره أن يستبد بأرباح شيء من ذلك دون رعايا الفريقين فله ذلك، وإنَّما المَمْنوع أنْ يُبيح لرعيَّته دون رعايا غيره، أو يُبيح لبعض الأجناس دون بعض، هذا هو المَمْنوع في الشُّروط. أما هو في خاصة نفسه ومصلحة مُلكه، فلَه أنْ يستبدَّ من تلك المَمنوعات بما شاء.

هذا حاصل تلك الشُّروط وإنْ طالت وامتدَّت. إذا علمت هذا، فكيف يتخوَّف عند امْتناع السُّلطاَن من بيْع تلك الأعشاب مع استمرار منْع الرَّعية منها أيضاً الإتْيان بها من برِّ النَّصارى، ومُتاجَرتهم بها في أسواق المُسلمين ونصْب الدَّكاكين لها، الخ. هذا لا يُتوهَّم. نعم يُتخوَّف من ذلك إذا امْتنع السُّلطان من بيْعها، وأذن للنَّاس فيه، وأطْلَق لهم يدَ التَّصرُّف به. وليس هذا مُراد السُّلطان أيَّده الله، وإنْ أوهَمه لفظُ الكتاب الشَّريف حيث قال: طالَما قدَّمنا رجلاً وأخَّرنا أُخرى في تسريح الصاكة، الخ. ولعل الكاتب أو المُملَى عليه لم يُحرِّر مُراد السُّلطان أيَّده اللَّه، فنَسج الكتاب على ذلك المنوال، وأوهَم أنَّ أمير المُؤمنين أعزَّه الله يُريد أن يمتَنع من بيْع تلك الأعشاب تقذُّراً لها وتأفُّفاً منها، ويُبيحَها لرعيته من المُسلمين وغيرهم. ومَعاذ الله أن يكون هذا مُرادُه، كيْف وهو أيده الله من أخْشىَ المُلوك وأتْقاهُم للَّه، وأحبّهم لرعاياه وأحدبهم عليها، وأحْرصهم على جلْب النَّفع لها ودفع الضَّر عنها، وأعْلمهم بقول جدِّه عليه الصلاة والسلام: «لايكون المُؤمن مؤمناً حتى يُحبَّ لأخيه المُؤمن ما يُحَب لنَفسه»(182).

فقد بان لك من هذا التَّقرير أن الواجبَ شرعاً ومُروءةً هو المُبادرة إلى رفض التِّجارة في تلك الأعشاب، وتطهير ساحة الإمامة الإسلامية من قَذرها. قال الله تعالى في وصْف

(182) البخاري، الإيمان 7.

رسُوله صلوات الله عليه : ﴿ويُحلُّ لَهُمْ الطَّيِّبات ويُحَرِّمُ عَلَيْهم الخَبَائثَ﴾ . وكما يَجب على أمير المُؤمنين أيَّده الله تطهيرُ سَاحة الخلافة منها ، يجب عَليه السَّعْيُ في تطهير ساحة المُسلمين أيضاً منها ، لما أسْلفناهُ آنفاً . فإن قلتُ : أمّا ما ذكرتُه من المُبادرة إلى تطهير ساحة الخلافة منها ، فسهْلٌ مُتيسرٌ إن شَاء الله . وأمّا تطهير ساحة المُسلمين منها ، فيظهر أنَّه في غايَة الصُّعوبة ، لأن العامَّة إذا حُملوا على رفْضها كرَّة وأُلجئوا إلى ترْك استعمالها بالمرَّة ، ضاق بهم المتَّسَع ، وساءت أخلاقُهم ، وحاصُوا حيْصة حمر الوَحش ، ورُبَّما صَدَر منهم مالا ينْبغي من الإعْلان بالخِلاف والمُجاهرَة بالعصيان .

ومن وصايا أرسْطوطاليس الحكيم لتلميذه الإسكَندر[183] : يا إسْكندر تغافلْ عن العامَّة ما أمكنَ ، ولا تُلجئْها أنْ تقول فيك إلا خَيْراً ، فإن العامَّة إذا قدرَت أنْ تقول قدرَت أنْ تفعل ، أو كلاماً هذا معناه . والحاصل أن فطْم العامَّة عمَّا اعْتادوا من بعض الجَهالات ، وصرْفهم عمَّا مَرنوا عليه من بعض الضَّلالات ، في غاية الصعوبة ، ولاَ يتيسَّر ذلك إلا لمن هيَّأه اللَّه له من نبيٍّ مُرسل ، أو وليٍّ كامل ، أو إمام عادل . وإذا كان صَرف العامَّة عن هذه المَفسدة التي اعْتادوها ونشأوا عليها جيلاً بعد جيل وقرْناً بعد قرن ، يُؤدي إلى الهَرج والخلاف جزماً أو ظناً ، فالواجبُ هو تركُهم على ماهُم عليه ، لأن تغيير المُنكر له شرُوط ، منها أن لا يؤدِّي إلى مُنكر أعْظم ، كما هو مُقرَّر في الأُصول والفرُوع .

قُلنا : كلُّ ما قرَّرتُه في هذا السُّؤال حقٌّ لا مَحيد عنه . ولكن نحن لا نقول إنَّ أمير المُؤمنين ، أيده الله ، يحمل العامَّة على رفْضها كرَّة ويُلجئُهم إلى تركها بالمرَّة ، بل يَسلُك معهم في ذلك سبيل التدْريج ، كما سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريم الخمر على العرب . فإنَّ الله تعالى بَعث مُحمداً صلى الله عليه وسلم ، والعربُ من أعْشق الأُمم للخمر ، وأشدِّهم بها وُلوعاً ، وأكثرهم لها حبّاً ، حتى كانت شَقيقةَ رُوحهم ومَغناطيس أُنسهم ، قد اتَّخذوا لها المَجالس الحَفيلة ، واخْتاروا لها القَيْنات الجميلة ، وضرَبوا عليها بالمَعازف والدُفوف ، وحكَموا لها على غيرها من مألوفاتهم بغاية الشُّفوف ، حتى نَسبوا بها في أشعارهم ، وتوَّجوا بها بَنات أفكارهم . وبالجُملة فلا يُؤثَر عن أُمَّة من محبَّة الخمر ومدحها ما أُثر عن العرب . فلذلك لمّا انْصرفتْ عنايَةُ الشَّرع الكريم إلى تحْريمها ، كان ذلك عَلى سبيل التَّدريج ، كمَا هو معلومٌ في الكتاب والسُّنة ، حتى تَمَّ مُراد الله ورسوله من العرب ، فرفَضوها بالكُلية ، وسمَّاها الشارع أُم الخبائث ، زيادة في التَّنفير منها . وما حُرِّمت

---

(183) يظهر هنا أحد ثوابث الآداب السلطانية ، وهو الاعتماد على مرجعيات يونانية وفارسية إلي جانب النصوص الإسلامية المؤسِّسة .

آلاتُ اللّهو إلا من أجلها، ومُبالغة في تحريمها، إذ هي وسيلة إليها، كما حقّقه الغزالي رحمه الله في كتَاب السَّماع من **الإحياء**[184]. وفي تفسير **الخازن** بعد سرْده كيفيَّة التَّحريم مانصُّه[185]: والحكمة في وُقوع التحريم على هذا الترتيب، أن اللّه تعالى علم أنَ القوْم كانوا قد ألفوا شُرب الخَمر، وكان انْتفاعُهم بذلك كثيراً، فعلم أنَّه لو منَعهم من الخَمر دَفعة واحدة لشَقّ عليهم، فلا جرم استْعملَ هذا التَّدريج وهذا الرِّفَق. قال أنَس رضي الله عنه: حُرِّمَت الخَمر ولم يكنْ للعَرب يومَئذ عيْش أعْجبُ منها، وما حُرِّم عليهم شيء أشدُّ عليهم من الخمر، اهـ.

إذا علمتَ هذا فنقول كذلك ينبَغي لأمير المُؤمنين أيَّده الله أنْ يَسعى في تطهير رعيَّته من خُبْث هذه الأعْشاب الَّتي لا شيْء أخبْث منها، كما أوضحتُه في **كتاب الاستقصاء**، ويَسلُك معهم فيها سبيل التدْريج، صارفاً همَّته إليه ومُستعيناً باللّه ومُتوكّلاً في ذلك عليه، فإنَّه لا يَصعبُ ذلك عليه إن شاء الله.

إذا كان عوْن اللّه للمرْء ناصراً تهيأ له من كُل صعْب مُراده

وقال البُوصيري لسيِّد الوجود صلى الله عليه وسلم[186]: أقول ولأمير المُؤمنين من حال جدِّه قسطٌ والحمد لله:

كُل أمر تَعنى به تغلُّب الأغيـ ـان فيه ويعجب البُصراء

وكيْفية التَّدريج في ذلك، أنْ يامُر أيَّده الله عُلماء المجالس وخُطباء المَنابر ووُعّاظ الكراسي، بالتَّواطؤ على ذَمّ تلك الأعشاب وتقبيحها في نُفوس العامَّة، وإبْداء مَعايبها لهم، وشرح مَفاسدها لديْهم، والتَّغليظ في ذلك بأبْلَغ ما يُمكن. ومَن قدر على تأليف ألّفه، أوشعر نظمَه، أو رسالة أنْشأها. ويستمرُّون على ذلك ثلاثة أشْهر أو أرْبعة، أو أكثر من ذلكَ. فإن ذلك لا بُدَّ أن يُؤثِّر في نُفوس العامَّة بعض التَّأثير، فإن الهمم إذا تواطأت على شيء أثَّرت فيه بعوْن الله، لاسيما همم أهل الخير. وفي الحديث: «يَد اللّه مع الجَماعة»،

(184) انظر فصل «بيان الدليل على إباحة السماع» في كتاب آداب السماع والوجد، الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج 2، ص 272.

(185) هو كتاب في التفسير، ألفه محمد علاء الدين علي بن محمد الشيحي الشافعي البغدادي (ت 741 / 1431).

(186) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (ت 689 / 1290) هو شاعر ومحدث. اشتهر بتأليفه لقصيدة «البردة» في مدح النبي.

ثم بعد مُضيِّ هذه المُدة، وتقرُّر قُبحها في نُفوس العامَّة، يكتُب أمير المُؤمنين أيَّده الله إلى قُضاته، ويأمُرهم بتفقُّد الشُّهود وأئمَّة المساجد، فمَن عثروا عليه أنَّه يستعمل شيئاً من تلك الخبائث، أسقطوا شهادَته، وحَظروا إمامَته، وأنْ لا يَقبلوه ولو في اللَّفيف. ويُوالي الكتابة والاعْتناء بذلك مُدَّة مثل الأُولى أو أكثر، فيَزداد قُبحها في نُفوس العامَّة، وتعزف نُفوس كثير منهم عنها. ثم بعد هذا كُلّه يكتُب لوُلاة الأمْصار وعُمال البَوادي، أن يتقدَّموا إلي رعاياهُم بمَنع ازْدراعها وادِّخار شيء منها، أو التِّجارة فيه بوَجه من الوجوه. فإذا تمَّ هذا الغرَض على هذا الوجه، تخلى هو حينئذ عن بَيعها، وأمرَ بإحراق باقيها وسدِّ حاناتها المُسماة في عُرفنا بالقهاوي، ويُمنع النّاس من اسْتعمالها في المَجامع العامَّة كالأسْواق ونحْوها. ويشدّد في ذلك ويُعلن بالنِّداء في جميع الإيالة المغربية بأنَّ حُكم هذه الأعْشاب حُكم الخمر. فكَما لا يتَجاهر بالخمر في الأسْواق ونحْوها، كذلك لا يتَجاهر باسْتعمال هذه الأعْشاب فيها. ومن فعل ذلك أُدِّب أدباً يَليق به ويرْتدع به غيره. فهذا أقْصى ما يَفعله السُّلطان، والتَّوفيق بعد ذلك بيَد اللَّه.

وإذا تمَّ هذا العمل في نحو ثلاث سنين فهو قريب، وإذا يسَّر اللَّه ذلك، كان فيه بُشرى للمُسلمين وعُنواناً لهم على تجديد دينهم. ولعمري ما كان أمر الخمر في العرب إلا أرْسخَ من أمر هذه الأعْشاب في النّاس بكثير. وإنَّ الشُّبهة كانت فيها أقْوى منها في هذه، وذلك مَظنَّة سُهولة زَوالها، وتطهير البلاد والعباد منها، وما ذلك على اللَّه بعزيز. قالَه وكتبَه أحمد بن خالد الناصري لطَف اللَّه به، في خَامس عشر ربيع الثّاني سنة أربع وثلاثمائة وألف [10 يناير 1887].

ثم إن السُّلطان أيَّده اللَّه رفض التِّجارة فيها، وأحْرق ما كان مَحوزاً لجانب المَخزن منها، ومنَع تُجّار الأجْناس من جلبها إلى قُطر المغرب، إلا القدْر الذي يَستعملونه في خاصة أنْفسهم منها، بشرط تَعشيره وقصْر نُزوله على مَرسى طنجة دون سائر المَراسي المغربية، والحال على ذلك لهذا العَهد(187).

[الناصري، **الإستقصا**، ج 9، ص 192 ـ 199]

---

(187) انظر مقال لطفي بوشنتوف، «تجارة المحظور في النصف الثاني من القرن 19 م (سلعتا الدخان والخمر مثالا)»، ص 118 ـ 124.

65. [مفارقات]

محمد بن الحسن الحجوي (ت 1956/1376)، هو عالم من فاس درس بجامع القرويين، وشغل منصب وزير العدل ثم وزير المعارف في عهد الحماية الفرنسية. ألف في ميادين التاريخ والتفسير والفقه، واهتم بالقضايا التي تطرحها مستحدثات العصر. وقد اخترنا هذا النص حول التحريم والتحليل من كتابه **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** الذي كان آنذاك مساهمة جريئة في تجديد الفكر الفقهي.

والذي أراه أنَّ المنع ليس سوى تمحّل في الدين، وإرهاق المسلمين، حتى ينبُذوا دينهم الذي هو صلاحٌ لآخرتهم ودُنياهم. وقد جرَت العادة عند كثير من أهل الإفتاء، إذا لم تكن خصومة أنْ يتظاهروا بالورَع، فيتسرَّعوا إلى فتوى التحريم بأدنى خيال شُبَهة، جُبناً وخوْفاً من التشنيع، وظانِّين أن الورع إنما هو التّحريم، وهو ظنٌّ لم يوافق الواقع. بل الورع وراء ذلك، وهو تحَرّي روح التشريع الإسلامي، وما يوافق مبادئ الشريعة السَّمحة جَوازاً أو منعاً، ولا يُصادم النصوص القرآنية والسُّنة الصالحة للاحتجاج ولا الإجماع. ولا أشُك أن بعض من أفتى بالحُرمة قد يفعلونه، فالواجب عليهم أن يسلُكوا بالأمة سبيل الرُّخصة التي سلكوها لخاصة أنفسهم، لأنَّ الظن بهم أنهم ما تجرَّؤوا على ارتكاب مُحرم تيقَّنوه. فلينظُر العالم المُفتَي فعل غيره بالعيْن التي نظر بها فعل نفْسه، لا أزيَد ولا أنقَص. ولا يغترُّوا بما وقع في فتاوى كثيَر من المُتأخِّرين الفروعيِّين من تمحُّلهم لُمعاملات جعلوها من باب الرِّبا المحرَّم، ولا يكاد يفهم فيها قصْد الرِّبا لأحد المُتعاقدين، بل لا يستبين وجْه العلة التي استندوا إليها إلا بعد التدبُّر العميق، والحَفر عنها بمَعاول عظيمة (. . .).

ولا أعجب من هذه الفتاوى في زمننا المُظلم، لأنِّي رأيتُ فتوى للإمام السَّنوسي بحُرمة القهوة الَّتي هي البُنُّ المعلوم[188]، وفتوى الإمام ابن غازي[189] بطهارة ماء الماحْيا الذي

(188) لعله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي (ت 895 / 50-1849). وهو عالم وزاهد من تلمسان، وقد ألف في التوحيد والفقه.

(189) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي (ت 919 / 14-1513). تولى منصب شيخ الجماعة بمكناس، وتولى كذلك الخطابة والإمامة بجامع القرويين بفاس. وقد ألف في فنون عديدة من بينها التاريخ والحديث والفقه، حيث وضع شرحاً على **مختصر** خليل ابن إسحاق، وتقييداً على المدونة. وقد ذكر محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج في حاشيته على **شرح محمد ميارة للمرشد المعين**، ص145، ما يلي: «وأما ماء الحياة المعَالج بالتقطير فلابن غازي فيه تأليف حسن ولم يجزم فيه بكونه مسكراً والعامة اليوم مطبقون على أنه مسكر. . .».

يصنعُه اليهود شراباً لهم، وكلٌّ من الإمامين وقع في الغلَط بسبب عدم معرفَته ما أفتى فيه، فالذي حرَّم القهوة، علَّل الحُرمة بعلل، منها الإسْكار وهو لا وجود له فيها، ولا التَّفتير، ولا النَّشاط، ومنها ضررها بالبدَن وكونُها لم تكنْ في الصدر الأوَّل، وهذا شيء لا يوجب الحُرمة، كذلك ابن غازي زعم أنَّ الماحيا لا تُسكر، وهو غلط، والصَّواب إباحة القهوَة، وحُرمة الماحيا الخبيثة، وأكثر أغلاط الفتاوى من التَّصور.

[الحجوي، ج. 2، ص 511-513]

الفصل الثالث

منافع ومضار

الأمزجة

لماذا الحديث عن نظرية الأمزجة بصدد موضوع الشاي ؟ لأن النصوص التي تتناول هذا المشروب ، أوموضوع الأغذية بشكل عام من الزاوية الصحية ، تحيل على الطب التقليدي الذي ظل يولي الأمزجة أهمية بالغة كإطار نظري يتحكم في تصور المرض والعلاج . لهذا نقدم نصين : أولهما من **كتاب الرحمة في الطب والحكمة** المنسوب لجلال الدين السيوطي (ت 911 / 1505) ، والثاني من كتاب **مختصر في الطب** للمؤلف الأندلسي عبد الملك ابن حبيب (ت 238 / 852) .

66. [الأمزجة الخمسة وخصائصها]

اعلم أن المزاج الطبيعي لم يقع في الأبدان مستوياً على الاعتدال ولكن اختلف فزاد بعضه بالحرارة وبعضه بالبرودة مع الرطوبة واليبوسة فانقسم إلى خمسة أمزجة .

المزاج الأول الصفراوي :

الذي كثرت فيه الحرارة واليبوسة وقلت فيه الرطوبة والبرودة ، وعلامة صاحبه سرعة حركاته في جميع الأحوال والإقدام والشجاعة والغلبة وجودة الفهم ونحافة الجسم وقلة النوم ، وإذا كانت الحرارة فيه أكثر من اليبس كان لونه أحمر وإذا كان اليبس أكثر كان آدمَ اللَّون مشوباً بحمرة وإذا استويا فيه كان أصفر اللَّون ، والله أعلم .

المزاج الثاني الدموي :

وهو الذي كثرت فيه الحرارة مع الرطوبة وقل فيه البرودة واليبس ، وعلامة صاحبه أن يكون عبل البدن كثير اللحم كثير الدم طيب النفس حسن الأخلاق متوسط الفهم ، وإذا كانت الحرارة أكثر من الرطوبة كان أصفر اللون ، وإذا كانت الرطوبة فيه أكثر كان أبيض اللون مشوباً بحمرة ، وإذا استويا فيه كان أشقر اللون وهو الذي بين البياض والحمرة ، والله أعلم .

المزاج الثالث البلغمي :

وهو الذي كثرت فيه البرودة والرطوبة وقل فيه الحر واليبس ، وعلامة صاحبه أن يكون عبل البدن كثير الشحم كثير الرطوبة كثير النوم كسلان بطيء الحركة بليد الفهم كثير النسيان لا يكاد يفهم شيئاً ، وإذا كانت البرودة فيه أكثر من الرطوبة كان أبيض حصير اللّون ، وإذا كانت الرطوبة أكثر من البرودة كان أبيض لامع اللون قريباً من البرص ، وإذا استويا فيه كان رصاصي اللون .

المزاج الرابع السوداوي :

هو الذي كثر فيه البرودة مع اليبس وقلت فيه الحرارة والرطوبة ، وعلامة صاحبه أن يكون نحيل البدن نحيل اللون نحيف الجسم كثير الكد قليل النوم لا صبر له على الجماع وعليه فيه ضرر عظيم ، وإذا كانت البرودة فيه أكثر من اليبس كان كمد اللّون ، وإذا كان اليبس فيه أكثر من البرودة كان أغبر اللون ، وإذا استويا كان رصاصي اللون ، والله تعالى أعلم .

المزاج الخامس المعتدل :

الذي اعتدلت طبائعه في ميزان اعتدال الطبيعة ، وعلامة صاحبه أن يكون ذكي الفهم معتدل الأعضاء في جميع خلقه ، متوسط الحالات في جميع أموره ، منير المنظر ، بين البطء والسرعة والشجاعة والجبن ، حسن الأخلاق ، متوسط الهيئات في جميع أموره ، والله تعالى أعلم .

[السيوطي ، ص 4 - 5]

67. [مزاج الأطعمة والأشربة] (1)

قال عبد الملك بن حبيب : ركبت الأطعمة كلها والأشربة والثمار والرياحين من الاخلاط الأربعة من الحر والبرد واليبس والرطوبة، فما كان منها موافقاً لطبائع الإنسان لم يبلغ حره ولا برده ولا رطوبته ولا يبسه سمي معتدلاً، وما جاوز الاعتدال من ذلك جزء أربعة أجزاء وحد أربعة حدود فما جاوز الاعتدال باليسير نسب إلى الجزء الأول والحد الأول من الحرارة أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة، وما جاوز ذلك اليسير بالقليل أيضاً نسب إلى الجزء الثاني والحد الثاني، وما قوي من ذلك وأربى نسب إلى الجزء الثالث والحد الثالث، وما أفرط في القوة وأضر بطبائع الجسد حتى يفسد ويمرض نسب إلى الجزء الرابع والحد الرابع.

فينبغي للإنسان ألا يصيب من الأطعمة والأشربة إلا ما وافق منها طبائع جسده وعدلها حتى يكون مزاجها معتدلاً، وإنه أن بغى عليه شيء من طبائعه أن يلزم من الطعام والشراب وبضده حتى يكسر به ما بغى عليه من طبائعه، فإن طبائع الجسد التي هي قوامه أربعة وهي : الدم والبلغم والمرة الحمراء والمرة السوداء، إنها ركبت من الاخلاط الأربعة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فالدم حار رطب حلو، والبلغم بارد رطب مالح، والمرة الحمراء حارة يابسة مرة، والمرة السوداء باردة يابسة حامضة، فإذا بغى عليه الدم، وهو حار رطب حلو، لزم من الطعام والشراب كل بارد يابس حامض، وإذا بغي عليه البلغم، وهو بارد رطب مالح، لزم من الطعام والشراب كل حار يابس، وإذا بغت عليه المرة الحمراء، وهي حارة يابسة مرة، لزم من الطعام والشراب كل رطب بارد مالح، وإذا بغت عليه المرة السوداء، وهي باردة يابسة حامضة، لزم من الطعام والشراب كل رطب حار. فإنه إذا فعل اعتدل مزاجه ومن اعتدل مزاجه لزمته الصحة وجانبه السقم بإذن الله.

قال عبدالملك : والطعام والشراب كله على أربعة أوجه : حلو ومر وحام ومالح، وفيه أربعة أمزجة : حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة، فالحلو كله حار رطب، والمر كله حار يابس، والحامض كله بارد يابس، والمالح كله بارد رطب، وما فسر لك ذلك نوعاً نوعاً ووجهاً وجهاً من الأطعمة والأشربة واللحمان والثمار والرياحين والبقول، وما في كل نوع منه من العلاجات والأشفية على ما بلغني عمله وبلغ كشفي ممن كلمته فيه واستوضحته إياه من أهل العلم به، فإن أصل علم الطب من علم النبوة بتقدير العزيز العليم.

[ابن حبيب، ص 53 - 54]

(1) العنوان الأصلي للنص هو «مزاج الأطعمة والأشربة واللحمان والإدام والثمار والبقول والرياحين ومعرفة ما فيها من العلاج والأشفية».

68. [مياه وألبان]

أبو محمد عبد القادر بن شقرون الملقب بالمكناسي، هو طبيب وصيدلي شهير، عاصر السلطان العلوي إسماعيل، ودرس بمدينة فاس حيث لقي أستاذه محمد أدراق، كما أنه عاصر عبد الوهاب بن أحمد أدراق. واشتهر المؤلف بمنظومة «الشقرونية» التي ظهرت سنة 1702 م، وقد نظمها بطلب من تلميذه الولي صالح بن المعطي الشرقاوي.

القول في المشروب من مياه ... أفضلها العذب القراح الزاه
وخيره ما كان من أمطار ... وبعده الصافي من الأنهار
فأول قد لطفته الأهوية ... والثاني قائم مقام الأغذية
لا سيما الجاري صوب المشرق ... الأحمر الطين بلون مشرق
أما الذي يجري من العيون ... لا سيما إن نبعت في الطين
فذاك ذو أبخرة ثقيلة ... يولي الكبود سدداً جليلة
والبئر مثلها، وشر منها ... فصد ما اسطعت العطاش عنها
وصد من ماء الغدير الراكد ... إن بين التغيير للمشاهد
والسخن والملح مع الزعاق ... تحدث ضراً أما له من راق
وإن ترد معرفة الثقيل ... من الخفيف فاقض بالدليل
خذ خرقتين يستوي وزنهما ... واغمس هديت كل خرقة بما
وارفعهما واطرحهما في الظل ... حتى يبين لك يبس الكل
وزنهما أيضاً فما قد ارتفع ... فهو الخفيف والثقيل ما وقع
وكل مخزون من المياه ... يحدث اسقاماً بلا تناه
كداء الاستسقاء والدوالي ... وسدة الكبد والطحال
وما على الرصاص والنحاس ... يجري فخف منه ضروب الباس
إن الذي ترابه حديد ... أو فضة أو ذهب حميد
لخفقان ولضعف الكبد ... والقلب نافع مزيل السدد

واحذر على الريق شراب الماء … إلا زمان الصيف والوباء
وخذ خلال أكلك اليسيرا … منه، لا تعتمد التكثيرا
وعف عنه غاية العفاف … ما لم بر الطعام ذا جفاف
وعن شراب الماء نفسك احبس … بعد الغذاء ساعة مع سدس

هذا يقال لذوي الصفراء … وضعف هذا لذوي الدماء
والبلغمي السوداء لقيت الفرج … ستين، وليشرب فما تم حرج
ولذوي السوداء لقيت الفرج … خمس وأربعون قل من الدرج
القول في المشروب من ألبان … وما لها في جسد الإنسان
الحر ثم اللين في الألبان … لأنها دم من الجثمان
لكنه في الحكم ذو اختلاف … بحسب الطباع في الأصناف
فالبقري منه يخصب البدن … لكثرة الغذاء أخذه حسن
لكنه بطيء الانحدار … إصلاحه بالعسل المختار
أما الذي يجلب من نعاج … للجسم فيه منتهى العلاج
من قرحة الرية ط الأمعاء … والبول إذ يمزج بالدماء
ولبن المعز قالوا معتدل … على نفائس العلاج مشتمل
يشفي قروح الحلق والمتانة … والغم والنسيان والزمانة
أفضل من لبن الأتان … من جهة الدواء للأبدان
ليس له في السل من نظير … لا تغفلن من فضله الشهير
مضمض به الأسنان وقت الحركة … تجد من الشفاء كل بركة
ولبن اللقاح في الغذاء … ينفع قدماً داء الاستسقاء
وكل ما يجلو من المخيض … يصلح للصحيح والمريض
وكل صادق الحموضة احكما … بالبرد واليبس عليه فاعلما
يوهي القوى بالسدد القوية … ويفسد الدماء والأغذية
يكثر الحكة في الأجسام … ويورث الثقيل من منام
واحذر هداك الله من أكل الرايب … لأن فيه كثرة المصايب
مثقل عسير الانحدار … صعب غليظ جالب الأضرار

اعط لمن أكله ضرا أشكا — من بعد قيئه شراب مصطكى
والزبد فيه خصلة مختارة — معتدل يميل للحرارة
لكنه بطيء الانهضام — تزكو به وخاصة الطعام
وكل ما طال وصار سمنا — فصاحب الطول يصير سخنا
وكل ما قدمته في الرايب — من السقام ومن الغرايب
الحق فيه الذي نسميه اللبا — في الضر والاصلاح نلت الطلبا
أما الطري المعقود من أجبان — فما له في نفعه من ثان
يبري الكلا ببرده واللين — وربما أفضى إلى التسمين
أما العتيق فهو حر يابس — مجفف وللبطون حابس
وإن جعلت في حليب الظأن — قرنفلاً شيب بخولنجان
من بعد دق ثمن الأوقية — من كل واحد على السوية
فشربه سر للانتفاع — بقوة الانعاظ والجماع [2]

[ابن شقرون، ص 145 - 157]

(2) هنا يستطرد الناظم في أربعة عشر بيتاً، ليذكر عددا من منشطات الجماع المحضَّرة انطلاقاً من مواد أخرى كالبصل والثوم والجزر والدارصيني وغيرها.

69. في مدح الأتاي وذكر بعض منافعه وكيفية طبخه

صاحب هذه المنظومة هو عبد الوهاب أدراق (ت 1159/ 1746). نشأ بفاس من أسرة أنجبت عدداً من مشاهير الأطباء، وأصبح طبيب القصر في عهد السلطان إسماعيل. ألف في الطب وعلق على أعمال ابن سينا والأنطاكي.

ظللنا نَرْشُفُ من أتاي أقْداحا — حتى المَساء فَطِبْنا منهُ أرْواحا
ولَم يَمل أحَدٌ منّا على أحَد — سُكْراً كَمثْل الذي قَد شَرب الرّاحا
هُو الحَلالُ الذي ما ذمر أحَد — من العبَاد ولا أقْصَوْه مُذْ لاحا
يَسْتعملونَهُ بَعد الأكل إنْ عَسُرَت — هَضومُهُم وقُبَيْل الأكل إنْ باحا
والعَجَمُ لا تَبْتَغي بشُربه بَديلا — والعَرب لَمّا بَلَوْهُ زادَهُم راحا
لَكنّ مَطبَخه أنواع فَدونَكَها — ما بَيْن نَقع بسخْن الماء إلْحاحا
وبَيْن طَبْخ بنار غَيْر فائتَة — حَتى يُرى ماؤُهُ في اللونَ إصْباحا
ثُم يُضَمّ لَهُ قَند قَليلٌ إذا — بشَيء فَكَم فاضل بفَضْله باحا[3]
والهندُ ليس اسم من تبَوّل عوض — سَواءً إن قَصدوا لأكبد تفتاحا
والرّومُ تَشْرَبُه إذا الخَمّار سَطا — عَلَيْهم من دَوام شُرْبهم راحا
فَشُرْبُه مُوفّقُ الأرْحام حَتى لَقَد — أفصَحَ كُلّ به في الأرْض إفْصاحا
ومطرد الرّيح من مفيدة مُلْتثْ — ريحاً فَكادَ يَكونُ الشُّرْبُ مفتاحا
فاغْتَنمْنَ شُرْبَه قَبْل الصّباح لَكي — يَغسل ما قَد عَسى ينصبَ ارشاحا
لَكنْ إذا شِئْتَهُ فاشْرَبْه سخناً ولا — تَدَعَهُ جدا مُحْرقاً وقراحا
ولَيْس في غَرْبنا نَبتٌ يُشابهُهُ — لَوْناً وطَعْماً وهَيْئَةً ونفاحا

(3) القند هو «ما جمُد من عُصارة السكر دون تدبير». انظر الغساني، **حديقة الأزهار**، معجم، ص 413. انظر كذلك نص 77 أدناه.

وطَعْـمُـهُ الحـر للطَّعْم الذي شَـهِـدَتْ به مَـرارَتُهُ للْقَـبْض جَناحـا
والقند يُصْلحُـهُ مَن ضَـرَرَ القَـبْض أو يُجْدي المَضايقَ إصْلاحاً وإصْحاحا
فـاشْـدُدْ عَلَيْـهِ يَدَ الاسَـداء إلا لـمَن أتاكَ يَسْـأَلُ إرْشاداً وإنْجاحا

[أدراق، مخط تطوان، ص 107 - 108]

أوراق الشاي



المصدر: ويليام يوكرز، **نظرة شاملة على الشاي** (بالأنجليزية)، نيويورك، 1935.

70.[دعوة إلى إحلال الأتاي محل الخمر]

ألف سليمان الحوات (السالف الذكر) هذه المنظومة التي كثيراً ما استشهد بها المؤلفون المغاربة في دفاعهم عن المشروب الجديد.

دَعوا شُرْبَكُم لِلْخَمر فالخَمرُ مُسْكِر … وفي الشَّرْع كُلّ المُسْكِرات حَرام
وهيمُوا بشُربكُم أتاي فَإنّه … حَلال ولَيْس في الحَلال مَلام
وكَونُوا عَليْه مُدْمنينَ لأنّه … شفاءُ النُّفوس إنْ عَراها سقام
يُثيرُ نَشاطاً يَبْسط اليَدَ بالنَّدى … فَمن ثَمّ كُلّ شاربيه كرام
ويَكْشفُ غَمّ النَّفْسَ سراً وجَهْرَةَ … ويُوقظُ جَفْنَ الإنْسَ حينَ يَنام
ويَفْتَحُ بابَ الشَّهوَتيْنَ وخَيْرُ ما … اشْتَهَتْهُ الطِّباعُ باءَةٌ وطَعام [4]
ويكْسو الوُجوهَ حُمْرَةَ في نُعومَة … كأنَّ بها وَرْداً سَقاهُ غَمام
ويَصقل جَوهَرَ العُقول لَطافَة … فيَكْشَفُ عَنْها في الفُهوم ظَلام
ويَدْفَعُ نتن الأنْف والفَم دائماً … فَطابَتْ به ذاتٌ وطابَ كَلام
ويُبْطئُ بالإنْزال في الوطْء باعثاً … على لَذَّة هي المُنى والمَرام
ويَمْنَعُ مَن حَرّ الظَما وَيُدرّ ما … من البُول في احْتباسه لَكَ سام
ولَوْ أنّ في الأمْعاء ريحاً تَعقَّدتْ … يُحَلِّلُها بالطَّبْع حَيْث يُرام
وأفْعالُهُ في الهَضْم حَدِّث بها ولا … تَخَفْ لَومَةَ اللَّوّام فَهي عظام
يُوافقُ جُمْلَةَ الطِّباع مُلَطِّفاً … بتَعْديله فَكانَ فيه قَوام
فإنْ شئْتَ فاصْطَبحْ وإنْ شئْت فاغْتَبقْ … به فَلَه في الحالَتَيْنَ نَظام
إلى غَيْر هَذا من مَنافعَ جُرِّبَتْ … وَقالَ بها في السّالفينَ إمام
وآدابُهُ شَتّى ويَزْدادُ حُسْنُهُ … إذا رَقَّ نُدمانٌ ورَقَّتْ جام
هُو النِّعمَةُ الكُبْرى عَلى كُلّ شَراب … وإكْسيره لا قَهْوَةٌ ومُدام
ومَذْهَبُنا أنْ لا يُشابَ بِغَيْره … سِوى العَنْبَر الشَّحْري فَهُو ختام

[مذكور في : م. ط. ابن الحاج، ص 148 – 149]

---

(4) حول موضوع «الشهوتين»، انظر الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج 3، «كتاب كسر الشهوتين». انظر كذلك «عادات المائدة وعادات الفراش وعادات الكلام» (بالفرنسية)، وهو مقال لجان پويون الذي تناول الموضوع من زاوية التحليل النفسي.

الصفحتان الأوليان من مخطوط «في بيان حقيقة الشاي» للحمومي

71. في بيان حقيقة الشاي

محمد بدر الدين الحمومي الحسني (ت 1266 / 1850) هو فقيه من مدينة فاس حيث ارتقى إلى منصب شيخ الجماعة. وهو من تلامذة التاودي ابن سودة، وقد شارك في علوم متعددة، وألف في التصوف والفقه، وعرف بزهده وتمسكه بالسنة. وقد خصص هذه الرسالة للدفاع عن المشروب الجديد من منظور طبي [5].

بسم الله الرحمن الرحيم،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الثقلين وآله وصحبه أجمعين،

وبعد،

فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه العلي الكبير محمد بدر الدين الحسني الفاسي أحسن الله عاقبة أمره وكان له في سره وجهره : لما رأيت أهل بلدتنا فاس حفظها الله من كل بأس يعتنون بشرب العشبة المسماة لديهم بأَتَايْ والناس فيه على فرقتين قادحة ومادحة، فأردت أن أقيد فيه رسالة مشتملة على ثلاثة فصول.

الفصل الأول في بيان اسمه وسبب ظهوره

أما اسمه فهو «چا» بجيم مثلثة، بعدها ألف مقصورة، وهو اسم عجمي فعُرب، وتُبدل جيمه بالشين المعجمة ويُزاد في آخره ياء تكملة للاسم فيقولون «شاي»[6]. وفي **التذكرة** أن اسمه «شاه» بالهاء ولا حجر في أسامي المباني بعد فهم المعاني. [وهومن الأدوية التي لم يظفر بها المتقدمون ولم يُذكر في كتبهم، وإنما ذكره بعض المتأخرين مثل حنين بن إسحاق

---

(5) اعتمدنا بالأساس على مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع رقم د 157، ص 108-109، حيث لم تذكر للمؤلف نسبة «الحمومي» بل سمي هناك ب«محمد بدر الدين الحسني الفاسي». وقد استعنا بمخطوط آخر يوجد بخزانة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ضمن مجموع رقم مكل 232، ص 1 - 6. وسنرمز إلى هذا المخطوط لاحقاً ب «ك» حيث سنشير إلى بعض الاختلافات التي تستحق الذكر.

(6) حول نفس الموضوع، انظر نص 2 للبيروني الوارد أعلاه.

ومترجم **صيدلة** أبي الريحان[7] عن سبب حدوثه، وبعض خواصه وسيأتي بيانهما] [8].
واعلم أن كل عُشبة نابتة فيها حكمة الله ثابتة كما قال القائل [9]:

وكل نبت من حشيش أو شجر خلقه لحكمة رب البشر
ما خلق الرحمن شيئاً عبثا من كل برٍ وما قد حُرثا

وأما سبب ظهوره، فقيل إنه كان لأحد الملوك خادم نديم، فعرض لذلك الخادم نوع علة، وحصل له من تلك العلة صفرة في اللون جداً، وتغير شكله ونضارة وجهه. ولما تيقن الملك بتحكم العلة منه، ولم يبق له رجاء في صحته، استكره مجالسته، وغضب وأخرجه من مجلسه. فخرج الخادم من بلد الملك من شدة الهم والغم إلى أطراف بعض الأودية والبراري من غير زاد. وكان يتعيش ببعض الأعشاب، ولما وجد في هذا العشب نوع طعم وموافقته لمزاجه، واظب على أكله عدة أيام، فحصل له بعد استعمال هذه العشبة في أيام قليلة البرء التام، فأمر الملك بإحضاره، فلما رآه تعجب من برئه فسأله عن سبب برئه وبما اندفعت العلة الشديدة عنه، فأخبره باستعماله لتلك العشبة. فأمر الملك بأن يجمع منها شيء، وأمر الأطباء أن يجربوه ويكتبوا منافعه [10].

قال ابن إسحاق في تعريفه: إن نباته يشبه البرسيم لكن أرفع منه بقليل، وفيه نوع مرارة، وبعد الطبخ تزول مرارته. منبته بأرض الصين وأهل تلك البلاد يدقونه رطباً ويشربونه لتسكين الحرارة الباطنة وتصفية الدم، هـ. كلام ابن إسحاق. قوله لتسكين الحرارة الخ. يقتضي أنه بارد وهو غير صحيح إذ لا شك في حرارته ويبوسته لأنه بعد شربه يحصل نوع حرارة زائدة ويبوسة لطيفة، فيَحصل منه نشاط. فكيفية حرارته غالبة على كيفية يبوسته.

---

(7) ولد حنين بن إسحاق بالحيرة من أب صيدلي، ويعتبر من أبرز المترجمين العرب، حيث ترأس الترجمة في مؤسسة دار الحكمة ببغداد في عهد المامون العباسي. وقد اهتم بالتراث الطبي اليوناني، لا سيما أعمال إبقراط وجالينوس. وتوفي حنين بن إسحاق سنة 873 م. وفيما يخص كتاب **صيدلة** أبي الريحان البيروني، فقد سبق أن أوردنا منه النص الذي يتحدث عن أسطورة اكتشاف نبات الشاي بالصين. أنظر أعلاه، ص 63.

(8) توجد الفقرة الموضوعة بين معقوفتين في مخطوط «ك» فقط، ص 1.

(9) نقل المؤلفون المسلمون هذه الفكرة عن اليوناني إبُقراط، وهو ما يُفسر التداخل الملحوظ بين علم النبات وعلم الطب.

(10) وردت في مخطوط «ك» عبارة «ملك الخطا»، و«الخطا» بلاد توجد في شمال الصين. انظر **رحلة ابن بطوطة**، ص631.

وقال منزلة أبو الريحان أن «چا» هو نبت بأرض الصين وأهل تلك البلاد يقطعونه بعد بلوغه وينشفونه، وعند الحاجة يحلّونه في الماء الحار ويشربونه، وهو ينوب عن الأدوية المسهِّلة لتعديله ويدفع غائلة بعض الأشياء المضرَّة كالبخر.

وحكى غير واحد أن البلد التي هي مقر ملكهم اسمها «هجر»، وفي وسط تلك البلاد واد تنبت فيه هذه العشبة في أطرافه وأطراف جداوله وأنهاره، فيحملونه عند بلوغه فيبيعونه ويخرجون منه الخراج للملك.

وحكي عمن وصل لتلك البلاد أنه قال : هو عشب يزرع كالقصب ويشبهه في ورقه ونبته ويحصد في كل سنة ثلاث مرات، فالمحصود أولاً يكون مخصوصاً لملكهم وهو خياره، والمحصود ثانياً للعمال والخدام وهو المتوسط في القوة، والمحصود ثالثاً لسائر البلاد وهذا النوع ضعيف في الخاصية والتأخير[11].

الفصل الثاني في بيان منافعه

وهي كثيرة منها أنه يصفي اللون ويحمره، ويفرح، ويدفع الجشا، ويزيل البخر، ويقوي الباءة والانعاظ، ويمنع سرعة الانزال، ويقوي القلب والدماغ، ويمنع النوازل والسعال إن كان عن النزلة. والاستنشاق بمائه المطبوخ يَمنع نَتَن الأنف، وينشف الرطوبات الفاسدة، ويُطيب النكهة، ويدفع رائحة الثوم والبصل والكراث عن الفم. وينضج الأخلاط، ويفتح السدد، ويحلل الأورام الباطنة، ويمحي الأثار، وينفع من اليرقان، ويدفع الهيضة، ويلين جلد البدن، ويدفع البواسر والقولنج [12]، وينفع من السل والربو. وإذا غُسل بمائه المطبوخ جرح جرحه الأسد، فإنه يبريه ويدفع سمه.

---

(11) يوافق هذا التصنيف اختلافا في أشكال الجني. يوصف الشكل الأول ب«الامبراطوري»، ويقتصر على البرعم النهائي وورقة واحدة، بالإضافة إلى الساق التي تسند العنصرين المذكورين. ويوصف الثاني ب«الرقيق»، ويهم البرعم النهائي وورقتين. ويوصف الثالث ب«الخشن»، ويمتد إلى البرعم النهائي وثلاث أوراق فأكثر. وهكذا فكلما زاد عدد الأوراق كلما نقصت جودة المحصول. ويبدو أن النوع الأول اختفى منذ مدة طويلة.

(12) أضيف فوق كلمة اليرقان في المخطوط : «هو المسمى بُصفّير». واليرقان هو «الصفار، والمصاب به تصفر عيناه ولونه لامتلاء مرارته واختلاط المرة الصفراء بدمه». انظر الغساني، م. س، ص 420. والهيضة هي نوع من المرض يتمثل في «حركة المرة الصفراء بالقيء، وقيل هو القيء والإسهال معاً». انظر، محمد العربي الخطابي، **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الأسلامي**، ص586. أما القولنج فهو «انسداد القولون وامتناع الثفل والريح». انظر الغساني، م. س.، ص 419.

[وأما في هضم الطعام فهو الرتبة القصوى والدرجة العليا. والشاهد على هذا هو أن رجلاً من أهل الفضل والعلم حكى أنه كان في أيام تحصيله في بلدة بخارى مع بعض الشرفاء وأهل العلم مقيلين في بعض البساتين، وكان مع بعضهم شيء من هذا الشاءي (كذا). قال: وبعد إحضار الغذاء والأكل، شرب كل واحد منا من الشاءي فنجلاً (كذا)، فما مضت علينا ساعة إلا وغلب على كل واحد من الجماعة الجوع. فقال الرجل الذي معه الشاءي للحاضرين: إن أردتم أن تشربوا في هذا اليوم من هذا الشاءي، فدبروا لكل ساعة تمضي من ساعات النهار الفلكية أكلاً مشبعاً، وإلا فيتلفكم الجوع. فرتبوا من الأطعمة والطبائخ والفواكه شيئاً كثيراً، واستعملوه واحداً بعد واحد، وشربوا عليه الشاءي ومحصل كلامه أنه قال: إن في ذلك اليوم أكلنا عشر مرات، وفي الآخر ما بتنا إلاّ وكلنا جياع] [13].

وقال الشيخ داوود الأنطاكي في **تذكرته** [14]: شاه أترج بالفارسية ملك البقول، ويسمى كزبرة الحمار، منه عريض الأوراق، أصله وزهره إلى بياض ودقيق إلى فرفرية. وكلاهما مُرّ الطعم يحد اللسان ويلدغ. ونوع إلى سواد لا مرارة فيه، ويدرك هذا في الربيع ويعود ما أُخذ. وأهل مصر يسمونه ساتراج، وهو حار في الثانية، يابس في آخرها، عظيم النفع جليل المقدار، يُخرج الأخلاط الثلاثة مع مزيد استغصاء في السوداء. وكذلك يُبرئ الجرب والحكّة والقوابي والأبردة والاحتراقات واللهيب والحميات العتيقة، شرباً وطلاء مع الحناء ولو يابساً. ويفتح سدد الكبد والطيحال ويذهب اليرقان وما احترق من الفضلات. وأهل مصر تشربه بربِ الخرنوب، ولا بأس بذلك، إلا أنه ربُ السكنجبين أولى. والتكحل بعصارته ينقي العين، ويحدر منها الدموع، راجع تمام كلامه. وأما أمره في هضم الطعام فإنه في الرتبة القصوى والدرجة العليا.

ويحكى أن رجلاً من المجاورين من بخارى في الأصل قال: إن ملك ما وراء النهر [15] أرسل رسولاً إلى ملك الصين ببعض الهدايا والتحف لقضاء بعض المصالح، فبعد وصوله

(13) توجد هذه الفقرة في مخطوط «ك» فقط، ص 4.

(14) وقع المؤلف في التباس حين اعتبر أن «الشاي» هو «الشاه أترج». ونجد نفس الالتباس عند أحمد بن محمد ابن الحاج في كتابه **الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية**، مخط.، خ. س. الرباط، 11003، ج 3، ص 8.

(15) أُطلق اسم «ما وراء النهر» في السابق على البلاد الواقعة قي شمال نهر أمودريا (تركستان)، وهي تمتدّ إلى أواسط آسيا.

إلى تلك البلاد وأداء رسالة مرسله طلب الإجازة بالرجوع، فأجازه الملك وجازاه بعدل من هذا الأتاي الخاص به بأن يذهب به إلى ملك ما وراء النهر، فاستحقر الرسول هذه الهدية فأحضر الملك، وأمر الطباخين أن يذبحوا بقرة بحضرة ذلك الرسول، فعند قرب الاستواء أمر الملك الطباخ بأن يضع بيده خمسة أوراق أو ستة من هذا الأتاي، فأخذها الطباخ ورمى بها في القدر وغطوا رأس القدر إلى مضي ساعة ثم كشفوا القدر، فما رأوا للحم أثراً غير الماء والطعم [16]، ولله در القائل :

سقانا ماجد تاياً بكأس يحاكي لونه ذهباً مذابا
فأحبب منحة به من شراب به الأفراح تنسكب انسكابا

الفصل الثالث في بيان طبخه وطريق استعماله

فأهل المغرب قاطبة على طبخ الماء أولاً طبخاً ناعماً، ثم يفرغونه على الأتاي في آنية أخرى ويضيفون إليه ما يذهب حرارته من السكر، ويجعلون فيه ما يحدث فيه رائحة طيبة كالعنبر والنعناع والشيبة ولقاح الأترج ونحو ذلك.

وأما المشارقة فلهم كيفيات أخر، فمنهم من يأخذ من الأتاي مثقالاً ومن الماء رطلين ويطبخه في قدر مبيَّض أو برمة نظيفة من الدهومة وغيرها إلى أن يبقى الثلث، فيصفونه ويشربونه من غير إضافة شيء إليه.

وروي في طبخه عن رجل من بلد الكافش أنه يأخذ من الأتاي مثقالين، ومن الماء رطلين، ويطبخونه بنار ملائمة حتى بقي نصف الماء، وكلما غلا واشتد غليانه صب عليه قليلاً من الماء البارد إلى أن يصير لونه مثل لون الشراب الريحاني. قال الراوي : فكان يشرب ويسقينا، وكنت أُشاهد منه تأثيرا ما شاهدته في طبخ غيره.

وفي بلاد ما وراء النهر (؟) في طبخ أتاي يؤخذ من الزنجبيل درهم، ومن الصندل الأبيض درهم، ومن الدار صيني درهم [17]، فتوزن الأجزاء الثلاثة في رطلين من الماء حتى يبقى النصف، ثم يُضاف إليه الأتاي وينزل عن النار ولا يفرط لأنه لا يحتمل النار من لطفه

(16) ورد في مخطوط «ك» : «غير الماء والعظام».

(17) الزنجبيل هو تابل يسمى «سكين جبير» بالعامية المغربية. أما الدارصيني فهو تابل يعرف كذلك ب«القرفة».

كالبنفسج [18]، ويُحركه بالمعلقة إلى أن يصير لونه كالشراب الريحاني، ثم يُصفيه ويُضيف السكر أو لا يضيفه إليه.

وهذا ما حضرني في الكلام على الأتاي، والله سبحانه الموفق بمنّه وكرمه، سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، هـ. ما وجد.

[الحمومي، **الرسالة**، مخط.، النص الكامل]

(18) في مخطوط «ك»: كالبنفسج والأفتيمون. وهذا الأخير هو نبات كثير الأنواع، و«يعيش عولة على غيره مما يجاوره من النباتات»، مثل الزعتر والخزامة والفصة. انظر عبد السلام العلمي الحسني، **ضياء النبراس**، ص 18-19.

72. [قصيدة في منافع الأتاي]

أحمد بن عبد الرحمان الجشتيمي (ت 1327 / 1909) شاعر ومدرس من سوس، عاش بتييوت، وهي قرية تقع جنوب مدينة تارودانت. ويبدو أن هذه المنظومة كانت رداً على بعض الفقهاء السوسيين الذين حرموا شرب الأتاي.

شَرابُ الأتاي الصرف من خَيْر ريحان ... مَنافعُهُ جمت لروح وريحان

من النِّعَم العُظْمي التَي خَصَّ رَبُنا ... بأدرَارها أقْوامَ ءاخر أزْمان

يُخفِّف كُلَّ الهَمِّ دور كُؤوسه ... ويُبْدي انْبساط القَلْب مَن قَبْض أحْزان

ولا سيما ما كان بَيْن أحبَّة ... ظراف لَطاف كالروَاء لظَمْئان

يذكرنا جَنّات عَدْن وما أعَـ ... ـدّ رَبُّ الوَرى فيها لأبْرار عبدان

ويُوقظُ أرْواح الصَّفا لتشوق ... إلى الرّاح من راحات حُور وولدان

ويَزْدَادُ أرْبابُ النَّهي من شَرابه ... إذا ما أداروا كَأسَه فضل شكران

وكَمْ مُبْتَلي يَشْكو انْعكَاسَ الرِّياح لَلـ ... ـدِّماغ وَقاهُ داءَ عَقْل وأبْدان

ومن فَضْله إن كان دون السلاف حَا ... جزاً قل من يعدوه من ذَوي إيمان

فَلَوْ لَم يكُن خيف التَّسارُع منهُم ... إلى حسوها جَهْلاً بتَزْيين شَيْطان

ولا شَيءَ أدْنى منْهُ نفعاً للاغب ... معنى شكا الاعياء ذى ضجروان

ولكنَّما الإكْثارُ منهُ يَئولُ في الـ ... ـضعاف البنى دأبا إلى هَدِّ أرْكان

كَمَا تُورثُ الاسْقامَ أكل الكثير أو ... شَراب، فَما الإسْرافُ يُحْمد في شان

ولا شَيءَ مثْل القَصْد في سائر الأُمو ... رفَهو الذي يعني به كُلُّ يَقْظان

كَذا ما خَلاء الجَو صادَفَ ضَرَّه ... مبين إذا لَمْ يَتْبَع أكْلَ لَحْمان

وإن يحس في حال امْتلاء فرُبَّما ... يَسُدّ المَجاري من عُروق ومصران

ومن فَرْط تَجْفيف الرُّطوَبات يَمْنَع الـ ... ـمَنام فَيَنْأى عَن مَسارح أجْفان

ويَخْتَلقُ التَّطْريبَ اتباعَه بمثْـ ... ـل أطْيَب سَمْن من أطَايب أذْهان

ويَنْفَعُ أهْل الحَرِّ تَعْقيبُ شُرْبه ... بشُرب مَخيض مُسْتَطابَ من ألْبان

فقُلْ للذي يَنهى عَن الشُّرب للأتا ... يَ فاتَكَ أجْرُ الشُّكْر عَن خَيْر ريحان

فـــإن كـــان ممّا قـــيلَ إن مـــزاجَ يُلاقي رمـــاد عظم جـيــفــة انتـــان
فَـقـدْ رَجَّح الأشْـيـاخ أنَّ رَمَـاد مـا تنجس طـهـر لاسْـتـحـالَة أعْـيـان
وقَـدْ خَـرَقَ الإجْـمـاع مـانع شـربه وباء ولـم يشـعـر بصَـفـقـة خَسْـران
فلَمْ نَرَ في شَـرْق ولا الغَـرْب امْـرءاً منَ العُلَـمـاء الغُـرّ قـال بحـرْمـان
ومَن عـابَهُ بكَثْـرَة الغـيـبـة اعْـتَـدَى بتَـرْجيح أمْر دونَ مُوجب رجْـحـان
فـأنْديـة الأقْـوام سـائرها كَـذا كَ ما بَين إحْسـان يزين وعـصْـيـان
نَعم مُنْتَدى «القـهـوات» يكْثُرُ فـيـه با طلُ القـوْل يَبْدو من خَـلاعَـة مـجـان
وقل ندى كـــان للّه خـــائـفـــاً كَـمـا كـان في ذكْـر سُلَيْـمـان الران
ونَسْـألُ ربَّ العَـرْش غُـفْـرانَ وزْرنا وخَـتْـم لَيـالينا بأكْـمَل إحْـسـان
بِجـاه أجَلّ الخَلْق صَلى عَليْـهِ ثُـمّ سَلّم مَع ءال هُم غُـرّ أعْـيـان

[مذكور في : السوسي، **المعسول**، ج 6، ص 106 - 107]

73. [رسالة في الشاي]

ولد جمال الدين القاسمي الدمشقي بدمشق ونشأ بها، وقد برز في علوم الدين وفنون الأدب، واشتهر بسلفيته ومعارضته للتقليد. تعاطى للتدريس، وساهم في الصحف والمجلات، وأكثر من التأليف لاسيما في ميادين الأدب والتفسير والحديث. وتوفي سنة 1332/ 1914 وقد اقتطفنا بعض الفصول الخاصة بالشاي من كُتيبه **رسالة في الشاي والقهوة والدخان**، المنشور في بيروت سنة 1322/ 1904.

الفصل الاول : في اسمه ومادته

قال في **عمدة المحتاج في الادوية والعلاج** [19] : إسمه وارد من لغة الصين ويسمونه بجملة أسماء مثل تا، وتيا، وتين. ثم قال وهذا الجنس يشتمل على نوعين أو ثلاثة أصلها من الصين وقوشنشين، وهي شجيرات أوراقها متتالية جلدية وأزهارها بيضاء كبيرة. وقال بعضهم : الجاي لفظ فارسي الأصل، وليس لهذا الاسم ما يرادفه في اللغة العربية لأنه حديث النشأة في جزيرة العرب، إذ لم يكن يعرف فيها، ولما كثر استعماله في الأقطار الحجازية والمصرية استبدل العرب جيمه شيناً على ما اعتاده المولدون فسموه شاياً. وبعضهم زاد على ذلك بأن زاد عليه هاء مكسورة فدعاه الشاهي. وأهل المغرب يبدلون جيمه تاء مسبوقة بهمزة فيقولون أتاي، انتهى.

الفصل الثاني : في ذكر انتشاره بين الناس ومبدئه

قال في **العمدة** : أول من تكلم على الشاي من المؤلفين طُلبيوس بضم الطاء، ثم أخذ استعماله في الانتشار شيئاً فشيئاً، فأولا بهولاندا وانكلترا وشمال أوربا ثم فرنسا ثم باقي العالم حتى صار الآن كثير الاستعمال كمشروب غذائي. وقد استنبت في أماكن من أوربا وجربت زراعته في جزائر انتيله ومرتنيك ونتج هناك جيداً، ودخلت زراعته أيضاً في كيان،

(19) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو **عمدة المحتاج في علمي الأدوية والعلاج**، لأحمد بن حسن الرشيدي الطبيب. وقد نُشر في بولاق بمصر سنة 1283 / 67 - 1866.

حتى طلبت لها صينيون يباشرونها. والهولنديون هم أول من أدخل الشاي في أوربا حيث رأوا استعمال الصينيين له، ثم قال: وهذا النبات ينبت في الصين واليابان وقوشنشين وعموماً في شرق آسيا، واستنبت بكثرة في تلك الأماكن. والعامة تسمي تلك الأوراق شاياً كالشجر نفسه، انتهى. وفي كتاب **مفردات الطب** وغيره [20] أن الأماكن التي يوجد فيها شجر الشاي هي جبال الصين وخطا [21] وفي مدينة من مدائن الهند تعرف بنِيبال وبهتنت وفي اليابان.

الفصل الثالث: في صفته النباتية

قال في العمدة: هو شجرة إذا تركت ونفسها جاز أن ترتفع من 25 قدماً إلى 30 إلا أنها في الزراعة المعتادة يندر أن تزيد على 5 أو 6 أقدام. وتحمل أوراقاً متتالية عديمة الزغب بيضاء مستطيلة منتهية بطرف دقيق وهي خشنة الجلد مسننة قليلاً تسنيناً منشارياً في جوانبها، وفيها بعض لمعان، ولونها أخضر قاتم وأوراق الأغصان الجديدة الصغيرة طرية، وزغبها قليل، والأزهار البيض متراكمة على بعضها، وعددها من ثلاثة إلى أربعة في آباط الأوراق. وفي كتاب **مخزن الادوية** [22] وغيره أن لشجر الشاي زهراً أبيض اللون ينبت تحت أوراقه فيجتمع كل ثلاثة منها في مكان من الغُصن، وينبت الزهر في أسفل تلك الورقات أزراراً بيضاء. واما ثمر هذا الشجر فهو عبارة عن حبة أو حبتين من البذر مودعتين ضمن محفظة مؤلفة من ثلاثة قشور. وحكى بعضهم أن الشاي ورق شجر شبيه بشجر الرمان وشجر الحناء والصفصاف طول الشجرة منه لا يزيد عن قامة، وأن منه نوعاً أخضر يزرع فينبت، وله ساق شبيه بساق البر تغطيه أوراقه ونوعاً له ساق يشبه ساق النعنع طوله شبر أو ما يزيد، وأوراقه غليظة ولونه أصفر، وهو شديد الحرارة.

الفصل الرابع: في اجتنائه

يُجنى الورق من سن ثلاث سنين إلى سبع ويُقلم جذع الشجرة لأجل أن ينتج الورق بعد ذلك بكثرة. وأول اجتناء يكون في شهر نيسان عندما تنمو الأوراق وقبل أن يتم كمالها. وقد يجتني الشخص في اليوم من عشرة أرطال إلى خمسة عشر والاجتناء الثاني يكون بعد ذلك بشهر عندما يتم ظهور أغلب الأوراق، فحينئذ يختار من الأوراق ألطفها ويخلط مع أوراق

---

(20) لعله كتاب ألفه محمد سعيد باشا الرومي، المتوفى سنة 1175 / 62 - 1761.

(21) انظر الهامش 10 أعلاه.

(22) هو كتاب **مخزن الأدوية في الطب** لمحمد حسين بن محمد هادي العقيلي الخراساني.

الاجتناء الأول. ثم يجتني ثالثاً ولكن لا يجتني إلا الأوراق التي يحصل منها الشاي الغليظ المخصوص بالعوام. وبعض الزراع يجتني جنيتين معادلتين للجنى الثاني والثالث اللذين ذكرناهما. ذكره في **العمدة**.

الفصل الخامس : في تهيئته للاستعمال والتجارة

قال في **العمدة** : توجد محلات مصنوعة في تلك البلاد لتهيئة تلك الأوراق، وبها أفران في كل منها تنور من حديد. فأولاً تُغمس الأوراق المجنية نحو نصف دقيقة في الماء المُغلى، ثم تُخرج وتُترك حتى تجف، ثم تُلف بالأصابع ورقة ورقة وتُلقى في التنور المحمى حتى يحكم بأن جفافها كاف، ثم تُؤخذ منه وتوضع على حصير وتُلف مرة أخرى وهي حارة وتعطى لعملة تعرضها للشمس لتجلب للأوراق التفافاً مستداماً، فما كان من الشاي جيد الالتفاف والجفاف كان مختاراً، ثم يوضع في صناديق أو علب يحفظ فيها نحو شهرين، ثم يخرج منها لاتمام تجفيفه في محل دفئ لتزول منه جميع الرطوبة، فحينئذ يكون أهلاً للاستعمال أو للإرسال في المتجر بعد وضعه في صناديق مبطنة بأوراق الرصاص ومحاطة بأوراق عريضة من نبات تلك البلاد بعد أن يعطر أحياناً بأزهار وزيت مخصوصين. فالشاي في الحالة الطبيعية عديم الرائحة حريف، وغمسه في الماء يخفف من حرافته الأصلية.

الفصل السادس : في صفة الجيد منه

قال في **العمدة** : الشاي الجيد ما كان جديداً نقياً متساوياً ليس عليه غُبار وثقيلاً تشم منه رائحة البنفسج ليس فيه حرافة ولا رائحة قوية ولا سيما إذا كان جيد الجفاف.

الفصل السابع : في أصنافه

ذكر مؤلف **مخزن الادوية** أن أنواع الشاي مُختلفة، فمنها الأبيض والأخضر والبفسجي والخمري والأزرق والأسود. فالنوع الأبيض منه تكون أوراقه صغيرة وملتفة على بعضها مُلتصقة، وهو زكي الرائحة، نادر الوجود، يمتاز في الجودة عن بقية الأنواع، وهو لا يصدر عن أماكنه برسم البيع أصلاً وإنما يرسل إلى بعض الأطراف هدية جليلة المقدار، عظيمة الاعتبار. ومن هذا النوع يعتبر في القوة الچاي الأخضر، فهو أشد قوة من بقية الأنواع ولكنه أشد يبوسة من النوع الأول. ومن بعد هذا الچاي الخمري ثم الأسود، فهما من حيث القوة أشد من الچاي الأزرق وأضعف من الأبيض والأخضر. وقد يوجد مما عدا النوع الأبيض كثير من هذه الأنواع وعلى الأخص الأخضر والأسود منها، وتباع رخيصة جداً.

وحكى بعضهم أن منه نوعاً يقطف أولاً يختص بملوك تلك البلاد وهو أجوده، ودونه ما يقطف في المرة الثانية ثم ما يقطف بعد ذلك.

وقال في **العمدة** : أصناف الشاي الموجودة في المتجر قسمان، أخضر وأسود، وكل منهما له أصناف، والأصناف السود محضرة من أوراق الجنى الأخير، وهي أكثر خلواً من الحرافة والزهومة وأقل تهييجاً، وأقبل عند أهالي البلاد الشامية. وأصناف الشاي الأخضر على العكس من تلك الصفات، ومتميز بلونها الأخضر الواضح الذي يظهر أنه ناشئ من بلوغ الأوراق إلى تمام نضجها. وأصناف الشاي الأخضر سبعة، والأسود أربعة ذكرها في **العمدة** فارجع إليها إن شئت.

وقال بعض الأطباء : إن الچاي في عرف أطباء المغرب على أنواع، وإن طبائع هذه الأنواع وألوانها تحصل عن تأثير المواسم التي تقطف فيها أوراقه. فالأوراق التي تقطف في موسم الربيع يكون منها الچاي الأخضر. وأما الأوراق التي تقطف بعد هذا، أي في شهر نيسان، فيكون منها الشاي الأسود. وإذا قطفت قبل أن تنضج، تبقى أذنابها بيضاء فيُسمونها «اق قويرق» وتعريبه ذنب أبيض، وهو أجود هذا النوع وأحسنه. وقد تقطف أوراق هذا الچاي بعد هذا الوقت بأيام قليلة، فيحسب أوان قطفها موسماً ثالثاً له، وبمقتضى تأثير هذا الموسم تسود رؤوس الأوراق. ويستشف من قول بعض الأطباء أيضاً أن اللَّون الأبيض في الچاي هو صُنعي غير طبيعي. وقال آخر : إن الچاي يُصبغ بألوان صنعية. ويُروى أن لكل من الچاي الأخضر والأسود شجرة مخصوصة به، والله اعلم.

الفصل الثامن : في كيفية طبخه

قال بعض الأطباء : من اللاّزم أن يكون الماء المطبوخ به صافياً براقاً، وأن يوضع على النار إلى أن يعلو بخاره، وحينئذ يلقى فيه الچاي لانه لا يتم نضجه ولا تنتشر رائحته ما لم يكن الماء غَّاليا حاراً. وأما إذا كانت حرارة الماء دون الدرجة المطلوبة، فلا يتم نضجه ولا يرجى نفعه. وعلى القائم بطبخ الچاي أن يضع في إبريق الچاي ماء حاراً بضع دقائق كي تنتشر الحرارة به، وكذلك يفعل بالفناجين، ثم بعد ذلك يوضع للإبريق الذي يستوعب مائة وخمسين درهماً من الماء، ثلاثة درهم من الچاي، ثم يملأ الإبريق ماء غالياً ويتركه مدة ثماني دقائق، وبعد ذلك يصبُّه في الفناجين. وأما إذا نقصت مدة طبخه عن ست دقائق فتفقد خاصيته وتضعف قوته، وهكذا إذا زادت المدة عن ثمان دقائق، فقد يكتسب طعمه مرارة ويصبح قابضاً. والچاي النقي الخالي عن الشوائب لا يلزم غسله قبل استعماله، لأن غسل

الچاي قبل الطبخ مما يبعث على زوال رائحته. ومن الواجب أيضاً أن يحفظ الچاي في مكان لا تناله فيه رطوبة ولا يمسه هواء وذلك استبقاء لرائحته.

وقال في **العمدة** : العادة أن لا يرغب الشاي إلا لعطريته ولذته، ولذلك يلزم أن لا يترك في الماء أكثر من دقيقة. وأول كأس يشرب من منقوعه هو الأقبل والأخف والأقل تنبيهاً ومن اللازم أن يُنقل منقوع الشاي الذي بقي الشاي فيه دقيقة أو دقيقتين لإناء ثان يشرب منه حاراً، فحينئذ لا يحتمل كثيراً من القواعد المرة الحريفة القابضة. وأما وضع الماء ثانياً على الشاي فرديء لأنه لا يكون فيه إذ ذاك عطرية، ولا يكون فيه إلا الخلاصة التي تكدر المجموع العصبي، وهذا مثل ما إذا بقي الماء الأول من ثمان دقائق إلى عشرة وأكثر. وينبغي التحرز من أن يلقى أولاً قليل من الماء المغلى على الشاي لأجل غسله قبل أن يصب عليه ماء النقع فإنه رديء أيضاً، لأن هذه الكمية اليسيرة من الماء تأخذ جزءاً من عطر الأوراق. وأما مقدار الشاي للماء فالعادة أن يكون المقدار درهماً لكل رطل من الماء المغلى، فيلقى عليه الماء الأول ويترك بعض لحظات. ويصح أن يوضع عليه ثانياً نصف وزن ذلك الماء من ماء جديد إذا كان النقع الأول لم يطل زمنه. والعادة أن يُضاف لمنقوع الشاي لبن إذا استعمله كغذاء في الصباح وأحياناً على شاي المساء، انتهى.

وذكرت بعض المجلات أن الطريقة الصينية في عمل الشاي أن يضع قليلاً منه في إبريق الشاي ويسكب عليه قدر فنجان من الماء المغلى، ويهزه قليلاً ثم يريق هذا الماء عنه، وأن القصد بذلك أن يغسل الشاي مما يضاف إليه من الأصباغ ومن المواد العفصية التي فيه، ثم يسكب ماء مغلى على أوراق الشاي حسب المعتاد، فيكون الشاي لذيذ الطعم خالياً من العفوصة والأصباغ التي تفسد طعمه.

الفصل التاسع : في خواصه

قال في **العمدة** : اعتبروه مهضماً للغاية مقوياً للمعدة منبهاً، يسبب ثوراناً خفيفاً في التصورات بتأثيره على المخ. ويزيد في القوة الجنونية زيادة وقتية، ويسبب راحة واطمئناناً، ولكن بدرجة أقل وضوحاً مما يحدث من القهوة. وأما بالنظر للاستعمال الطبي فلا يعطى منقوع الشاي إلا لتسهيل الهضم، ويعطى كالدواء المعرق وتلك خاصية فيه، وإن كانت ضعيفة ولوجود خاصية القبض في الشاي اعتبره كثير من المؤلفين دواء قابضاً، فأمروا به في الفيضانات الريحية ونحوها. ومن المؤكد يقيناً أن له تأثيراً واضحاً على الأعصاب لأنه ينبهها حتى يسبب اضطراباً وسهراً ونحو ذلك. وشوهد شفاء وجع القلب به، واعتبروه مانعاً

لتكون الحصاة ومذيباً لها إذا كانت متكونة، ولذا ذكر بعض الأطباء أنه لم يشاهد اصلاً حصاة مثانية في اليابان لكثرة استعمال أهلها له، حتى أنهم يستعملون مسحوقه ويزدردونه بالماء الحار وهو من الأعاجيب. وذكر بعضهم أنه لم يشاهد حصاة ولا نقرساً في المُكثرين من شرب الشاي، ولكن يشاهد عكس ذلك في أوروبا، أي أن المصابين بذلك هنالك كثيرون، فهذا رأي غير مختار. واعتبروه أيضاً دواء جيداً لضعف البصر والوجع العصبي في العين، ثم إن الصينيين يعتبرون له خواص أخر، فيرون أنه دواء عام قلبي للغاية، مقو للمعدة والقلب، مثير للحرارة، مزيل لأوجاع الرأس، مبرئ للاستسقاء والاستهواء والنزلة وأمراض الكبد والطحال والقولنج، ولكن الوثوق بهذا قليل. ثم مع المبالغة في منافعه ذكروا له أخطاراً واضحة. فإذا استعمل بمقدار كبير فإنه يؤثر على الأعصاب، ويثير الدورة، ويزيد في حرارة الجسم، ويسبب سهراً وحركات تشنجية في الأطراف. فهو منبه لا ينبغي الإفراط فيه، فيكون مناسباً للسِّمان والكُسالى الثقيلة أبدانهم، والمقلين من استعمال الرياضة مع الإكثار من استعمال المآكل الدسمة والدُّهنية واللزجة. ويكون مؤذياً للموصوفين بعكس ذلك وبالأمزجة المخالفة لذلك، سيما إذا أكثروا من استعماله. ومن المشاهد في الصين أن المكثرين من الشاي يكونون نحفاء ضعفاء وألوانهم رصاصية وأسنانهم مسودة. وزعم بعضهم أن الإفراط من الشاي ينتهي حاله بإتلاف حساسية الأعصاب. ونسب بعضهم أخطاره لحرارة مائه لأنها تتعب المعدة وغير ذلك، وناقض هذا غيره، ورأى نسبة ذلك للورق نفسه. ونسبوا أيضا لإفراط استعماله رخاوة الصينيين، وقلة تشجعهم، وانتقاع ألوانهم، وترهل لحومهم، اهـ. ملخصاً.

وفي **التذكرة الطبية** [23] أن الشاي بمجرد شربه ينبه المعدة والأمعاء، فتزداد الشهية وتنتظم الحركة الديدانية ولذا يستعمل في عسر الهضم، ومتى امتص أثَّر على المخ فيوقظه، ولذا يستعمل ضد التسمم بالأفيون، وهو لا يناسب المستعدين للدرن الرئوي والعصبيين، إذ يحصل لهم خفقان من استعماله، انتهى.

وقرأت في بعض المجلات العصرية أن الشاي يطهر الدم من مواد مضرة، ويعين على الهضم، ويساعد على تقطيع البلغم في السعال. وفي **رسالة شراب الشاي**، أن من منافعه كونه مزيلاً لعفونة الفم، فيُطيب النكهة، ويذهب السعال، ويقوي الباه، ويدر البول،

(23) لعله كتاب **التذكرة في الطب** لشهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، وهو مؤلف مصري متوفى سنة 1069 / 1659.

ويفتح سدد المثانة، ويشد العصب، ويحلل الأورام، وينفع للخفقان القلبي، ويخرج الرياح التي تتكون بالأحشاء وتمغص فيتألم لها البدن مع ما فيه من المادة المغذية للدم المساعدة لتصفيته. ثم ذكر أن الشاي الأخضر أسمى درجة في المنفعة وأجود تناولاً من الأسود، انتهى. ومع ذلك فهو يولد البواسر كالقهوة، وقد حذر الأطباء منهما للمصاب به. نعم قال بعض الحذاق منهم : لا بأس بشرب الخفيف من الشاي الأحمر. وقدر بعضهم الكأس الواحد من الشاي الأخضر بأربع من الشاي الأحمر.

[القاسمي، ص 3 - 11]

74. هل هناك قضية الشاي بالمغرب ؟

اقتطفنا هذا النص من دراسة نشرها الدكتور رونو (Dr. H.-P.-J. Renaud) في مجلة طبية فرنسية سنة 1928م. وتُقدِّم هذه الدراسة نتائج تحقيق ميداني أنجزته المصالح الطبية بالمغرب بعد أن طرحت الأوساط الطبية بتونس قضية «إدمان الشاي».

إن الحالات المَرضية التي رصدها الأطباء بالمغرب هي حالات نادرة ومعزولة. فهم يشيرون إلى وجود ظاهرة فرط الكلوريدرية، مع أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أن معظم المغاربة يكثرون من استعمال التوابل في تغذيتهم، كما أنهم يفرطون في تناول السكر. ويذكر الأطباء أيضاً وجود ظاهرة الوهن المعروفة، مع ما يرافقها من كسل في العمل وارتخاء في الحركة، إلى جانب ظواهر نفسية مثل الضجَر والإكتئاب. وهذا هو ما يحصل عندما يتخلى المرء عن شرب الشاي، فينقطع آنذاك مفعول التنشيط المعتاد، مثلما يحدث خلال شهر رمضان. لكن ليس هنالك ما يحتمل المقارنة مع الظواهر التي تم رصدها في تونس، إذ لم يعرف المغرب أية ظاهرة تسمُّم فردية أو جماعية تؤثر على السكان من حيث قدرتهم على العمل أو الإنجاب. نجد إشارة واحدة لحوادث عصَبية نتجت عن الإفراط في شرب الشاي، وهي حالة قديمة تعود إلى أكثر من قرن ونصف، وقد أوردها الطبيب الأنجليزي لامبريار في مذكراته التي أشرنا إليها في بداية هذه الدراسة [24]. فهل ينبغي أن

(24) انظُر النص الوارد أعلاه، ص 74.

نعتبر أن الأهالي المغاربة مرّوا بمرحلة أولى من الولوع بهذا المشروب الجديد، وبعد ذلك أصبح شرب الشاي من بين عاداتهم اليومية، فانتقلوا إلى حالة يمكن أن نُطلق عليها عبارة «التثبيت»، حسب التعبير الرائج حالياً؟ لقد كان هذا رأي الراحل م. ديكلو، المدير العام للشؤون الأهلية بالمغرب. ومعلوم أن الشاي حل محل القهوة عند قبائل الجنوب الجزائري منذ حوالي ثلاثين سنة، وذلك بسبب اتصال سكان المنطقة مع القبائل المغربية المجاورة. وفي كلتا المنطقتين لم تسجل ظواهر تشبه ما حدث بولاية تونس. وإذا ما صح هذا الرأي، فإن ذلك يبعث على الأمل في أن تتطور الأحوال في اتجاه التحسن.

وفيما يخص المغرب، فقد أجمع الأطباء على أنه لا ينبغي أن نتخوف في الوقت الحالي من أي خطر جماعي يؤدي إلى انخفاض في طاقة العمل، أويؤثر في نسبة المواليد. فكل إجراء يهدف إلى النقص من استهلاك الشاي عن طريق الزيادة في الضرائب (وقد سبق لهذه الأخيرة أن عرفت زيادة هامة منذ بضع سنوات)، سوف يدفع إلى استعمال مخدرات ذات مفعول أقوى، مثل مشتقات القنب كالكيف والحشيش اللذين يميل المغاربة إلى استهلاكهما، أو الكحول في جميع أشكاله. .قد سمعنا أن بعض مُزارعي الكُروم يُعانون من نقص مبيعاتهم بسبب أزمة فائض الإنتاج، وهم الذين يُزكون حملة معارضة استهلاك الشاي في تونس، كما أنهم يساندون الأعيان التونسيين في دعايتهم، مع أن هؤلاء يسعَون بطبيعة الحال إلى أهداف مخالفة تتصل أساساً بدوافع اجتماعية. ومن المفيد أن أكاديمية الطب، باعتبارها سلطة معنوية، أبدت تحفظاً كبيراً عندما دُعيت للمساهمة في مناقشة هذا الموضوع. وعلى أي حال، لا يوجد في الإمبراطورية الشريفة ما قد يبرر حالياً القيام بإجراءات استثنائية ضد استعمال الشاي. فقضية الشاي إذن غير مطروحة بالمغرب، سواء من زاوية الطب أو من وجهة النظر الاجتماعية.

[مترجم من الفرنسية عن: رونو، **قضية الشاي بالمغرب؟**، ص 700-701]

2. المـــواد المرافقـــة

أ. السكر

المنظور التاريخي

75. السكر والعسل

ينحدر الجغرافي أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 1349/749) من أسرة شامية استقرت بمصر واختصت في تسيير ديوان الإنشاء في عهد دولة المماليك. وقد ترأس بدوره ديوان الإنشاء، وتولى القضاء والإفتاء. والنص التالي مقتطف من كتابه **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** حيث تحدث العمري عن السكر في سياق وصفه لنباتات المغرب الأقصى المسمى عنده ب«برِّ العدوة».

أما قصب السكر [25]، فهو بجزائر بني مزغنّا [26]، وبالسوس وبنواحي مراكش وبسلا كثير، ولولا عدم استقامة أهل السوس وتلك الأطراف وكثرة التوائهم لكان كثيراً جداً، والموجود منه يُعمل منه قند [27]، ويُسبك منه السكر، ولكنه متوسط المقدار. وقد سألت ابن جرار عمّا يعمل بمراكش من السكر، فقال يُعمل منه أنواع، ويخلص منه مكرر يجيء في نهاية البياض والصلابة ولطافة الذوق، يقارب مكرر مصر، إن لم يكن مثله. ولكن نوع

(25) سبق لأبي عبيد الله البكري (ت 1094/487) أن ذكر في معرض وصفه لمنطقة سوس الأقصى: «وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم منه ما يؤذيه ثقله، ويعمل بها السكر كثيراً وقنطار سكرها يُبتاع بمثقالين وأقل. ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد الشرك.» انظر: **المسالك والممالك**، ج. 2، ص 854. وفي القرن الموالي، ذكر الإدريسي في سياق وصفه لنفس المنطقة: «وقصب السكر الذي ليس على قرار الأرض مثله طولاً وعرضاً وحلاوة وكثرة ماء. ويعمل ببلاد السوس من السكر المنسوب إليها ما يعم أكثر الأرض، وهو يساوي السكر السليماني والطبرزد، بل يشف على جميع أنواع السكر في الطيب والصفاء.» انظر: **نزهة المشتاق**، ص 227.

(26) هي التسمية التي كانت تحملها مدينة الجزائر في العصر الوسيط.

(27) حول هذه المادة، انظر أعلاه، الهامش رقم 3.

السكر المعمول بالمغرب غير كثير. قال: ولو أنهم أكثروا من نصب الأقصاب لكثر. قال العقيلي[28]: إن بمراكش أربعين معصرة للسكر أو أزيد، وزادت على سوس، ومزارعه في أرض مراكش بوادي يعرف بوادي نفيس، وأن حمل حمار من القصب يباع بثلاثة دراهم، يكون بدرهم واحد كاملي. فسألته عن السبب المانع لهم عن الاستكثار منه، فقال: لكثرة وجود عسل النحل واعتياد المغاربة لأكله. ووصف العسل عندهم ولذاذة طعمه وكثرة ألوانه. ولقد ساءلت كثيراً من المغاربة حتى ممن أقام بمصر وتمصر عن السكر، فوجدتهم مائلين بالطباع إلى تفضيل العسل في الأكل عليه[29]، واستطابتهم له أكثر من السكر، واستعمالهم للعسل بدلاً منه في أطعمتهم وحلوائهم، وزعموا أن ما يعمل من العسل ألذّ ممّا يُعمل من السكر، وهذا مما لا نسلمه إليهم ولا يدعي هذه الدعوى ذو ذوق سليم ولا نظر مستقيم، ولقد قال لي كثير منهم إنه ما يستعمل السكر عندهم في الغالب إلا المرضى أو الغرباء أو الكبار من الناس في المواسم والضيافات، قالوا: وكذلك الأرز لا يؤكل عندهم إلا في يوم حفل أو دعوة أو مريض أو غريب اعتاد أكل الرِّز في بلاده.

[العمري، ص 126 - 128]

(28) رغم دقة المعطيات الواردة في كتاب العمري، فإن المؤلف لم يزر المغرب، بل اعتمد على روايات رجال التقى بهم بالمشرق، ومن بينهم العالمان أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد العقيلي، وعثمان بن يحيى بن جرار التلمساني. انظر مقدمة المحقق، ص 23.

(29) كتب عبد الملك ابن زهر مؤلفاً يحمل عنوان: **تفضيل العسل على السكر**، وهو مخطوط يوجد بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم 1538.

المنظور الطبي

76. قصب السكر

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت 1350/751) هو من مشاهير علماء الشام. كان تلميذاً لابن تيمية ورفيقاً له في المحنة. وقد تعرض لموضوع قصب السكر في كتابه **الطب النبوي**[30].

جاء في بعض ألفاظ السنة الصحيحة في الحوض ماؤه، أحلى من السكر، ولا أعرف السكر في الحديث إلا في هذا الموضع.

والسكر حادث لم يتكلم فيه متقدمو الأطباء، ولا كانوا يعرفونه، ولا يصفونه في الأشربة، وإنما يعرفون العسل، ويدخلونه في الأدوية، وقصب السكر حار رطب ينفع من السعال، ويجلو الرطوبة والمثانة، وقصبة الرئة، وهو أشد تلييناً من السكر، وفيه معونة على القيء، ويدر البول، ويزيد في الباه. قال عفان بن مسلم الصفار[31] : من مص قصب السكر بعد طعامه، لم يزل يومه أجمع في سرور، انتهى. وهو ينفع من خشونة الصدر والحلق إذا شوي، ويولد رياحاً دفعها بأن يقشر، ويغسل بماء حار. والسكر حار رطب على الأصح، وقيل : بارد. وأجوده : الأبيض الشفاف الطبرزد، وعتيقه ألطف من جديده، وإذا طبخ ونزعت رغوته، سكن العطش والسعال، وهو يضر المعدة التي تتولد فيها الصفراء لاستحالة إليها، ودفع ضرره بماء الليمون أو النارنج، أو الرمان اللفان.

وبعض الناس يفضله على العسل لقلة حرارته ولينه، وهذا تحامل منه على العسل، فإن منافع العسل أضعاف منافع السكر، وقد جعله الله شفاء ودواء، وإداماً وحلاوة، وأين نفع السكر من منافع العسل : من تقوية المعدة، وتليين الطبع، وإحداد البصر، وجلاء ظلمته،

(30) الطب النبوي نوع كتب فيه العديد من المؤلفين، نذكر منهم أبا نعيم أحمد الأصفهاني، وجلال الدين السيوطي، وعبد الملك ابن حبيب.

(31) أبو عثمان عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار (ت 835/220) هو من حفاظ الحديث بالعراق. ويقال إنه أول من عانى من المحنة حول موضوع خلق القرآن في عهد المامون العباسي.

ودفع الخوانيق بالغرغرة به، وإبرائه من الفالج واللقوة، ومن جميع العلل الباردة التي تحدث في جميع البدن من الرطوبات، فيجذبها من قعر البدن، ومن جميع البدن، وحفظ صحته وتسمينه وتسخينه، والزيادة في الباه، والتحليل والجلاء، وفتح أفواه العروق، وتنقية المعى، وإحدار الدود، ومنع التخم وغيره من العفن، والأدم النافع، وموافقة من غلب عليه البلغم والمشايخ وأهل الأمزجة الباردة. وبالجملة: فلا شيء أنفع منه للبدن، وفي العلاج وعجز الأدوية، وحفظ قواها، وتقوية المعدة إلى أضعاف هذه المنافع، فأين للسكر مثل هذه المنافع والخصائص أو قريب منها؟

[ابن قيم الجوزية، ص 355-356]

77. [السكر: صناعته ومنافعه]

داوود بن عمر الأنطاكي (ت 1008 /1529) طبيب شهير، وهو صاحب كتاب **تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب**. ولد بأنطاكية بالشام، وتعلم اللغة اليونانية قصد دراسة أمهات كتب الطب. وتعتبر **التذكرة** مرجعاً هاماً اتبع فيه المؤلف نهج ابن البيطار.

ظن ديسقوريدس[32] أنه [السكر] رطوبات كالمن تسقط على القصب فتجمع وتطبخ، والحال أنه عصارة قصب معلوم ينبت كثيراً بالهند وغالب أعمال فارس وبعض جزيرة قبرص ولكنهم لم يتقنوا عمله، وأولى البلدان به الآن مصر، فإن ماء النيل يجود قصبه ويكون به عظيماً.

وصنعته[33]: أن يُقشر ويُدرَس ويعصر بآلات معروفة، ويطبخ حتى يثخن ويسكب في فخار عظيم كبير واسع مما يلي أعلاه يضيق تدريجياً حتى يكون كفم الشارب، ويترك في هذا مغطى بثجير القصب في محل يميل إلى الحرارة نحو أسبوع، ويسمى هذا بالأحمر ويدعى الآن بالمحيرة. ثم يكسر ويطبخ ثانياً ويكب في أقماع دون الأول ويمص من الرأس الضيق

(32) هو من كبار رجال الطب والصيدلة في عهد الإمبراطورية الرومانية. ولد بالشام وعاصر المسيح. وقد ساهمت أعماله في تأسيس علم الصيدلة انطلاقاً من علم النبات.

(33) حول صناعة السكر، انظر مقال لابارطا «السكر في الأندلس» (بالفرنسية).

حتى يخرج ما فيه من الأوساخ، وهذا هو السليماني، ويسمى رأسه الضيق العنبلة وهي أردؤه وما عداها الطارات وهي أنقى وأجود. ثم يطبخ هذا ثالثاً فإن سُكب في قالب مستطيل ولم يستقص طبخه فهو الفانيذ. وإن استقصي بأن جعل أقماعاً صنوبرية في المعروف بالأيلدج أو مستطيلة على السواء فهو القلم. وإن طبخ هذا رابعاً وكب في قدور الزجاج وقد شبكت بقش أو قصب فهو النبات القزازي، وقد يقع هذا الطبخ الأخير بالشام فيكون جيداً جداً، ويسمى الآن بالحموي، فهذه أقسامه الكائنة منه بحسب الطبخ في نفسه. وأما الطبرزد فهو في المرتبة الثالثة بأن يطبخ بعشره من اللبن الحليب حتى ينعقد، وفي كل مرتبة من المذكورات تسيل عنه رطوبة تسمى القطر ولها حكم أصلها بانحطاط عن الدرجة، وما عدا مصر والشام لا يزيدون في طبخه على المرتبتين ويجعلونه في أواني ويضربونه حتى ينعم فيكون كالدقيق.

وبالجملة فأسود السكر الحديث النقي الخالي عن الحدة والحرافة، وهو حار رطب في الثانية، والسليماني في أولها رطوبة، والطبرزد معتدل مطلقاً، والقلم حار في الأولى يابس في آخر الثانية، والنبات حار في الثانية يابس فيها والحكم ببرده من غلط العامة، والفانيذ حار رطب في الأولى.

والسكر بسائر أنواعه يغذي البدن غذاء جيداً، ويسمن وينعش الأرواح والقوى ويملأ العروق خلطاً جيداً ويشد العظام والعصب ويقوي الكبد ويذهب الأخلاط السوداوية وما يكون عنها كالوسواس والجنون ويسكن القولنج[34] بالماء الحار ويزيل السدد وعسر البول والقبض وما في نواحي السرة شرباً بمثليه من السمن حارين والخشونة بدهن اللوز والنبات السعال المزمن إن طال والخشونة والبحبوحة إذا استحلب في الفم أو شرب بالماء الحار، والفانيذ أوجاع الصدر وذات الرئة والبلغم اللزج، والسليماني الارتعاش والخفقان الحاصلين من فرط الجماع والإنزعاج وشدة الخوف، والحموى يجلو البياض من العين واللحم الزائد ومع اللؤلؤ وخرء الضب السلاق والجرب والغشاوة كحلا مجرب ويعرف عندنا بالقرعى ومتى حكت به الأجفان الغليظة أزال ما فيها من الدم والكدورات ومع الكبريت والقطران والسندروس والنوشادر يزيل القوابي والبهق[35] والبرص والكلف

---

(34) انظر أعلاه، الهامش 12 . وقد سبق لابن سينا أن خصص تأليفاً لهذا المرض.

(35) القوابي جمع قوباء، وهي تسمية أطلقها القدماء على الإلتهابات الجلدية، وهي تتميز بظهور بثور دقيقة. وفيما يخص البهَق، فإن الأطباء يميزون بين البهق الأبيض، وهو عبارة عن «بقع بيض في سطح الجلد رقيقة أقل من الوضح» وبين البهق الأسود، وهو عبارة عن «بقع سود في سطح الجلد غير ناتئة ولا خشنة». انظر محمد العربي الخطابي، م. س.، ص 539.

والآثار طلاء مجرب، وإذا ذر في الجرحات الضيقة وسعها وأكل الحم الزائد وأدمل القروح مجرب، ومطلق السكر يزيل الزكام بخوراً عن تجربة ويوصل الأدوية إلى أعماق البدن لشدة سريانه وجذب القوى له ويشرب على الريق فيحفظ القوى وإدامة استعماله تمنع الهرم، وأهل مصر يزعمون أنه إذا أذيب وترك برهة استحال مرة وهو كلام باطل. والسكر يزيد الدم ويولد المرة الصفراوية خصوصاً إذا شرب على الجوع ويهوّع إن وقع في المعدة الممرورة ويضر بأهل السل والعتيق منه يحرق الدم ويفسد الأخلاط ويصلحه دهن اللوز والحليب وأن يشرب بالحوامض كالليمون وشربته إلى ثلاثين درهماً وبدله في تقوية الباه الترنجبين، بل هو أعظم في النفع من السعال المزمن وفي تسكين القولنج العسل.

[الأنطاكي، ص 194 -195]

ب. النعناع

78. [أصل النعناع]

متى بدأ استعمال النعناع ؟ النص التالي عبارة عن حكاية شفوية مغربية تُروى في قبيلة أيت حديدو بالأطلس الكبير[36] .

ذات يوم، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم جالسين بالقرب من عشب أخضر، فقال لهم : «السلام عليكم». فلم يردوا التحية، فأجاب العشب الأخضر : «وعليكم السلام ورحمة الله يا رسول الله». ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «نصرك الله يا نعناع، وجعلك حاضراً في المجالس الكبرى» [37].

[نص شفوي]

المنظور النباتي

79. من كتاب "حديقة الأزهار" للغساني *(السابق الذكر)*

شرح الماهية : من جنس الأحباق ومن نوع الصعاتر وأصناف الفودنجات، له ورق كورق الصعتر إلا أنه أطول ورقاً منه، وفيها تشريف وعليها حروشة، وقضبانه مربعة رقاق وفيه عطرية معروفة. منابته الجنّات والأماكن الرطبة وقرب المياه. ومن أنواعه : النمام، ولا فرق بينهما إلا في قوة الرائحة، ولذلك سمي بالنمّام[38]، أو شدة الخضرة. وعرق النمام يدب تحت الأرض ويمتد كالدودة، ولذلك سمي بالحبق الدودي.

طبيعته : حار يابس في الثانية، وقيل في الثالثة.

---

(36) أمدنا بهذا النص لحسن غشي مشكوراً.

(37) بالنسبة لأصل النعناع، نجد عند اليونان أسطورة تتناول هذا الموضوع. وقد أورد البطاوري قصة مماثلة تحكي أصل الكسكسو : «قال بعضهم سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم مناماً في قصة مضمنها أن بعض المغاربة رجع من الحج فمرض عند بعض علماء المشارقة مرضاً أشرف منه على الموت، وضجر منه ذلك المشرقي فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وطلب منه أن يدعو الله له بالفرج من شفاء (؟). فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أطعمه الكسكسون ذلك البعض، هكذا نطق به النبي صلى الله عليه وسلم بنون آخرا، هـ .». انظر البطاوري، م.س، ص97 - 99.

(38) النمام : نبتة تنتمي إلى الشفويات ويقال لها أيضاً نمام الملك أو الصعتر البري.

منافعه وخواصه : مقو للمعدة، يسخنها، ويسكن الفواق، هاضم للطعام، مانع من القيء البلغمي والدموي، نافع من اليرقان، يزيد في الباءة، عاقد للبن، مانع من نزف الدم ونفثه ومن عضة الكلْب الكَلِب، نافع من الأورام الباردة والبلغم الشديد الصلابة. وإذا طبخ النمام بخل ومزج بدهنَ الورد ولطخ به الرأس والجبهة نفع من النسيان والصداع. نافع من الديدان وحب القرع، مخرج للجنين والمشيمة، نافع من الحصاة وتقطير البول والمغص، قاتل للقمل.

بدله : فودنج[39]، وبدل النمام مرزنجوش[40]، وقيل البدل بعضها من بعض.

[الغساني، ص 183]

80. من دراسة جورج سالمون

نشر جورج سالمون (Georges Salmon) سنة 1906 بحثاً ميدانياً يحمل عنوان «حول بعض أسماء النباتات بالعربية والأمازيغية»، ومنه اقتطفنا هذه الفقرات التي استعرض فيها المؤلف عدداً من أنواع النعناع المستعملة بالمغرب آنذاك.

النعناع المنقوع في الشاي (يقال «أتاي بالنعناع») هو المشروب المفضل لدى المغاربة، وهم يُميزون بين خمسة أنواع من النعناع :

1. النعناع الكناوي، وتطلق عليه هذه التسمية لأن لون ورقه أدكن من الأنواع الأخرى، وساقه مُحمر، وورقه أملس. وهذا النعناع شديد السخونة، وهو منبه قوي. لذلك لا يُشرب في فصل الصيف. وعندما يُنقع في الحريرة، فهو يُشفي من أمراض المعدة، كما أنه يوضع على الصدغين والجبهة، فيشفي من لفح الشمس.

(39) ورد في كتاب **ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس** لعبد السلام بن محمد العلمي الحسني، في مادة «فوتنج» (ص 103) : «ويقال فودنج يعرف عندنا بفاس بمشيشتر، وعند الأطباء بالضومران وبالضيمران. والتحقيق أن الفوتنج خمسة أنواع : منها جبلي وهو مانته، وبري وهو الصعتر، ومرجي هو أفلاي، ونهري هو امشيشتر، وبستاني هو النعنع. كذا في علم النبات». فهذا النص يُبين صعوبة تحديد موقع النعناع داخل التصنيفات النباتية المتداولة.

(40) هو المرددوش، انظر أدناه، نص 93.

2. النعناع الأحرش، له أوراق كبيرة وحرشاء، وهو يُشرب خلال فصل الصيف.

3. النعناع المريوْتي، له أوراق كبيرة وسيقان طويلة. وهو يشبه مريوتة، أي النعناع البري. وهذا النوع رديء ولا يشرب إلا نادراً.

4. النعناع البلنسي (نسبة إلى مدينة بلنسية ؟)، له أوراق صغيرة ذات عطر قوي.

5. النعناع الفلّيوي (سُميَّ هكذا بسبب شبهه ب«فْلِيُّو»)، له أوراق صغيرة، وسيقان طويلة ورقيقة.

وبالإضافة إلى هذه الأنواع الخمسة، هناك «مْريوتة»، أوالنعناع البري، وهي لاتستعمل قط.

وتُعتبر قوة العطر بمثابة المقياس الذي يُحدد تفوق الأنواع بعضها على بعض.

وبمجرد أن تَسقط الأمطار الأولى في شهر أكتوبر، يُعاد غرس النعناع بطريقة الافتسال، ثم يُجنى بعد مرور حوالي شهر واحد. وتختلف حالة النعناع البلنسي، إذ هو نوع أكثر رهافة، لذلك يغرس مع نهاية أمطار فصل الربيع.

ويبيع ملاّكو النعناع أحواضهم لتجار يقومون بجنيها، وليس لهم الحق سوى فيما يُجنى في المرة الواحدة. وكلما تم جني الأحواض، يقوم «الربّاع» بسقي ما تبقَّى تحْضيراً لمحصول جديد. ويُشكل الحوض الوحدة القياسية التي تُقدر بها قيمة الغلة عند البيع، وطول الحوض الواحد حوالي مترين ونصف، وعرضه حوالي متر ونصف، وثمنه «دُورُو» واحد. ويُباع النعناع بفاس في دكاكين متخصِّصة[41]، حيث يُزين الباعة بضاعتهم المعروضة بورود صغيرة يغرزونها في «ربطات» النعناع. ويسمى هؤلاء الباعة «مْوالينْ الإقامة»، نسبة «للاقامة»، وهي تسمية تطلق على النعناع، إذ يقال في فاس إنهم يستعملون النعناع لجعل الشاي في حالة «قيام»، «باش يْقيموا الأتاي».

[مترجَم من الفرنسية عن : سالمون، ص 54 - 55]

---

(41) قد يشمل هذا التخصص أسواق كاملة، وهذه الظاهرة لا زالت توجد مثلاً بمدينة تزنيت بسوس، وكذا بالدار البيضاء حيث يقع سوق النعناع قرب «كراج علال»، وقد تم تحويله مؤخراً إلى سوق الجملة الجديد. وفي مدينة مراكش، نجد قرب ساحة «جامع الفنا» حوانيت متخصصة في بيع «التْخالْط»، وهي مجموعة من الأعشاب التي تستعمل في عملية تحضير الأتاي، ومن بينها النعناع. فخلال زيارتنا لهذا السوق في صيف 1994، كانت الباقة من «التخالط» تتكون من سبع أعشاب وهي : النعناع العبدي، والنعناع الفلّيوي، واللويزة، والسالمية، والعطرشة، والمرددوش، والبيسم. ومن الواضح أن العدد المذكور لا يشمل كل الأعشاب المستعملة، بل هو يحمل دلالة رمزية معروفة.

استعمالات النعناع

عند ابن زهر

يتتمي أبو مروان عبد الملك ابن زهر (ت 557 /1161) إلى بيت علم أندلسي، وقد كان طبيباً، خدم دولة المرابطين وخدم بعدهم الخليفة الموحدي عبد المومن. وتولى الوزارة في عهد الموحدين.

81. شراب النعنع

حار يابس، يقوي النفس ويذهب بالغم، قوي في ذلك زعموا.

[ابن زهر، **الأغذية**، ص 81]

82. مُربى النعنع

حار يابس، يقوي النفس ويشد القوة، وينفع من التوحش نفعاً بيناً، وكذلك يفعل مُربى الترنجان.

[ابن زهر، **الأغذية**، ص 89]

عند مجهول أندلسي عاصرالدولة الموحدية

83. شراب النعنع

يؤخذ من النعنع وحبق الترنج والحبق القرنفلي من كل واحد قبضة، يطبخ الجميع في غمرها من الماء، حتى تخرج قوتهما، ويضاف صفوها إلى رطل من السكر. الصرة: أوقية من نوار القرنفل، ويطبخ الجميع حتى يأتي في قوم الأشربة. منافعه: من استطلاق البطن الحادث من البلغم، ويقطع القيء البلغمي، ويقوي الكبد والمعدة، ويفرج تفريجاً قوياً، وهو في ذلك عجيب للغاية.

[مجهول أندلسي، ص 240]

84. جوارش النعنع

يؤخذ رطل من النعنع ويدق ويعصر ماؤه، ويضاف إليه رطل من السكر وربع أوقية من المصطكى، ويصنع جوارش. منافعه : يقطع القيء البلغمي، ويشهي الطعام، ويسخن المعدة، وإذا أكل قبل الطعام عقل البطن وهو نافع.

[مجهول أندلسي، ص 252]

عند مؤلف مجهول
من المحتمل أنه عاش بمصر في عصر دولة المالك

85. معجون النعناع

يؤخذ السكر يُحلُّ على النار ولكل نصف مَنّ من السكر مَنّ من العسل، ويخلط عليه ويُغلّى على النار إلى أن يأخذ قوامه ويرمى فيه النعناع مفروكاً، ويُغلّى عليه ويُطفّى بقليل خل ساعة بعد ساعة، إلى أن يأخذ النعناع قوامه، ويُشال عن النار بعد ما ترمي عليه الأفاوه (42).

[**كنز الفوائد**، ص 145]

عند ابن رزين التجيبي

وهو فقيه وأديب وكاتب، ازداد بالأندلس وعاش في مدينة سبتة.
وقد ألف التجيبي كتابه **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان** في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

86. خلّ النعنع

ينقى النعنع الأخضر الرخص ويغسل بماء عذب ويقطع ويوضع في معجنة، ويصب عليه مثل وزنه من الخل الأبيض الطيب، ويترك ساعة ثم يقطر في قادوس التقطير على النار كما يقطر ماء الورد حتى يجف الخل، ثم يصفى ما يقطر منه ويرفع في أواني زجاج، وكذلك عمل خل الترنجان.

[التجيبي، ص 261]

---

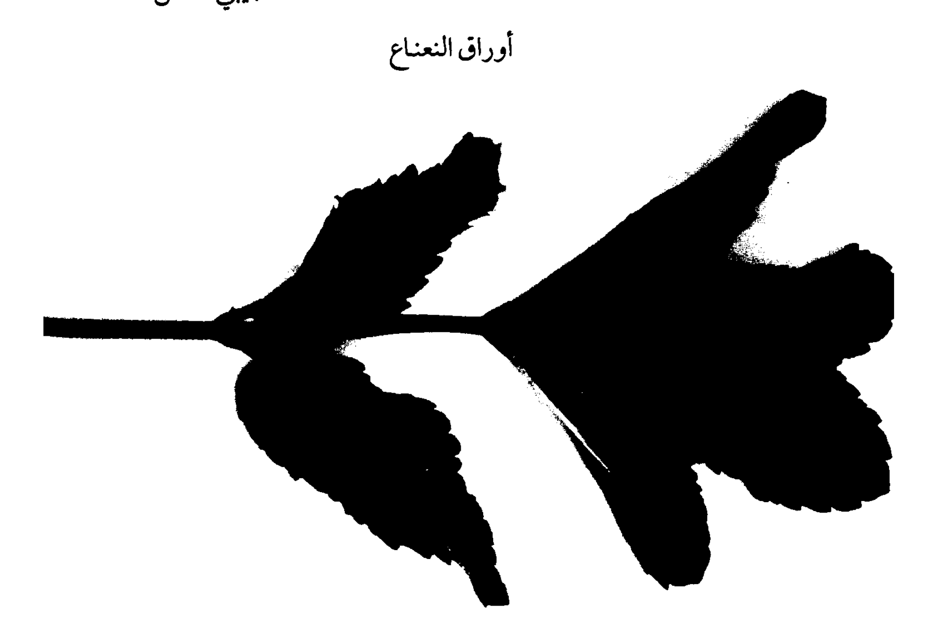
(42) الأفاوه مصطلح ينتمي إلى مجال التوابل. انظر مقال ف. أوبيل سالناف (بالفرنسية) حول استعمال التوابل عند العرب خلال العصر الوسيط.

87. النعنعية

يؤخذ من لحم الكبش الفتي السمين ما يقع عليه الاختيار من أطايبه ويقطع ويغسل وينظف ويجعل في قدر جديدة، ويجعل عليه ملح وزيت وفلفل وكزبرة يابسة وقليل من بصل مقطوع، ويحمل القدر على النار وتجعل على فمها قديرة صغيرة بماء عذب ليسخن بالبخار، وتحرك القدر مرة بعد مرة حتى يخرج ماء اللحم ويريد أن يبيض فيجعل عليه من ماء القديرة المسخن ما يقوم به من مرقة ولا يكثر، ثم يؤخذ النعنع الرخص الطري وينقى ورقه وعيونه ويغسلان من الرمل والتراب المتعلق بهما، ثم يجعلان في قدر نظيفة بماء عذب ويطبخان، فإذا قرب نضجهما فيخرجهما من الماء ويصفى الماء، فمن أراد أن يجعله عوضاً من الماء المسخن برسم المرقة فهو أحسن وأنفع، ثم يؤخذ ورق النعنع المطبوخ ويدرس حتى يصير مثل العجين وتجعل في القدر مع اللحم، ثم يؤخذ شحم ويدرس بعيون الكزبرة الخضراء وعيون النعنع ويجعل في القدر، ويجعل فيها شيء من ماء الكزبرة الخضراء ويترك حتى يطبخ، فإذا طبخت أزيلت النار من تحتها وتركت على الغضا حتى تعتدل وتتجمر ثم تفرغ في غضارة وتؤكل هنيئاً إن شاء الله تعالى.

[التجيبي، ص 108 - 109]

أوراق النعناع



المصدر : مجموعة خاصة.

منافع النعناع

88. عند ابن البيطار

عبد الله بن أحمد (ت 646/ 1248). وهو من كبار علماء النبات والصيدلة. ولد بمالقة ودرس بإشبيلية، ثم هاجر إلى المشرق وأقام بمصر حيث عُيِّن «رئيساً علي سائر العشابين»، ثم استقر بدمشق. وقد أسهب في الحديث عن النعناع في كتابه **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**.

جالينوس في السادسة(43) : واليونانيون يسمون هذا النبات مثنى لأنه طيب الرائحة، وههنا نبات يسمونه مثنى وهو غير طيب الرائحة، وهو الذي يسمونه فالامني وهو فوذنج نهري(44). وهذان نباتان كلاهما حارا المذاق، وقوتهما حارة في الدرجة الثالثة من درجات الأشياء المسخنة، إلا أن النعنع أضعف من الفوذنج البري وأقل إسخاناً منه. وبالجملة فإن النعنع أضعف من الفوذنج البري وأقل إسخاناً منه. والفوذنج البستاني مثل النهري من قبل أن يزرع في البساتين ويشرب الماء، فقد صار فيه بهذا رطوبة، فهو لذلك يحرك الجماع تحريكاً يسيراً، وهو شيء عام مشترك لجميع الأشياء التي فيها فضل رطوبة لم ينضج نضجاً تاماً. ولهذا المزاج من النعنع صار بعض الناس تدقه وتضعه مع دقيق الشعير على الجراحات والدبيلات فينفعها، وهذا شيء لا يقدر الفوذنج النهري أن يفعله لأنه يسخن ويجفف أكثر مما يحتاج إليه ثمره، وفيه مع هذا شيء من المرارة وشيء من العفوصة. فهو بمرارته يقتل الديدان، وبعفوصته يقطع نفث الدم ما دام لم يعتق إذا شرب بالخل الممزوج، وجوهره من اللطافة أكثر من كل النبات.

ديقوريدوس في الثالثة : له قوة قابضة مسخنة مجففة. ولذلك إذا شربت عصارته مع الخل نفعت نفث الدم، ويقتل الدود الطوال، ويحرك شهوة الجماع. وإذا شرب طاقتان أوثلاث بماء الرمان الحامض سكن الفواق والغثي والهيضة. وإذا تضمد به مع السويق حلل

---

(43) جالينوس : طبيب يوناني مشهور(توفي عام 201م). مارس الطب وكان طبيبا خاصا للإمبراطور الروماني ماركوس أورليوس. وقد ترك مؤلفات كثيرة في الطب والصيدلة نقل معظمها إلى اللاتينية والعربية، وهي تعتبر مرجعاً أساسياً للأطباء المسلمين في العصر الوسيط.

(44) حول الفودنج وأنواعه (النهري و البري والبستاني)، انظر أعلاه، هامش 39.

الأورام التي يقال لها أقيوسطيما، وهي الدبيلات. وإذا وضع على الجبهة سكن الصداع، وكذا الثدي الوارمة من تعقد اللبن فيها سكّن ورمها. وإذا تضمد به مع الملح على عضة الكلب نفعها. وإذا خلطت عصارته بماء القراطن سكن وجع الآذان. وإذا احتملته المرأة قبل وقت الجماع منع الحبل. وإذا دلك به اللسان الخشن لين خشونته. إذا دلكت منه طاقتان أو ثلاثة في اللبن حفظه من التجبن. وهو طيب الطعم جيد للمعدة يدخل في التوابل. وقد يكون نعنع غير بستاني على ورقه زغب، وهو أكبر من البستاني، وفي رائحته شيء من الزهومة والكراهية، وهو أقل إصلاحاً في وقت الاستعمال والصحة من الآخر.

الشريف[45]: إذا مضغ نفع من وجع الأضراس وحيا. وإذا وضع على لدغة العقرب نفع من وجعها ونفعها نفعاً عجيباً وسكن ألمها في الحال. وإذا استعط منه صاحب الخنازير الظاهرة في العنق ثلاث مرات بوزن دانق من عصارته مع دهن نفع منه نفعاً بليغاً، وينفع أصحاب البواسير ضماداً بورقه وهو أنجح دواء في ذلك.

التجربتين: إذا درس مع لحم الزبيب ووضع على نفخ الأنثيين أضمرهما وسكن وجعهما. وإذا ضرب مع الخل نفع من إضراره بالعصب وبفم المعدة لإضعافه لعصبها، ويحل نفخ المعدة ويسخنها.

وهو بالجملة دواء موافق للمعدة والأمعاء، ويقويها ويسكن أوجاعها، ويبعث بشهوتها مأكولاً وضماداً، ويسكن الفواق إذا كان من ريح غليظة أو من أخلاط مؤذية لفم المعدة. وإذا خالط الخل كان أنفع في ذلك، ويقطع القيء البلغمي الحادث عن ضعف المعدة. وإذا مضغ مع مصطكى أو عود نفع من الفواق ومن الخفقان. وهو من الأدوية المقوية للقلب. وإذا وضع في أدوية الصدر نفع من أوجاعه والجنبين وسهل النفث. وإذا عجنت بمائه الأضمدة الماسكة للطبيعة قوى فعلها جيداً. وإذا درست أوراقه الغضة مع اللبن نفع من ضرره.

غيره: عصارته مع ميبختج ينفع من عسر الولادة. وإن دق ورقه مع ملح أندراني وخلط بزيت ووضع على كل دمل يخرج في البدن من خلط غليظ أبرأه. وهو مخصوص بالنفع من عضة الكلب، وهو مقو للكبد الباردة وللمعدة مطيب لها، يعين على قوة الهضم ويحرك الجشاء.

---

(45) لعل ابن البيطار يحيل هنا على الشريف الإدريسي، الجغرافي المغربي المعروف، والذي ألف أيضاً في علم النبات والطب. فمن بين أعماله نذكر **الجامع لأشتات النبات والجامع لأشتات المفردات والجامع للأدوية المفردة.**

ابن سينا في الأدوية القلبية : فيه عطرية لطيفة وحرافة وحلاوة، مع مرارة وعفوصة مخلوطة اختلاطاً لذيذاً، وفيه قبض صالح. وكل هذه المعاني ذكرنا مراراً أنها معينة جداً بخاصية في التفريح. وأما مزاجه فيشبه أن تكون حرارته في آخر الأولى، ويشبه أن تكون في أول الثانية.

[ابن البيطار، ص 479 - 481]

89. عند عبد الوهاب أدراق (السابق الذكر)

أَلا هَلْ مِنَ الأَعْشابِ نَبْتٌ يُوافِقُ ... مُوافَقَةَ النَّعْناعِ بَلْ ويُطابِق

فَكَمْ مِن خِصالٍ حازَها وفَوائِدا ... وكَمْ مِن مَزايا لا يَفِي بِها ناطِق

يُسارِعُ بِالتَّسْليمِ عُرْفاً عَلى الّذي ... يَمُرُّ بِهِ في رَوْضِهِ ويُسابِق

فَما العَنْبَرُ الشَّحْري ما المِسْكُ ما الشَّذى ... إذا فُهِنَ طيباً كُلُّها مِنْهُ سارِق

إذا عَبَقَ النَّعْناعُ فاغِن بِهِ ولا ... تُعَرِّجْ عَلى رَوْضٍ خَلا مِنْه عابِق

فَفي طَبْعِهِ حَرٌّ بِآخِرِ أَوَّلٍ ... ويُبْسٌ عَلَيْهِ المُعْتَنون تَوافَقوا

ولَكِنْ بِهِ لِينٌ مِنَ الماءِ عارِضٌ ... تَزيدُ بِهِ أَسْرارُهُ والدَّقائِق

يُؤْنِسُ بِالتَّفْريحِ نَفْساً مُشَوَّقَة ... ويُذْكي حَجاً مَن لِلْمَعارِفِ عاشِق

ويُرْسِلُ مَقولَ الفَتى بِمَقولِه ... ويَفْتَحُ أَبْواباً عَلَيْها مَغالِق

فَخُذْ مِنْهُ قَبْلَ الأَكْلِ نَزْراً وبَعْدَه ... تَرى عَجَباً نِعْمَ العَشيرُ المُوافِق

يَصونُ غَذاءَ المَرْءِ مِن كُلِّ آفَة ... تَخافُ ولَمْ يَطْرُقْهُ بِالسوءِ طارِق

إذا الشَّهْوَتانِ احْتاجَتا لِمُوافِقٍ ... فَلَيْسَ كَما النَّعْناعُ خِدْنٌ مُوافِق

فَفي هَضْمِهِ إنْ عَزَّ هَضْمٌ لِناقِصٍ ... وفي التُّخْمَةِ الشَّنْعاءِ خَيْرُهُ دافِق

وقاطِرُهُ في الكُلِّ مِثْلُ طَبيخِهِ ... بِسُكَّرِ نَبْتٍ فَهْوَ راقٍ ورائِق

ولِلْماءِ إصْلاحٌ بِتَضْميدِهِ عَلى ... وشائِعِهِ إنْ غَيَّرَتْهُ رَيانِق

لَهُ في عِلاجِ الصَّدْرِ سَهْمٌ مُفَوَّق ... وفي خَفَقانِ القَلْبِ سَهْمُهُ بارِق

وفي المَعد اللاتي تَفاقَم ضُعْفُها ... له الرُّتْبَة العُظمى عَلى الغَيْر فائق
وفي الغَشَيان الصَّعْب قَد شاعَ نَفْعُه ... ولِلْقَيء والإسْهال بالفَوْز عائق
ولِلدَّوْخَة الضَّراء بالرَّأس نافع ... كَذاكَ الصُّداع لا تَراهُ يُفارق
وهَلْ لدماغ قَد وَهى مِثْله وهَلْ ... عُيونٌ وَهَتْ عَمّا سِواهُ رَوامق
ويَنْفَع البانا من العقد عنْد ما ... تَكُون حوتُها لِلْغَذاء مَسارق
ويُخْرِجُ ديدانَ البُطون بأسْرها ... ولِلسُّم دفاع ولِلْبَرْء سائق
مُدر البول لِلْحَصاة مُفَتِّتٌ ... مُنَق لأنْواع البَلاغم فارق
وفيه لطَرْد البَرْد بالحَرّ غايَة ... كَذا لِلفَواق جَرَّبَتْه الحَوانق
وفيه لدَفْع الرِّيح نَفْعٌ مُقَرَّرٌ ... إذا بفَضا الأحْشاء بَرْقُه خافق
وفي ألَم القَلْب الضَّعيف بَدَتْ لَنا ... مَنافعُه الجَلا فَسُوقُه نافق
فَمَضْغُه يُشفي السِّن من وَجْع ومن ... بُتور بلثات لَدى الفَتْق راتق
يحمر لَوْنُ المَرْء حَتى كَأنّه ... إذا رُئي قالَ المُبْصرون شَقائق
وقَد جَرَّبَتْه للبَواسر أُسْرَةٌ ... وأرْواحُها فانْزاحَ عَنْها التَّضايق
و لِلنَّكْهَة التَّطْييب عنْد امْتضاغه ... وَناهيكَ مِنْه ما حَوَتْهُ الحَدائق
فَمالي لا أُثْني عَليه وأعْتَني ... بِنَظْم لآليه وفَضْلُهُ سابق

[مذكور في : ابن زيدان، **الإتحاف**، ج 5، ص 405 - 406]

ج. أعشاب ومواد أخرى

90. الشيبة (46)

نقرأ في مادة «أفسنتين» من كتاب **كشف الرموز** للشيخ عبد الرازق بن حمدوش الجزائري (القرن 16/10)(47) :

[**أفسنتين**] يوناني، هو شجرة مريم في الجزائر، وفي فاس شيبة العجوز. وهو مصدع ويصلحه الأنيسون، حار يابس في الأولى. يسهل الخلط الصفراوي، وينقي المعدة، ويفعل أيضاً في السوداء فعلاً عجيباً، وفيه قوة مسخنة، ويدر البول. وإذا شرب من طبيخه عدة أيام ثلاثة أوراق كل يوم، أعاد شهوة الطعام والجماع، وفتح سدد الكبد، ونفع من اليرقان والاستسقاء عن برودة، وليس له فعل في الأورام البلغمية.

بدله جعدة وزنه ونصف، وشربته من اثنين إلى خمسة، ومطبوخاً إلى ثمانية عشر، وفي الاحتمال إلى درهمين. وقال بولس : بدله شيح أرمني. وفي تقوية المعدة وتفتيح السداد، بدله وزنه أسارون ونصف وزنه هليلج أسود.

[ابن حمدوش الجزائري، ص 12 - 13]

91. السالمية

ورد وصفها في مادة « سالمة» من كتاب **حديقة الأزهار** للغساني (السابق الذكر) :

شرح الماهية : من جنس التمنس، وفيها لغات : سلمى وسليمة وسلامة وسلام، وكلها بمعنى واحد ؛ ورقها كورق الضرو شهب بيض في لون الينبوت، وتسمى بالعجمية

---

(46) نقرأ عند الغساني (م.س، ص 11)، أن الشيبة هي «من جنس التمنس. والتمنس هو ما ليس بشجر ولا بقل، وقيل يلحق بالشجر الصغير (. . .)، وعند بعض الأطباء هو صنف من أصناف الشيح الرومي (. . .). ويعرف عند عامة فاس بشيب العجوز، ويغرسه نسوة فاس بأشقاف الجرار والمراجل على سطح الدور». وحول نفس النبات، راجع كذلك الأنطاكي، م. س، ج 1، ص 51 - 52.

(47) عُرف كتاب **كشف الرموز** في البدايةمن خلال مخطوط الجزائر المؤرّخ في 1764 . ونشير إلى أن الباحث ب. ل. لوكلير ترجمه إلى الفرنسية في كتاب صدر بباريس سنة 1874 .

شالبية [48]. مأخوذة ومشتقة من السلامة، لأن العجم تقول للسلامة شالب. واسمها بالعربية الفصيحة الثغامة. (وقد تقدم ذكرها في حرف الهمزة في شرح ماهية أشفاقش).

[الغساني، ص 289]

ونقرأ في مادة «أشفاقش» من نفس الكتاب :

92. أشفاقش

شرح الماهية : هو تَمَنْسٌ يعلو نحو الذراعين يتدوّح كثيراً، وورقه كورق السفرجل أو شبيه بورق الضَّرْو، إلا أنها أعرض وأقصر ولونها أبيض، وتسمى بالعربية الفصيحة **الثّغامة** لبياضها ؛ وبها شبه رأس أبي قحافة والد سيدنا ومولانا أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يوم فتح مكة حين جاء به إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حاسرُ الرأس، ورأسه كالثّغامة، وتسمى بالعجمية : **شامبه** وباليونانية **شَالية** (بتفخيم اللام والباء) وبالعربية : **سالمة والمفصحة** لأنها تفصح لسان من أكلها.

طبيعته : حار يابس في الثانية.

منافعه وخواصه : قاطع للدم، منق للقروح الخبيثة، مُسود للشعر، نافع من الخفقات والأعراض السوداوية والجراحات الطرية إذا ضُمد به، وإذا استُنجي بطبيخ الورق قطع الحكة من فرج الرجال والنساء ؛ مدر للطمث والبول إذا شُرب طبيخ ورقه وأغصانه، يُخرج المشيمة والجنين[49].

[الغساني، ص 41 - 42]

(48) انظر ملحق «الشاي والنباتات العطرية».

(49) المشيمة (أو السُّخد) هي الغشاء الذي يحيط بالجنين قبل الولادة، وتستعمل الكلمة أيضاً بمعنى إحدى طبقات العين نظرا للتشابه الملاحظ بين العضوين.

93. المردوش

ورد وصفه في مادة «مرزنجوش» من كتاب الأنطاكي السالف الذكر :

ويقال مردقوش[50]، وبالكاف في اللغة الفارسية، ومعناه آذان الفأر. ويسمى السرمق، وعبقر.

وهو من الرياحين التي تزرع في البيوت وغيرها، ويفضل النمام في كل أفعاله. دقيق الورق بزهر أبيض إلى الحمرة، يخلف بزراً كالريحان. عطري طيب الرائحة، حار في الثانية، يابس في الأولى.

ينفع من الصداع والشقيقة كيف استعمل، ويحبس الزكام. ومن مزجه بالحناء وطلى به الرأس في الحمام، أذهب سائر أوجاعه مجرب. وطبيخه يحل أوجاع الصدر والربو والسعال وضيق النفس والرياح الغليظة والاستسقاء[51] والطحال. ويفتت الحصى، ويدر البول شربا بالعسل أو السكر، والأورام طلاء والكلف وسُهوكة العرق.

ومن خواصه أنه يحل ورم الأنثيين إذا مزج ببزر البنج طلاء مجرب. وأن دهنه يفتح الصمم، ويذهب الكزاز والرعشة والفالج. وأن دخانه يصلح هواء الوباء، ويطرد الهوام. وهو يضر الكلى وتصلحه الهندبا. وشربته مطبوخاً إلى أوقية، ومن سحيقه إلى مثقالين. وبدله النمام.

[الأنطاكي، ج 1، ص 292 - 293]

94. العنبر

نلتقي مرة أخرى بالمكي البطاوري في كتابه **شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة** حيث يرد الحديث عن مادة العنبر.

ثم قال [الزموري] رحمه الله تعالى :

وإنْ يَكُنْ مُعَنْبَراً فَذاك في ... مَذْهَبِنا المُخْتار خَيْرُ ما اصْطُفي

(50) صنّف بعض علماء النبات المردوش ضمن جنس الأحباق، وصنفه البعض الآخر ضمن جنس الصعاتر.

(51) الاستسقاء مرض تؤدي إلى انتفاخ البدن وترهُّله.

أشار رحمه الله إلى حكم الأتاي المعنبر وذكر أنه أفضل ما اصطفي واختير على المذهب المختار لأن العنبر تكسبه طيباً وحسناً زائداً على طيبه وحسنه. وذلك بيِّنٌ لا يحتاج إلى دليل، وهذا المذهب كما مر هو المختار وهو إضافة العنبر إلى الأتاي. وعليه ذهب من قال :

ومَذْهَبُنا أنْ لا يُضافَ لِغَيْرِه سِوى العَنْبَرُ الشَّحْري فَهو تَمام

وذهب الشيخ حمدون [ابن الحاج] في مقامته على خلاف هذا ونصه.

بعد الكأس المؤخر. وفيه طيب وعنبر. ثم قال : عظمت شأنه بالذي شأنه وخالفت وزانه. بما ظننت أنه زانه. فإني شربته مع الغنى والصعلوك، والمالك والمملوك، ومن مذهب الملوك ومنهاجهم المسلوك، إن المضاف إليه منكر، إلا القدر المحكر، من قالب السكر، فكن ممن تفكر، ولا تكن سالك، في هذه المسالك، على غير مذهب مالك، فيما حكم من ذلك، هـ. لكن جرى العمل بالأول وهو ما للناظم رحمه الله. والعنبر قيل أصله من دابة عظيمة من دواب البحر وقيل غير ذلك، وتسمى هذه الدابة بالعنبر. رأيت في **كشف الغمة** للشعراني[52]، في مبحث الأطعمة عن جابر رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا ثلاثمائة نرصد عبراً لقريش، فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخيط، فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر ودهنا من ودكها. وفي كتاب **ألف باء** لأبي الحجاج البلوي رحمه الله[53]، أن هذه الدابة تسمى بالأوال أيضاً وبه سميت الجزيرة التي تظهر فيها. وذكر أن هذه الدابة في خليج يتصل بأرض الحبشة طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل وليس في البحار أهول منه، وموجه أعمى لا يتكسر ولا يظهر منه زبد كتكسر أمواج البحار، يرتفع موجه ارتفاع الجبال الشواهق ثم ينخفض كأخفض ما يكون من الأودية. ثم قال البلوي : وفيه يكون السمك المعروف بالأوال طول السمكة أربعمائة ذراع إلى الخمسمائة بالذراع العمري. وربما هدأ البحر فيظهر طرف من جناحه كالشراع العظيم ويتنفس في الماء فيذهب الماء في الجو أكثر من غلوة سهم ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه، وقد فتحه فتهوى إلى جوفه جرياً فإذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى الانك فتلصق بأصل آذانها فلا يكون لها منها خلاص حتى تضرب برأسها وتموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم، هـ.

---

(52) هو كتاب في الحديث، عنوانه **كشف الغمة عن جميع الأمة**، ألفه الفقيه الشافعي عبدالوهاب بن أحمد الشعراني (ت 973 / 1565).

(53) أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي (ت 1207 م) هو أديب أندلسي ألف موسوعة أدبية تحمل عنوان **ألف باء.**

وقيل إن العنبر شيء يتكون في قعور البحار تكون أنواع القطر والكماة، فربما بلع منه هذا السمك المتقدم فيقتله فيطفو، وله ناس يرصدونه من الزنج فيطردون فيه الكلاليب ويشقون عن بطنه فيخرجون منه العنبر، هـ .

وهي من أذكى الطيب وأرفعه، أنشد في **المصباح** :

والمِسْكُ والعَنْبَرُ خَيْرُ طِيبِ ... أُخِذَتا بِالثَّمَنِ الرَّغِيبِ

ومما قيل فيها :

رضابك أحْلى منَ السُّكر ... وعرفك أذْكى منَ العَنْبَر
وقَدُّكَ أرْشَقُ منْ بانَة ... تثنت فأزرت عَلى السَّمْهَر
أيا قَمَراً وَجْهُهُ جَنَّةٌ ... ظَمِئتْ إلى ريقِّكَ الكَوْثَر
أرى العقد في ثَغْره مُحْكَماً ... يُرينا الصِّحاحَ منَ الجَوْهَر
وتَكْملَةُ الحُسْن إيضاحُها ... رَوَيْناهُ عَن وَجْهكَ الأزْهَر
ومَنْثورُ دَمْعي غَدا أحْمَرا ... عَلى آس عارضكَ الأخْضَر
وبعْتُ رَشادي بغي الهَوى ... لأجْلِكَ ياطَلْعَةَ المُشْتَري

وما أحسن قول من قال في الكأس المعنبر :

ناولَتْني كأسَ آتاي مُعَنْبَرَة ... صَفْراء فيها انْجَلَتْ للنَّفْس آمالُ
كأنَّها وَجْنَةُ المَعْشوقِ ذا وَجَل ... عَلا بِها عَنْبَرٌ كأنَه خالُ

وإذ وقع ذكر الخال، أفديه بالعم والخال، فلا يكن المقام منه خال، وهو الشامة السوداء، فوق الوجنة البيضاء، من ذلك قول الشاعر :

لَهُ مُقْلَةٌ ازرت ببابل في السَّحر ... وَخالٌ لَهُ فَضلٌ عَلى العَنْبَر الشَّحْر
غَدا كاسِراً قَلْبي المُضاف لِحُبِّه ... وأيُّ مُضافٍ لا يُطالبُ بِالكَسْر

[البطاوري، ص 42 - 45]

95. [«الكِيف» واستعمالاته]

الدكتور ل. رينو (Docteur L. Raynaud) طبيب فرنسي عمل بمدينة الجزائر، وقد زار المغرب في مهمة طبية بطلب من «المجلس الصحي» لمدينة طنجة. فجمع مادة توثيقة هامة وظفها في تأليف كتابه **دراسة في الوقاية والطب بالمغرب**، المنشور سنة 1902م، ومنه اقتطفنا هذه المعطيات.

قليلاً ما يُدخن المغاربة التبغ، لكنهم يُقبلون كثيراً على تدخين الكِيف، فلا تكاد تجد مغربياً واحداً لايتناول الكيف أو لم يسبق له أن تناوله.

يحكي ليون الإفريقي أن الكيف لم يكن معروفاً بالمغرب خلال القرن الخامس عشر، بينما كان استعماله منتشراً آنذاك بتونس. وقد ورد الحديث عن تداول الكيف بالمغرب لأول مرة عند بداية القرن الثامن عشر، في عهد السلطان مولاي علي (1734)، الذي كان، حسب گودار، «مخبولاً خبلاً تاماً» من فرط تناول هذه العُشبة. ويذكر نفس المؤلف أن إدريس، مستشار سيدي محمد، مات سنة 1772 «نتيجة لُمجونه ومبالغته في استهلاك الحشيش».

و قد رأينا سابقاً أن مولاي الحسن حاول أن يقاوم تلك الطريقة التي تعود عليها رعاياه بحثاً عن الانتشاء والتخدير. ويُحكى أنه في يوم من الأيام، رأى العاهل، بواسطة منظار مقرب للمسافة، جندياً يدخن الكيف تحت شجرة، رغم قرار المنع، ظاناً أنه بعيد عن أنظار رؤسائه. فأمر السلطان بإحضاره، وسأله عن السبب الذي دفعه إلى عدم احترام قرار المنع، وأخبره بأنه سوف يُعدم في الحين ليكون عبرة لغيره. فأجابه الجندي :

- يا أمير المومنين، لا تقتلني قبل أن تستمع لكلامي.
- تكلم، ماذا عساك أن تقول لتبرير فعلتك ؟
- ليس قصدي أن أبحث عن عذر، لكن بينما كنت أتجول في البادية، رأيت مشهداً أود أن أخبرك به. لقد سمعت جميع الحيوانات وكل الأشجار والنباتات تُبارك اسم الشريف مولاي الحسن، خليفة النبي وحاكم المغرب، وكلها كانت تتحدث عن عظمة عهده، وتدعو الله أن يرعاه حفظه الله. وكان هناك نبات واحد، وهو عشبة متواضعة لا لَمعان لها، تبدو وكأنها غير راضية على هذا المدح الجماعي : وهذه العشبة هي الحشيش. حينئذ تملّكني الغضب، فعمدت إلى إحراقها.

ابتسم السلطان لهذه المُزحة التي ارتجلها الجندي في لحظة الموت، فعفا عنه.

يُستعمل القنب الهندي في ثلاثة أشكال مختلفة. فهناك «الكيف» وهو مسحوق من الأوراق ممزوج بالتبغ، ويستعمل عن طريق التدخين. وهناك «الحشيش» وهو مسحوق من رؤوس القنب المزهرة، ويستهلك عن طريق الابتلاع. وهناك «المعجون»، وهو في شكل مُربّى.

الكيف. عادة ما تقطع أوراق القنب تقطيعاً دقيقاً، ويضاف إليها التبغ بنسبة ثلث من التبغ وثلثين من القنب. ويدخن هذا المسحوق في غليونات صغيرة [«السبسي»]، لا يتعدى محتواه نفحتين أو ثلاث. ويكفي غليون واحد لتخدير مدخن مبتدئ. ويستهلك بعض المدخنين مقداراً قد يبلغ 15 غراماً من الكيف في اليوم الواحد، دون أن يظهر عليهم أثره. وفي بعض الأحيان يضاف الأفيون إلى الكيف.

الحشيش. تُجفف أوراق القنب ورؤوسه المزهرة بواسطة النار، ويتم تحويلها إلى مسحوق يُبلع بشيء من الماء أو أي سائل آخر. أما الأوراق الكبيرة، فلها مفعول أضعف من مفعول الأزهار والحبوب. ويقال إن الحشيش يقوي الشهية عندما يتم تناوله بمقادير صغيرة [54].

المعجون. تُطبخ الأوراق والحبوب في قليل من الماء، ثم يضاف إلى ذلك مقدار من الزيت أو الزبدة. وينبغي أن يطبخ المزيج فوق النار لمدة ساعتين، ثم يترك ليبرد، فيبقى الماء وبقايا الأوراق في قعر الآنية، بينما تطفو الخلاصة الزيتية أو الشحمية على السطح. وهذه الخلاصة هي التي تُستعمل صافية أو ممزوجة باللوز والجوز والعسل.

يبلغ مقدار المعجون المستعمل عادة شكل حبة كبيرة من الجلبان، لكن المتعودين يبتلعون بسهولة أربع أو خمس كويرات من أجل التوصل إلي حالة التخدير. وهم يرفقون المعجون بالشاي، إذ يقال إن هذا المشروب يساعد على الزيادة في درجة المتعة. ويحضر المعجون أيضاً في أشكال أخرى، لكنها وصفات لايستعمل فيها الحشيش، سوف نتحدث عنها في الفقرة الخاصة بالتوابل.

(54) حول انتشار الحشيش، ذكر الغساني في معرض حديثه عن مادة «شهدانج»: «ويُسمّى ورقها المأكول للإسكار- عند العامة - بالحشيش. وقد عمت البلوى في هذا الزمان الكثير الفواحش والمناكر بكثرة أكله والاشتغال به عند الرجال والنسوان والشباب والصبيان، وفحش ذلك فيهم واتبعوا أهواءهم إلا من عصمه الله». انظر، **حديقة الأزهار** ص 336-337.

يُدخن الكيف أكثر مما يُستهلك المعجون أو الحشيش. إن ثلثي السكان يستهلكون هذا المخدر في جميع أشكاله. وكثيراً ما تتعاطى النساء والإماء المسلمات لهذا النوع من الانتشاء. وتنطبق نفس الملاحظة على اليهود، لكن هذه العادة أقلُّ انتشاراً بين نسائهم.

يوجد بالمغرب عدد كبير من مزارع القنب الهندي، لاسيما بمنطقة سوس ومراكش. ويُزرع هذا النبات لاستخراج الكيف على الأخص، كما أنه يُستورد من الخارج بكميات كبيرة. لانتوفر على إحصائيات استهلاك هذه المادة بمدينة الصويرة، لكن الوكيل القنصلي السيد برودو، أخبرنا أنه في سنة 1899، استهلكت مدينة الجديدة 2700 كلغ من الكيف، ومعلوم أن عدد سكانها يتراوح بين 7000 و8000 نسمة.

بالمقارنة مع المغرب، لايدخن الكيف بالجزائر سوى عدد محدود من السكان، وهم يترددون في المساء على بعض المقاهي، حيث تقوم دوريات الشرطة من حين لآخر بعمليات تمشيط، وكثيراً ما تعتقل هناك مجرمين خطيرين. أما المغاربة فهم يدخنون الكيف في كل وقت، داخل المنزل، وفي الشارع، وحتى أثناء العمل. فالحرَفي يتوقف عن عمله خلال لحظة، ويخرج من محفظته غليونه الصغير، فيملأُه بشيء مَن المسحوق ويشعله، ويأخذ نفحتين أو ثلاث قبل أن يستأنف عمله. وهكذا تُدخن غليونات لا حصر لها.

سوف لن نسهب في ذكر عواقب القنب الهندي، فهي معروفة، وقد وصفها الكثيرون بشكل جيد. ويعرف العرب جيداً أنهم يسلكون بهذه العادة طريقاً تؤدي إلى الموت البطيء والخبل المؤكد. ومع ذلك فهم يستمرون في تسميم أنفسهم، وربما يبحثون في التخدير عن وسيلة تلهيهم عن المصاعب المادية التي يلاقونها في حياتهم.

تحدث بادجيت ميكين عن نبات يسمى «زَرْنخ»، أو «خُبازة اليهودي»، وهو يستعمل كبديل للكيف، ويساعد أيضاً على التخفيف من الاكتئاب الذي يصيب الإنسان عندما يتوقَّف عن تدخينه.

توجد بالمغرب طريقة صوفية تسمى «هدّاوة»[55]، يقضي أعضاؤها حياتهم في سكْر الحشيش، ويبذلون مجهوداً كبيراً في الدعوة إلى استعمال هذه العشبة. ويقول مثل شعبي: «عندما ينقطع الكيف عن وجه الأرض، سوف يجده الناس عند هدّاوة».

---

(55) يبدو أن بلاد فارس سبق أن عرفت طريقة صوفية تعوّد أعضاؤها على استعمال الحشيش في طقوسهم الدينية، ويتعلق الأمر بالطريقة الحيدرية (نسبة إلى مؤسسها حَيْدر).

يعود تنظيم هذه الطائفة إلى زمن بعيد. وقد أسسها ولي يُدعى سيدي هدّي، ويوجد ضريحه بجبل العَلم، في مكان يقع بين مُدن شفشاون وتطوان ووزان. وتعيش هداوة في حالة وسخ وإهمال، ويجولون عبر الأزقة عراة أو شبه عراة، مسلحين برماح، طالبين الصدقة وهم يدخنون الكيف. وتتصف هداوة بكسل بالغ، حيث يعيشَون من عمل الآخرين، ولا يترددون في نهب المارة المنفردين الذين لا يسارعون إلى تلبية رغباتهم. وداخل زاويتهم، يتناولون الكيف في غليون ضخم يتناقلونه من فم إلى آخر، وهم يرتلون أورادهم الرتيبة.

تخصصت هداوة في صنع أنابيب تصلح لغليونات الكيف. ويتعلق الأمر بقصَبات أوسيقان العود الصلب، يزينونها بأشكال خاصة، بواسطة الموسى، ويصبغونها بألوان براقة. إن بعض هذه الأنابيب يمكن اعتبارها تحفاً فنية حقيقية. وقد يرى المرء هداوة منهمكين في هذه الصناعة داخل المقاهي، حيث نجد بعضهم غارقين في نشوة بالغة وهم أمام فناجين الشاي، بينما نجد آخرين أقل تخديراً، يشتغلون في تشذيب العود. وينتشر في داخل المقهى دخان فظ "يدوِّخ" كل من لم يتعود عليه.

تصنع يهود الرباط محارق الغليونات من الطين. وفي منطقة سوس تصنع هذه المحارق من العقيق الأبيض. وهي لا تحوي على العموم سوى ما يكفي لإحراق قدر قليل من نبات الكيف. لكن نجد أيضاً في نفس المنطقة غليونات تشبه مثيلاتها بأوربا من حيث الشكل والحجم. فهي مصنوعة من حديد، وقد زينت بالنحاس أو الفضة. ويستكمل المدخن جهازه بمحفظة صغيرة توضع فيها الأدوات الضرورية لإفراغ المَحرق وتنظيفه. ويفتخر الأهالي بغليونهم، وتكتمل فرحتهم عندما يتوفرون على غليون بالغ الزخرفة والتزيين.

و طريقة هداوة مفتوحة أمام كل وارد، إذ يلجأ إليها كل من سئم صعوبات الحياة. لذلك نجد من بينهم بعض قدماء القواد والتجار وغيرهم ممن اعتزلوا عن العالم بعد ما انقلب حالهم من السعة إلى الخَصاص. ونجد بمدينة الصويرة رجلاً أوربياً انخرط في هذه الطريقة.

[مترجَم من الفرنسية عن : رينو، ص 106 - 109]

الفصل الرابع

شايات وأنغام

96. [شاعر ببلاط السلطان محمد بن عبد الله]

كان حمدون ابن الحاج (السالف الذكر) حاضراً ذات مرة في مجلس السلطان محمد بن عبد الله، فقدم الساقي (واسمه ميمون) الكأس للسلطان الجالس على يسار الشاعر. ويُحكى أن السلطان علق على سبيل الاستطراف: الآن، يقول لك السي حَمْدُون:

«صَددْتَ الكأسَ يا مَيمونُ عنّا وكان الكأسُ مَجْراها اليَمينا»
ولَم تَعمل بحُكم الشَّرع (فيها) كَما جلاَّه خَير المُرسَلينا
رسول الله فيما صحَّ عَنه من أنّه قال ناولْها يَمينا
ويَكْفي في انْزجارك ما سَمعنا عَن الحبْر ابن عَباس مُبينا[1]
من أنّه كان وهوَ صَغير سنّ يَمين رَسول ربّ العالَمينا
وسَيْف الله كان عَلى يَسار وقَد حَضر الشّراب لَه مَعينا
فَناولَه لَه بَعْد ارْتوء وقال حَقيقٌ أنت به يَقينا
وإن تُوثر سواك به فَفَضْل تَنال به ثَواب المُوثرينا
فأقْسَم لَسْت أوثر مَن سوائي بحَظّ منْك بَرّبه يَمينا
وأعْجبُ منك يا مَيْمون إذ لَم يَكُن هَذا ببالك مُسْتَبينا

---

(1) هو عبد الله بن عباس الملقب ب «حبر الأمة» (ت 68/ 687)، ابن عم الرسول. وقد رَوى الكثير من الحديث.

وأنتَ بمجلس يزهو بعلم ... لمولانا أمير المومنينا
محمد بن عبد الله من لم ... يزل يُبدي لنا العلم المتينا
به طلعت شموس مساند في ... أقاصي مغرب للناظرينا
ولم يُعرف لها من قبلُ ذكرٌ ... ولا طرقت بأذن السامعينا
وجامعُه تضمّن ما احتوته ... وجمّعه به جمعاً رصينا
ونصرُ الله وقع في سيوف ... له، فيها حتوف الكافرينا
ويُخزهمُ وينصُركم عليهم ... ويشف صدور قوم مومنينا
أدام الله نصره في ازدياد ... وأجزل له ثواب المحسنينا

[ح . ، ابن الحاج، **الديوان**، ج 2، ص 434 - 436]

97. [مقامة]

ظهر أدب المقامة بالمغرب في القرن السابع الهجري (13 م). وقد اتّسم بالمرونة من حيث تعدد أنواع الخطاب التي تناولها المقاميون. وتميز الإنتاج المغربي بدقة الوصف، خاصة وصف المكان، وهو ما يظهر في المقامة الثامنة لحمدون بن الحاج[2].

أخبر الوضاح بن فتوح، قال : تعاطيت الأسباب، في منادمة الأحباب، وسلوت عن سعاد والرباب، في ارتباطي بذوي الألباب، في مسقط رأسي مدينة فاس، العاطرة الأنفاس، الملهية من حل بها عن تذكر الميلاد، التي لم يخلق مثلها في البلاد. حتى ظفرت بأخلاء، نبلاء أجلاء. ونظمني يوماً وإياهم، حياهم الله وبَيّاهُم، بستان ناظر، يروق الناظر. قد التحم وانتسج، فيه نور البنفسج. وتبرجت الألقاح، وابتسم ثغر الأقاح. واحمرت خدود الورود، وآذنت بوقت الورود. وبهتت عيون النرجس، في حسن نهره المنبجس. وتحلت عرائسه بزبرجد، وعند الطلوع والغروب بعسجد. ألبسها الزهر التيجان، وطوقها الياقوت والمرجان. وضم خصورها بمناطق الورق، وحلى رخص بنانها بخواتم تشرق. وتأنق ساقيها، في سوق سواقيها. فصار من فضة ما ساق، لها خلاخل في الساق. وآخرها انفصل عنه الوصاف، أنه روض لا تكيفه الأوصاف. وإنما هو قطعة من جنة الخلود، حرفوا تسميتها بأبي الجلود[3]. وعندما دخلناه، وحللنا ما حللناه. ومعنا من بحسنه نكتفي، عن وضاح اليَمَن والمكتَفي[4]. ومن نستغني بنغماته، عن إسحاق الموصلي وإنشاداته[5]. وأومأت بالتحية َتلك العرائس، وبعثت لنا مع النسيم بنفائس، واستلب

---

(2) راجع محمد السلمي، **فن المقامة بالمغرب**، رسالة مرقونة، ج 2، ص 221–222.

(3) «بستان أبي الجلود هو «جنان بوجلود»، وهو عبارة عن بقعة جميلة بين فاس المرينية وفاس الإدريسية، أحاطت بها الأشجار والمياه، وامتلك الناس بها الحدائق الغناء. ومنذ السلطان اليزيد، اشتهر «جنان بوجلود» بما بني فيه من قصور على التوالي إلى عهد السلطان عبد الحفيظ.» (هامش محقق المقامة).

(4) المراد هنا الشاعر عبد الرحمان بن إسماعيل بن كلال، الذي لُقب بوضاح اليمن بسبب وسامته. وقد عاش في العصر الأموي، ومدح الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي دبّر اغتياله بسبب علاقته مع زوجته أم البنين. أما المكتفي فهو أبو محمد علي بن المعتضد المكتفي بالله، وهو خليفة عباسي بويع سنة 289 / 902، وتوفي سنة 295 / 908.

(5) إسحاق بن إبراهيم بن النديم الموصلي (ت 850 م) هو من أعلام الغناء في العصر العباسي، كان مقرباً من هارون الرشيد والبرامكة. وإلى جانب الغناء والضرب على العود ترك الموصلي عدداً من المؤلفات في الغناء وميادين أخرى.

خواتم بنانها، من جرى في الجمع بين أفنانها. حتى تضامت واعتنقت، وحلت ما به تمنطقت، وفرح الهزار، بساعة المزار، فشمر الإزار، وغنى من زار. وتسابقت ذوات الأطواق، ذوات طرب وأشواق. فأمسكت العيدان، وغنت بالزيدان، وتارة بنغمة حمدان، أطربت القاصي والداني. قال قائل: يا قوم شملنا سرور اليوم، ما بين عاشق ومعشوق، وشائق ومشوق، وشادن شاد، سحر كل ذي إنشاد، إن أحببتهم زيادة الطرب، فعليكم بأديب العجم والعرب، من هو ألطف من الزهر في ابتسام، شيخنا الضحاك بن بسام. قلنا: والله إنه لنا به، قال: ولكن من لنا به؟ ابعثوا له بكتاب، وعدوه بحسن المثاب، يأتيكم مع السفير، لطمعه في العير والنفير.

قلنا: أجل، وكتبنا له عن عجل:

حَلَلْنا بِرَوْض نَهْرُهُ مُتَدفِّق	مُخَلْخل أشْجار به يَتَرقْرق
وأشْجارُه مثْل العَرائس تَنْجَلي	مُتَوَّجة والجيدُ منها مُطوَّق
وأطيارُه تَشْدو بأطيَب نَغْمة	وأزْهارُه مسْك يَفوحُ ويَعْبَق
وحلّه مَن إذْ يَسْتَبين جَبينُه	تَخالُه بَدْر التَّم أو هُو أشْرَق
بَديعُ جَمال بَيْننا مُتَمايس	تَمايُس غُصْن البان أو هُو أرْشَق
وشاد يُغنِّينا بألْحان مَعْبَد	وكُلٌّ حَديث منه وشْيٌ مُنَمَّق (6)
ولكنَّه لَم يَكْمُل الأُنْس دونَ أن	نَراكَ فأكْمل أُنْسَنا يا مُوَفَّق
نُديرُ كُؤوساً مِن نَبيذ حَديثه	وما مَزْجُها إلاّ سُرورٌ ورَوْنَق

وبعثنا له بمعجل، ووعدناه بمؤجل. فلبى النادي وأم هذا الهادي، حتى طلع علينا محياه السعيد، ونحن نرقبه ارتقاب هلال العيد، فقمنا قيام الخليل، لزائره الجليل.

وقلنا: مرحباً، مرحباً، والحمد لله الذي حبا. فسلم تسليم غطريف، وجلس جلسة ظريف. قال الراوي: فغمزت ساقينا، ونور مآقينا، إن هيء كؤوس أتاي، وما نطقت شفتاي. فقام في الأوان، وقرب الأواني، وتحكم في تنظيفها، وأحكم في تصفيفها. ودعا الموكل بالماء الحميم، وقال: إيت بحميمك يا حميم. فصب قليلاً في البراد، وطرح فيه من

(6) المراد بمعبد معبد بن وهب، من أعلام الغناء بالمدينة المنورة في العصر الأموي.

الأتاي ما أراد. وثنى ما حكر، من قالب السكر. وصب عليه الماء ثانياً، وتربص به متوانياً. فلما جلاه في الكأس أصفر فاقعاً، وقد كان في عنصره أخضر يانعاً، أنشد شيخنا الضحاك فأغرب، ونشط وأطرب :

لا تَعْجَبَنَّ لأتاي إذا انْقَلَبا عَن خُضْرة لاصْفرار مُحْدث طَرَبا
كانَت زُمُرُّدَةً خَضراءَ فانْقَلَبت مِن عِشْقِها لِلَّذي يَصُبُّها ذَهَبا

ثم عاد وحبر، وما دبر :

خَضْراء آتاي اسْتَحال سُنْدُسُها وَرْساً سُروراً لراء ما لَه واق
أأذَنَتْ بِغُروب شهبها فَبَدَتْ صَفْرا أمِ الكيمياء في يَد السَّاقي

وقام الساقي كغصن آس، ومد بكاس، فاستحسن مرآه، وقال إذ رآه :

وقامَ يَسْعى بآتاي يَميسُ بها كأنَّه غُصْن أثْقَلَتْه أثْمار
يَقول إنْ لَم يكُن فيما سُقيتَ به سُكْر فَفي مُقْلَتي يا صاحِ إسْكار
وأوْقَدَتْ في حَشا النُّظار سُكْرَتُها ناراً يُؤَجِّجُها للدَّمْع مِدْرار
بَيْن الزِّناد وبَيْنها مُشارَكَة مِن أجْلِها قيلَ في الأهْداب أشْفار

ثم شرب، وطرب، إلى أن ناولته الكأس المؤخَّر، وفيه طيب وعنبر، فقال وما دبر، وألطف فيما عبَّر :

ناوَلَتني كَأسَ آتاي مُعَنْبَرة صَفْراءَ فيها انْجلَت للنَّفس آمال
كأنَّها وَجْنَة المَعْشوق ذا وَجَلٍ عَلا بِها عَنْبَر كأنَّه خال

ثم قال : عظمت شأنه بالذي شانه، وخالفت وزانه بما ظننت أنه زانه. فإني شربته مع الغني والصعلوك، والمالك والمملوك، ومن مذهب الملوك، ومنهجهم المسلوك، أن المضاف إليه منكر، إلا القدر المحكر، من قالب السكر، فكن ممن تفكر، ولا تكن سالكاً في هذه المسالك، على غير مذهب مالك، فيما حكم من ذلك (. . .). واختير المكبكب الأخضر، قرن الغزالِ في المنظر. ومنه ما لا ينقلب عن الخضرة، ومنه ما يستحيل للصفرة. ومن شرائطه السَّنية، اختيار الأواني السنية، من صينية مربعة، برقوم مرفعة، وبرّاد نصَّعه، من كان صنَعه، وكؤوس مبدعة، على أصناف منوعة. وجرى العمل في الكؤوس، أن تكون

على عدد الرؤوس. واستحسن مدير، ذو وجه منير، ومنشد حلو الفكاهة، ذو صيانة ونزاهة. ورجح أحسن الأمكنة والأوقات، وتقدمه على طيبات الأوقات. ويجب اجتناب ما يرديه، وشكر نعم مبديه، فإنه من الذخائر، التي اذخرت للأواخر. شرابه حرمه الأوائل، مأمون الصداع والغوائل، جالب للسرور، وغير معقب بالشرور.

ثم بعدما أمر ونهى، أنشد وما لها:

إيَّاكَ إيَّاكَ أن تَرتاح للرَّاح ... وادفَع مُدير كُؤوس الرَّاح بالرَّاح
ومِلْ إلى شُرب آتاي تَروقُ بها ... ولَيس يُعْقَب شُربُها بأتْراح
واخْتَرْ مُديراً يُريكَ لَونُ قامَته ... رُمْحاً لتَحْظى بأرْباح وأفْراح
فيها الأماني وشَمْلُ الأنْس مُجْتَمِع ... عَلى أمَان ولا أمانَ في الرَّاح
فيها غَوائل لَم تَكُن تُقاوِمُها ... لَذَّاتُ ما فيه من نَفْع وأفْراح

فقيل له: أليس للراح حمرة معشوق بهر، ولآتاي صفرة عاشق مبتلى بالسهر:

الرَّاحُ في حُمْرَةَ المَعْشوق بانَ وقَدْ ... تَعَشَّقَتْهُ النُّفوسُ مُنْذ أزْمان
وبانَ آتايُ مُصْفَرّاً لَهُ شَبَهٌ ... بعاشِقٍ دَنِفِ الفُؤاد ولْهان

فقال: ما أكثر هوس رأسك، وقل نور نبراسك، هلا حددت النظر لكاسك، المتجلي في لون ناسك، وتذكرت إذ نطقت، وللجدال تمنطقت، أن لآتاي صفرة ذي نسك ظهر، وللراح حمرة متنعم في طيباته مهر:

آتايُ في لَوْن ناسك مُبَشِّرُ مَن ... حَساهُ أنَّه ذو رَوْح ورَيْحان
والرَّاحُ في لَوْن مُتْرَف مُخَوِّفُ مَن ... حَساهُ أنْ يَصْطَلي بحَرّ نيران

فخرس ذلك القائل، وتمنى أن لم يكن بسائل. وكتبنا تلك الفوائد، ودعونا بالموائد، فجيء بمنتخبات الطعام، والحمد لله ذي الإنعام. فطعمنا وشربنا، ونعمنا وطربنا، ورأينا منه العجب العجاب، حتى توارت بالحجاب. وأخذ في توصيتنا بالمحافظة على العهود، وتلا ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾(7). ففهمنا عنه المقصود. ووفيناه بأزيد من

(7) الآية 1 من سورة المائدة (5): ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنوا أوْفوا بالعُقود أُحلَّت لكُم بَهيمة الأنعام إلاَّ ما يُتلى عليكُم غيرَ مُحلِّي الصيد وأنتُم حُرُمٌ إن اللَّه يحكُم ما يُريد﴾.

الموعود. فقال : لا زلتم في صعود، وضدكم في قعود، فلقد ظفرتم بالسعود، لما هزت منكم العود. وقام لوداعنا فودعناه، آخذين عليه العهد أن يجيبنا كلما دعوناه.

[ح. ابن الحاج، **النوافح**، ج 2، ص 330 - 339]

98. [أبيات لمحمد بن عبد الواحد الفاسي]

لم نعثر على ترجمة تعرف بهذا الشاعر. والراجح أن أباه هو عبد الواحد (ت 1213 / 1799)، حفيد الشيخ الشهير عبد القادر بن علي الفاسي، صاحب **الأجوبة الفاسية**[8].

شـــرب الأتاي نعـــمـــة من النعم	فـــيـــه من الراحـــة حظ علمـــا
يكسب شـــاربه أفـــراحـــاً إذا	جـــا أخـضـــر اللون ولما تعـــمـــمـــا
لـه منـافـع جليلـة فـــقـــد	عـــجـــز عن إحـصـائهـا من رسـمـا
ثم شـــروط في الكمـــال فلتـــسل	من كـــان بالشـــرب له قـــد لهـــمـــا
أعظمـــهـــا كـــون المقـــيم يافـــعـــاً	يعلوه في الوجـــه احـــمـــراراً سلمـــا
فـــاجـــعـله ورداً في الصـــبـــاح والمسـا	لا تصـــرفن في غـــيـــره الدراهمـــا
وإن تجيء عن حكمـــه مـــســـتـعـــتـيـا	فـــهـــو حـــلال ذا الحكم أبرمـــا
إيـاك أن تـرى مـــــبـــــدلاً لـه	بالراح فـــانبـــذه ولا تســـفك دمـــا
واذكـــر مـــقـــال ربنا في واذكـــروا	إثمـــهـــمـــا أكـــبـــر من نفـــعـــهـــمـــا

[مذكور في الحمومي، **الرسالة**، ط. ح. ص 6]

(8) حول عبد الواحد الفاسي، انظر محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، ص 332-333.

99. [منظومة الزموري]

عبد السلام بن محمد الزموري (ت 1279 / 1862) أديب من فاس. ترك ديواناً يضم مُعظم شعره. ومنظومته حول الأتاي اكتسبت شهرة كبيرة [9]، لاسيما وأن شرحَها كان موضوع كتاب المكي البطاوري، كما أنها أُدرجت ضمن **المجموع الكبير من المتون، فيما يذكر من الفنون**، وهو كتاب استأنست به أجيال من الطلبة في النظام التعليمي العتيق.

الحَمْدُ لله الذي نعَّمنا ... بكُل مَطْعوم به أطعَم
وكُل مَشْروب لَذيذ أطْيَب ... حُلْو حَلال كالغَمام الطَّيب
مثلَ الأتاي الوَنْدريز مَذْهَبَهْ ... عَلى صَفا صنيَّة مُلْتهَبهْ
تَطايَر الهَمُّ لَديْه وانْشَرحْ ... صَدرُ الذي يَشْربُه من الفَرحْ
فإنْ يكُن مُعْتبَراً فَذاك في ... مَذهبنا المَعْروف خَير ما اصْطُفي
وذا إلى ثَلاثة أو أربَعا ... من الأحبَّة وما زاد ادْفَعا
ما لَم يكُن مغَنِّياً أو مُطرِبَا ... أو ذا مَلاحَة يُرى مُحبَّبَا
فهْوَ الذي يُقيمُه ويُحسنُهْ ... وكُلُّنا من يَده نَستحسنُهْ
وإن يكُن مُنعْنعاً فَذاك لَا ... وحَقِّكُم يَصْلُح إلاَّ للمَلا
أو للذي أُولعَ بالحَنَاوي ... أو اشْتَكى ضُراً فللتَّداوي
خُذْه فدَتْك النَّفسُ من قَبل الطَّعامْ ... أوْ بَعدَه فَما عَلَيْكَ من مَلامْ
إلاّ إذا كانَ الطَّعامُ كُسكُسَا ... فكُل مَن أخَّره فَقد أسَا

(9) يبدو أن هذه القصيدة كُتبت في سجن مصباح بمراكش، وقد اعتقل الزموري هناك بعد مساهمته في الثورة ضد السلطان سليمان. انظر المنوني، **المصادر العربية**، ج 2، ص 134 - 135. ولم نَعثر على النص الأصلي الذي قيل عنه أنه يتضمَّن «كلاماً فاحشاً». انظر المامون الكتاني **هداية الضال**، نص 61 الوارد أعلاه، ص 000.

ووَقْتُه وَقتُ سُرور وانبساطْ — وحَيثما دَعى لشُربه النَّشاطْ
وَقْتَ الصَّباح عندهُم مُستحسنُ — لَكنَّه بَعْد العشاء أحْسنُ
إذ وَقْتُه وقتُ فَراغ البال — ورَاحةُ القَلْب من الأشْغال
والأمْن من كُل ثَقيل يَدخلُ — أو خَبر عَلى النُّفوس يَثْقُلُ
مَع اتِّساع الوَقت للمُنادَمَةْ — ولَذَّة الجُلوس والمُكالَمةْ
وذاك في الصَّباح لا يَتَّفقُ — وهُو من بَعد العشا مُحقَّقُ
أكْرم بذاك الوقْت وقتَ الكُرَمَا — وإنَّما اللَّيْل نَهار النُّدَمَا
تُؤمَن فيه مَع غَلْق الباب — وسَدْل ما يَسْتُر من حجاب
واخْتَر له من الشُّموع الأبْيَضَا — كالسُّن الأفعى إذا تَنَضْنَضَا (10)
عَلى قوام مسْك التَّنْباك — بها يُرى طُول الدَّياج باك
عَلى دُخّان العُود إذ يُحْترقُ — وماء ورد عطرُه يُنْتشَقُ
ولا أرى الأتايَ بالقَنْديل — والزّيت والمَنْخاس والمنْديل
إذ كُل أمْره عَلى النَّظافَةْ — قد انْبَنى شَرْطُه اللَّطافَةْ
لاسيَّما السّاقي الذي يُناولُهُ — كَذلكَ الكاسُ الذي نَسْتعملُهُ
وشُربُه عَلى خَلاء المَعدَهْ — جاز عَلى شَرْط حُضور المائدهْ
تَأخُذ منه لُقمَةً أو لُقمَتَينْ — من قَبل أن تَشرَب منه حَلْقتَينْ
وأخِّرنه مُطلَقاً حَيثُ تَلا — ما كان مالحاً يُرى مُخلَّلا
وشُربُه عَلى الشِّواء والكَباب — يَفتَحُ للصِّحة منه ألفَ باب

[مذكور في **المتون**، ص 574 - 575]

(10) ترد نفس الصورة في قصيدة نايت إخلف، الواردة أدناه، انظر نص 102.

100. [الأتاي بدل الخمر]

تأتي أهمية هذه الأبيات من الموقع الذي يحتله المؤلف وهو الفقيه الشاعر سليمان الحوات السالف الذكر (ت 1231 / 1816).

شَربْنا من الأتاي كُل مُعتق ... شَراباً حَلالاً لا نَبيذاً ولا خَمراَ
عَلى أنّه أحْلَى وأعْذبُ منهُما ... ولا يُذهب العَقل النَّفيسَ به سُكْرَا
فلَو كان في عَصر الرَّشيد أو ابْنه ... لَمَا اكْتَسَبا بالشُّرْب إثْماً ولا وِزْرَا [11]
فَقولوا إلى القاضي ابْن أكْتَمَ إن صَح ... لَبيسَ الذي استَهلكْتَ في شُربه العُمرَا [12]

[مذكور في الكتاني، **هداية الضال**، ص 137]

(11) يريد بالرشيد الخليفة العباسي هارون الرشيد.

(12) أبو محمد يحيى بن أكتم بن محمد التيمي المروزي ثم البغدادي (ت 242 أو 243 / 856 أو 857) هو فقيه ومحدث. تولى القضاء بمدينة البصرة، وعينه المامون العباسي في منصب قاضي القضاة. وقد عُرف بروح الدعابة.

101. [ضد الأتاي]

لم تحتفظ المصادر المغربية سوى بمقاطع نادرة لشعراء عارضوا شرب الشاي[13]، ومن بينها هذان البيتان لشاعر مجهول. وقد أوردهما محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج (ت 1273 / 1857) في استطراد حول الأتاي عند تناوله لقضية القهوة من منظور فقهي.

أرى شُرب الأتاي اليَومْ جُرْحَا ... فَلا تَبْقى إذَن مَعه عَدالَهْ
فَلم يُحرَّمْ ولَم يُكرَه ولَكن ... رَأيْنا كُل ذي سَفَه عَدا لَهْ

[مذكور في م. ط. ابن الحاج، ص 148]

(13) نتوفر على أشعار أخرى في معارضة شرب الأتاي، وهي من بلاد شنكيط، غير أنها تنتمي إلى فترات متأخرة. انظر، على سبيل المثال، المقاطع التي أوردناها أدناه، تحت عنوان «سجال حول الأتاي». انظر نص 105-106.

102. قصيدة الشاي (الأولى)

ابراهيم أو لحسين نايت إخلف شاعر من أيت باعمران بساحل الجنوب الغربي. نظم في مواضيع دينية وغيرها بتاشلحيت. وقد جمعت أشعاره في ديوان مخطوط مؤرخ في عام 1332 / 1903، سُلِّم سنة 1918 للضابط الباحث جوستنار الذي كان مقره آنذاك بتزنيت. وقصيدة الأتاي مؤرخة في عام 1313/ 1893. وهي تُشكِّل نصاً متميزاً جمع بين جمالية مجلس الشاي وبين الوعي بسياق التدخل الاستعماري.

1. الحمد لله، بالحمد انْفرد
2. وباسمه المقدَّم لجلب المَدد
3. عليه أساس كلامي وصَرحُه
4. وأستحضر سيدي احماد أُو موسي ليروق المقال [14]
5. وتتمهَّد به طريقي، ويصِحُّ إقدامي
6. أصيخوا كلٌّ من حضر وخاض في الكلام
7. لُذ بالصَّمت واهجُر القول، فعدوّ الكلام الكلام

8. آنية الشاي كغُرة الشمس، ومُرادي بيان قِصَّتها
9. في نَقاء وزينة ينفرد بها ذو المال العريض

(14) أحمد أُو موسي هو أشهر ولي بمنطقة سوس. ولد ببلاد سملالة، وتقلُّ المعلومات المضبوطة حول حياته، حيث تطغى المناقب والكرامات. ويقال إنه توفي سنة 971 /1563 عن سنٍّ تُجاوز المائة. وتُعقد بضريحه ثلاثة مواسم في السنة. كما أن تبجيل الولي كان منطلقا لتأسيس زاوية اكتسبت نفوذاً جهوياً كبيراً امتد حتى الثلاثينات من القرن الحالي.

10. جديدها يُزري بالقديم، ولَمعانها بادٍ للعيَان
11. أصخِ إليَّ، فالقصد في ساعة السرور
12. أصخ إليَّ، كل الأواني لا شك فانية
13. من تعقَّبه الموت فخلوده في غير هذه الدنيا

14. آنية الشاي كغُرة الشمس، والكؤوس تُزيِّنها
15. كنجوم بنات نعَش، أما الإبريق في طلعته[15]
16. كقبة وسط السماء
17. إنما تروق الآنية لمن تأثَّل وقدر
18. الآنية والإبريق والكأس قوامها بيد الجَواد
19. للشيوخ والقواد والقضاة وحدهم قِوامة الأواني
20. والملك يقدر عليها من كثرة ما يُهدى له
21. أيتها الآنية حُزت حسناً، غير أنك
22. حكرٌ على المالك المُتمول

23. الآنية وكؤوس الفخار الصيني حازت البهاء
24. أما المجمر فوَقود جهنَّم، والسموفر
25. يغلي به الماءُ وله كصفير الصرصار، يقول :
26. «ارتفع الخير من الدنيا إذ رأيْنا الشجر
27. نُشرِبه وهو الذي يُحرقنا»

(15) يقصد هنا «بنات نعش الكبرى»، وهي كوكبة نجوم تسمى كذلك «الدّب الأكبر».

28. وبُخار السموفر من فمه كفم الثعبان
29. يصبُّنا في الإبريق ويجرُّنا إلى المذلَّة
30. يذوب فيه الشاي والسكر
31. ويدخل عليه النعناع كالمِلح فيروق طعْمه
32. يصبُّنا الإبريق في كأس زجاج
33. فيتوق إلى قُربنا كل الناس وتتجه إلينا كل الأنظار
34. فيُحبُّنا الناس كحُبهم الملكَ إذا تجلّى
35. وكحبٍّ الزمن البادي لا يَبلى
36. تَداوكنا السموفر والإبريق والكؤوس والأيدي
37. عبَرْنا من الفَم إلى الأحشاء وفيها وجدت قراري
38. من ذاقنا ولو كان صبياً غُيِّر مزاجه
39. ومن اعتادنا سلبناه وملكناه
40. ثمنُنا غال لا يطمع المُفلس في صحبتنا

41. سكر القالب بِملحفه الأزرق تحمله الجمال
42. و«نخلةُ البسط» مُنعدم، و«الثلج» رائق
43. وأحسن ما يواتيه شاي لندن
44. الفحم منار والسموفر
45. يُعلن الأذان، والإبريق يُقيم الصلاة
46. واصطفَّت الكؤوس، والآنية
47. مُصلًّى، وما قول الفهيم ؟

48. وغايةُ الآنيةِ أن تظهر في نَقاء

49. وكذا الإبريق والكؤوس لابد أن تلْمع
50. تُتناول بأحسن المناديل
51. يُديرها حَسن الوجه ذو اعتدال
52. يتّزر بحايك ويتعمّم ويجمع همّته
53. يُبدي الانشراح ويتجمّل بحلية التواضع
54. يتبارى النُّدامى وفوق كل مُقيم شاي مُقيم
55. ويُخلي المُجيدُ سبيل من هو أجودُ منه
56. فلْيدع البخيل جميلَ الأواني
57. فلا يجوز أن يمسَّ الإبريق ولا الكأس
58. يُعْيِيه القيامُ بلوازم نَقائها، أحرى به أن يدَعها

59. أيها الشريف، أيها التقي، لا تُجمل العَجلة
60. بمن يُدير الأواني، وليحْرص على إجماع الحاضرين
61. فعُربون حبِّهم له
62. من آثرك بالشيء الجميل بذَل اليمين
63. وأظهر الإلحاح
64. والحبَّ والانشراح
65. ومزيدَ التِّرحاب المُنبعث من الأرض والآتي من السماء
66. ومال بك إلى الخِدْر الجميل المريف بالفراش
67. وأسْبل عليك الأمانَ، خيرُ ما يُذكر
68. ومن جافاك لم يُسعِفه القول الأنيق
69. وبادَرك بقول سقيم

70. ونافق يستنْجد السماء

71. ليخدعك، ألا فِرَّ ما أبْعد المَزار !

72. الشاي ذو مواقيت، لا يجمُل جهلُها

73. يُدرك الفهيم قدر الآنية والإدام والسمْن

74. ورغيف البُرِّ وغُرفةً عَزلاء

75. وطيب البُخور الرائق

76. يواتيه نظيف المكان

77. وزرابي وحنابل مفروشة

78. والآنية مَنصوبةٌ فوق الفروش، لا يفْتُك مَغزاها

79. إذا ارْتفقت أناملُه حول الكأس ذاب في الحنان

80. إذا ارْتشفه كان بَرْءاً من علَّة حماه

81. الآنية والإبريق والسموفر في المخدَع الأنيق

82. وإحْضارُ شاي لندن الرفيع في طريف طيبته

83. وسكر «الثلج» كذلك وأنواع النبات العَطِر من الشيبة والنعناع

84. لا مزيد على شُرب كؤوس ثلاث

85. والضَّرب بالعصا لمن تاق للرابعة

86. إنَّما الشُّرب زان بالأدب

87. والشَّبع للإبل في الكلأ

88. والشاي لأهل الذوق والمعاني

89. وفي جلسة الأهل والأحبة والترويح عن النفس

90. ومع أهل العلم والقُرّاء يُستطاب

91. إنَّما أُخرج لمن خَشيَ ربّه واتبع الهُدى

92. ما أرفع مقامَ العلماء إذا قِيسوا بالعَوام

93. وخادمُهم تجِب له الجنَّة

94. ومن عاداهم آل إلى سقَر[16]

95. اعلم أيها القيِّم على صُنع الشاي

96. أن الكأس لا تحتمل الخطأ في المقادير

97. إن زادت أُولاها أو ثانيها أو نقصت بطل عملُك

98. إن شماتَتَك أن يُستبدل بك مُدير آخر

99. أفْرِغ الجهدَ، أما ثالثة الكؤوس

100. لا بأس بها إذا قيل حلَت

101. والقيِّم الماهر لا يتصدَّر إلا أن يرى

102. شاياً رفيعاً في زنبيله

103. وسكراً مِن عيِّنة «الثلج» الحقيق في زنبيل مُقبَّب

104. اسمع نصيحتي، ما تاه مثبوتة :

105. مَن لم يتأثَّل الأموال فليُعرِض عن الشاي

(16) سقر هو اسمٍ واد من سبعة أودية جهنّم، وهي من الأعلى إلى الأسفل : «جَهنّم» ثم «سَقَر» ثم «لَظى» ثم «الحُطَمى» ثم «السَّير» ثم «الجَحيم» ثم «الهاوِيَة». انظر الغزالي، «كتاب ذكر الموت وما بعدها»، في **إحياء علوم الدين**، ج 4، ص 531.

106. وإلا ابتُلِي به فباع فيه الدارَ والأصول
107. وباع الجِنان وتغرَّب وأعدم ودمَّر نفسه بالشهوات
108. فالسكر كالضبُّع والشاي
109. من اتَّبعَه ضاع البئيس
110. آنية الشاي خلاَّبة الجمال
111. ولكنها تُزيِّن مَن تأثّل الأموال

112.اسمع نصيحتي، ما تاء مثبوثة :
113. كل ما جاز وزنُه قَل فضلُه
114. غلا سَوْم السكر والشاي إلى ما لا يُطاق
115. بسَط المُعدم آنية الشُّرب
116. وإبريقَها فأدركه الإفلاس
117. عجبتُ للمُقتِر كيف تعشَّق شُرب الشاي
118. ما أَغْنتَه وهو عديم الحذاء
119. ما له حظ في غير البطالات المُشمِسة
120. ما أغْنتَه وهو الخَلَق الرِّداء
121. عدم الدرهم وتحمَّل الديْن
122. ما يَقضي دَيْناً حتى يَسقُط في ديون
123. إذا لَقيَ الدائنَ ذاق أمامه المذلَّة
124. ينظر فلا يُؤدّي، وتُكتَب عليه مواثيقُ ناكثة
125. يُعاني الخِصام ويُعطي الأيْمان قبل أن يُؤدي
126. أحبَّتي احترق القلب، ما شهوة المُعدم في الشاي ؟
127. ليس مِن الملاّكين ولا مِن ذوي المواشي والأصول

128. عدم حتى شِبْرَ الأرض وغُصنَ شجر

129. لا يَأوي إلى سقْف بل خراب يسكن خراباً

130. أتعبَ نفسه وما هو بقاضٍ ولا شيخ ولا قائد

131. أتعب نفسه وما هو بأمير، ما أطيَش هذا التَّعِس !

132. آنية الشاي والكأس من عمل الصين لا تُجارى

133. تناولُها بالقواعد والمقادير

134. يُناسبها المُتَّئد ضابط هيْئته

135. أما ذو الطَّيْش فلا، والرَّب لا يُحبُّه

136. أضاع القوْم الحبَّ وأذابُوه في الماء

137. أفسد علينا الشايُ عملَ الخير وبدَّل حالَ ذوي المَزايا

138. مَن لم يشرَبه عُدَّ في البطّالين

139. ليس في الأمر شكٌ ولو أقْسمتَ بقدر السمْن والعسل

140. وبغيرها من أطيب النِّعم

141. أجمع أهل الطيْش كلُّهم

142. كل مجلس خلا من الشاي لم يَرُق

143. دخل الفضل في الماء المُغلّى ولا مطْمع بعدُ

144. في الحُب عند جيلنا

145. لا عيْب في طَيِّب الطعام، لكن طيب الشاي قد غلَب

146. اسمع نصيحتي ، فلا تاء مثبوتة :

147. الحُسن والبهاء أيَّتها الآنية صار ذائباً في الماء

148. سخناً كان أو بارداً، فالشاي لا خيَار فيه

149. أنواعُه من الوسط والرَّحمة أطيبُها لذوي التَّمييز

150. فعساك ترُدُّ بقول الحق : الشعير هو الدَّواء

151. وعقَار الجوع لذوي التَّمييز

152. فطيبها يدوم على الجميع

153. ودشيشها المُملَّح لا يتطلَّب غير اليد لتَناوُله

154. لا يدوم الإدام وإنما تدوم الآخرة

155. الشعير كيْلُك المُعوَّلُ عليه، أما الشاي

156. فلأن الرومي يعرف أنك عدوُّه ، فهو يَرجمُك بحِجارة المدافع

157. والشاي بارودُها، وهو يعرف كيف يُسدِّد

158. والعدو يضرب في البطن، وفيه الجِراح القاتِلة

159. مَقاتِلُه القلب والكبِد

160. أرْسَل علينا الرومي باخرتَه وألْبسها الملاحفَ الزرقاء

161. أصابكم الرومي على مهلٍ بقوالب السكر

162. لو كان فيها نفعُه ما وصلَنا

163. أرسل علينا الرومي حجارته

164. فجعلناه في الميزان ومن أصابه هلَك

165. أهل الميزان أضاعوا حق الله والرسول

166. ليس لهم شفيع وما استحقوا النعيم

167. إنَّما قصدي أن أُفهِم ، أما أواني الشاي فأخبارُها

168. يزيدها عدُّها عن نجوم السماء

169. أبتَهلُ للشاعر مات أو كان على قيد الحياة

170. عَفْوُ الرَّب يَلحقُه إن تَوسَّع في الكلام

171. أو بات ولم يُبِن فهو يستحق الغُفران

172. أتيتُ على خبر آنية الشاي

173. وعُذري مُقدَّم لسامعه فلْيَدْعُ لي

174. ليشمَلنا الغُفران ووالديْنا

175. ويشمَل السَّلامُ النبي محمداً وسائر أهْل الإسلام

[مترجَم من الأمازيغية عن النص المذكور في: جوستنار، ص 57 - 61]

103. قصيدة الشاي (الثانية)

هذه قصيدة أخري لابراهيم نايت إخلف، أوردها الباحث الإسباني أنخيل دومينيك- لافوينته في كتابه **حكايات من إفني**. وقد ارتجل الشاعر هذه القصيدة في جلسة شاي حضرها عند أحد أعيان القبيلة.

1. قُلت لفمي أن يبدأ باسم الله
2. فهو أساس الكلام وسنَّة ابتدائه
3. إذ يستهل به النبي محمد إن أخذ في القول

4. أرسل الأمير في طلب جبايته
5. لكن إبريق الشاي استْهلكها ولم يبق له شيئاً
6. أقسم إبريق الشاي أمام قِطع دراهم الريال
7. ألاّ يدعها يوماً تتجمَّع

8. آنية الشاي ! أنت من نصيب الأمير
9. أنت بصُحبة الكأس والإبريق
10. تتأبّين على خلق الأطمار
11. أن يراك وأذن بشرب الشاي

12. قالتْ الآنية : «اجتمع الدّيوان حوْلنا
13. وفاح العنبر والعِطر وتُنُوول الشطرنج»
14. فمن اشْتهى الشاي اشْترى قالب سكر وشرِبه
15. ومن اشْتهى الشاي ابْتنى له الغُرف الرّفيعة

16. مَن لم يمْلك دنانير الذهب الخالص
17. لم يُهيء للهوى أسبابه
18. لأن الريال، ذلك الرومي القاسي القلب، يَعرف كيف يرمي أهدافه
19. ويبْلغ مرامه في بني الإنسان
20. ما أشْهى أنصاف القوالب إن تجمَّعت!

21. قال الإبريق وعليه وشْم مُذهب :
22. «خُذني في غلياني
23. لترى الجمال حول الآنية»

24. الكأس ولا تَشوبها شائبة، تأخذها مكانها
25. تَتناولُها يدٌ عليها سوار لترْتشِفها
26. شاي في كأس زجاج تزيد حلاوته
27. ما أغلى قطَع الذهب الموْزونة!

28. أما أنا فلا أمْلك جِراباً ولا خنْجراً
29. ولا رجاء، لأن حالي التجوال والزَّفَن

30. أيها الملأ، من أكل فالشَّرع ينْتصف منه
31. أما الشاي فقد حرَّم علينا الأكل ظُلماً
32. والحقُّ شُكر الرَّب لأن السرَّ في الأرزاق
33. نعيب الشاي بينْما الشَّرع لم يَعيبَه

[مُترجَم من الأمازيغية عن النص المذكور في : دومنيك لافوينتي، ص 293 -297]

104. قصيدة الشاي

تم تسجيل هذه الأغنية للرايس محمد بن بهي أُومالو بتاشلحيت، في الخمسينات من القرن الحالي [17]. ولم نعثر على معطيات حول هذا المغني الذي ينتمي إلى منطقة سوس. والملاحظ أن هذا النص ينقُلنا إلى سياق عمّ فيه استهلاك الشاي مختلف شرائح المجتمع المغربي.

1. باسم الإله به البدْءُ وحده
2. اسمُك خيرُ ما به أبْدأ

3. أستنجد بك، يا مَن في القُدوم ! عليه أبْليتُ النّعال
4. سيدي احْماد أو موسى، صاحبُ تازروالت، مِن أُسرته قُمت بوَضعه في القيْد

5. الغريب أرْسل صرْخته يستمطِر عَطفَك
6. السَّفينة أطرحتُها للأمْواج
7. فسَفينتي أهلُ العُهود
8. والنَّاكت للعُهود غرَّ رفيقَه

9. قصدي أن أذكُر قصَّة الشاي
10. جرَّبتُ شأنه العجيب، هذا الشاي الهجين
11. ما أصعب الجمْعَ بيْن فرائضه وفرائض الصَّلاة [18]

(17) يبدو أن أول من غنّى هذه القصيدة هو الرايس محمد السّاسْبو الذي عاصر الحاج بلعيد، وقد كان يشرف على فرقة يتراوح عدد أعضائها بين ستة عشر وثمانية عشر، وكان الرايس الساسبو مستقراً بمدينة الدار البيضاء، ويقوم بجولات عبر عدد من المدن المغربية والجزائرية.

(18) نجد نفس الاستعارة في القصيدة التي وردت في كتاب موليبراس. انظر نص 30 أعلاه.

12. شَرْطها رائق البُنيان ومَجالب المسرّات
13. والسيد صاحب الثَّراء والذوْق الحسَن
14. الذي يعرف الاعتدال في المَقادير ، ويُجنِّب الشايَ يدَ الهجين
15. لا يُبالي بصِغار الدراهم وليحْفظ هيْبتَه

16. يُعدُّ الكأسَ لشاي لندن الرفيع ، ولا يَملأُ منها أعلى من ثلاثة أصابيع
17. يطيِّبه نعناع طري
18. الشاي درجات ثلاث ليست سَواء
19. شاي السيد الرفيع ، وشاي مُطلقِ العَوامِّ، وما هو أشبه بالعصائد
20. بَنو زطاط أهل العصائد في الشاي
21. وبنو خمّاش أهل الشاي المُتواضع

22. أيُّها الإبريق المَنْدودة يدُه المُلوَّنة وعليه
23. وضع صاحب الذوق حبَّة نرْد صغيرة
24. فيصنْع فيه شاياً يُمهله ليُريق عُصارتَه
25. فيصبُّه في كؤوس بِلَّوْرٍ أنيقة

26. أيَّتها الكأس البلَّوريَّة المُزيَّنة بالورود جمعتِ البهاء
27. جمعت النَّشوةَ وما أبْهج القلبَ غيرُك
28. إذا تغلَّى الماءُ جاءَ الشاي مُذهلاً عَن العُهود
29. جمعت النشوة وما أبهج القلبَ غيرُك
30. إذا تغلى الماء جاء الشاي مُذهلاً عن العهود
31. فلأنها تُعدِّل المِزاج
32. أملَتْ علينا الكَأسُ شروطها ، ونوعُ الثلج الرائق فريد

33. تنَحَّوْا أيُّها المُدَّعون في الكأس
34. ما لَقوه وما كانت لهم معه صُحبة
35. أهل جزَر ولفْت وقراريط
36. وأوراق سُكر لا تَقوم مقام الحقيقة
37. أدركَتْكَ الضَّعَةُ أيُّها الشاي بالرَّماد والدُّخان
38. لمَّا طمِع فيك المُعدمون
39. يُقيمُكَ في صفحة البعْر ويتَّكيءُ مُنشرحا
40. ويُقيمُكَ في طابَق العزَف ويتَّكيءُ مُنشرحا
41. ويدَّعي أنه شرب الشاي، وإنما أصابَه
42. أخطأ مقاديرَه إذْ أجرى ماء السموفر
43. و كمَس الشاي في خرقة سوداءَ بالية
44. وادَّعى أنه شرِب الشايَ، وقد أخطأ أدبَه
45. إن كسَب الإبريق فهو كالقرْع
46. أعَدَّ قحْفَ قَرْعه للزَّيت، فلمّا نَفِد استْخدمَه للشاي

47. مَن نام ليله ولم يشرِب الشاي
48. ختَم عليه الإله بأن يَكون
49. لصاً شاطراً في خطْف القُفف
50. يَحملها إلى السُّوق ويعمَل البَريح
51. يَحملها إلى الطابية ويعمل جياراً
52. فيعلَم البئس بحقِّ شُرب الشاي
53. فالشاي في الجالوق صُنع مُعدمين
54. غُفرانك ربّي فالسرُّ في قِسمَتك الأرزاق

[مترجَم من الأمازيغية عن : بن بيهي أومالو، أسطوانات بيضافون]

سجال حول الأتاي

قطعتان متعارضتان نظمهما شاعران من شنگيط. الأولى لأبي بكر بن أحمد بابا التّنْدَغي (ت 1337 / 19-1918)، وهو عالم ومدرس، عُرف بتحريمه للشاي، والثانية ردٌّ للعالم زين بن محمذ بن أجمد بن ألفغ المختار المولود بولاية الترارزة سنة 1277 / 61 - 1860، والذي عُرف بموقفه في إباحة الشاي.

105. أبو بكر التندغي

إن الأتايَ شَبيهُ خَمر هَيْئةً ... وضَراوةً والمالُ فيه مُبذَّرُ[19]

ويَكون في الأجْسام داءً مُعضلاً ... يُعْيي الأطباء الذين تَمهَّرُوا

ولأهْله سيمى وغالبُ أمْرهم ... أسْنانُهم من صُفرةَ لا تصفرُ[20]

وإذا تسرك مِن أتاي خِصْلَة ... فَلما يَسوءك مِن أتاي أكْثرُ

106. زين بن ألفغ المختار

قالوا «الأتاي شبيه خمر هيئةً ... وضراوةً والمالُ فيه مبذَّرُ

ويكون في الأجسام داءً مُعضلاً ... يُعيي الأطباء الذين تمهَّروا»

قُلتُ الإمام في الأم ألغى هيئة ... إنْ كان فيها شارب لا يسكر

واللَّحْم فيه ضَراوةٌ ما أوْهَمتْ ... تلْك الضَراوةُ أنَّ لَحْماً يُحْظَرُ

ويَكون في بَرد الشِّتاء وقايَةً ... ولَه فَوائدُ غَيْر ذا لا تُحصرُ

وإذا تَسوءك مِن أتاي خِصْلةٌ ... فَلما يَسرك مِن أتاي أكثَرُ

[مذكور في سيدي المختار، ص 83]

(19) الضراوة تعني الاعتياد بالشيء. وقد وردت نفس الكلمة في نص 60 حول تحريم الأتاي.

(20) يبدو أن هذا القول يتناقض مع المعطيات الطبية الحديثة. انظر الملحق، ص 408.

3. مفاضـــلات(21)

107. [مشاجرة بين السكر والعسل]

هذه قصيدة لمحمد بن العربي الأدوزي ، السابق الذكر (ت 1323/ 1905) . وقد أوردها المختار السوسي في كتابه **المعسول**، ونبَّه إلى أن أبياتاً عديدة أُسقطت من النص الأصلي .

إني رأيتُ سُكراً وعسـلا ... تشاجرا يوماً بصوت قد علا

كل يرى حُجته صوابا ... وقد زرى بخصمه وعابا

فأسهب الخصمان من مقول ... ما أحوج القلم للتسجيل

فقيد المقال للتشعب ... وكثرة الايراد والتصعب

فاحتشد الناس لسَمْع ما يُقال ... بينهما من حُجج قد تُستطال

فحين ما انزَعَج ذاك النادي ... واستمع الناس إلى المُنادي

جاءا إلى القاضي الذي لا يُعطي ... وإنْ يُسم عندهم بالمعطي

فابتَدر العسلُ للكلام ... تَبادُر التجار للحرام

فَقال مَن فُضِّل بالقرءان ... فما له في فَضله من ثان

(21) نشير كذلك إلى «مقامة ذات الدخان والتاي» التي ألّفها ، في مطلع العشرينات من هذا القرن، الموريتاني المختار بن حامدٌ. ويتحدث النص عن التنافس الحاصل بين الشاي والتبغ، من خلال قصة خيالية لامرأتين تاجرتين، «طابة» الأمريكية، و«شاهين» الصينية. جاءت الأولى لتتاجر في إفريقيا ثم قدمت الثانية ونافستها في الميدان. وترافعت التاجرتان لدى القاضي، فاستمع هذا الأخير إلى حجج الخصمين، وحَكم في النهاية بحق كل واحدة منهما في ممارسة نشاطها. وتتميز المقامة على مستوى الشكل، بالتقاطع الذي تعمّده المؤلف بين العربية الفصحى وبين العامية الحسّانية، بحيث هناك باستمرار معنى فصيح يُورّى به ومعنى عامي هو المقصود عند المؤلف، مما يجعل من المقامة نصاً يصعب فهمه على القارئ الذي لا يُتقن كلا اللغتين المُستعملَتين. وقد قام عبد الله بن باكر بتحقيق المقامة ونشرها في مجلة **الوسيط**، الصادرة بنواكشوط، عدد 3، 1989، ص 3 ـ57 . انظر كذلك وصف المقامة في محمد محمود بن سيد المختار، **أدب الشايات في موريتانيا**، أطروحة مرقونة، 89 - 1988، ص 115-118.

قـد شَهـد القـرءان منّي بشـفـا ... ء الناس استـتَـعلى بذاك شَـرفـا
وكُنت مَـحـبـوباً إلى النّبي ... مَـحـبّـة اللّذيذ والشـهي (22)

فـجـاش خـصـمـه وشـمّـر على ... ساعـد ذي غـضب شـحـيـذ صـقـلا
أجـفـل لا يـلوي إلى الوَقـار ... إجـفـال مَـوتور لأخـذ الثـار
فـقـال كـيف تعـتلي بذكـر ... لك من القـرءان يوم الفـخـر؟
وأنـتَ مَـن نَـدريـه ذا ألـوان ... وَصْـف المُـنـافـق الـذلـيـل الـوانـي
هَـل أنـت إلا فُـضـلَـة البُطـون ... قَـيءُ ذُبـاب لاسَـع مَـبـطـون؟
ومن صَـريح وَصـفك الذَّمـيم ... وَعَـيْـبك المشـهـر القَـديم
أن كُـنـت ذا أُم بـلا أب ومَـن ... يُمـيط عنك اليَـوم ذلك الدرَن ؟
أمَن يَكـون في الوَرى لغـيـة ... يَبـرُز للفـخـار في الأنـدية ؟

فَكـرَّ إذ ذلك نَحـوَه الـعَـسل ... مـثل الـهَـزير لفـريسـة نسل
يَقـول مـا لك أيا لَون المَشـيب ... فـاخَـرت بالأسـمـال ذا الثوْب القَـشيب
أأنت يا مَلحـون سكر تَجـتَـري ... على كـمـثْلي شَـرَفـا وتَفْـتـري
ألـم أكُـن حـراً وأنـت بـارد ... وَصْف ثَقـيل عند كُل مـاجـد
بـذمّـة الـكُـفـار تَرضَى أبَـدا ... مَن رَضيَ الـكُـفـر فكُـفـره بَـدا
بذاك أفـصَـح القَـرافي في **الفُروق** ... وإن يَكـن لغَـيـره لَيس يَروق (23)
لَذاك ألبَـسـوك أسـوَد اللِّبـاس ... فـأنت من سُـود الحَـراطين الخـسـاس
تَربَط دائمـا كَـعَـبـد يابق ... حين يَخـون سَـيّـداً أو يَسـرق
وبِـالـظـواهِـر يَـكـون الحُـكـم ... يُخـزى بهـا صـاحـبُـهـا أو يَسـمـو

---

(22) حول هذا الموضوع، انظر نص 61 للمامون الكتاني، الوارد أعلاه، ص 218. وكذا كتاب نينا جميل، **الطعام في الثقافة العربية**، ص 42–45.

(23) حول القرافي، صاحب كتاب **الفروق**، انظر أعلاه، الهامش 27، الفصل الثاني.

وسَيـدي القـاضي الأجَل المُرتَضى يَعـرف ذا وأنه عَـدل رضـا
وبالقَـضـاء يلزم الرِّضـاء منـك وإن ءالَمَك الرمـضـاء

فَـتَـرك السكر شـقـشـاق العَسل ترك كـمى لَم يوثقـه الكَسل
فَـمـال نَحـوه وأدنَى أُصـبُـعـه لوَجـهـه وبتـأن أسْـمَـعـه
ولَيس يَنفع أخـا الخـصـام مـثـل تـأنيـه لَدَى الكَلام
فـقـال يا مـقلوب لسع وهو من أوصـاف أمك إذا لاقت بدن
إن من أسْـمـائك لحن الضـرب فـأنت كُلُّك مَـثـار الكرب
وفـيكَ قـيل السُّم من ذاك العَـسل نَعـوذ بالرحـمَن من كُلّ عَـسل
وبك ثـم الدست حَـتـى هَلَكا مـالك في طـريقـه أُف لَك (24)
ولَيس يشـتـارك في الخَليـة إلاّ الـذي حـاطَت به بَليـة
تبّـا لمَن كـان الدُّخـان يَصـحَـبُـه عند النفـاس ويح من يستـعـذبه
وهَؤُلاء القَـوم شـاهَدونا ولمَـقـال الحَقّ ناهَدونا
إنك فـيـمـا ذكَـر الخَـبـيـر من هو في أضـرارك البَـصـيـر
تُولِّد الصَـفـراء والصُـداعـا لذي الحَـرارَة وذا قَـدْ ذاعـا
وتُفـسـد الدِّمـاغ من مَـحـرور عـوَض مـا تُسـديه للمَـقـرور
إلى سـوى هَذا من أدْواء الجَـسـد أنت لَهـا السـبَب إن مَـسَّـتك يَد
قَـد جـئـتَني مُـفـاخـراً بما ادعَـيْت ولَو صـدقْت في الذي قَـد افـتَـريْت
لَكُنت عند الضـيْف عَني مُـغنيـا وبك كُل طارق مُـسـتَـغنيـا
ها أنا ذا أُعلن فَـضلي الوَحـيـد رَغـمـاً عَلى أنْفك أيهـا العَنيـد
لأنّـني أحْلَى مَـذاقـاً منكا لذاك تَرغَب الضُّـيـوف عَنكا
نَعَم إذا غـبتُ فَـقـد تُنتَـخب مَن يَفـقـد الماء كَـفَـتْـه التـرب

(24) يُشير الشاعر هنا إلى قصة مالك بن الأشتر الذي تآمر عليه من سمَّه وهو في طريقه إلى مصر، وقد عيَّنه علي بن أبي طالب والياً عليها، فقيل: «إن لله جنوداً منها العسل».

أَلَم تَر الأقوام إن رَأوني ... في طَرَب وفَرَح بلوني
فَبينما هُم في سُكوت وانقباض ... عَن الحَديث وانزواء وامتعاض
يَحسبُهم مَن جَهل الأسبابا ... سكرى رحيق أو غدوا غضابا
حَتى إذا ما لَمَحوني من بَعيد ... كأنَّني الهلال في لَيْلة عيد
مَشَت حميا البَشَر في الوُجوه ... لا فَرْق بَين الفدْم والنَّبيه
فانْحَلت العُقَد بَين الألسن ... فأصْبَح العى نَظير الالحن
وَربَّما بَشَّر بي المقْراح ... إذا بهم إلى السُّرور عاجوا
مَن ذا الذي يُنْكر أني السَّفير ... للبشر والفَرَح في يَوْم الحُبور؟

فالْتَفتَ السُّكر لَفْتة إلى ... مَن حَضَروا نديه من المَلا
كأنَّه يُشهدُهم عَلى المَقول ... والصِّدق مَعروف لَدى ذَوي العُقول
فَشهد الكُل لَه بفضْله ... ومَجْده وقَدْره ونُبْله
فَتَبعَتهم أنْعُم قَد حَضَرت ... فَشهرت من فَضْله ما شهرت
كالكَعْك والبَسيس والكَباب ... وغَيْرهن من بَنات الباب
بل إنها خرت على الأذْقان ... تُظهر للسُّكر رَفْع الشان
لكنما الحلواء لَم تسجد لَه ... فَعابَها الكَعْك فَردَّت قَوله
راعَت إخاء العَسل المُصَفى ... لأن ذَوْقها به قَد يلفى
فَجاذَب الكَعْك وغَيْره الكَلام ... مَعَها إلى أن انْتَهوا إلى الخصام
ثُم أتَتْ مُلاكَمات فَالصِّراع ... فَثار شَرّ مُستَطير في اجْتماع
فَشارك الناس الحُضور في الزِّحام ... فَلا تَسَل عَمّا جَرى حين الصدام
ماجوا جَميعُهم بوَسط المَحْفل ... «في لجة امسك فلانا عن فل»
فَهشم الكَعْك مَع الحَلواء ... وكسر السُّكر باعْتداء
فالْتَهموه قَبل بَل قد شَربوا ... واسْتأصَلوا العَسل حين غَضبوا
فأتَتْ الأيْدي عَلى الجَميع ... فالْتَحق التابع بالمَتبوع

فَـــبــــعـــد حين رَجع الـقـــاضي إلى مَـــــجْلســـــه وقَـــــد تَـراجَع المَلا

فَلَـم يَـر الحـــــاكم مَن عَلـيـــــه يَحكُم بالتـــفْـــضـــيل أو إلَيْـــه

فلَم يَجـــد إلا الرِّجـــال الحـــضـــرا فَـــعَـــزر الكُل بِمـــا الـقـــاضي يَرى

«ومن جـــفـــا الـقـــاضي فـــالتـــأديب أولـى وذا الـشـــــاهـد مـطـلـوب» (25)

قَـــــــد أتْـلَف الـظـالـم والمَظْـلـوم وذَهـب الخـــاصـم والمَخْــــصـــوم

ثُـم رَجـــعْـنا والرُّجـــوع أحْـــمـــد عَن مَنْزع طـاب بـه المســــتـطـرد

إن الحـــديث ان بـه الاحـــمـــاض ينعش قلبـــاً حله الاعـــراض

[مذكور في السوسي، **المعسول**، ج 5، ص 195 - 198]

(25) بيت من **تحفة** ابن عاصم الغرناطي، وهو مؤلّف مشهور في الفقه. انظر الهامش 128، الفصل الثاني.

108. [مشاجرة بين المقراج والبراد]

هذا نص شعري لمحمد بن أحمد الإكراري (ت 1358 / 1939)، نسبة لقرية إكرار الواقعة بضواحي تزنيت في سوس. وهو أديب ومؤرخ، ألف كتاب **روضة الأفنان في وفيات الأعيان.** وقد ارتبط بحركة أحمد الهيبة، وتعاطى للتدريس والعدالة والإفتاء.

حَمْداً إلآهي كَكُؤوس الطوْس — من مَشْرق ومَغْرب والطيْس

ثُم صَلاته عَلى مُحمد — عَدَدَ أنفاس لكُل مُقْتد

ويَعدُ فالقَصْد بهَذا الهَذَر — تَنْشيط مُغْتب بشُرب السُّكر

لَم يَخْتلف في حلِّه إثْنان — وإن تَفه فَقُل كَبير الشان

يُزيل ما يَهُم باهْتمام — وَفيه أيْضاً غايَة الإكْرام

إذا أتى النادي طارَت الهُموم — ولا تَقلْ لحاضريه يا نلوم

يَستَبشر الجَليس للجُلاس — ولا تَرى لِلفُحْش مَن يُقاسي

فَكُلهُم عَلى جَمال رَبِّهم — بكلهم لَدى صَفاء رَبّهم

أعْيُنُهم تُحيط بالمُقراج — وكُلهُم بقلبه يُناجي

لَو طار مُقراج لَطار لُبُّه — وخَيَّمت هُمومُه ورَبّه

فَهو إذنْ قبلَتهم في النادي — لا يَسمَعون فيه مَن يُنادي

كَفاك إن أتيْت بالسَّلام — لَذى المَقارج عَن الأنام

ولا تلام من جَميع الناس — بَل كُلُّهم يَقول ذاك راسي

تَراقُب الأضْياف للمُقراج — لا كتَراقُب هلال الراجي

تَراهُم إذا أتاهُم فَجْأة — تَسارَعوا يُغيِّرون الهَيئة

فَبعْضُهم يَنْطق بالشَّهادة — مُعظِّماً ألله ما أفادة

لغَيْر ذاك من سُرور يَشهَده — مَن كان حاضراً لَهم ويَفْقده

مواجهة بين البراد والمقراج



المصدر : تصوير وتركيب فاطمة إيبورك.

حَتى من الصِّبْيان والعَبِيد وخاشع لله والعَتيد
فَيَجب الشُّكْر إلى مُسْديه بدَعْوة من ربِّنا تُرضيه
تَشاجَر المُقراج والبَرّاد وكُلٌّ واحِد به أحْقاد

قال لَه المُقراج إني أصل إن لَم أكُن أتاك حَقاً وَيْل
مَتى ظَهَرت للْورَى تَحمْلَقوا ولِجَوانبي عُيوناً أحْدقوا
ومنْبري أخْطُب فيه للْوَرى والعَوْن قائم لَديَّ بالْوَرى
يَمْسَح عَنِّي كُلّ حين ما يَرى من قَتَم كأنَّني أنْف الوَرى
أنا المُقدَّم أنا الرَّئيس يَفْرَح بي الرَّئيس والمَرْؤوس
أنا المُجرّب سُلوك المطلَع وإن خَطبْتُ جِئتَ بَعْدي تَتْبَع
أنا الّذي سُخِّر لي الَّربوز يَخدُمُني الرِّيح أنا العَزيز
فَثَمَني أكْثَر بالاضْعاف وبَهْجَتي أفْرَح للأضْياف
لاسيما إن كُنتُ مِلْك الناشط يَكون للدَّرَن عَنّي كاشط
كَأنّني في الحَقْل عَيْن الصّائد أو عَيْن جائِع يَرى المَوائد
كأنّني عَلى أثافي المَجْمَر قائد أجْناد أتَوْا للمَحْضَر
فمَجْلسي مُقرَّب للْقامَة عِنْدي الأذان وكَذا الإقامَة

قال لَه البَرّاد لا تُثَرثر أنا المُقسم أنا المُوثر
أنا الإمام والصُّفوف حَوْلي فكُلّ واحد يَنال طَوْلي
حاشايَ أن أحرق جَوْف النار لَها يَتوب مَن يَخاف الباري
فراشي أنْظَف وزيفي أحْرى وريقي يُمْتَصُّ حُلْو بَهْرا
إني أبْيض وأنتَ أحْمَر بَلادَة للاشْتِقاق أجْدَر
وعَسْكَري مُنَظَّف مُؤتَلف يُمَصُّ بالشِّفاه لا يَخْتلف
أنا الذي أقْضي وأحْكُم بِما أُريد لا مُفْتي بَعْدي لَزَما

وكُلُّ مـــا أبْدَيتُـــه بـالحُبّ يلقي وإنْ مـازَجْـتُـه بالعـتب
يَرْضى قَـضـائي عـالم وعـالمَة ولا تَـرى لَـديْهـمـا مُكـالمة
يَدي المُخَـضَّب يُبـاهي الخـاضبَـة أحـسن بنا مَـعـاً لَدى المُخـاطَبَـة
ولـيَ تـاجٌ لـلـمُـلـوك فَـوْقـي كـأنّه عـرف الدُّيوك البُلْق

قـال لـه المُقـراج أمَّـا المَدَ منّي أتاك دائمـاً لا تَجْـحَـد
إن من الإنْـصـاف أن تُقـرا بالفَـضْل للمُـسْـدي وأن تبـرّا
لأنَّك المُحْـتـاج بي لا أنّي وإن تَفـضَّلتَ فَـمـا أكني
إلى فُـضـولي دائمـاً تُحَـمْلق وإن مَنَعـتُـه فَـفـوك يُغلَق

قـال له البَـرّاد أمّـا الصَّـدْق فـإن تَحـد عَنه يُصـبْك الرّنق
ألَـيْس أنّك خَـديمي في المَلا تَجيء سـاجـداً إليّ بالـولا
تَـنْزل عَن مـنْبـرك السـنـي لمَجْلسي المُرونَق البَـهـي
بأمـري تـأتـنـي بأمـري تَرجع لخدْمَـتي قَـسـراً ورَغـمـاً تُسْـرع
بي يُرى الطحن وفيك جَـعْـجَـعَـة أنا المُكْرم بضَـيْـق وسَـعـة
غـايَة مـا يُراد فيك الخـدْمَة لجـانبي فـافْـهَم وقيت السـخـمـة
فـأنتَ والعَـوْن إذن سـيـان فـشـمـر الذيول بالعـيـان
مَنْطقـة لَك تُريك صـدقي وإن أتيْتَ مـائلاً للشـدق
فـشـاهد الحـال هُو المُعـوّل ومـا أتى من مـوهم مُـؤوّل
وشَـرَطوا أيْضـاً لمَن لَمَـسَني نَظافَـة ولبـسـة المُلف السني
وأن يَكـون سَـيّـد الأقـوام حُـراً سَـخـيّـا أبيـا للدام
حُـلـو الـفُـكـاهَـة لَطـيـف المَـنْـزع أسْـمى الأعـزة بكُل مَـجْـمَع
يَفـوح منه الكُست والمسْك الذّكي ونَسَـبـاً عَـدّوه كـالإسْم الزّكي
وشَـرَطوا له بَيـاض الجـسـم إذ ضِـدُّه قـالوا قَليل الحَـشم

والقَــوْلة الجــامــعــة الصّــحــيــحــة — مــــا قــــالَه الكامل ذو القَـــريحَـــة
وإن كـــان لابُدَّ لـه مِن اشْـــتِـــغـــال — فلْيكنس الزبل لِخَـــيْل ويغـــال

فـــأرْعَـــد المُقـــراج ثُم أبرَقـــا — وأخـــوكَ العُـــيـــون ثُم اغْـــرَورقـــا
وقــــال نـاديـاً بأعْـلى صَـــوْتـه — وزَمَّ مُـــغْـــجـــبـــاً بأرْنَبـــتـــه
تَسْـــمـع يا مَن لاق للسَّـــمـــاع — إني دَعَـــوت قُـــدْوة الرَّعـــاع
للسَّـــيـــد الطاهِر قـــاضي الظَّرف — نسلم الخـــاطر من ذا الحَـــيْف
أغْني بـه سُـــلالَة الأخْـــيـــار — مَـن بَـزَّ فـي المَيْـــدان ذي الأخـطار
مَـــقـــرُّه فـي إفْـــرَن بِتِنْكرْت — مَـــحلّ مـــاء ومَكان تقّـــرْت [26]
يَـحْـكُـم لـلـه لَـنـا لـكـبــــرنـا — أُجْـــرتُه جَـــرادَة تُهْـــدى لَنا
أُثيب بالغُـــفْـــران يَوْم المفـــزِع — ومَن يَضَـــعـــه اليَـــوْم لا تَرتَفِع
مــــا اسْـــتَنّت الأقْـــلام والكَلام — يُهْـــدى لَه الغَـــرام والسّـــلام
عَـــقّـــده بالنّظْم ذو الأزاري — مُـــحـــمّـــد بن أحْـــمـــد الإكْـــراري
مُـــســـتَـــمْطراً مِن ناظِريه دَعْـــوة — يَجيء بالغُـــفْـــران يَوْم النَّجْـــوة

[مذكور في الشرادي، ص 46 - 48]

(26) تنكرت هي قرية بإفران الأطلس الصغير. و«تقِّرت» تعني حرفيا بتاشلحيت ركلة الحمار أو الفرس. وتستعمل هذه الكلمة أيضاً بمعنى الدراسة والعلم.

109. [القهوة والأتاي يحتكمان أمام السكر]

نص مجهول المؤلف، أورده الباحث إدريس كرم في الدراسة التي خصصها للأدب الشعبي بمنطقة الغرب الواقعة شمال غرب المغرب (27).

اسْمْعوا لْهاذ الدّغْوا، قْصّة هاذ النّشْوا
أتايْ مْع القَهْوا، تْخاصْموا وشْكاوْ غْلِيًّ

* * *

القَهْوا كالت لأتايْ، انْتَ رَجْلْ رْزّاي
فْهرْت كاعْ الشّراي، غْشرْتك خْطِيّا
ارْبَعا د الرْيال الكرامْ، والشّرْبا فيكْ حْرام
ضْعّفت القْلوبْ عَلْ الطْعامْ وما فيكْ مْزيّا
نعُودْ دِيمَا مْحيُوز، عَلْ البْريقْ والرّابوز
والمجيمْر مْقفُوزْ، مْن الصّباحْ تّى لْلغْشيا
أنا اصْحابي عَنْدي جَاوْ، نْطلْقوا فِيَّ وْذْوَاوْ
بَاعُوا فِيَّ وْشْراوْ، ف سْواقْ الغْرويا
كُلهُم عادُوا تجّار، نْمْشيوْ عَنْدْ السّكارْ
هُو يَعْطي الخْبارْ، يْفرْقو عْليكْ وعْليّ

* * *

(27) لازال المسنون في بعض الحواضر يرددون قطعاً تتصل بموضوع المفاضلة بين هاتين المادتين. وقد أمدتنا الشريفة الصنهاجي مشكورة بنموذج من مكناس.

القالب بْدا تايْحكْم، القَهْوا بْقاتْ تْخَمّم

اذوي يا كْحَلَةْ الفم، اسْمْعي واصْغايْ لِيَّ

أتايْ هُوَ غْشيري، وْانت آشْ جِيت دِّيري

يا الكْحْلا شُوفي مْنْ غِيري، ضْرْكي سيفْتْك عليَّ

سِيدي هُوَ أتايْ، اللّي ربّح البيّاعْ وْالشّرّايْ

وانْت كا تْلايْ، ياخايْبة السّمّيّا

انْت فيكْ شي دَعْوا، باشْ سْمّاوْكْ القهْوا

كا تْعَلّمي ابْنادم الخْوا، ف كُرْسي مْن الصّباحْ تّى لْلعْشيا

أَوْدّي يا كْحَلَةْ الرّاسْ، ما لْهُم ما يْدّيوكْ لْلعْراسْ؟

كا يْعَرْفوكْ تْوَسّخي الكاسْ، ها العارْ لْما بْسّعي مْنّي

[مذكور في كرم، ملحق، ص 442]

110. خصام بين القهوة والشاي

تم تدوين هذه القصيدة سنة 1980م بدوار أولاد كثير، بمنطقة الغرب. والنص مجهول المؤلف، إلا أن هناك إشارة في آخره تنسُب «الكْلام» إلى «مول النخالة».

انْقَدّم لكُمْ أتايْ، تْخاصَمْ مْعَ القَهوا، وما نْفْعَتو خْصُوما

* * *

قالت لُو : أنا كْحلة القَمْقوما، اسْنات عْليّ الحُكوما

يْشْرْبوني الناسْ مْعَ الصّباحْ، وتاتْقَيّل شْبْعانا مْكْهوما

وْإذا جا الضّيفْ، كانْستْر الخْشُوما

ماشي بْحالكْ أنتَ، خْريْمل مْعلّق ف الرّدُوما

* * *

قال لْها : أنا أتايْ وأتاي بْليا

والناسْ كُلْها مْصَدّقا فيّ

يْشْرْبوني ف الصباحْ، ويْشْرْبوني ف العْشيا

وأنا جيتْ مْلكْكْ ف البَكْيّا

عْندي ارْبعَا د النّجُوم والكْتابا عَرْبيا

واسْناتْ عْليّ الدّوْلا الوَطْنيا

ماشي بْحالك أ القَهْوا، أنْت كْحْلا مْقليّا

كاتْبانى بْحالْ البْريُو ديال القْنيا

* * *

قالت لُو : أنا القَهْوا، كْحلة السّيفا

كـــا يْشـــرْبني القـــايْد، وكـــا يْشـــرْبني الخْليـــفـــا
واللّي مـــا شـــافْني شـــايْ، دايْز عْليـــه اخْـــســـيـــفَـــا

* * *

قــــــالْ لْهـــــــا : أنـا أتـايْ، وأتـايْ الحــــــــارّ
وجـــــيتْ مْلكّكْ ف البَكيـــــا ذْيالْ الخْنجــــار
ودايْـرينْ لـي الخْـــــــــــوانْــت ف كُـلّ دُوّار
ودايْـرينْ لـي الـكيـــــــــــانْ ذْيـال الـبْـلّار
مــاشي بْحــالك أ القَـــهْـــوا كْـــحـــلا كـــيفْ الغْـــبــار
واللّي شْـــرْبك كـــا يْنعَسْ ف السّـــبـــيطار

* * *

قـــالْت : أنا القَـــهـــوا أصْلي خْـــبـــوب
واللّهْ إلا كْــــحــــلا مــــا فيّ كْــــدوب
البْــريقْ كــا يْتــشــحّــرْ، بالغْــوافي كــا يْذوب
الرّابوزْ كــا يْســوطْ بالغْــوافي مْــشْــقــوب
المْجــمْــر حـــامي بالغْـــوافي مْكْلوب

* * *

قــــالْ لْهـــا : أنـا أتـايْ المْنْســـــوم
جــــيتْ مْلكّك عـنْدي اربْعــــا د النّجـــوم
أتـايْ بْـلا إقــــامــــا كُـلّو مْظْلـوم
مــاشي بْحــالك أ القَـــهْـــوا، كْـــحْـــلا بْحــالْ الحْــمــوم

* * *

قـــــالْت لُـو : أنـا الـقَـــــهــــــــوا عَـنْـدي الـرّاس
جـــــــيـتْ مْـلكّـا، وجــــــيـتْ مْـن فــــاس
دايْـريـنْ لـي الـبْـــــــرارْد مْـن الـنّـحـــــــاس
وكــانْفـيّــقـهُـم ف الـصّـبـــاح، باقْـيـينْ ف النّعـــاس
الـبْـــريـقْ كــــايْتــشْـــخّــر ويْعــمّـــر الـكـاس
مــاشي بْحـــالْك، انْتَ طيّـــخْت لنا الضّـــراس
اخْـــرُجْ يا ولْـد الحْـــرام، اغْـطس خْـــلاص

* * *

قـــــالْ لْـهــــا : أنـا أتـايْ، وأتـايْ المْـزيـان
فـي الـصّــــنْق وفـي لَـمَـــــان
وجـيـتْ مْلكّكْ عْلى يدّ سـيــدْنا مــولاي الحَـسَن
مــا بْقــيتْش كــانْتْـبـــاعْ ف الجُـــورْنان
مــاشي بْحــالْك أ القَــهْــوا كْــحْــلا بْحــالْ القْطْران
ســيــري بْحـالْك، راكْ وْسّــخْـتِ الكيــسان

* * *

قـالْت لُو : أنا القَــهْــوا شــادّا الـبْــلاصـا
الـنّـاس كُـلْـهــا عْـليّ عَــسّـــاســا
الـلّي قــارْيـينْ ومْـــدوّزيـنْ ف المْدرَســا
مــاشي بْحــالْك أيَتــايْ غـا خْــلاســا
كــايْشـربُوكْ غــا الـسّـراح، ولا كــايْن شي خَـمّــاسا[28]

* * *

(28) نجد نفس الصورة في أغنية الحاج مريزق. انظر نص 111.

قــــالْ لْهـــــا : أنـا أتـايْ، وأتـايْ الـزّعـــــامـــــا
مـــــا نْـخْـــــتـــــاج إقـــامـــــا
والـنّـاسْ عْـلـيَّ خْـــــدّامـــــا
لا الـلّـي ف الأرْض ولا الـلّـي ف الـسَّـــــمـــــا
مـــاشي بْحـــالْك أ القَـــهْـــوا، كْـــحْـــلا بْحـــالْ الرّخـــامـــا

* * *

قـــالْت لْو : أنا القَـــهـــوا، كْــــحْـــلا مْـــسْكينا
الـنّـاس كُـلّـهـــا اتّـبْـــــلاتْ بِـنـا
لا الـلّـي ف الـبـــــاديـا، ولا الـلّـي ف المْـديـنـا
ســيـــرْ بْحـــالْك أيَتـــايْ، انْتَ بْهْـــدلْت بِنا
اتّـبَـــــعْـت بْـكْـــبـــــالا
هَـذا كْـــــلام دْيـالْ مُـــــولْ الـنّـخـــــالا

[مذكور في كرم، ملحق، ص 430 - 432]

111. [القهوة والأتاي أمام القاضي]

وُلد المغني شُعيب أرزقي، المعروف بالحاج مريزق، سنة 1912م بالجزائر العاصمة، حيث استقرت عائلته عند قدومها من منطقة القبايل. وبعد أن نال أرزقي شهادة الدروس الإبتدائية، تقلب بين مهن متعددة، ثم فتح مقهى بباب الواد. وأبان عن موهبته في التنشيط والغناء، وساهم في جوق الحاج العنقا، ثم كوّن جوقه الخاص في منتصف العشرينات، وتوفي سنة 1955.
وقد تم تسجيل الأغنية التالية في بداية الثلاثينات.

القَهوا والأتايْ يا الفاهَمْ، دْخَلُوا مْدَّاغيينْ لْلقاضي شو وصْباحْ
قالُولُو : يا حاكَم القَدَرْ، تْحَكَمْ بِينَتْنَا وْلا تَعْمَلْ حِيلا

* * *

لأَنّكْ قاضي بْلا دْراهَمْ، لا تْقبَلْ شي الكرى، ولا تَعْمَلْ شي مْزاح
حْكمْكْ مْن مُولايْ بالنّصْر، وعْطاكْ اللهْ منْ حْكامُو الجْلِيلا

القَهوا والأتايْ يا الفاهَمْ، دْخَلُوا مْدَّاغيينْ لْلقاضي شو وصْباحْ
قالُولُو : يا حاكَم القَدَرْ، تْحَكَمْ بِينَتْنَا وْلا تَعْمَلْ حِيلا

* * *

قالْ : أتُوا بْكلامْكُمْ زَمْ، واللّي عَنْدُو شي خبارْ، غير يْعيدُو يْرتاح
واللّي ليهْ الحقّ يْنتَصْر، واللّي مْغلُوبْ ياكْ يْرضى بْالقيلا
القَهوا والأتايْ يا الفاهَمْ، دْخَلُوا مْدَّاغيينْ لْلقاضي شو وصْباحْ

قـالُولُو : يا حـاكْم القـدْرْ، تْحْكمْ بِينْتْنا وْلا تَعْـمِلْ حِـيلا

* * *

فنْطقْ الأتايْ : للْحـاكْم، قـالْ : أنا اليُـومْ عـادْ شْـرابي مُـبَـاحْ
مـا نْشبْه شِي حـالْة الخْـمرْ، شْـربُوني جْـميعْ ناسْ التّـفـضيـلا
فيّ شي حْكْمـا للألَمْ، جْـمـيع اللّي لْقـيتُـو داخْل ف الاشْـبـاحْ
نْزولْ الضّـر والكْدْر، ونْهَـبّط جْـمـيعْ الماكْـلا الـثـقـيـلا
نْشْـفي مْن هُوَ عْليلْ سـاقْم، شـرْبي لْلمْـلاحْ، فـيـهْ الرَّاحـا والرَّاحْ
فيّ شي ريحـا مْن العْطْر، مْعَ النّعْناعْ مـخلط بالزّنجْـبـيـلا
والبْـقـراجْ بْحـالْ الصّـوارْم، والصِّـينيـا علْى كْـراسـا عـيدانْ مْـلاح
والبـابُور يفُـورْ بْالجْـمـرْ، والكِيـسـانْ ظْرافْ زادُو تْشْـعـيـلا
وانْت كـيفْ أشْ يا الخـادْمْ، اضـحـيـتي تضـادِّي لُون الوانْ الوْضّـاح
مـالْك تْواجْـبِـيني بْالجْـهَـر، ياكْ انْت غـيـرْ خْـديما كْليـلا
مـا فِيكْ لا نْشـوا ولا نْسـايْم، يْغيظُو فـيكْ الفْناجْل هْمّا وشْبـاح [29]
يْواتِيـوْك فْناجْل الحْـجـرْ، والآ قْـدُوحْ الطين مْـوزُونْ بْكِيـلا

القْـهـوا والأتايْ يا الفـاهْمْ ، دْخْلُوا مْدَّاعْـيينْ لْلقـاضي شـو وصْبـاحْ
قـالُولُو : يا حـاكْم القـدْرْ، تْحْكمْ بِينْتْنا وْلا تَعْـمِلْ حِـيلا

* * *

قـالْت لُو : جْـزاكْ يا الشّـاتْم، قْـصّـر مْن الكْلامْ ولا تتـسـمّى مُبَـاح

(29) يقـال فنجـان (جمع فناجين) وفنجـال (جمع فناجيل). حـول نفس الاستعمال، انظر محمد بن عثمـان الحشايشي، **العادات والتقاليد التونسية**، ص 163.

أنا اللّي طبّي مْــشْــتَــهْــر، نبــرّي المريضْ مْن اعْليلُو الطّويلا [30]
نْشْفي مْن هُوَ عْليلْ سـاقْم، شْـرْبي لْلمْـلاحْ، فـيـهْ الرّاحـا والرّاح
نْبْــرّي مْن الصّــداعْ والسّطرْ والسّــهْــراتْ تكون للنُّومْ طْويلا
كـيفْ يْكثْـر السّهـرْ يا الفـاهْمْ، مـا يْبْـقَى مْن يْسـاوْمكْ ف سُـوقك بْراح
تْوالْمْ لْلبْـعـيــرْ والبْكْر، ياكْ انْتِ خْـشـيشْ مْـصْـبـوغْ كـالنّيـلا

القْـهـوا والأتايْ يا الفـاهْمْ، دْخْلُوا مْـدَّاعْـيـينْ لْلقـاضي شْـو وصْـبـاحْ
قـالُو لُو : يا حـاكْم القَـدْرْ، تْحْكـمْ بِينَتْنَا وْلا تَعْـمـلْ حِـيـلا

* * *

فـقـالْ القـاضي كـا يْتكْلْم : يدْزيكُم يا كْـرامْ، گـاعْ دْواكُمْ نْجَـاح
لكنْ الأتايْ خْـصـايْلُو أكـثـر، ياكْ انْتِ رْخـيصْ سُـومُك وسْـهـيـلا
الأتايْ نْزاها مْعَ الكْرايْم، به الجْلســا تْزيدْ تْحْلى بْهْنا وافْـــراح
خـالْقُـو ربْي كـامْل القْـدرْ، واعْطاهْ اللّه حُـسْن الصُّـورا الجْـمـيـلا
صلّى اللّه عْلى النّبي وْسلّم وعْلى آلُو مْعَ اصْحـابُو الصُّحَبـا الرْجّـاح
عُـمَـر وعْـثْـمـان وبُوبْكر، نْصَّـار النّبي مْعَ عْلي بُوتَغْـويلا

القْـهـوا والأتايْ يا الفـاهْمْ، دْخْلُوا مْـدَّاعْـيـينْ لْلقـاضي شْـو وصْـبـاحْ
قـالُو لُو : يا حـاكْم القَـدْرْ، تْحْكـمْ بِينَتْنَا وْلا تَعْـمـلْ حِـيـلا

[الحاج مريزق، أسطوانة]

---

(30) يستعمل المغني عدة تنويعات لنفس الكلمة العامية (عْلايْلو، عْلالو، عْلُولو) ومعناها : علّلُه.

112. [الصينية والزهو والنعماء]

محمد ابن إدريس بن محمد العمراوي، الشهير بابن الحاج، شاعر من أهل مكناس. أخذ عن حمدون ابن الحاج، واشتغل في البداية بنسْخ الكتب وتعليم الصبيان. وقد عمل كاتباً لأبي القاسم الزياني، وتعرف على المؤرخ أكنسوس، واتصل بالأمير عبد الرحمان حين كان هذا الأخير خليفة لعمه السلطان سليمان بفاس، وعين كاتباً له ثم استوزره السلطان عبد الرحمان. وقد وعرف العزل والسجن لمدة أربع سنوات، وظل به إلى حين وفاته سنة 1263 (1847م). وترك شعراً كثيراً جمعه ابنه في ديوان كبير.

وصَبيحَةٌ نُظم الصبوح بسلكها ... در الصحاب بليـة عليـاء
زارَ الحَبيبُ وقَد حلَّ الحيا ... جيد الغُصون بلُؤلُؤ الأنْداء
والدَّهرُ عَضَّ جُفون كُل مُكاشح ... عنَّا وأعْمى أعْيُن الرُّقَباء
والشَّمْل مُجتَمع عَلى صينيَّة ... جَمَعتْ فُنون الزّهْو والنَّعماء
فكأنَّها وكأنَّ حُمْرةَ لونها ... خَدُّ الحَبيب احْمرَّ باسْتحْياء
وكأنَّما بَرّادُها في وسْطها ... مَلكٌ مُتوَّجٌ مُولَعٌ بسَخاء
وكأنَّما الأتايُ في أكْواسه ... دوب النظار بدرة بَيْضاء
وكأنَّما السّاقي المُدير كُؤوسَنا ... بَدْرٌ يُدير كَواكباً بسَماء
ساقي بجنَّة وجْنَتَيْه ءاية ... نور بنار أُذْكيَت في ماء
يفتر عن كالبَرْق أو كالدُّر أو ... كالزَّهر أو كالزهر غب سَماء

أرْسَل صـــارمَ جَــفْنه من جــفْنه قـــــد القُلوب بمُقْلَة نَجْـــــلاء
أزهَر عـــامل عطفـــه من عطفــه ازرى بقـــد البـــان والسَّـــمْـــراء
حَكَم السُّـــرور عليَّ في تجـــريده كـــيْـمـــا كـغـــادة الهَــيْـفـــاء
عَــجَـبــاً بقَـــد القلب مني بلحْظة وأود لو أسكنتُـــــهُ أحـــشـــاء
كــالظَّبي بَلْ كــالغُـصْن بَل كــالشَّمس قـــــــد وفـي لحـظ وفـي لالاء
سُـقْـمي المُتـيَّم من سـهـام جُـفـونه وبَريقُـــه الشَّـــهْــد المُذاق شــفـــاء
يا مُـــهْـــدياً كـــأسَ الأتاي بكفِّـــه وبلحْظه كـــأسٌ من الصَّـــهْــبـــاء
نفْسي فـداك شب بيـريقك صَـرفَــهُ وأدرْ لتُـــخْـــيي أنفُسَ النُّدمـــاء
واعْط الأمَـان من الجَـفـاء لعـاشق رَقَّ الـقَـــريـــبُ لـه وحَـنَّ النّـاء
لازلتَ بَدْراً في سَـمـاء مَـلاحَـة مُـتَـسَـرْبلاً ثَوبَيْ بَهـا وعَـلاء

[مذكور في : م. الكتاني، **هداية الضال**، مخط، ص 142]

113. [الريق والإبريق]

نلتقي بموضوع الأتاي في شعر محمد الحراق الحسني العلمي (ت 1261 / 1845)، وهو من كبار رجال العلم والتصوف في عصره. ولد ونشأ بمدينة شفشاون وأتم دراسته بفاس. وقد استقر بتطوان بأمر من السلطان سليمان، وأسس زاويته بنفس المدينة بعد أن التقى بالشيخ العربي الدرقاوي. ولقد لعب دوراً هاماً في نشر الطريقة الدرقاوية.

نَضَـحتْ أتاياها بطيب العَنْبـر وسَـقَتْ فـألقتْ ثَوبَ سُـقْم عَن بَر
وتَغـزلَتْ من شـعْـرها ببَـديعـه وتَرشَّـحتْ من شَـعْـرها بمُظَفَّر
وسَطَتْ برُمْح القـدِّ لَمّا أوثَرتْ أهْدابَهـا الحُسْنى سَنى المُحَجَّـر
عَـذْرا لو أعْطَتْ ريقَـهـا إبْريقَـهـا أغْناهُ حـقـاً عنْ حَـلاوة سُكَّر

وإذا تُكلّمُ أو تُبسّمُ لا ترى ... عَينْاك في الحالَين غيرَ الجَوْهر
نَضَتْ العُيونُ وناولت كأساً وهَلْ ... يُساغ شُرباً عند سَلّ الأبْتَر
وتَبَخَّرتْ بَيْن الرّياض كأنّها ... شَمسٌ تَجلّت في سَماء أخْضَر
فأغارَتْ الأغْصان من أطرافِها ... لّما سَقاها الثَّغرُ ماءَ الكَوْثر

[مذكور في م. الكتاني، **هداية الضال**، ص 136]

114. [في الخمر]

نظم الحراق الشعر في موضوع الخمر أيضا . وقد أورد محمد داوود، في كتابه **تاريخ تطوان**، الأبيات التالية عند ترجمته لهذا الشيخ الصوفي [31].

نسخت بالنوك في الصهباء من نسخت ... منه الحقيقة فهو الآن صهباء
أنا السَّفيهُ إذا تركتُها أبداً ... لأنّها الروحُ والكيزانُ أعْضاء [32]
بها انْبسَطنا مَع الأحْباب إذْ نشرتْ ... منها عَلى عالَم الأكْدار سَرّاء
مَا ضيعَ الحَزْم مَن أضحى بها ثَملاً ... قَد أمْطرتْه بماء البَسْط أنْواء
يَهُزّ بالرّقْص من أعْطافه فَرَحاً ... أياماً أبداً بالرّاح خَضْراء
إذا تذهب منها الكأس نضده ... در الحباب فلون الكأس للألاء
شَمْسٌ مَتى سَطَعتْ في عَقْل شاربها ... يَصيرُ ذاتاً لَها الأكْوانُ أسْماء
بالعرف قَد عَرَف الحُذّاق حدتها ... مِن داخِل الدن؟ ذَوْقاً وهي عَذْراء

[مذكور في داود، ج 6، ص 340-341]

(31) حين قدم محمد داوود هذه الأبيات، علّق عليها بطريقة لا تخلو من الطرافة : «نجد الشيخ الحراق يصف الخمر وآنية الخمر، وشارب الخمرة، خمرة الصوفية، بأوصاف بديعة حقاً، أقول، بديعة وأعني من الناحية الفنية، أما الناحية الأخرى فلا أفقه فيها شيئاً لأنني لست من فرسان الميدان، ويشهد الله ـ وهو خير الشاهدين ـ أنني ما شربت في حياتي أي صنف من أصناف الخمور، حتى في البلاد الإفرنجية التي زرت الكثير منها، ولست ولله الحمد بآسف على ذلك، لأن الله سبحانه قد أغنانا بخمر العلم والمعرفة التي تنير العقل، عن غيرها من الخمور التي تذهب بالعقول وتلحق شاربيها بالحيوانات والوحوش . . . ». **تاريخ تطوان**، ج 6، ص 340-341.

(32) حول الكيزان ، انظر هامش 38 ، الفصل الثاني.

115. [الأتاي والراح]

هذه أبيات نظمها محمد العربي ابن السايح الرباطي (ت 1309 / 1892)، وهو عالم وأديب وصوفي. وقد كان من مشاهير أتباع الطريقة التجانية بمدينة الرباط، وألف حول تلك الطريقة كتاب **البغية** (33).

واصلْ شَرابَ خَليفة الأمجاد ... واترُك مقال أخي هوى وعناد
صَفراءُ تَسْطع في الكُؤوس كأنَّها ... شَمسٌ تَبدَّتْ في ذرى الأطواد
وكأنَّها في حُسنها وصِفاتها ... من عَسْجد عصرت بأعصر عاد
ما إن بَدَتْ في مَحْفَل إلا بَدا ... فيه السُّرور يناط بالإسْعاد
لايَعْتري نُدماءَها نَدمٌ ولا ... يَشْكون من مَلَلٍ بطول تَمادي
فكأنَّها أمٌّ بهم قَد أنْجَبتْ ... لكريم فَحْل في نقيّ مهاد
غَذَّتهُم درالصفا وسَقَتهُم ... منْها لُباب مَحبَّة ووداد
فتَناسَقَتْ أخْلاقُهم وتَوافَقتْ ... آراؤُهُم في عفَّة ورَشاد
تُدْعى الأتاي وذاك رَمْزٌ ظاهرٌ ... يَدْريه مَن يَدْري من الأمْجاد
أيْقاظُ فكْر ثُم تَهْذيبُ الحجا ... مَع يُسْر إنْفاق بدون نَفاد
فادأَبْ عَليها ما حَييتَ فإنَّها ... تَجْلو متى جليت صَدى الأنْكاد
واتْرُكْ روايَةَ مُعْضلٍ في شَأنِها ... وارْوِه المُسَلْسَل مُوصل الإسْناد

[مذكور في سكيرج، ص 314 - 315]

(33) يبدو أن تناول الأتاي تحوَّل عند أتباع الولي العربي ابن السايح إلى طقس صوفي، بل امتدت هذه الظاهرة إلى موريتانيا حيث لازال يقال ما مضمونه : «تعال نشرب أتاي السيد العربي ابن السايح».

116. [آراء حول تشحير الأتاي]

الطاهر بن ابراهيم الإفراني (ت 1374/ 1954)، نسبة إلى مسقط رأسه إفران بالأطلس الصغير، هو شاعر ينتمي إلى بيت علم. وقد درس بسوس ثم بجامعة القرويين بفاس. وتولى التدريس والإفتاء في منطقته. وارتبط بالطريقة التجانية، وناصر حركة أحمد الهيبة. وقد نظم أشعاراً كثيرة في مواضيع مختلفة.

هَذا وإنِّي قَدْ رَأَيْتُ رجزا ... مُوشحاً مُحبراً مُطرزا
قَد دارَ بَيْن سَيِّدَيْن أحرزا ... خصل المَدى في الفَضْل لمّا بَرَزا
كلاهُما لدى الصيال بازل ... متى سطاعنا له مَنازل
هُما هلالا هالة الإكرار ... سُلالَتا الخيرَةَ الأبْرار[34]
سَيِّدُنا مُحمد ابن أحمدا ... مَن صارَ في قَلْب الحَسود كمدا
وكفؤه سَيِّدُنا عُثمانا ... مَن قَد حَكى نظامه الجُمانا
تَجارَيا في حُكْم أمْر حَدَثا ... من صنع تَشْحير الأتاي عَبَثا
فَعابَهُ الأوَّلُ عَيْباً قادحا ... فيه وردَّهُ الأخيرُ مادحا
فَبانَ لي أن أُجْري الفكْرة في ... فَصْل القَضيَّة بقَوْل مُنْصف
فاعْلَمْ بأنَّ صَنْعَة التَّشْحير قَد ... أحْدَثها ذَوُو المجانة فقد
أمَّا الطِّباعُ المُسْتَقيمَةُ فَلا ... تَرْضى بأنْ تَفْعَلَها أوْ تَقْبَلا
لأنَّها تسخم البَرَّادا ... وربَّما تُفْسدهُ إفْسادا
والكأسُ قَد شَرَطَ أهْل الظَّرْف ... فيها النَّقاءَ وصَفاءَ الظَّرْف
لذا تَغالى النّاسُ في ماعُونه ... وبَذَلوا النَّفيسَ في شُؤونه
وريحُهُ إذا غَلا اسهك من ... حُوت رَماهُ البَحْر صَيْفاً فَتَن
وشَرْطُ طيب الكأس طيب الأرَج ... فضدُّه إذن تمام الحَرَج

(34) الاكرار قرية توجد بضواحي تزنيت.

لذا تَنافَس ذَوُو المَفاخر ... في العُود والمراش والمَباخر

فَما زَوالُ الهَمِّ والتقطيب ... إلا بمَرأى مُبهج وطيب

كَذاكَ أيْضاً يَستَحيلُ طَعْمُه ... كَما استَحالَ لَونُه وشَمُّه

فَهَذه قَطعاً ثَلاثُ حُجَج ... بَيِّنَةٌ مثْلَ الصَّباح الأبْلَج

وكُلُّها حسِّيَةٌ طَبيعية ... وبَعْدَها رابعَةٌ سَمْعية

قال فَتى الظَّرْف أبو نُواس ... وهو كَما قيلَ إمامُ الكاس

في وَصْف خَمْر «لَم يشنها الطّاهي ... بالطَّبْخ» فافهَم لا تَكُن بالسّاهي

فهُو كَما سَمعت سمى الطبخا ... شيناً فهلا نتبعن الشيخا

إنْ قُلت إنَّ قَولَه في الخَمْر ... قُلت ومثْلُها الأتاي فأدر

فالقَصْدُ أنَّ الطَّبْخَ شين الكأس ... بالنص والإجْماع والقياس

فَصَحَّ أنَّ صَنْعَةَ التَّشْحير ... قَذى بعين الأُنس يا سميري

لاهم إلا أنْ يخافَ البَرْدُ ... جداً عَلى البَرّاد إذْ يَشْتَدّ

أو اقْتَضاه سَبَبٌ فَلا حَرَج ... إذن عَلى ما كان فيه من عَوَج

لَكن عَلى السَّداد دون نَفْخ ... بقَدْر ما يسخنُ دون طَبْخ

فالبَرْدُ أيْضاً يُفسد الشَّرابا ... ويُغْلق الشَّهْوة باباً بابا

نَصَّ عَلَيْه جلَّةٌ أكْياس ... وكُلُّهم في زكنه ايِاس

[مذكور في السوسي، **المعسول**، ج 1، ص 53 - 54]

117. [شذرة]

محمد الراضي السناني (ت 1385 / 1965) فقيه صوفي من فاس. مارس التدريس، وتولى الإمامة والإفتاء. وقد هاجر إلى الدار البيضاء سنة 1933 م، وامتنع عن زيارة مسقط رأسه بسبب اتهامه بالاتجار في المخدرات. ومن بين مؤلفاته كتاب **الشذرات** الذي شبهه البعض **بمحاضرات** اليوسي، ومنه اقتطفنا هذا المقطع.

إنَّ الأتـــــايَ حَـــسَـــــنُ ... تـاركـــهُ مُـمْـــتَـهَـــن

فـي شُـــرْبـه يـنـفـي الأسـى ... وتُـــخْـمَـــة ووَهَـــن

فَـكُـن بـه مُـغْـتَـنـيـــاً ... واخْـــتَـرْ لَه مـــا يَحْـسُن

وكُـن أخـي فـي شُـرْبــه ... عَلـى الـذي يُـبَـيَّـن

لا تُـكْــثِـرنَّ شُـرْبَــه ... بَل الـقَليـلُ حَـسَـن

فَـهَـاكَـهـا فَـريـدَةَ ... مِـن نـاصِـحٍ يُـبَـيِّـن

[السناني، ص 114]

ثلاث قطع من موريتانيا

محمذ بن محمد فال (ت 1386 /1966-67) أديب من الترارزة بموريتانيا. أخذ العلم عن أبيه. وقد عينته السلطات الفرنسية في منصب القضاء بولاية الترارزة.

118. قطعة "وصفراء..."

وصفراء تكسوا الكأس منها بصفرة فتحسب لون الكأس أزرق أصفرا
إذا أريق منها أول في كؤوسه يوافك مزا فاقع اللون أزهرا
ويرضيك من ثان صفاء وسورة فناهيك من طعم وناهيك منظرا
وإن شهرت لم ترض غير مشهر وإن جمرت لم ترض إلا المجمرا
يعرض فيها بعض قوم بحرمة ولم يدر ما التحريم لو كان حررا
فما هيئة تدعو لمنع محلل لذلك طالع في المباح الميسرا
وإن جلبت منعاً فليس محققا لذي شبهة حتى تراق وتهجرا
وما السكر موجود فتجمع علة إذا جمعوا ماءً وشاياً وسكرا

119. مقطوعة

من كان في شربه لم يرض بالدون فلا يرم غير مفتول ابن شقرون
صينية ما تعاطى الشرب أكؤسها إلا تغالوا وبثوا كل مكنون
تخال شاربها من فرط هدرته قد جن وهو صحيح غير مجنون

120. مقطوعة أخرى

ما فتية قد طلعت بينهم شمس وشهب في إني واحد
ويشربون الكأس صرفاً ولا يرى لذاك الشرب من جاحد
ترى فتاهم قائماً قاعدا يا عجبا من قائم قاعد

[مذكور في سيدي المختار، ص 71 - 72]

121.[الشاي همّي قبل غيره]

هذه الأبيات مقتطفة من قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها 311، وهي تتحدث عن الجفاف والمجاعة وعواقبهما. تمَّ تدوين هذه القصيدة سنة 1950 بمنطقة گدميوة بالأطلس الكبير من طرف الباحث الفرنسي أرسين رو. ثم حققها عبد الله بونفور، مع ترجمة فرنسية، في كتاب نشره سنة 1990.

291. ذهبتُ إلى الحارث بالخُمُس أسأله عن حاله
292. وقُلت : «أجبْ سؤالي أيُّها الرجل
293. أفْضِ بهمِّك أخي ولا تتحرَّج»
294. فقال : «الشايُ همّي قبل غيرِه»

295. وأجبتُه : « يا هذا لا تُراعِ
296. إن كان كلّ الشايِ فلا همّ ثمّة
297. ألم تر أن الشاي قد تأتّى حتى للبقر
298. وحتى الحمار لأن الإبريق أخذ على نفسه عهداً
299. وحتى الحمار إذا أبصر المقراج يَغْلي فوق مجمرِ
300. همَّ باقْتلاع وَتَده ليقترب من الإبريق
301. كُلّما ارْتشفنا كأساً أقمنا لك إبريقاً
302. نُديرها عليك، ظاهر البَلد، وهذا عهد بيْننا»[35]

303. أجاب الحارث بالخُمُس بداهةً :

(35) في بعض مناطق المغرب، لا زالت العلاقة بين الراعي وملاك الماشية تتحدد بعقد غير مكتوب. وعوض المقابل النقدي، يتوصل الراعي بعدد من رؤوس الماشية، كما أن الملاك يمدُّه بما يلزم من مأكل وملبس. ويتوصل الراعي المتزوج ب«عوْلة» تتضمن مقداراً محدداً من المواد الغدائية، لا سيما الحبوب والشاي والسكر (توضيح أفادنا به حسن رشيق).

الشاي في الخيمة



المصدر : جان روبيشه، **المنطقة الوسطى المغربية** (بالفرنسية)، گرونوبل/باريس، 1946.

304. «لقد فهمتَ أنّي أُريد منك أن تديرها خارجاً
305. دون أن أشهَد على الماء الذي صُبَّ فيها
306. واليد الرشيقة التي تَطول بمدّ الكأس
307. بعدها أنصرف مُرتاحاً إلى حرْثي
308. إذا حُرِمت من حقّ دخول الخص، لم أحْرث
309. شهْوتي أن أدخل الدار وأُطعم َنفسي»

310. عندها نبَذْت الخمّاسَ وشئون الحرْث
311. واسْتأنفتُ إلقاء البُذور لكي لا أُبالغ في المَعاصي

[مُترجَم من الأمازيغية عن النص المذكور في : رو- بونفور، ص 128 - 130]

122. قصيدة الشاي

هذه أُغنية للرايس مبارك الذي لم نتمكن من الحصول على معلومات حول هويته. ويبدو أنه كان يؤدي هذه القصيدة في الثلاثينات في ساحات عمومية مثل «أسارْ أوراغ» وسط مدينة تارودانت(36).

1. مَن لم يُطعَمْ اللذيذ ويرتشفْ كؤوس الشاي
2. لم يقْضِ المزيَّة على المُراد

3. أما أنا فقد بعت بَغلتين من أجلك أيها الشاي
4. وامتطيتها في الإبريق، لحلاوة الشاي

(36) علمنا ان الرايس مبارك ترك ابناً يتعاطى هو الآخر للطرب والغناء، وهو محمد بن مبارك بونصير الذي لازال على قيد الحياة (1997). أما القصيدة التي ننشرها هنا فقد أمدنا بها عمر أمرير مشكوراً، ويبدو أن أحد أقرباء هذا الأخير سمعها مباشرة من الرايس مبارك.

5. مَن لم يجد أُنسه بقُرب الكؤوس
6. فلا يدَّع رَفاهاً وهو ابن هَجين

7. فلْيكن كلُّ بيت لا شاي فيه
8. عُرضةً لدَمار الصَّواعق وجَرْف السُّيُول

9. إذا النهار جاء بدفْئه، جلستُ لشُرب الشاي
10. إذا القَرُّ جاء بقَرْسه، جلستُ لشُرب الشاي

11. مَن دأبَ على شُرب الشاي تمهَّدت له الأوْعار
12. مَن حُرِم الشاي غدَت سُهوله شِعاباً

13. إذا ادَّعى الأوْغاد من أكَلَة دشيش الذُّرة شُرب الشاي
14. أجَبْناهم بلُزوم دشيشهم وشُرب الماء عليه
15. فلُبّ الرّطاب من حظٍّ الرئيس

[مترجَم من الأمازيغية عن نص شفوي]

123. قصيدة أتاي

عُرف بلعيد بن مبارك البعقيلي (ت حوالي 1363/ 1944) بالرايس بلعيد ثم بالحاج بلعيد بعد أن زار المشرق (10-1908). وقد ولد بنواحي تزنيت، ويحكى أنه كان راعياً قبل أن يلتحق بمجموعة «الرّما». ومنذ بداية القرن الحالي أصبح من أكبر الموسيقيين الأمازيغ، فقد سجل أكثر من ستين قصيدة على أسطوانات من نوع 78 دورة ابتداء من العشرينات. ومنذ الحرب العالمية الأولى أشرف على تكوين عدد من «الروايس». وعاشر صغار القواد وكبارهم، لاسيما التهامي الكلاوي[37].

أ- واي لـــي لا لـــي دا لا لـــي واي لـــي لا لـــي دا لا لـــي

والي لا لا لا دا لال

ب. أي دا لا لا دا لا لـــــــــي وا لاي لا لا لا دا لا لا

1. واي لـــي لا لـــي دا لا لـــي واي لـــي لا لـــي دا لا لـــي

والي لا لا لا دا لال

2. بكى الشاي وبكى الفُولاذُ وبكى البلّور
3. وبكى إبريقُ الشاي لمّا امْتدَّت للشايَ يدُ مَن ليس بذاك
4. والشاي إنَّما خَرج مِن عدم ليَتملّى به الجميل

5. يضُمُّه المكان الرائق جديراً بكلٍّ اختصاص
6. ما أجمل إناءَ الشاي إن حضَر المعدن والبِلّور
7. والطِّيبُ والمَسرّات وأدارها الجميلَ

(37) انظر المادة المتعلقة بالحاج بلعيد، **في معلمة المغرب**، ج. 4 (عبد الرحمان لخصاصي). راجع كذلك الرسالة الجامعية غير المنشورة للحسين بن إحيا، **شعر الحاج بلعيد**.

8. ما أحْرى أن يكون لَمن عَدم الحُسنَ سوقٌ نعرفُه
9. يُباع فيه رَديءُ الشاي يحْتَسيه الأسافل
10. مَن شرب الأنواع الرَّديئة من بَسطوس ونْميلي كرِه الشاي
11. ورفيعُه، لَمن شاء، أنواع الكمَنْجة والمَفتول (38)
12. يَشربُها من برأسه ألمٌ فيذهب

13.ما أطيَب الشاي لمن أدامَه
14. ما أجمل سوار الذهب في معصَم الجميل !
15. ما أجمله فَي وجه حَريم تتقلَّدُه !

أ- واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي
وا لاي لا لا لا دا لايل
ب. أي دا لا لا دا لا لـــــــــــــي وا لاي لا لا لا دا لا لا

16. واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي
وا لاي لا لا لا دا لايل
17. إنَّما خَرج الشاي من عَدَم ليتنعَّم به الجميل
18. طاب المَوْت للشاي بعد أَن نظَر إلى الجميل
19. وبعد أن أقام بالمكان الرائق وأُجيبَت شرُوطه
20.وبعد أن أقام بكل مكان رفيع حيث قِوامُ كلٍّ شيء

(38) أتاي «المفتول» المعروف بصورة «الصينية» و«النميلي» المعروف بصورة «المرشة»، على العلبة، هما نوعان تم تسجيلهما سنة 1924 ب«المكتب الوطني للملكية الصناعية» بالدار البيضاء، وذلك لفائدة يعقوب-رفائيل بنصرّاف. وتختلف جودة الشاي، ضمن النوعين المذكورين، حسب عدد الأهاليل (من هلال واحد إلى أربعة). وسجلِ نوع «الكمانجة»، المعروف بصورة الكمان على العلبة، في نفس السنة لحساب شركة أنجليزية، ولا زال هذا النوع يُسوق بفرنسا حيث يوجه للجالية المغربية. أما «الباسطوس» فهي تسمية تحيل على صورة المُصارع وهذا النوع يعتبر أردأ الأنواع المتداولة. وحول أنواع الأتاي المستهلك بالمغرب خلال العشرينات من القرن الحالي، انظر الملحق أدناه، ص400-401.

21. ما أحْراه بالحِجاب وإن كان له وَقارُ الشريف الزّاهِد

22. ما أجمل الخاتَمَ في أُصبُع الجميل !
23. ما أجمل الحذاءَ في رِجْل الجميل !
24. مَن وُهِب الجَمالَ فالله سوّاه

25. إنْ كان بائع الجوارب من أهْل الدَّهاء
26. باع بالرَّخْص للزَّين، وباع للشَّين بالغَلاء
27. ما للزَّين حاجةٌ بالجَوارب في القَدَم
28. إنَّما الحاجةُ بها للشَّين يُخفي كِراعَه

29. يا أهْلَ هذا البَلد إني لاجئٌ إلى أوْليائكم
30. يحْموني، إن تكلَّمت فما عرَّضْت بأحَد

[مترجَم من الأمازيغية عن : الحاج بلعيد، أسطوانات بيضافون]

124. الزهو في الطبلا حسن

هذه قصيدة لمحمد بن الحاج عبد الله المشهور ببلحاج المراكشي (ت. حوالي 1363 / 1944). وهو ينتمي إلى أُسرة فلالية الأصل استقرت بمراكش، وكان على غرار أبيه صانعاً وراوية للملحون. فقد تعلم صنعة الخرازة بمراكش، ثم انتقل إلى تارودانت حيث اشتهر ببراعته في الرواية والإنشاد[39].

الزّهُو ف الطّبْلا حَسَنْ
البْرارْد زُوجْ وكِيسانْ
لُونْهُم يْهوَانِي
حْكيتْهُم حرجت بْلّعْمانْ
مهتل ف اوْصَافْ الكِيسانْ
عَيْن عْلْجا والخَابُوري مْعَ الخضْر يْهْوَاني
شْمسْ العْشِى يْسحْر الذْهانْ

وفيها يقول مستعرضاً أواني الشاي وملحقاتها من صينية وبراريد وكؤوس وزنابيل وبقاريج وبابور وقوالب سكر ومرشات «5» ومبخرة:

والبْرارْد نْحكى شابّاتْ يا فْهِيم اوْزَانِي
مْحَزّمينْ بْهْمامْ السّلْطَانْ
والبْقَارْج مْثلْ الفُرْسانْ
راكْبِينْ اسروتا ومْحَزّمينْ لمداني
...

(39) انظر أيضا أحمد بوزيد الكنساني، **تاريخ الزجل الشعبي بتارودانت (الملحون)**، ص 116-121.

درْ بابُورْ اصْفر ف الْوان
شَعلْ نارْ ف كلْب بْالمحبّا فاني
عْشقْ الطّبْلا والكيسانْ
والقوالْب مْثل الشّبان

. . .

والزّنابْل مثْل البيزانْ
والمْراشْ تَحْكي غزْلانْ
بارْزينْ ف الطّبْلا والعُودْ ف المبخْرا فَاني
عبق انسم بْالدّخان

ويقـول عن الحلويات والمأكـولات ذاكراً البـسطيلة وكـعب الغـزال والغـريبـة والمحـمـرات والمحـشـوات والمقليـات والمشـرمـلات، من ضلعـة ومـروزية وشـواء وطواجين وكسكوس بالفراخ والحمص والبصل :

درْ بْسْطيلا ف الغطْران
وَطباسْلَ مْن كْعْب غزال مْن شْغْل مْخزْني
وغْريبّا مْن شْغل اليَمان
مْحَمّراتْ ثْلاثا فبيان
مْعَمّراتْ ثْلاثا ومْقَلْياتْ ثْلاثا ثاني
مْشرْمْلاتْ دْجاجاتْ سْمَانْ
حَمّرْ الضّلْعا ف الفرّانْ
المرُوزيا المقَلْيا ياكُلْ الشبْعَاني
والشّوا مْن لْحَمْ الخرْفانْ

والطْواجن مْثلْ الوْصفانْ

. . .

والفْرارْج مْثلْ الصّبْيانْ

فُوگ الكْسكْسُو بْالحْمّص والبْصلْ رْوْياني

والسّمنْ مْذوّبْ تزمان

[مذكور في الجراري، ص 326–328]

125. أتاي به غدر لي قمصالي

نظم هذه القصيدة الحاج محمد بن أحمد الحصار، نسبة إلى صناعة الحصر التي كان يمتهنها بمدينة مراكش. ويبدو أن هذا الزجال عاش في أواخر القرن الثامن عشر والعقود الأولى من القرن التالي(40).

أتاي بهْ غدّر لي قْمْصالي

نْغنْم مع الخْبيب نْزاها

هَبْ نْسيم ريح الهْفيف العالي

الغْصان ف الرْياضْ احْياها

لْسْوايْع السْعادَا والرّبح مْوالي

ياخي نْنبْهَك ب نْباها

أتاي بهْ غدّر لي قْمْصالي

نْغنْم مع الخْبيب نْزاها

(40) أمدنا عبد العزيز الشريف الطاهري مشكورا بنسخة مخطوطة من هذا النص. وحول الحصار، انظر محمد الفاسي، **معلمة الملحون**، ج7 ، القسم الثاني، ص170-172 .

أتاي يانْديم اسْقيني
بْوْجود لامْتي وحْبابي

بْطبوع نْغمْتك احْييني
حتْما نْجاوْبك بْجْوابي

ف حْلول خلْتك زْهيني
حْتى نْقول طابْ شْرابي
أتاي فيهْ نْشوا للْقَلبْ السّالي
ونْسايْمو وْسمر شْداها
غنّي وكُبْ واسْقيني يا شمْلالي
يا رُوحْ راحْتي ودْواها

أتاي بهْ غْدَّر لي قْمْصالي
نْغنْم مع الحْبيب نْزاها

أتاي ف رْشيفو نْشوا
مْذْحُوا الماذْحين شْرابو
حْلالْ فيهْ لْلذّاتْ دْوا
الكْرامْ بهْ كا يْسْطابوا
ف مْجالْسْ الخْضر والزّهْوا
يْفاجي عْلى الضّميرْ كْرابو
صافي حْلالْ كاسو يا صاحْ حْلا لي
وقْلوبْ لامْتي سْلّاها
اشْرْبو بْعْطرْ وعْطفْ بْالكاسْ المالي

يانُورْ مْقلْتي وضْياها

أتاي بِهْ غْدَّر لِيْ قْمْصالي
نْغنْم مع الحْبيب نْزاها

أتاي ف رْشيفو بْكُرا
عْلاج لْلمْهاج دْواهُم
اسْتعمْلوهْ ناسْ الكُبْرا
مْن بَعدْ أكْلْ ذاك مْناهُم
لْلهْضْم كيفْ قالُو جْهْرا
الْعرْب جْرْبوه رْضاهُم
ما فيهْ سُكْر ما هُو خمْرْ دْوالي
ف مْجالْس الحْضرْ يتْباها
يا حَديْ ارْفاقْ نْسج عْلْ مْنْوالي
حُلَّ ذْ مَقْصك لْسْداها

أتاي بِهْ غْدَّر لي قْمْصالي
نْغنْم مع الحْبيب نْزاها

تَنْبُهو الهْنودْ ارْشيفو
ما لْلعْراض فيهْ العَمْدا
لْلرّيحْ يْعْجال تْصريفو
إذا مْلاتْ بهْ الْمعْدا
والرُّوم قْرْروا بْنْصيفو
بينْ يْفتَح سْداد الكَبْدا
لَا نبتْ يْشْبهو عَنْ تْصْحيحْ مْقالي
حقّقْ مْقالْتي واقْراها

رتّبْ برارْدكْ وكيُوسْك ف طْبالي
عمّر طاسْتي وملاها

أتاي بهْ غدّر لي قمْصالي
نْغنْم مع الحْبيب نْزاها

اغنْمْ مْعَ الملاحْ مْرايْح
مْهْما بْدورْ فْجرْك لاحُوا
إذا شْدات بينْ رْوايْح
طيبْ الوْروَدْ مْنْ تْفتْاحُو
تْقَطْفْ مْنْ الرّياضْ الفايْح
زْهَر الرّضا مْعَ تْفّاحُو
شالي علْى وْجُوهْ علفتَك شالي
رْكْبْ علْ الفْضا ورْباها
اهْدي وْصُولْ واعْطْفْ يا زهو انْجالي
اغْنْم السّرور واسْتوْلاها

[حصار، مخط. خاص]

126. [الرادة والرادة]

ولد المطرب الحسين السلاوي بنواحي سلا، وبدأ حياته الفنية متنقلاً بين الحلْقات خلال العشرينيات. وفي وقت لاحق سجل عدة أُسطوانات بفرنسا، وقد كانت مجموعته تضم مغنين وعازفين يستعملون الكمان، إلى جانب آلات موسيقية تقليدية مثل الكنبري والتعريجة. وتتمثل ريادة السلاوي في تكييفه للطرب البدوي وإدماجه في الوسط الحضري، كما أن عدداً من نصوصه تعتبر شهادات على التحولات التي عاشها المجتمع المغربي خلال عصر الحماية. وتوفي الحسين السلاوي سنة 1956م.

ها ها ها ها ، وْكي بانْ ليكْ ألْلاّ فاطْنا ؟
جْبْناهْ يْنقّط . . . وكالْ ليكْ باغي يْموت
ألْلاّ، إلا باغي يْموت، يْمْشي فْ حالو، حتّى انْتِيّ حَمْقا
احْنا جايِّينْ نْقصّرو، نْخسْرو فْلُوسْنا.
جيبْنّا حْميدو بْالكْنبري ويْكولْنّا العَيْطا نحركو الرّْزوز
ها هُوَ جا حْميدو

* * *

سيدي والرّْدا الرّْدا وعْليكْ الرّْضا
أَ سيدي والرّْدا الرّْدا وتْزيدْ الرّْويضا
أ خُويا البيضا تْحَنّي والكاسْ يْغَنّي
أ سيدي والشِّيبا حْبيبا وتْدير غريبا
أ شَرْبُوا أتايْ فْ البْرارْك يا العَرُوبِيا[41]

(41) تطلق كلمة «البرارك» (مفرد البرّاكة) ببوادي السهول الأطلنتيكية على متجر الدوار، وهو مكان أصبح يلعب دور فضاء الالتقاء وتبادل الأخبار بين السكان.

أ سيدي الطْبْلا مْصوْبا والكيسان ثْلاثا
أ جبْنا أتايْ ف البْرامْل لا تْكُولُو غامْل
أ جبْنا السْكارْ ف الخْناشي لا تْكُولوا راشي
أ عنْدي وليْدْ واحْد كاجا ف العَسْكر
أ الهْوى دِّيني مْعاكْ إلا كْنْت زاهي، والرَّدا آهْ !
أ سيدي لا تدُوزْ عْلى بابْ الدّار لا تْطمّعْني ف الوسخان
لا تْجرْ الحْبلْ عْليَّ لا تْشْفي فيَّ عْدْياني ، يا للاّ !
أ للاّ والرّبْطا زْغبيا

أ للاّ والعْيُون سْرادا [42]
أ للاّ وبْغاوْ الوْسادا

ياكْ أ للاّ الطّبْلا كْدّامو
أ للاّ والبْرّاد عْشاري
أ كايْسيفط لي احْرشْ العْيُون عارْ انْت واشْ بْغاني، يا للاّ، آهْ !

(أ تْبارْك اللّهْ عْلى حْميدو . . . أ يِّيهْ أ خُويا اييِّهْ)

أ سيدي، سيدي ! حلّيتْ سالْفي، حلّيتو حتّى فْقير [43]
ما خلّيتُو، خلّيتْ العْزارا ف حالا حيثْ أنا زْلاّلا [44]

---

(42) عيون «سرادة»، نسبة إلي السردي، وهو لون قريب من الأحمر.
(43) يراد بالفقير هنا الولي.
(44) الزْلالة كلمة عامية تعني مداعبة النساء.

وا مِّي للاّ جابْ القالْب، هرْسُو بينْ يْدِّيا
وجابْ الحَوْلي كْوْدُو بالسّبْنيا
والمْصريا مْفرْشا بالزّرْبيا (45)
للاّ للاَّ عْلى كْنيبْريا
والمْصريا مْفرْشا بالزّرْبيا
وقْشّابيتُو مْخَيْطا بالرُّوميا
للاّ للاَّ عْلى كْنيبْريا
أ ربّي يا ربّي، ربّي يا ربّي ! سرْجُوا لُو بْغيلْتو
تْسنّاني حتى نْشرْبْ أتايْ، أ الهْوى، آهْ !
أسيدي لُو كانْ ما عنّكْتي البْنات
الصّغارات الحنّا والشّرْبيلْ واللّه إلا هاذي، أوا !
أ سّي، مالُو غادي ؟ أوا !
أ ربّي يا ربّي ، فرشوا لُو بْغيلْتو،
تْسنّاني حتى نْشرْبْ أتايْ، أ الهْوى، آهْ !

[السلاوي، كاسيط]

(45) المصرية هي غرفة مخصصة للضيوف، وتقع عادة في الطابق الأول من المنزل، وفي بَوادي السهول الأطلنتيكية، تطلق كلمة «القبة» على نفس الغرفة.

127. الصينية

ارتبط ظهور فرقة «ناس الغيوان»، في بداية السبعينات، بأغنية «الصينية»، وبصوت «بوجميع». ويحكي العربي باطما، في سيرته الذاتية، أنه سمع بعض كلمات الأغنية «من شخص كان يزور بيتنا كل صباح، يسمى ابا سالم». ويبدو أن أعضاء فرقة «ناس الغيوان» قدموا «الصينية» على شاشة التلفزيون قبل التأسيس الرسمي للفرقة. ونالت الأغنية «الأسطوانة الذهبية» التي تمنحها شركة فيليبس، بيد أن المجموعة لم تتوصل بالجائزة المذكورة(46)

واوْ ، واوْ ، واوْ ، واوْ ، واوْ ، واوْ
فِينْ اللّي جْمْعُوا عْليكْ اهْلْ النِّيا

آهْ يا الصِّينيا

دُوكْ اللّي ونْسُوكْ
فِينْ اهْلْ الجُودْ والرْضا
فِينْ حْياتي
فِينْ حُومْتي واللّي لِيَ

آهْ يا الصِّينيا

واعْزْ بْلاهْ ما ساهْل الحُبْ الكامْل
أيا غيّاتْ ما نْساكْ الخاطْر
واعَزْ بْلاهُم ما ساهل عْشقْ النَّاس
ايا غِيّاث حْرامْ يْنْساكْ الخاطْر

(46) انظر السيرة الذاتية للعربي باطما **الرحيل**، ص 170. وحول مجموعة «ناس الغيوان»، انظر أعلاه، «قصة الأتاي»، ص 23.

قصيدة "الصينية" بخط المرحوم العربي باطما

[illegible] جمعو فليبة أهل النية... آه يا الصينية...
[illegible] و تشوك...
[illegible] الكوك و زرقى...
[illegible] متباينين...
[illegible] متوقفين، واللي بدا... آه يا الصينية...
[illegible] بلادة، ما نساهش حب الكاس...
[illegible] الرباس ما نساه لخاطر...
[illegible] ما ساهل غيشغلو با الناس
[illegible] عجايب ما نساه الخاطر...
[illegible] بلادة، جابز عزامو، والعنبر الإيبي فداتو، والنعناع والشيبة
آه يا الصينية...
[illegible] قال كاسي خربتي ما بين البستان...
[illegible] وقال كاسي نابة، ناتبين زاد فوق عليا لحزان...
[illegible] تابي وخدو، قال كاس ناذب حقو، قال كاسي [illegible]
[illegible] نشو، غابت سعدو ... آه يا الصينية...
[illegible] رابة لمزورة، قال حالتي هكذا محفورة...
[illegible] جابني زوجي اقبابر...
[illegible] عامر بالفاخر، ومجمر باللي الفاخر...
[illegible] رماد، وقلبي محروق بالبعاد.. واشو ذنب البراد
آه يا الصينية...

واعزْ بْلاهُم جايْ غْرامُو والعَنْبْر
إلا جابْ قْدامُو النّعْناعْ والشْيبا
آهْ يا الصِّينيا
أيا نْدامتي ويا نْدامتي
ومالْ كاسي حْزينْ ما بينْ الكيسان
أيا نْدامتي ويا نْدامتي
ومالْ كاسي انين زادْ قَوَّى عْليَّ الحْزان
مالْ كاسي باكي وحْدُو
مالْ كاسي نادْبْ حَضُّو
مالْ كاسي يا وَعْدُو
هَذا نْكْدُو غابْ سَعْدُو

آهْ يا الصِّينيا

واللّي ما شْفتُوني ارْحْمُوا عْليَّ

وانا راني مْشيتْ والهَوْل ادّاني
والْديَّ واحْبابي ما سْخاوْ بِيَّ
بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلتُو بْلْعاني

وتا نْعيّطْ نْخشى ما تّيقْ بِيَّ
آنا وانا يا ويْلاتي يا ويْلاتي انْت
اللّي بغيي، راني نبكي
والا جيتْك عزّيني
اجْعلْ ذَنْبْ الدنّيا عْليكْ
انْت اللّي فارْقتيني
أنا بْاللّهْ بُوعْلامْ الجّيلالي

انا نْعيّطْ نْخْشى ما تّيقْ بيَّ
وأنا بْاللّهْ بُوعْلامْ الجِّيلالي

وانا راني مْشيتْ والهْوْل ادّاني
والْديَّ واحْبَابي ما سْخاوْ بيَّ
بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلْتُو بْلْعاني

أيا نْدامْتي ويا نْدامْتي
مالْ السّكار عْكزْ يْزوّلْ هاذْ المْرُورا
مالْ كُلْ حاجا مَعْبُورا
مالْ ذاتي هكْذا مْهْجُورا مْنْكُورا مْقْهُورا
آهْ يا الصّينيّا

أيا نْدامْتي ويا نْدامْتي
وليعت بْرّادي فينْ غادي يْتشْحَّر
وقْلْبي جا بينْ زُوجْ مْجامْر
ويا نْدامْتي ويا نْدامْتي
وحيّرتْ بْرّادي ما جا ما بينْ زُوجْ مْجامْر
مْجمْر عامْر بالفاخْر ومْجمْر اللّظى الهاجْر
الفاخْر صارْ رْمادْ، وقْلْبي مْحرُوق
بالبْعادْ واشْنُو ذْنبْ البْرّاد

آهْ يا الصّينيا

فينْ البْناتْ تجيكْ لابْسا الفوكيا
فِينْ نْعاسْ وجيكْ راحا وقْتْ العْشيا

وانا راني مْشيتْ والهْوْل ادّاني
والْديَّ واحْبَابي ما سْخاوْ بيَّ

بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلْتُو بْلْعاني

والدّنْيا مثلْ اللّبُوسْ العاريا
قــــالـتْ لي شاداّ ف يْدْها ورْديا

وانا راني مْشيتْ والهوْل ادّاني
والْديّ واحْبابي ما سْخاوْ بيّ
بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلْتُو بْلْعاني

والْديّ نْترْجّاكُم لا تْلُومُوني ف الكيّا
والْديّ نْترْجّاكُم لا تْلُومُوني ف البْليا
كيْتي أنا
وكيْتي أنا
وكيْتي أنا وحيرْتي أنا قْدّامْ عْدْياني

والْديّ واحْبابي ما سْخاوْ بيّ
بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلْتُو بْلْعاني

واللّي ما شْفتُوني ارْحمُوا علْيّ

وانا راني مْشيتْ والهوْل ادّاني
بْحرْ الغيوَانْ ما دْخلْتُو بْلْعاني

واللّي ما شْفتُوني ارْحمُوا علْيّ

[ناس الغيوان، كاسيط]

128. أتـــاي

ظهرت مجموعة التاكدة لوز في بداية التسعينات على إثر انشقاق حصل في مجموعة التاكدة التي نشأت سنة 1974 بمدينة الدار البيضاء. وتتكون التاكدة لوز من شبان ينحدرون من منطقة الشاوية، وتتميز هذه المجموعة بتجربة غنية على مستوى التعامل مع «العيطة» و«العروبي»، وبمحافظتها على الآلات التقليدية مثل التعريجة والبندير.

وأتايْ أ الوْليدْ وأتايَاهْ
شْحٌر أوا بْرٌادْك
الحْلاوا كُلْها وحْسَابُو
أعْطيهْ أوا لْحْبابُو
ياكْ اللِّي شْحْرو ما يَعرْف قْيَاسو

هاانْتَ إلا كُنت نْظَّام
افْرْد ساوي الكْلام
وإلا ما كُنت نْظَّام
دِير لْفمْك لْجام

وآتايْ أ الوْليدْ وأتايَاهْ
شْحٌر أوا بْرٌادْك
الحْلاوا كُلْها وحْسَابُو
أعْطيهْ أوا لْحْبابُو
ياكْ اللِّي شْحْرو ما يَعرْف قْيَاسو

يَاكْ العَيْطا سْرابْ
وقَلْبْ فينْ تْباتْ
إلا كُنتَ بْرّاني
دِرْ الخِيرْ مْعَ البْنات

وآتايْ أ الوْليدْ وأتايَاهْ
شْحُرْ أوا بْرُادْك
أعْطيهْ أوا لْحْبابُو
ياكْ اللّي شْحّرو ما يَعرْف قْيَاسو

هاذاكْ أتايْ النّميلي [47]
ما نْذُوقُو ما نْقرْبْ ليهْ
واخّا تْشحّريه
ها هِيَ جاتْ واللّهْ إلا شْربَاتُو

وآتايْ أ الوْليدْ وأتايَاهْ
شْحُرْ أوا بْرُادْك
الحْلاوا كُلْها وحْسَابُو
أعْطيهْ أوا لْحْبابُو
ياكْ اللّي شْحّرو ما يَعرْف قْيَاسو

مْزّينْ ذاكْ البْرّادْ والصّوِينيا
وكيسانْ . . .

---

(47) حول هذا النوع من الشاي، انظر أعلاه، هامش 38.

والمْجمْر تاعْ الفاخْر والعْوادْ
واللّيلْ طْويلْ

وآتايْ أ الوْليدْ وأتايَاهْ
شْحٌر أوا بْرٌادْك
الخْلاوا كُلْها وحْسَابُو
أعْطيهْ أوا لْحْبابُو
ياكْ اللّي شْحْرو ما يَعرْف قْيَاسو

كُبِّي لي الكاسْ الّوْل
خَلِّي لي الكاسْ الّخْر
إلا كانْ تْمًّا باقِي

[التاگدة - لوز، تسجيل خاص]

129. رسالة إلى شهرزاد

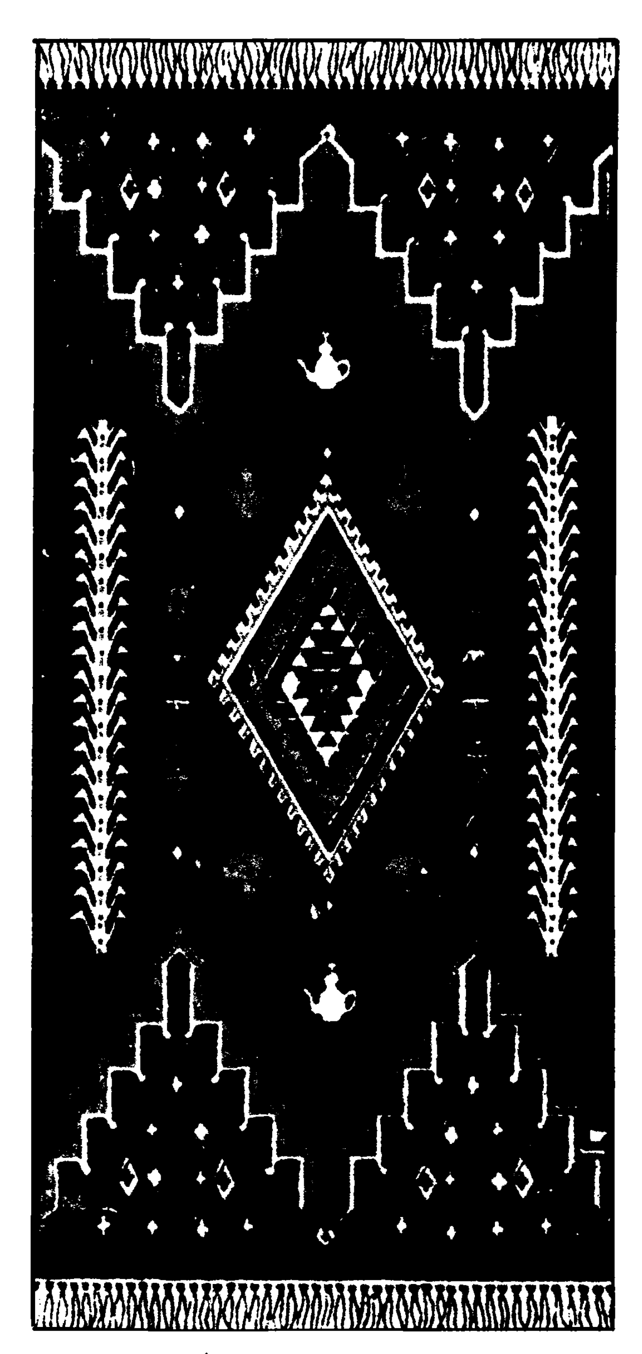
ولد إدريس المسناوي بتيفلت في زمور سنة 1949 م. وهو يعمل أستاذاً لمادة التربية البدنية بإحدى ثانويات مدينة سلا ، والمقطع التالي مقتطف من قصيدة «رسالة إلى شهرزاد» ، وهي منشورة في أول ديوان زجل صدر للمؤلف .

مالْ النْهارْ ومالْت مْعاهْ اكْتافْنا
عْلى راسْنا دارْ خيَالْ المَايْدا
احْنا شْفنَاهْ وهُوَ ما شافْنا
الكْرْش غْدّارا . . . بْلا ما تْشاوْرنا مْدّت يْدّينا
عافْنا الشّايْط ودفَعْنا عْلى وْجْهنا وف قاعْ البْرَّاد مْشينا
تْسنَّاتْ الكيسانْ حْتى اعْياتْ وتْكلْمَتْ فينا
خاوي وْالاّ عامْر ذاكْ البْرادْ ؟

قُولي كُلْشي مْكَادّ
وسْكْتي يَا شَهْرَزَاد

[المسناوي، ص 28]

حضور البراد في مخيال النساج المغربي



المصدر : بطاقة بريدية : "زربية من الأطلس الكبير" سيرار، الدار البيضاء.

130. رأيت المغرب كله في البراد

ولد الشاعر عبد الله زريقة سنة 1953 بالدار البيضاء. وقد درس الفلسفة، وألف عدة دواوين شعرية. وأمدنا المؤلف مشكوراً بالنص التالي الذي لم يسبق نشره في صيغته الأصلية (48).

نفسُ طفولتي هناك في البراد. أشرب الشاي أو أرضع، شيء واحد. هذه «الآحْ» التي بدأنا بها شرب الشاي، واختفت لأن شيئاً ما جعلها «بذيئة». وكَبَتَها. «آح» هي العلامة التي بيني وبين البراد. وهل يُبرّد البراد هذه «الآح» ؟ لماذا أسموه بالبراد؟ وماذا يبرد ؟ أي نار يريد إطفاءها ؟ يد البراد. فم البراد. نفس العلامة التي بين يدي وفمي. علاقة رضاعة، وحنان، وغفوة. هكذا شكل البراد. الفم في مقدمته واليد في الخلف. ثم هل فكرت جيداً في هذا الحضن الذي يستوي عليه البراد ؟ حضن أُم جالسة. أُم لا تتكلم. ولكن فم الرضيع فقط هو الذي يُسمع صوتًا ما.

وإذا لم يتكلم البراد في شيء ما، فإنه يتكلم مباشرة في فم كأس. ومن فم الكأس إلى فم شخص. من فم إلى فم. هكذا رحلة كلام البراد. وقبل أن يتكلم الناس الذين حول الصينية يدور كلام البراد «في» أفواه الكؤوس. وينتقل كلامه إلى أفواه الناس ويدور الكلام من بعد حول دائرة الصينية. يدور حول الأرض.

وبعد، هل يمكن أن نتصور الكلام غير دائري ؟ كلام تتناقله أفواه الأشياء (البراد، الكؤوس . . .) وأفواه الناس. لكن من يتكلم حقاً ؟ الناس أم البراد ؟ ومن هو الفم الأول إذن ؟

لا أول ولا أخير هناك. وكذلك لا أشياء ولا ناس. لا فرق.

لكن الناس لا يجتمعون إلا حول البراد. حول دائرة الصينية بالضبط. أي دار تستقيم بدون براد؟ وأتصور الحكي مرموزاً له بالبراد. الحكي المجرور من فم إلى فم. الحكي الذي لا بداية ولا نهاية له يدور فقط. حكايات تدور حول الصينية. والحاكي هم فم وفم وفم. الحاكي غير موجود بالتحديد. وإنما جار كالشاي في الكؤوس. حكي متقطع برشفة شاي. بـ «آح».

---

(48) سبق أن نشرت ترجمة فرنسية لهذا النص، ضمن ملف حول الثقافة المغربية. انظر البيبليوغرافيا.

كل الكون في هذا البراد بالضبط. الصينية الأرض. والبراد السماء[49]. والكؤوس المطر. من البراد إلى الصينية عبر الكؤوس. تمجيد للمطر في هذه الصلاة التي لا تُنطق وإنما تُرتشف وتُشرب من فم إلى فم. من فم السماء إلى فم الكأس إلى فم الأرض. أن تشرب الشاي إذن هو أن تسوّي روحك بهذا الكون. وتُصبح أنت والكون شيئاً واحداً. يرتفع البراد إلى الفوق ويَسقي. وعلاقة الأرض بالسماء هي علاقة رضاعة. علاقة رضيع بأمه. نفس طفولتي في هذا الكون. البراد.

واليد. يد البراد من يرفعها؟ لم أر سوى أبي ولم أر سوى آباء يولون أمر إعداد الشاي ورفع تلك اليد بالضبط. يد الأب، حيث كان «الشمل» قائماً بكل أشكاله في الدار المغربية. لم يكن أحد يجرؤ على وضع الصينية حول رجليه. وفي الأعراس كان الذي يتولى إعداد الشاي أباً أكبر من الآباء الموجودين. لا يد تجرؤ على مس يد البراد غير يد الأب الكبرى.

وسنرى فيما بعد، حين انفصلت نغمة الصينية عن نغمة الأرض، كيف سقطت تلك اليد، وبدأ الكل يجرؤ على مسها. وكيف أصبحت الصينية مربعا أو مستطيلا من البلاستيك أو المعدن. ثم كيف أصبح الشاي يعد في مكان خارج الجماعة. لقد انفصلت يد البراد عن فمه بالضبط. وأصبح الكلام مستطيلاً أو مربعاً هو الآخر. ولا يجد شيئاً دائرياً يدور حوله.

وحين أرى رأس البراد، أتصور قبة السيد أو قب الجلباب. «جسم مغربي» كامل يكون من رأس ويد في الخلف وفم في الأمام وحضن أُم جالسة. هكذا تصوروا هذا الجسد وحوله الأبناء الكؤوس. شمل مجموع. أب في الفوق، وأم في التحت. وتصورت أنا طفولتي في فم هذا البراد، وعلاقة يدي بفمي. ثم هذه العمامة التي حول الرأس. نفس العمامة التي تفرغ في الكأس حيث يرفع البراد عالياً «ليضع عمامة» «في» الكأس. البراد السيد يوزع سيادته على الكؤوس.

ولم أر سوى البراد للجماعة. والبْريّقْ لفرد واحد في الغالب. أو واحد مع نفسه. واحد يتأمل الأرض حوله. بْريّقْ اسم مصغّر من البريق يُبرق في هذا الكون.

---

(49) نجد استعارة مشابهة عند الشاعر نايت إخلف، أنظر نص 102 أعلاه، ص 307.

ولكن حيث تمس اليد يد البراد، يمس الفم الفم الآخر. فم البراد يمس فم الكأس. وفم الكأس يمس فم الشارب. يحل جسم الإنسان في جسم البراد بأكمله، كما يحل جسم البراد في جسم الكون بأكمله. لكن ماذا يُفرغ البراد؟ وهل يحق لي أن أعرف ذلك؟ وهل يمكن أن يُفشَى السرّ؟

لكن الشيء الذي أعرفه هو أن نغمة رأسي هناك داخل البراد. وكلما شعرت بخواء يزحف داخل رأسي، رفعت البراد إلى الفوق وأفرغت الكأس في جوف رأسي تماماً. لا علاقة للبراد بجوفي بل برأسي. أريد أن تتساوى النغمات التي تتصاعد في رأسي بنغمات تدور بدوران الأرض. أريد أن يبرد البراد ناراً لسانها لساني ووقودها رأسي تماماً.

وحين أتكلم يجري كلامي كالماء تماماً. كما لو أسقي جفافاً ما. البراد يرُشّ كلامه في أفواه الناس عبر أفواه الكؤوس. ولم أتصور الكلام إلا نباتاً في الأرض. ولم أتصور الإنسان إلا براداً يتكلم في صينية الأرض. والكلام الذي لا أرض له ليس كلاماً. والكلام الذي ليس كالماء ليس كلاماً. الكلام الذي نبت ورودًا وزهوراً، وينمو بشكل سريع جدًا. فلا علاقة للبراد إلا بالأرض. الشاي نبات. النعناع نبات. وماؤه من الأرض. وحين أشرب تعبق رائحة الأرض داخل جسدي وأنتشي. وتتكلم الأرض داخلي ويجري كلامها في عروقي.

وهو كلام محلّى بالسكر. وكلام ذو رائحة نعناع. كلام يبدأ مما شاء وينتهي بما شاء. لا مواضيع رئيسية له. ويتكلم الناس بدون أن ينتهي المتكلم. ويتكلمون كلهم دفعة واحدة. ولا أحد مُتكلم بالضبط. الكلام هو سيد الكلام.

لكنه كلام مزوق أيضاً. ألوان زاهية في الكلام. ألوان الأرض الحارة. الأخضر الأصفر الأحمر. ولا أسود في الكلام. الأسود ملعون. لأن لا وجود له في عين المغربي للأرض. ولذلك فالمتكلم أمام البراد هو صانع يقوم بتزويق الكلام. يزوق التفاصيل ويتيه في ألوان زاهية لصورة جانبية أو هامش يدققه. لأن كل شيء أمامه مدقق بالتزويق. الصينية، البراد، الكؤوس مزوقة. الأرض خيال مزوق. لم يترك المغربي شيئاً أمامه إلا وزوّقه. ورأى العالم بعين طفل جديد. وكل شيء مُحلّى. السكر في التعبير عن الفرحة. لا يمكن أن يتجاوز عتبة الدار بدون سكر. كأنه يريد تحلية مرارة العتبة «وحرجها» و«سرها». كل هذه الأشياء يجمعها البراد. حين يُفتَح البراد يجمع هواء ورائحة الأرض وألوان الأرض. سُكر الناس وفرحتهم. والكلام الذي يُزوّق عن طريق الشاي، وحتى يد الصانع التقليدي لا تعمل إلا

وبجانبها كأس شاي. تتحرك اليد كما تتحرك الكأس. وكأني ببعض النباتات الصغيرة المجردة هناك في تزويقات ألواحه هي أوراق نعناع أو شاي.

ولهذا رأيت المغرب كله في البراد.

[زريقة، نص غير منشور]

الشاي في المخيال السياسي بالمغرب



المصدر: جريدة **الاتحاد الاشتراكي**، الدار البيضاء، 5 يونيو 1997.

مَلاحِق

1. معطيات اقتصادية

أ. معطيات احصائية

- الواردات الرئيسية بالمغرب (1830-1842)
- واردات الشاي حسب الموانىء (1884-1906)
- واردات الشاي (1840-1910)
- إحصائيات استيراد الشاي ببلدان المغرب الكبير (1920-1922)
- واردات الشاي والقهوة والسكر (1911-1990)
- الشاي ومشروبات أخرى ضمن بنية المصاريف الفردية السنوية (1959-1991)
- واردات السكر والقهوة والشاي ببلاد المغرب الكبير (1984-1986)

الواردات الرئيسية بالمغرب 1830-1842

بالفرنكات

	1830	1831	1832	1834	1835	1836	1839	1840	1841	1842
القطن والمنسوجات القطنية	2 703 000	2 101 000	2 080 000	2 699 000	3 930 000	-	4 818 000	6 487 000	4 136 000	4 336 000
منسوجات الحرير	-	415 000	780 000	614 000	769 000	-	-	1 200 000	986 000	571 000
الحديد والصلب	-	275 000	433 000	551 000	669 000	-	530 000	698 000	629 000	1 220 000
القهوة	7 000	20 000	13 000	40 000	52 000	-	-	225 000	92 000	108 000
السكـر	397 000	390 000	453 000	712 000	792 000	859 000	705 000	1 136 000	1 262 000	776 000
الشـاي	60 000	67 000	110 000	143 000	421 000	-	-	292 000	157 000	138 000
السكر والشاي	457 000	457 000	563 000	855 000	1 213 000	-	-	1 428 000	1 419 000	914 000

المصدر : مييج. المغرب وأوربا، ج. 1، ص. 135

واردات الشاي حسب الموانئ (1884-1906)

بالفرنكات

السنوات	تطوان	طنجة	العرائش	الرباط	الدار البيضاء	الجديدة	أسفي	الصويرة	المجموع
1884	6.800	633.940	32.500	51.300	214.250	32.500	58.825	187.500	1.217.275
1885	5.000	421.625	235.680	91.475	235.343	41.400	23.800	266.250	1.320.573
1886	17.500	361.525	273.000	109.750	203.515	62.125	93.750	431.025	1.552.150
1887	6.200	378.750	64.675	214.250	273.470	98.500	75.150	393.875	1.504.870
1888	13.600	401.750	342.300	218.403	285.468	75.625	45.000	383.750	1.766.901
1889	6.250	499.300	99.700	141.300	448.358	101.375	129.000	330 .055	1.755.338
1890	11.600	597.250	75.150	196.900	470.635	93.800	140.500	278.300	1.864.185
1891	10.000	183.371	117.620	275.184	590.950	206.400	142.500	439 .075	1.965.100
1892	---	---	173.330	222.400	442.512	133.590	314.000	485 .425	---
1893	7.875	508.410	193.230	187.500	512.517	230.600	222.100	404.510	2.266.742
1894	16.500	---	237.730	223.575	313.750	54.250	139.500	346 .500	---
1895	19.925	573.375	492.675	233 125	378.500	126.225	178.150	185.000	2.685.975
1896	27.975	568.000	455.550	216.025	427.593	212.850	150.675	574 .450	2.615.100
1897	13.675	275.300	362.825	166.875	455.238	245.700	97.125	269 .850	1.885.900
1898	20.175	473.050	262.325	198.825	589.438	235.900	123.000	728 .271	2.530.984
1899	22.325	469.775	193.750	175.850	748.616	313.900	106.000	373 .350	2.408.600
1900	28.125	549.250	148.350	148.550	570.024	295.350	160.625	704 .000	2.503.800
1901	25.000	417.875	130.000	214.275	653.814	247.200	149.625	935 .600	2.791.389
1902	10.000	721.675	251.000	388.800	998.096	212.050	311.375	1 .538 .125	4.411.000
1903	---	741.875	---	312.379	995.702	280.500	485.485	1 .190 .200	4.423.075
1904	---	471.675	200.000	327.826	632.998	255.024	530.500	1 .300 .500	4.437.045
1905	---	423.000	---	326.743	356.983	294.462	510.550	669 .765	3.850.000
1906	---	---	---	582.472	953.391	391.350	540.550	1 .080 .894	5.227.500

المصدر : مييج. "أصول"، ص 394

واردات الشاي (1840–1910)

السنوات	القيمة(بالفرنكات)	الوزن (كلغ)	السنوات	القيمة(بالفرنكات)	الوزن (كلغ)
1840	193.000		1885	1.320.573	306.350
1841	158.000		1886	1.552.150	420.000
1842	138.000	12.320	1887	1.504.870	415.300
1843	83.478	8.000	1888	1.766.901	
1849	114.000	11.400	1889	1.755.338	430.100
1850	17.700	1.475	1890	1.864.185	488.107
1853	240.000	26.000	1891	1.965.100	492.253
1860	300.000	35.998	1892		489.783
1866	462.500		1893	2.266.742	
1867	587.575		1894		
1868	603.050		1895	2.685.975	
1869	1.005.250	145.075	1896	2.615.100	
1870	644.525		1897	1.885.900	
1871	708.700		1898	2.530.984	
1872	940.275		1899	2.408.000	
1873	744.430		1900	2.503.800	
1874	755.600		1901	2.791.389	
1875	1.060.000		1902	4.411.000	1.500.000
1876	1.084.463	181.151	1903	4.423.075	
1877	844.650	154.206	1904	4.437.025	
1878	883.325	168.701	1905	3.850.000	1.485.595
1879	890.700	181.853	1906	5.227.500	2.002.636
1880	957.950	195.980	1907	4.353.750	
1881	826.725	188.522	1908	6.002.110	2.787.000
1882	889.725	195.771	1909	5936.086	2.655.000
1883	802.650	197.001	1910	5.472.432	2.510.000
1884	1.217.275	275.000			

المصدر : مييج. "أصول"، ص 389

إحصائيات استيراد الشاي ببلدان المغرب الكبير (1920–1922)

	المغرب		الجزائر		تونس	
	الوزن (آلاف الأطنان)	القيمة (آلاف الفرنكات)	الوزن (آلاف الأطنان)	القيمة (آلاف الفرنكات)	الوزن (آلاف الأطنان)	القيمة (آلاف الفرنكات)
1920	3	32 000	0,3	3 000	0,2	1 000
1921	3	24 000	0,3	3 000	0,7	6 000
1922	4	30 000	0,3	4 000	0,9	8 000

المصدر : **مجلة الزراعة الاستعمارية**، شتنبر 1924، عدد 81، ص 71

واردات الشاي والقهوة والسكر (1911-1990)

معدلات سنوية بالأطنان وآلاف الفرنكات

	الشاي		القهوة		السكر	
السنوات	الوزن	القيمة	الوزن	القيمة	الوزن	القيمة
1911-15	2.431	5.592	423	611	48.698	27.531
1916-20	2.284	18.165	1.114	2.485	41.468	78.920
1921-25	3.915	38.810	-	-	69.205	158.755
1926-30	5.572	123.105	2.095	22.185	113.573	276.226
1931-35	-	-	-	-	-	-
1936-40	8.276	-	-	-	-	-
1941-45	1.844	-	9.305	-	67.991	-
1946-50	7.572	2.500.051	4.643	661.179	152.024	8.756.858
1951-55	13.226	6.249.138	4.335	1.562.910	276.168	13.821.395
1956-60	13.434	5.645.352	6.608	1.882.890	336.194	16.907.003
1961-65	11.494	5.758.500	9.021	2.429.540	378.264	25.481.420
1966-70	14.054	8.143.780	11.748	3.661.240	291.283	14.118.980
1971-75	13.010	8.926.780	19.290	4.555.380	260.035	43.336.840
1976-80	16.936	13.799.260	7.581	9.350.540	302.750	46.434.000
1981-85	19.800	35.800.000	13.200	13.840.000	269.800	57.320.000
1986-90	25.400	54.720.000	16.400	33.780.000	279.000	53.720.000

المصدر : سلسلة الدلائل الإحصائية (انظر البيبليوغرافيا).

الشاي ومشروبات أخرى ضمن بنية المصاريف الفردية السنوية

بالدراهم

	1959-60			1970-71			1984-85			1990-91		
	بادية	مدينة	المجموع	بادية	مدينة	المجموع	بادية	مدينة	المجموع	بادية	مدينة	المجموع
الشاي	16,6	17,4	16,8	18,6	15,2	17,5	68,4	62,3	65,7	86,7	85,8	86,3
القهوة	01,8	07,4	03,3	06,2	11,4	08,0	32,2	39,4	30,3	36,6	61,2	48,1
نباتات عطرية أخرى	-	-	-	02,8	0,5,7	03,8	15,5	19,6	17,3	22,1	33,2	27,3
السكر	41,9	30,9	39,0	61,0	51,1	57,7	116,2	98,5	108,5	166,6	153,8	160,6
مشروبات مستهلكة داخل البيت	-	0,5	0,1	0,2	10,3	03,2	02,5	18,9	09,6	09,0	39,6	23,4
معدل المصاريف الغذائية الفردية السنوية	279,9	366,1	315,6	420,8	615,4	485,4	1490,2	2118,7	1762,1	2527,3	3717,8	3085,5
معدل المصاريف الإجمالية الفردية السنوية	392,4	613,4	449,8	662,0	1378,0	900,0	2637,0	4915,0	3623,0	4624,0	9224,0	6780,0

المصدر : مديرية الإحصاء، سلسلة البحوث حول استهلاك ومصاريف الأسر

واردات السكر والقهوة والشاي ببلاد المغرب الكبير

1986-1984

بالأطنـان

المنتوجات	الجزائر			المغرب			تونس			1986 : الاستيراد/معدل فردي		
	1984	1985	1986	1984	1985	1986	1984	1985	1986	الجزائر	المغرب	تونس
السكر	630070	620 480	**670 030**	283 210	238 000	297 200	140 520	176 660	196 370	29,90	13,26	26,30
- السكر الخام	446 150	466 800	**476 000**	283 210	238 000	297 200	55 170	49 050	66 240	(21,20)	(13,26)	(09,14)
- السكر المصفى	169 210	141 380	**178 560**	-	-	-	78 520	117 390	117 880	(07,96)	-	(15,80)
القهوة	70 547	79 575	67 000	15 873	12 980	11 900	4 693	5 820	5 681	02,99	00,52	00,76
الشاي	5 850	4 687	*4 800	22 586	21 580	20 400	11 635	12 830	14 783	00,21	00,89	01,98

* : تقديرات المنظمة العالمية للتغذية والزراعة

** : معطيات غير رسمية

مصدر المعطيات : إحصائيات المنظمة العالمية للتغذية والزراعة، واجتهادات خاصة.

المصدر : أ. كالاطرافا وأ. ف. لوركا، **التبعية الغذائية في بلدان المغرب الكبير**، ص82.

ب - وثائق من أرشيف الحماية الفرنسية

[لائحة مستوردي الشاي بالمغرب]
(1915)

القنيطرة

لومانيسيي	Le Manissier :
وكالة شركة پاكي	Agence de la Cie Paquet :
سانستيي	Sansetier :

الرباط

برانشفيگ وشركاه	Braunschig et Cie :
الشركة المغربية	Cie Marocaine :
شركة الدراسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
لوزي	Lauzet
إيسو	Yso :
الحاج بوبكر مولين	Hadj Boubker Mouline :
السي عبدالقادر بن الحسين	Si Abdelkader ben Hosseine :
محمد بوجندار	Mohammed Bouzendar :
أبراهام بنزاكن	Abraham Benzaquen :
الزغواني بن الحسين	Zaghouani ben Hosseine :
المحجوب بنسعيد	Mahjoub ben Said :
الحاج محمد البحراوي	Hadj Mohammed el Bahraoui :
محمد مارسيل	Mohammed Marcil :
الجلالي بن بوعزة	Djilali ben Bouazza :
أحمد بن الحسين	Ahmed ben Hosseine :

الدارالبيضاء

أ. فيليپ	A. Philip :

شركة الدراسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
برانشفيگ وشركاؤه	Braunschvig et Cie :
الشركة المغربية	Cie Marocaine :
ل . أودي	L. Odet :
فتيح مصطفى	Ftiah Mustapha :
طوليدانو إخوان	Toledano Brothers :
مردوخ باتلر	Murdoch Butler :
بنيس	Bennis :
المليح	El Maleh :
جبيلون	Djebillon :
فرديك	Verdick :
يامين عمور	Yamin Amor :
سيموني	Simony :
الطاهر التازي	Tahar Tazi :
بن شايا	Benshaya :
بن جلون	Ben Djelloul :
بن شقرون	Ben Chocroun :
محمد برادة	Mohammed Berrada :

الجديدة

برودو أبناء	Brudo Fils :
أ . گارنيي وشركاؤه	A. Garnier et Cie :
الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :
جوزيف بنسيمون	Joseph Bensimon :
جوزيف أبرغل	Joseph Abergel :
نسيم بنسيمون	Nessim Bensimon :
الحاج عباس بوركاليب وشركاؤه	Hadj Abbas Borkalib et Cie :
س . ج . لاريدو	S. J. Laredo :
أحمد جسوس	Ahmed Guessous :
أبراهام بن عطار	Abraham Benattar :

روبير سبيني وأبناؤه	Robert Spinney and Sons :
ماير بنسيمون	Meier Bensimon :

أسفي

برانشفيگ وشركاؤه	Braunschvig et Cie :
الشركة المغربية	Cie Marocaine :
شركة الدراسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
مرودوخ باتلر	Murdoch Butler :
لامب إخوان	Lamb Brothers :
بيميانتا وأبيكسيس	Pimienta et Abecassis :
ج. مرسيانو المليح	J. Mursiano El Maleh :
حمزة بنهيمة	Hamza ben Hima :
مويز ليڤي	Moise Levy :
بن دڤيد أوحايون	Ben David Chayon :
مسعود أبيكاسيس	Messaoud Abecassis :
محمد الگرواني	Mohammed El Guerrouani :
بنسوسان	Bensussan :

الصويرة

رورببر بول	Robert Boulle :
ج. روتمان وأبناؤه	J. Reutemann et Fils :
الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :
ألبير كوتول	Albert Coutolle :
شركة الدراسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
هارون ليڤي	Aaron Levy :
طوليدانو إخوان	Toledano Brothers :
فرانك دهان	Frank Dahan :
ماير بنسوسان	Meyer Bensussan :
يعقوب رواح	Jacob Ruah :
العربي بن الطاهر	Larbi ben Tahar :

ف. خياط	V. Khiat :
أبراهام بوغانيم	Abraham Boganim :
هودا أنوهاري	Hudah Anohary :
ليڤي إخوان	Levy Bros :
سالمون أفرياط إخوان	Salomon Afriat Bros :
ر. يولي وشركاؤه	R. Yuli and Cie :
دهان إخوان	Dahan Bros :
دامونت إخوان	Damonte Bros :
ميناحيم أبنحايم	Menahim Abenhaiem :

فـاس

برانشفيگ وشركاؤه	Braunschvig et Cie :
الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :

مكنـاس

برانشفيگ وشركاؤه	Braunschvig et Cie :

مراكـش

برانشفيگ وشركاؤه	Braunschvig et Cie :
الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :
شركة الدراسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
الشركة التجارية للإستيراد والتصدي	Société Commerciale d'Iportation et d'Exportation

طنجـة

طيو فورث	Théo Furth :
ا. ر. بوني	E. R. Bonnet :
ج. مونطاني	J. Montagne :
الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :
برانشفيگ	Braunschvig :

فرانس ـ ماروك	France -Maroc :
أ. جايي	E. Jayet :
ڤالنسي	Valency :
موليون	Maulion :
بندلاك	Bendelac :
هـ . پوشون	H. Pochon :
شركة الدرسات والتجارة	Société d'Etudes et de Commerce :
فريرو	Frérot :
شركة الملاحة والتجارة	Société de Marine et de Commerce :
جاكوب إسحاق لاريدو	Jacob Isaac Laredo :
پول شيلير	Paul Schiller :
فيشر وشركاؤه	Fischer et Cie :
س. ب. لاسري	S. B. Lasry :
جوزيف طوليدانو	Jos. Toledano :
موسيس إسحاق ناهون	Moses Isaac Nahon :
أبراهام. هـ. بنشيمول	Abraham H. Benchimol :
ماكليود براش	Macleod Brash :
أزولاي دڤيد وشركاؤه	Azulay David et Cie :
أولسيس وشركاؤه	Olcese et Cie :
أ. پيتري	A. Petri :

تطوان

طيو فورث	Théo Furth :
أ. ر. بوني	E. R. Bonnet :
أوڤيني وشركاؤه	Auvinet et Cie :
ج. مونطاني	J. Montagne :
إلياس م. بنعطار	Elias M. Benatar :
ج. بنطوليلا وشركاؤه	J. Bentolila et Cie :
أبراهام كرياط	Abraham M. Coriat :
سمويل ڤ. إسرائيل	Samuel V. Israel :

أمحمد الفاس	Emhammed El Fas :
سلهوم ف. سرفاتي	Salhom V. Serfaty :
دفيد إ، بنسعدون	David I. Bensadon :
بروي كرياط وشركاؤه	Bruy Coriat et Cie :
أبراهام مرشيلون وشركاؤه	Abraham Marchilon et Cie :
سمويل بنمركي	Samuel Benmergui :
د. إ. كوهن وشركاؤه	D. I. Cohen et Cie :
سلفادور حسن	Salvador Hassan :
ج. بنعطار	J. Benatar :

العرائش

الشركة المغربية	Compagnie Marocaine :
ريكوبي	Recopé :
ل. دي لاروش	L. de Laroche :
عمران أمسلّم	Amran Amsellem :
ف. لورد	F. Lorde :
بن كيران	Ben Kiran :
بوصفيحة	Bousfiha :

[**مذكرة حول تجارة الشاي بالمغرب**، دجنبر 1915، ضمن خ. ع. ر.، مستندات مصلحة التجارة، ملف 117، واردات المواد الغذائية.]

ملحوظة: وردت اللائحة في الوثيقة بالحرف اللاتيني فقط. وقد عمدنا إلى كتابة نفس الأسماء بالحرف العربي، مع ما قد يحيط بهذه العملية من لبس في بعض الحالات.

مذكرة حول تجارة الشاي بالمغرب
(1924)

معطيات عامة. الشاي كأهم مُحفز لبيع السكر بالمغرب

يحتل الشاي بالمغرب الرتبة الثانية بين الواردات المستهلكة من طرف الأهالي. فهو يأتي مباشرة بعد السكر، والواقع أن ما يحدّد أهمية الطلب بالنسبة لهذين المنتوجين هو ثمن السكر بالأساس. فكلّما ارتفع هذا الأخير، كلّما نقصت قدرة الأهالي على شراء مادة السكر. وقد قيل إن الشاي يشكل بالنسبة للمغاربة فرصة لاستهلاك السكر. وهذا أمر مؤكد، إذ أن التقلبات التي يعرفها استهلاك الشاي توافق بشكل عكسي تقلبات ثمن السكر.

منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، حلّ الشاي الأخضر محّل القهوة بالمغرب، وفي وقت معين كاد أن يعوِّضها بشكل تام. لكن قبل بضع سنوات من اندلاع الحرب [العالمية الأولى]، بدأت القهوة تنتشر من جديد في الوسط المغربي، وتسربت داخله بكميات تستحق الذكر. ومع ذلك يبقى الشاي المشروب الوطني لأهالي الإمبراطورية الشريفية، حيث يفوق استهلاك الشاي الأخضر 4 000 طن سنوياً في الوقت العادي.

وتظهر العلاقة بين واردات الشاي والسكر بالمغرب بشكل جلي، حين نقارن بين هذين العنصرين في إطار جدول إجمالي ترتّب فيه المعطيات ترتيباً سنوياً.

واردات الشاي والسكر المُصفى عبر موانئ منطقة الحماية الفرنسية [بالكيلوغرامات]
(1913 - 1923)

السنوات	الشاي	السكر المصفى
1913	3 149 731	66 359 687
1914	1 964 757	38 788 213
1915	2 181 904	58 036 242
1916	3 085 243	41 567 314
1917	2 338 200	43 950 694
1918	1 679 200	29 826 031
1919	1 898 755	44 577 012
1920	2 418 684	47 420 091
1921	2 518 439	50 273 637
1922	3 975 897	67 052 169
1923	3 152 831	60 206 112

وإلى جانب هذه الواردات التي تمر بالموانئ، هناك كميات أخرى من الشاي تعْبر الحدود الجزائرية ـ المغربية، وهي كميات لم تبلغ حجماً هاماً إلا ابتداء من سنة 1920 :

1919 : 23 500 كلغ
1920 : 231 800 كلغ
1921 : 199 900 كلغ
1922 : 398 300 كلغ
1923 : 382 372 كلغ

ويفوق معدل الواردات الإجمالية للسنتين الأخيرتين مقدار 960 3 طن.

وعند تفحُّصنا للجدول المقارن السابق، نلاحظ أن واردات السكر والشاي انخفضت إلى أدنى مستوياتها في سنتي 1914 و1918، وهو أمر يعود إلى أسباب بديهية. وخلال الحرب الكبرى، اقتضت الضرورة إقرار سياسة خاصة تهمُّ مادة السكر بالمغرب. فبينما استهلك الفرنسيون مادة الساكارين بدون تحفظ، كانت الوضعية بالمغرب مخالفة، إذ أن افتقاد الأهالي لمادة السكر، وهي أساس تغذيتهم، كان من شأنه أن يهدد وجودنا بهذه المستعمرة. وبما أن السكر وصل بدون انقطاع فيما بين سنتي 1915و1917 ، فقد ظل المغرب يستورد كميات هامة من الشاي. وفيما بين سنتي 1919 و1922 ، ارتفع حجم واردات

الشاي بنفس الوتيرة التي عرفتها واردات السكر، علماً بأن ثمن السكر انخفض آنذاك بشكل مستمر.

ونلاحظ من جهة أخرى، أن المغرب قد استورد 150 3 طن من الشاي، و000 66 طن من السكر المصفى في سنة 1913، وهي آخر سنة مرت في ظروف عادية قبل الحرب العالمية. ولم تعد الواردات إلى مستوى هذه الأرقام إلا في سنة 1922. وينبغي بطبيعة الحال أن نأخذ بعين الاعتبار الارتفاع الملموس الذي عرفه عدد الأهالي بعد مرور عشر سنوات من الحماية، وخاصة سكان المناطق الخاضعة لسلطتنا. ومع ذلك، ففيما بين 1913 و1922، بلغ ارتفاع واردات الشاي، عن طريق البحر والبر معاً، 466 224 1 كلغ، بينما لم يتعد ارتفاع واردات السكر 000 700 كلغ، مما يدل على أن ثمن هذا الأخير لا زال مرتفعاً أكثر من اللازم.

ويبدو أن هناك درساً من الممكن أن يستفيد منه أصحاب صناعة تصفية السكر، وتجار الجملة، وممثلو شركات بيع الشاي. فإذا قبل أصحاب التصفية الترخيص بتخفيضات في ثمن السكر المُصدر نحو المغرب، فإن ذلكَ سوف يسمح بتحقيقَ أرباح جديدة، لأن الاستهلاك سوف يعرف آنذاك تزايداً سريعاً. وهذا طبعاً مجرد اقتراح، فعلى أي حال، لا يمكن لهذا الاتفاق أن يؤثر بالشكل المطلوب إلا في حدود ما تسمح به ميكانزمات اقتصاد السوق. فإذا كانت هذه الأخيرة تسمح بتصريف المنتوج بثمن منخفض في حالة ارتفاع حجم المخزونات. وعندما يعجز الإنتاج عن الاستجابة للطلب، فإن ارتفاع الأثمان يؤدي إلى تقلص الاستهلاك.

والواقع أن انخفاض العرض هو الذي تسبب في الارتفاع المستمر الذي عرفته الأثمان العادية للسكر في سنة 1923 و بداية 1924. ونلاحظ مرة أخرى تلازماً واضحاً بين انخفاض واردات الشاي وبين انخفاض واردات السكر. فبالمقارنة مع سنة 1922، انخفضت واردات الشاي بمقدار 000 839 كلغ، وواردات السكر بمقدار 846 6 طن.

سبق أن قلنا في بداية هذا الفصل إن الشاي يحتل من الوجهة الإحصائية، الرتبة الثانية مباشرة بعد السكر، وذلك ضمن المواد الموجهة للأهالي. ومن الأصوب أن نضع السكر والشاي في خانة واحدة على ما يبدو، إذ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين واردات هاتين المادتين إلى درجة أن تطور إحداهما يؤثر بالضرورة على الأخرى.

مصدر الشاي المستورد بالمغرب

يستعرض الجدول المُثبت رُفقته التطور الذي عرفته واردات الشاى بمنطقة الحماية الفرنسية فيما بين 1913 و1922. وإذا راجعنا هذا الجدول، سرعان مانلاحظ أن فرنسا وأنجلترا كادتا أن تحتكرا عملية استيراد الشاي من الشرق الأقصى نحو الموانئ الأوربية المتخصصة في هذه التجارة. ويعود هذا التحول إلى انسحاب ألمانيا من السوق المغربية سنة 1914.

وإذا تأملنا نفس الإحصائيات بشكل أدق، فإننا نلاحظ، من جهة أخرى، أنه إلى حدود سنة 1918، كانت أنجلترا تستورد معدل 75% من الشاي المستهلك بمنطقة الحماية، بينما كانت حصة فرنسا لا تتعدى 15%. وبعد مرور فترة انتقالية دامت سنتي 1918 و1919، أصبحت فرنسا تحتل الرتبة الأولى، ويبدو أنها سوف تحتفظ بهذه الرتبة في المستقبل. أما ممثلو الدور التجارية الأنجليزية، فمن المستبعد أن يراودهم الأمل في استرجاع مكانتهم السابقة.

ولتفسير ما سبق، من المفيد أن نستعرض بإيجاز الظروف التي سمحت لفرنسا بأن تنتزع، في سنة 1918، موقعاً كان حلفاؤنا البريطانيون يتشبثون به بشكل خاص. وهو ما تجلى في الندم الذي عبروا عنه منذ ذلك الحين. «لقد فشلت التجارة البريطانية في هذا القطاع أكثر مما فشلت في أي قطاع آخر». ويعترف الأنجليز، من جهة أخرى، بأن قصورهم في مجال التنظيم هو ما أدى بهم منذ البداية إلى فقدان سوق الشاي بالمغرب.

استيراد الشاي عبر موانئ منطقة الحماية الفرنسية (1913-1923)

من بلدان	1913		1914		1915		1916		1917		1918	
	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك
فرنسا	453 308	1 073 015	270 163	828 030	289 046	729 310	663 006	2 205 082	279 544	1 207 418	927 603	10 133 124
انجلترا	1 866 266	4 265 157	1 354 869	2 502 008	2 192 090	6 541 511	2 421 299	9 060 779	2 958 654	10 976 090	731 214	8 828 585
ألمانيا	493 337	916 113	337 602	664 022	-	-	675	1985	-	-	-	-
اسبانيا	25	75	33	55	20	34	-	-	-	-	20 383	189 537
بلدان أخرى	337 795	589 914	2097	3147	248	2244	263	1031	2	12	-	-
المجموع	3 149 731	6 844 274	1 982 358	4 799 658	2 481 904	7 273 099	3 085 243	11 288 877	2 338 200	12 183 520	1 679 200	19 151 245

من بلدان	1919		1920		1921		1922		1923	
	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك	كلغ	فرنك
فرنسا	537 362	4 803 594	995 872	10 372 566	1 119 836	9 812 654	2 167 953	13 238 389	2 603 337	20 731 575
انجلترا	1 359 443	13 603 704	1 411 268	19 314 547	901 603	8 542 662	1 434 962	10 557 675	527 790	4 475 099
اسبانيا	1819	14 554	-	-	-	-	26	260	8408	81 364
الولايات م.أ.	131	1419	-	-	-	-	-	-	-	-
بلدان أخرى	-	-	11 544	92 847	497 000	803 154	372 956	2 889 594	13 296	87 424
المجموع	1 898 755	18 423 343	2 418 684	29 779 960	2 518 439	22 259 470	3 975 897	26 085 918	3 152 831	25 375 282

نبذة تاريخية

كانت الوقائع كالتالي :

في بداية سنة 1917، توصل بعض التجار المغاربة من مزوديهم الأنجليز، بإشعار مفاده أن تصدير الشاي الأخضر سوف يُمنع بالمملكة المتحدة في أجل قريب.

لم تكن الإقامة العامة تعرف ما إذا كان هذا الإجراء سوف يمس المغرب، علماً بأنه لم يكن يهم الحلفاء مبدئياً. ففي هذا السياق الغامض، سارعت السلطات الفرنسية بالمغرب إلى إنجاز استطلاع قصد التعرُّف على أسماء المستوردين المغاربة الذين يرغبون في التزوُّد مباشرة من شنغاي، مروراً بمرسيليا. لكن معظم هؤلاء لم تكن لهم رغبة في إرسال طلباتهم مباشرة إلى الصين، بسبب التزامهم مع شركات تجارية أنجليزية. وكان آخرون لا يتوفرون على معلومات كافية حول تجارة الشاي بشنغاي، لذلك اقترحوا أن يبادر المصدرون الصينيون إلى تقديم عروض واضحة للسوق المغربية. وهناك فريق ثالث عبر عن رغبته في أن يتوصل بالعيِّنات والأثمان من ممثلي الشركات التجارية المرسيلية.

وكان الشعور السائد آنذاك هو أن الصعوبات الظرفية جعلت المستوردين يرغبون أساساً في أن تتولى الهيئات الرسمية ضمان عملية النقل، وإنجاز الإصلاحات الضرورية لتسهيل تقديم طلبات الاستيراد.

كان «مكتب التموين» مكلفاً بحل هذه القضية الهامة. وقد اعتبر أن المهمة الأساسية هي أن يتأكد من أن الدور التجارية المرسيلية سوف تتمكن من تلبية الطلبات الجديدة الناتجة عن انسحاب المزودين الانجليز. بيد أن حصة المرسيليين في تزويد منطقة الحماية كانت قبل ذلك حصة ضئيلة.

وفي يوليوز 1917، تم تنفيذ منع تصدير الشاي من أنجلترا. ومن حسن الحظ أن «مكتب التموين» كان قد أجرى اتصالات مثمرة مع الأوساط المعنية بمرسيليا وباريس، فنشر آنذاك في الصحافة المحلية مذكرة اقتطفنا منها هذه الفقرة الرئيسية :

«بما أن الحكومة البريطانية منعت تصدير الشاي، فقد اهتم «مكتب التموين» بتسهيل الاستيراد المباشر من شنغاي (. . .). وبعد تسجيل مجموع طلبات الاستيراد، سوف يتدخل المكتب لدى الحكومة الفرنسية، لضمان نقل الكميات الكفيلة بتموين السوق المغربية بشكل منتظم. . .».

وهكذا تعوَّد المستوردون المغاربة على التعامل مباشرة مع شنغاي، عبر مرسيليا، وتخلوا عن الطريق المُكلف الذي كان يقتضي المرور بالوسطاء الأنجليز.

وهكذا انتقل استيراد الشاي بالمغرب إلى المرحلة الثانية من تاريخه. وسوف نتعرض، في نهاية هذه الدراسة، للقضايا التي طرحتها المرحلة الثالثة، أي الاستيراد المباشر من الصين، دون المرور بمرسيليا. وفي انتظار ذلك، حافظ ميناؤنا المتوسطي الكبير، سنة 1918، على الثقة التي حظي بها في السوق المغربية، إذ أنه في سنة 1925، استورد المغرب عبر مرسيليا حوالي 85% من حاجياته من الشاي.

أصناف الشاي المستورد بالمغرب

الزبناء الأوربيون :

يمكن تقسيم الشاي المستهلك بالمغرب إلى صنفين، وهما الشاي الأسود والشاي الأخضر. فالنوع الأول لا تستهلكه سوى الجالية الأوربية الميسورة. لذلك لا يشكل موضوع تجارة هامة في مستوى البيع بالجملة. وفي مستوى تجارة التقسيط، تروج بالمغرب نفس «الماركات» المعروفة بفرنسا، وهي : ليبطون (Lipton)، والشركة الاستعمارية (Cie Coloniale)، وريگوايز (Rigways)، الخ. وتباع هذه الماركات في شكل علب من المعدن أوالورق المُقوّى، وهي عُلب من فئة 125، و250، و500 غرام.

ومع ذلك، فالملاحظ أن عدداً هاماً من الأوربيين يشترون الشاي الأخضر الذي يباع للأهالي في الأسواق بالتقسيط.

الزبناء المحليون

تعود أهمية تجارة الشاي بالمغرب إلى الزبناء الأهالي بالأساس. وخلافاً لما يعتقده البعض، فإن هؤلاء لايستهلكون دائماً الأنواع الرديئة من الشاي. فالمغربي يعرف كيف يختارالمتوجات الرفيعة، لكن غلاءها يُرغمه على الإكتفاء بالأنواع الرخيصة في غالب الأحيان.

لاتروج بالسوق المغربية أنواع الشاي المصدر فى شكل أقراص، ولايباع بها سوى الشاي الأخضر في شكل أوراق، وينقسم هذا الأخير إلى خمسة أصناف رئيسية تطابق التسميات التجارية المتداولة في البلدان الأصلية :

- تشونغ مي (Chung Mee)، «المفتول». وهو شاي ذو لون رمادي أوأخضر، والرمادي منه هو المفضل. وله شكل جميل وأوراق كاملة بدون بقايا، وعطر ومذاق واضحان متميزان.

- سوو مي (Sow Mee)، «النميلي». وهو شاي ذو لون أخضر أو رمادي، والرمادي منه هو المفضل. وهو زكي ولين، وأخف من النوع السابق.

- گان پاودر (Gunpowder)، «الصويري»، نسبة للصويرة لأن هذا النوع يستهلك بالأخص بهذه المدينة ونواحيها. ويشتمل على بقايا الأوراق، وهو أقل مذاقاً عند الشرب.

- أما الصنفان الباقيان، فونغ مي (Fung Mee)، ويانغ هايسون (Yung Hyson) فهما أقل انتشاراً بالمغرب، خصوصاً النوع الثاني منهما.

ويشتمل كل واحد من هذه الأصناف الخمسة بدوره على عدة جودات تُعرف بعلامات («ماركات») مميزة مثل الأرقام، والنجوم، وعلامة X. وقد تنقسم كل «ماركة» بدورها إلى أنواع فرعية متميزة، قد يصل عددها إلى عشرة.

وفي كل صنف من هذه الأصناف، يختلف الثمن حسب الجودة. ويلاحظ أن الثمن هو الذي غالباً ما يوجه الأهالي في اختيار مشترياتهم أكثر مما يوجههم عامل الجودة. ويرتفع ثمن النوع كلما زادت قوة العطر، وتحسن شكل الأوراق من حيث انتظامها، وطريقة لفها ودرجة لمعانها، وكلما انخفضت نسبة الغبار وبقايا الشاي.

ولايتمكن التجار من التعرف على الأنواع التي يفضلها زبناؤهم إلا بعد ممارسة طويلة، إذ يتعلق الأمر بزبناء متشددين، وهو ما يجعل من الشاي تجارة بالغة الدقة والصعوبة بالنسبة لمن لم يُراكم تجربة كبيرة في هذا الميدان.

إن الأصناف الخمسة التي استعرضناها آنفاً لاتستهلك بنفس الكميات عبر مجموع التراب المغربي. فمن المعلوم أن الطلبات تتوزع تقريباً على الشكل التالي:

- سوو مي : بفاس وناحيتها،
- تشونغ مي : بالجديدة والدار البيضاء والرباط ونواحي هذه المدن،
- گان پاودر : بالصويرة وآسفي ومراكش ونواحي هذه المدن،
- فونغ مي : بالدار البيضاء والرباط وناحيتهما،
- يانغ هايسن : بالدار البيضاء (وهو أقل الأنواع انتشارا).

[مترجم من الفرنسية عن: **مونوغرافيا حول أهم المنتوجات المستوردة بالمغرب**، أبريل 1924، ص 1-9، ضمن خ. ع. ر.، مستندات مصلحة التجارة، ملف 117، «واردات المواد الغذائية».]

2. معجم أواني الأتاي

الصينية : كلمـة تطلق على الآنية المعـدنية التي توضع عليـهـا لوازم الشـاي. ويبـدو أن المغـاربة استـعـملوا في البـداية كلمـة **«طبلة»** لنفس الغـرض، والملاحظ أن هـذه التـسـميـة لازالت متـداولة في بعض المناطق، ولاسيـما في سوس والصـحراء. وتسـتعـمل في بعض المدن عبارة **«الراية د الصواني»** لتسمية مجموع لوازم الشـاي، بينما تستعمل بالأمازيغية عبارة **«إروكوتن ن-واتاي»** وهي تـرادف **«مواعن أتاي»** أو **«عمارة أتاي»** بالعـامية المغربية. والملاحظ أن صينية الكؤوس أكبـر من **صينية «الربايع»** التي توضع فيـهـا العلب الخاصة بالشـاي والسكر والنعناع وكأس «التشليلة». وفيـما يخص الجـودة، فقد اشتـهـرت **«صينية الرايد»**، وهي من أنواع الـصينيات الـرفيعـة، كـانت تُصنع بمعـامل ريتشـارد رايت بمدينة منشستر الأنجليزية، وكان طراز نقشها تركيـاً.

الزيـف أوالمنـديل أوالـدرَّة : عـبارة عن غطاء شـفـاف من الثـوب، المطروز أحـيـاناً، تغطى به الصينية.

البراد : تسـمية مغربية لإبريق الشـاي، ويبدو أن كلمة **«برادة»**. استُعملت سابقاً في الجزائر لتسمية إبريق القهوة. ومن بين الأنواع المستعملة بالمغرب نذكر :

- **براد النگليز** : وهو يُستورد من أنجلترا وعادة ما يكون من الرصاص، وهو عـادي لا نقش فيه،

- **براد المعدن** : وهو نوع يصنع مـحليـاً بمدينة فـاس. وله شكل مـوحـد بينمـا تتنوع أحجامه ونقوشه،

- **براد أليمان** : لعله تحـريف عـامي لكلمة فرنسـية تعني البـراد المطلي بالمينا. وهو براد صغير من المعدن تختلف ألوانه (مثل الأزرق، والبُنِّي الفاتح) ويستعمل عادة بالبوادي.

الزيزوا : آنية تقوم في آن واحد مقـام البراد والمقراج. وتستـعـمل في المقاهي العتيـقة لتحضير فنجان واحد من الشاي أو القهوة.

الكيسان : جمـع كأس، وهي الصيغة التي ساد استعـمالهـا في العامية المغربية. وتعتبر كؤوس البلار والطاوس من أرفع الأنواع المستعملة لشرب الشاي بينما يعتبر «كأس حياتي» من أبسط الأنواع المستعـملة وأكثرها شيوعاً. والراجح أن فنجان الخزف استُعمل قبل كأس الزجاج.

كاس التشليلة : كأس خاص يستعمل لافراغ الماء الذي غسلت به أوراق الشاي في بداية تحضير المشروب. ويكون هذا الكأس عادة من المعدن، ويسمى في مدن الشمال «كاس الشلالة».

المعيلقة : ملعقة صغيرة، وتشير بعض النصوص إلى استعمال ملعقة تتخللها الثقوب لإزالة وُريقات الشاي التي تطفو على سطح البراد.

العنبرة أوالعنبرية : وهي عبارة عن وعاء صغير من المعدن أو الفضة، له شكل كروي، يوضع فيه العنبر ويعلق داخل البراد بمخطاف صغير.

زنبيل أتاي : علبة معدنية خاصة بالشاي. وفي بعض مناطق الجنوب تعوّد الرحل على استعمال كيس من الجلد أو القماش للاحتفاظ بالشاي.

ربيعة السكر : علبة معدنية، وتسمى أيضا «الفنيق»، وبالأمازيغية «تامدليت ن سكّار».

مطرقة السكر : أداة تستعمل لتكسير سكر القالب. وتصنع لهذا الغرض من النحاس ومواد أخرى. وتُزيَّن أحيانا بأشكال فنية رفيعة. و في بعض الأحيان، تستعمل بدلها حجارة ملساء، كما أن أسفل أحد الكؤوس قد يوظف لنفس الغرض.

مقصّ السكر : أداة تستعمل لتقطيع السكر إلى أجزاء صغيرة.

جبانية النعناع : إناء خاص توضع فيه أوراق النعناع بعد غسلها، وتستعمل كذلك لنفس الغرض **«الربيعة»** أو**«الزليفة»**.

المقراج : أوالبقراج، كلمة من أصل تركي، تطلق على الأداة التي توضع فوة النار لتسخين الماء. وفي بعض المناطق، تستعمل كلمة **«الغلاي»** أو**«السخّان»**. ونشير إلى أن الكلمة «مقراج» كانت تطلق في طنجة على إبريق القهوة.

المجمر : ماعون معدني يوضع فيه الجمر لتسخين الماء. وإذا كان من طين فهو يسمى **«الكانون»** أو **«النافخ»**.

الرابوز : أو الرابوس، هو منفاخ يستعمل لتقوية النار في المجمر. وتطلق عليه في بعض المناطف كلمة **«الكير»**.

البابور : كلمة من أصل إسباني وتعني حرفيا «البخار»، والبابور تسمية محلية **للسموفر**، وهو ألة معدنية من أصل روسي تستعمل لتوفير الماء الساخن باستمرار.

الجبانـة : آنية من الزجاج أو الخزف، تقدم فيها الحلويات التي ترافق جلسة الشاي .

الطبـق : آنية تقدم فيها أنواع الحلويات المرافقة لجلسة الشاي وتختلف أحجام الطبق بين الصغير للاستعمال اليومي والكبير الذي يستعمل في الأفراح والمناسبات .

المرشة : أداة معدنية يوضع فيها ماء الزهر أو الورد ويرش بها الضيوف في جلسة الشاي،

المبخرة : ماعون معدني صغير يستعمل لإحراق أنواع من البخور خلال جلسة الشاي .

أواني النخبة الحضرية

الصينية

الربيعة

أواني النخبة الحضرية



البابور



طبق الحلويات

المصدر : مجموعة عائلة حكيمة برادة، الدار البيضاء، تصوير أحمد الحريري.

3. معطيات طبية ونباتية حديثة

أ. معطيات طبية حديثة حول الشاي

فنجان الشاي : تركيبه وقيمته الغذائية

◆ السعر الحراري : لا يتوفر فنجان الشاي على أي سعر حراري ، باستثناء ما يُضاف إليه من مقومات مثل الحليب أو السكر أو العسل.

◆ المكونات الرئيسية :

- الكافيين : قاعدة زانتينية (مثلث متيل-1، 3، 7 زنتين). وترافقها زنتينات أخرى، وهي الثيوفلين (ثنائي متيل-1، 3 زنتين)، والثيوبْرومين (ثنائي متيل-3، 7 زنتين).

- العفصيات (التانين) : وهي عبارة عن پولي فينولات مرتبة في مجموعتين حسب ذوبانها في أسيتات الأتيل. والجزء القابل للذوبان هو في شكل مسحوق ذي لون يميل للبرتقالي، وله مذاق قابض قوي، بينما الجزء غير القابل للذوبان له لون يميل إلى الرمادي، وله مذاقُ شاي خفيف.

◆ توزيع هذين المكونين :

- يختلف مقدار الكافيين والعفصيات حسب أنواع الشايات، وحسب مواقعها الجغرافية. ومعلوم أنه كلما تقادم الشاي، كلما نقص محتواه من الكافيين والعفصيات.

- توجد الكافيين إما منفردة وإما ممزوجة مع العفصيات.

- توجد العفصيات في الشايات المخمرة بقدر أقل مما توجد في الشايات الخضراء، ولايختلف النوعان فيما يخص نسبة الكافيين.

- عندما ينقع الشاي لمدة 3 دقائق، نجد في المشروب 75% من الكافيين و50% من العفصيات . وإذا استمر النقع لمدة أطول، فإن ذلك لا يزيد عملياً في نسبة الكافيين.

- وبالتالي، يتساوى الشاي الخفيف مع الشاي القوي من حيث مقدار الكافيين كلما دام النقع أكثر من 3 دقائق. لذلك فالوسيلة الوحيدة للتخفيف من نسبة الكافيين هي إضافة الماء الساخن، أو استعمال قدر أقل من الشاي.

- لتحضير فنجان بمقدار 15 مل، ينبغي استعمال 3 غرام من الشاي (محتوى ملعقة

قهوة). وتتوفر 3 غرام من الشاي على غرام واحد من المواد القابلة للذوبان، وتنتقل 30 إلى 40% منها إلى المنقوع خلال مدة تتراوح بين 3 و5 دقائق بالنسبة لماء تتراوح درجة حرارته بين 80 و85 درجة ستيغراد. فمقدار الكافيين في هذا الفنجان هو 80 مغ، ومقدار العفصيات 150 مغ.

◆ المكونات الأخرى:

- العناصر المعدنية:

بعضها قابلة للذوبان بشكل كلي (الصوديوم، والبوتاسيوم، والنيكل)، والبعض الآخر بشكل جزئي (الزنك والمغنزيوم). أما الحديد والكالسيوم والفوسفور، فقابليتها للذوبان تنقص مع تقادم الأوراق.

- مقدار الصوديوم في الفنجان الواحد (15 مل): 0،6 مغ، ومن ثَم فائدة الشاي في الأنظمة الغذائية التي تعتمد إلغاء الملح بشكل صارم.
- مقدار الفلور في الفنجان الواحد (15 مل): 0،3 مغ.

- الڤيتامينات:

سواء كان الشاي أخضراً أوأسوداً، فهو غني نسبياً بالڤيتامينات PP,K,B. ومحتوى الفنجان الواحد:

- ڤيتامين B2: 0،05 مغ،
- ڤيتامين B2: 0،05 مغ،
- الحمض البانتوتيني: 0،05 مغ،
- ڤيتامين PP: 0،04 مغ،
- فيتامين K: 0،1 مغ.

والأوراق الطرية غنية بالڤيتامين C (300 غرام في الكلغ)، غير أن هذا الأخير يتم القضاء عليه نتيجة للتجفيف أو التخمر.

- حمض الأُكساليك: 300 مغ / 100 مغ.

تأثير الشاي

◆ تأثير على الهضم: إن توفر الشاي على قدر كبير من مادة العفصيات يمنحه مفعول القبض.

◆ تأثير على الأعصاب.

- إثارة الوظائف المُخية

- انخفاض في حالة الغفو والإحساس بالتعب

- إثارة وظائف الإدراك والتداعي.

- وفي حالة تناول كمية كبيرة : الاختلاط الذهني، والتوتر، واضطراب الحواس.

◆ إثارة وظائف تحريك الأوعية :

- في المستوى العضلي : حالة الوهن العضلي.

- وعند تناول مقدار كبير :

• القلوصية،
• توسع طَرَفي للأوعية،
• تسارع وتيرة القلب وتزايد القلوصية.

◆ تأثير في إدرار البول.

◆ تأثير في الوقاية من نخر الأسنان، وهو مرتبط بتوفر الشاي على قدر كبير من مادة الفلور.

موانع استعمال الشاي

هي نفس الموانع المرتبطة بتناول القهوة :

- ارتفاع ضغط الشرايين،

- الأرق،

- التوتر العصبي،

- القلق،

- الخفقة (إسراع القلب)،

- قروح المعدة، والقروح العفجية (المتعلقة بالمعي الاثني عشري).

الشاي بدون ثايين

هو شاي انتُزعت منه مادة الكافيين. ولا ينبغي استعمال هذه التسمية بالنسبة لشاي يحتوي على ما يفوق غرام واحد في الكيلوغرام الواحد. وينبغي أن لا تؤدي عملية نزع الكافيين إلى حرمان الشاي من أي واحد من مكوناته الأخرى.

وهكذا تسقط موانع الاستعمال المرتبطة بالكافيين، بحيث لا تبقى سوى الموانع المتصلة بحضور العفصيات، ونعني بذلك مفعول القبض.

[أبْفِلْبُوم وآخرون، ص 641 - 643]

ب. الشاي والنباتات العطرية

الشاي

ل. *Thea sinensis* Sims *(Theaceae)*

ف. Thé

م. أتاي

1. أعشاب ونباتات عطرية وطبية

الأترج

ل. *Citrus medica* Risso *(Rutaceae)*

ف. Cedratier

الأفسنتين (أو شيبة العجوز)

ل. *Artemisa absinthium* L. *(Asteraceae)*

ف. Absinthe

م. الشيبة

حبق الأترنج

ل. *Melissa officinalis* L. *(Lamiaceae)*

ف. Mélisse

الخزامة

ل. *Lavandula officinalis* Chaix *(Lamiaceae)*

ف. Lavande

---

* رمز بـ : ع = عربية فصحى ؛ م = عامية مغربية ؛ ز = أمازيغية ؛ ل = لاتينية ؛ ف = فرنسية.

زهر البرتقال

ل. *Citrus sinensis* L. *(Rutaceae)*

ف. Fleur d'oranger

م. الزهر

السالمية (السالمة أو القصعين)

ل. *Salvia officinalis* L. *(Lamiaceae)*

ف. Sauge

ز. أشفاقش

الشيح

ل. *Artemisia herba-alba* Asso *(Asteraceae)*

ف. Armoise

ز. إزري، إفسي

الصعتر الشائع

ل. *Thymus vulgaris* L. *(Lamiaceae)*

ف. Thym

م. الزعتر

ز. أزوكني

العطرشة (م)

ل. *Pelargonium odoratissimum* (L.) L'Hérit. *(Geraniaceae)*

ف. Géranium rosat

الفودنج النهري (أو الضومران)

ل. *Mentha suaveolens* Ehrh *(Lamiaceae)*

م. مشيشترو (فاس)

ز. تيمِجّا، تيمرساض

اللويزة

ل . Aloysia *triphylla* Britt. *(Verbenaceae)*

ف . Verveine citronelle

المردقوش (المردوش أو المرزنجوش)

ل . *Origanum majorana* L. *(Lamiacea)*

ف . Marjolaine

ز . تايمرزا

المرو

ل . *Origanum vulgare* L. *(Lamiaceae)*

ف . Origan, marjolaine sauvage, thé rouge

النعناع الأخضر

ل . *Mentha spicata* L. *(Lamiaceae)*

ف . Menthe verte

م . ليقامة

ز . ليقامت

نعناع بوليو

ل . *Mentha pulegium* L. *(Lamiaceae)*

ف . Menthe Pouliot

م . فلِيّو

نعناع الجبل

ل . *Calamintha officinalis* Moench *(Lamiaceae)*

ف . Calament

م . المنته

ز . تيكيّين

الياسمين الأبيض

ل . *Jasminum fruticans* L. *(Oleaceae)*

ف . Jasmin

م . الياسمين، جوهر الدار

2 . أعشاب مخضرة

القنب (الحشيش : مشتق)

ل . *Cannabis sativa* L. *(Canabinaceae)*

ف . Chanvre

م . الكيف (مشتق)

الداتورة

ل . *Datura stramonium* L. *(Solanaceae)*

ف . Stramoine

م . الغيطة، شدق الجمل

ملحوظة : رتبنا مواد هذا المعجم حسب الترتيب الأبجيدي، دون أن نعتبر درجة الاستعمال في تحضير الشاي. ونشير إلى أن بعض النباتات المذكورة تعرف أساسا بمنافعها الطبية، بينما تستعمل أخرى من أجل تعطير الشاي. كما نشير إلى أن هذا الجدول استفاد من ملاحظات واقتراحات عبد القادر الطالب (باحث بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط).

4 . نصوص أصلية بالأمازيغية

أ. براهيم نايت إخلف(1)

(102). تافوصيتّ ن-واتاي (إزوارن)

1 - « الحمدُلله وحدهُ »
2 - «باسم الله »، إسم ن-لبـاري تعـالا، زّوارغ-ت
3 - إكا لّساس إ-واوال-إنو، نتّان أف أد-بنّاخ
4 - نغر إ-سيدي حماد وُ-موسا، أ-يصووّب أوال
5 - نغرا-يس أ-يغ إزوور، نزعم باهّرا سرس
6 - رار-د لعاقّل، أ-ما-يحاضرن إجماعين
7 - فيسّات، أجّات أوال، لعدو وّاول د-واوال

8 - طّابلا زوند تافوكت، لقّيصت-نس أرادّ بيّنغ
9 - تفولكي، تنقّي، دار لغاني كاغ أ-تّكاوار
10 - طّابلا لّجديد يوف أقّديم، نّور أ-يزيّن
11 - رارا-دّ لعوقّول، لفرحا نتّان أ-يزيّن
12 - رارا-دّ لعوقّول، إمّا طّابلا وُ-سّار دومنت
13 - والّي طّفار لموت، أ-يس إدومن د-ليخرت

14 - طّابلا زود تافوكت، إمّا لاكـواس-أنّ كيسنت
15 - «بَناتُ نَعْش»، إمّا لبرّاد داغ نتّان
16- زود لقّـوبّت، والّي إلأن غ-ازيل ن-يكنوان

17 - طّابلا تفـولكي، يان إطّافن أيدا-نس إژضار-أس
18- طّابلا د-لكيسـان د-لبـرّاد، لجـيـد إژضار-أس
19- أمـغـار د-لقّـايد د-لقّـاضي، ژضـارن إ-طّابلاوات
20 - وُلا أكلّيد إژضار-أس، كويان إهدا-ياس
21- طّابلا، أفـولكي إلاّ دارونت، والاكينّ هاتي
22 - يان دار أيدا د-لمال، مقّار، إژضار-أس

23 - طّابلا د-لكيسان ن-طّاوس، أ-يفولكين زيّن
24 - إكا لمجمّر جاهنّاما، لمخراج داغ نتّان
25 - أر كيس حرّكن واماں، زود ويژوكن، نّان:
26 - « إفّوغ لخير دّونيت، نّرا لاشجار
27 - أر-تنت نسوّا، نتّتين أداغ إحرّكن أكان»

28 - إفّوغ لفوار غ-إمي لّمخراج زوند إمي ووبنكال
29 - إفّي ياغ-نّ غ-لبرّاد أر-نيت نسدولّو
30 - كيس أتاي وُلا سكّار إفسي زوند أمان
31- إكاس نّعناع تيسنت، كرا-مو إحاضإمّيم

32 - إفّي ياغ لبرّاد غ-لكاس ن-جّاج، بيّنغ
33 - كويان إرايغ، إژري ميّدّن إلاّ غ-دارنغ
34 - حويّن - أغ ميدّن زود أكلّيد إغد إڤوغ
35 - زود لموحيبّا ن-زّمان ؤُر-أكّو إتّبالان
36 - نكّ لمخراج د-لبرّاد د-لكيسان د-ؤُفوس
37 - نزري غ-إمي دار تاسـا د-وول، راحـاغ گيسنت
38 - يان-أغ إمضين، مقّار إگا صّابي، نهولّت
39 - إمّا والّي-ت إميارن، إست-أكّو نسلب ناوي-ت
40- نلا تّامان، يان إژلضن، ؤُر سّار إدس نمون.

41 - لقّالب إلسان أضرّاع، بيلي-د ف-إرامان
42 - (إنخالا-ت لباسط) [إغ ؟] ؤُر-إلّي، تّلج أ-يزيّن
43 - أتاي لونْدريز أ-گّيس إفولكين زيّن
44 - إگا لفاخر تاصّومعيت، لمخراج أغد نتّان
45 - إگا لمودّن، إما لبرّاد ليمام إحاضر نيت
46 - إمّا لكواس گان صّفوف، صّينيا داغ نتّات
47 - تگا لمصلاّ، ما تّنّام أ-ويلّي فهمنين ؟

48 - طّابلا، لموراد أ-تّنقّي، غايانّ أفد إويغ
49 - طّابلا د-لبرّاد د-لكاس، لابدّ أد-سوفون
50 - زيـّفن س-ؤُشـرويض إغوسن، أور إگ أقّديم
51 - د-أنقّام إگان لميزان (إ-تّوجوه)، أ-يزيّن
52 - إلس أحايك د-ؤُعمام، لعاقّل أ-يحاضر داغ نتّان

53 - تاضـصـا د-لفـرحـا، ياجّ لكيبـر، أ-ور إكابر، إحرم
54 - أنقّام أكرض وآيّاض أ-يلاّن، هاتي
55 - يان يـوفـن وايّـاض، يـاجّـي-ت، لاداب أ-يزيّن
56 - أبخيل، لمورزيح، ما-يرا طّابلا ؟ أنباري، أيس
57 - إگّر، ألا حادان لكاس، أبخيل ؤُر زيّن
58 - إنّرا-ت إريد، گـــــار-إريـد، يـوف أ-لاهلا-نس

59 - شّـريف د-ؤُكـرّام، هانّ زّرب أ-ور بيلي غ-دارون
60 - إغ إگا يان أنقّام، إسماقّل أر-د أتّين
61 - أيت لماكـان، إني-ت ران، حـوبّون-ت، إضهر نيت
62 - يان-أك إران تاغـاوسـا، «ؤُ-لاّه !» أس أ-تّكالاّن
63 - إزايد-أس: «عيّا-ليمين»، إلدي-ك-إنّ س-ؤُفوس
64 - تاضـصـا د-لفرحا، لموحبّت د-«برّك !»، إزّدي نيت
65 - «مرحـبـا !» إگّا-د إگنوان، «مرحـبـا !» گّان-د إكالن
66 - ياوي-ك س-لبيت إفولكين د-لفراشات گيس-نت
67 - بيلي لامان، يوف نتّا كرا-د إبدر يان
68 - إمّا يان-أك ؤُر-إرين تاغاوسا، لهون-أك-نّ

69 - «برّك أ-مسكين! روح-أت! إوا آكّ إهدو ربّي!
70 - يا-لأه روح، نشـا-لأه»، تنّي-ت إسـد نيّت.
71 - إسا-ك إنّا : «ألّ أضار-نك، أ-ور إبعد لحال».

72 - أتاي إلا لاوقات، أ-ويلّي جهلنين
73 - صّينيا د-لمرقا د-وُدي، أ-ويلّي فهمنين
74 - د-وُغـروم يّردن د-لبـيت إعـزلن واحدا-تنت
75- صـالابان د-لجـاوي د-لعـود، لبـخـور أ-يزيين
76 - ب-شرطاين : لبيت إغوسن أ-يتّيري داغ نتّان
77 - وُلا تاژربيت وُلا إحنبال واكداليك
78 - طّابلا غ-وُفلاّ لفراش، وا فهم لخْوبارات
79 - إغ-وُمّزن إضوضان يان لكاس، هاتي (إس تهنّات)
80 - إغ-ت وُكـان إسـوا، تجّي تاسـا ح-لهمومات

81 - صّينيا د-لبرّاد د-لمقراج غ-لبيت زيّن
82 - ييلي كيس لونْدريز، ماشّ وُر إكّين أقْديم
83 - وُلا تّلج وُلا شّيبا، د-ليقاما كداليك
84 - يان إسوان كراض لكيسان ييودا، لقْنع زيّن
85 - إني-إرا كّوژ، أكوراي أ-تّ إخاصّان غ-لحين

86 - صّواب كا-يتّيلين غ-واتاي، إمّا شّباعت
87 - يان-تنت إران إكّاس-نت تاسرا زوند أرام
88 - أيت لمعنا، لعاشقين، أغ إجوز واتاي
89 - تاروا د-لحباب د-يخف يّان، أغ إجوز واتاي
90 - طّلبا د-لعولاما، ستاهلاّن أتاي د-لفرحا
91 - ويلّي يكصوضنين ربّي، كّين أغاراس، أسد إفّوغ
92 - كيگان أس وُفن طّلبا إعامين، وُرد إميكّ
93 - أخديم ن-طّلبا، إغ إمّوت، أ-يگا د-وُلجنت
94 - يان-تن إكْورهون، أ-غانّ إتّيلي د-واد ساقار

95 - أ-واد إكان أنقّام واتاي، هاتينّ
96 - لكاس إزوارن وُلا ويسّين حرشات، هاتينّ
97 - إغ-ت إخاصّا إميكّ، نغ إزويد، (بطال) دارون
98 - أشكو إنقّامن ياضنين أ-يگان لعدو-نّون
99 - حرشات، مّاغات، إمّا ويسكراض أغد نتّان

100 - إغ إمّيم وُر إكّي جميل، لابودّ أد زيّن
101 - إغ إگا يان أنقّام، ياكّو-ينّ أرد أتّين
102 - أتاي أمّاس ن-زّنبيل، ياكّو-ينّ أرد أتّين
103 - تّلج لحورّ أمّاس ن-تربعيت (إقوبّانين)

104- أوينّ داري لوصيت، (إمّا تي-وُر إتبيتنت)
105- يان وُر إطّافن أيدا-نس، إنكيري د-واتاي
106 - أتّ وُر إسالا، إزّنز تيكمّي د-لاصول
107 - وُلا جّنانات، لهرن، عدمن، شّاهوات أ-يخلّون
108 - أشكو سكّار گان أگرزام، نتّان د-واتاي
109 - وانّا ژران وُكان، إقّونعا إ-توادا، إكلّين
110 - طّابلا، أفولكي إلاّ دارونت، والاكينّ هاتينّ
111 - يان دار أيدا د-لمال، مقّار إژضار-أس
112 - أوينّ داري لوصيت، (إمّا تي-وُر إتبيتنت)
113 - كولّما-د إكّان لميزان، إمّنعا جميل-نس
114 - إلكم سكّار إكنوان، أتاي واكداليك
115 - لموفلّيس د-وُمژلوض سرسن طّابلاوات
116 - وُلا لبريقّ، أمژلوض، يوتّ نّطاح، رمين
117 - ما-يرا وُمژلوض أتاي، إس أ-تعجّابغ وُكان
118 - ما-يرا ا وُمژلوض أتاي، إحرم گيس تورژيوين
119 - وُلا (تيسوّما، تيسومار) كا-نيت گومّرن
120 - وُرد لكسوت، وُرد إدوكان، إركان وُرد إميكّ
121 - إحرم أدريم، تامرواست أر-وُكان (تكسنت
122 - إتخواض)، أنيت إفرو يات، س-إنّاخ وُضرن
123 - تمنطاش، إناغ يانّي باب-نس، إسدولّو-ت
124 -لخروض، لميعاد، لوتيقت، إسّرمي-د غايانّ
125 - لخصام، تاگاليت، أر-كيغ إرمي، إفرو -د غايانّ
126 - ما-يرا وُمژلوض أتاي، أ-لحباب، إجّدر وول
127 - وُر گين أفلاّح، وُر گين أكسّاب، ليصول
128- إحرم (تاسّمّات) واكال، (إجري) واكداليك
129 - وُلا تيكمّي، أخراب أغ-إميار، إگو ايّاض
130 - وُر گين أمغار د-لقّاضي، وُر گين لقّايد، وُحلن
131 - وُر گين أكلّيد، وُلا صّنعا، ماس إزعم واشّ!

132 - طّابلا د-لكيسان ن-طّاوس، وُر إلّي بلا يان
133 - إكّان لقّانون، إگ (أكياس)، إموسّو نيت
134 - لقّنع د-لقّانون د-لحايدران أ-يفولكين زيّن
135 - إمّا لموسريف، ربّي أتّ وُر إحوبّون، إجهل نيت
136 - تفوّغ لموحيبّا لقّوم، أغ تلاّ د-وامان
137 - إكّس-أغ واتاي برّك، إكّس-أغ إرگازن عدلنين
138 - وانّا-ت وُر إسوين، مقّار وُكان إتّكالاّ
139 - ف-وُدي وُلا تامّنت وُلا دّهن، إگا بطال
140 - لبروج وودي تّكلاي (د-لبرومي) د-كمّين
141 - أ-تيفيّي د-لمرگا، نّان ويلّي جهلنين :
142 - كرا-يكاتّ أموسّو غ-وُر إلّي واتاي بالان
143 - إكشم لخير أمان حمانين، أ-يا-يضمعان
144 - لموحيبّا (س-وُبازن) غ-لقّوم-أد غ-لّيغ

145- وُر كيغ لعيب إ-طّعامات، أتاي أ-يزيّن

146 - أوينّ داري لوصيت، (إمّا تي-وُر إتبيتنت)
147 - أفولكي د-زّين، أ-صّينيا، إغاما إلاّ د-وامان
148 - إغ إحـــمـــا واتاي نغ إكـورم، يوف لاهلا-نس
149 - لواسط د-رّحــمـت أ-يفــولكين، يان إتميّازن أوال
150 - نغ تينيت : إنّا ربّي تومزين أ-يداوان
151 - گينت أسافار إ-لاژ، يان إتميّازن أوال
152- إكّــا-د كــويان أفـولكي، تومـزين كـــاغ إتّكيوير
153 - إغ إســوا ييلي تيسنت، وُر إحـتـاجّـا بلا-فوس
154 - إمّا ليدام وُر إدوم أ-يدومن د-ليخرت

155 - تومزين أ-يگان لعولت، إمّا أتاي، هاتي
156 - إسّن وُرومي إس تكام لعـدو، أر-كـون إكّات س-إژران
157 - لانفاض، أتاي، رّش، لميزان إمدي نيت
158 - أعدو، أحليگ أغ إكّات، إسّن إس-أس گيس
159 - ترخـا لموت، أحليگ، تاسـا د-وول، غينّ أغد لأن
160 - إفكا-د وُرومي لبابّور إسّلسا-سد لخنط

161 - يوت-كـون وُرومي س-لقياس، لقّالب أغد وُسين
162 - ماعلا گيس نّافيعا، إكوتينّ وُ-رّادّ لكمن
163 - إصرف-د وُرومي إژران -نس أ-يلّـيغ-د وُصلن
164 -تگيم-تن غ-لميزان، يان (يوتن)گيس إتّوت
165 - أيت لميزان أ-ينكاران د-ربّي غ-ليخرت
166 - وُر لين أشــافـيع، وُلا كّين لجنت، إكّـا موحال

167 - إس هلّي فاسرغ أوال، إمّا طّابلاوات
168 - إكّـــوت واوال-نسـنت، وُتـين إتران ن-يگنوان
169 - إرحم ربّي نّاضـــيم، إغ إدّر وُلا إغ إمّوت
170 - سامح إ-نّاضيم أ-ربّي ، كيغ إزايد أوال
171- نـغ ناقّـــسن، أ-ربّي، رّحـــمت تلاّ غ-دارون
172 - نكمّل أوال ن-طّابلا، نكّين هاتي
173 - نضـالب-أون، أ-ما-يسلاّن، دّوعا ريغ گيسنت
174 - تين ربّي د-لواليدين-إنو د-وينّون
175 - أ- نّبـــــي مـــوحـــمّـــاد، وُلا إ-ليســلام أجماعين

عام 1313 [1893 م]

ب . براهيم نايت إخلف (2)

(103). تاقـوصيتّ ن-واتاي (تيسّنات)

1 - «باسم الله» أساك نّيغ أ-يمي-نو بدو سرس
2 - إگا لّساس ن-واوال، إگا سّونت إغ إبدا يان
3 - أر-إس إبدا نّبي مـــوحـــمّـــاد، إغ ران أد-ساولن

4 - إسرف-أغد وُكلّيد، إرا لمال-نس
5 - إشّات لبرّاد، وُر-أس-ت إفيل
6 - إگّولّ لبرّاد إ-تاريّاليل
7 - وُر-أسّار كُونت أجّاغ أ-تموغمت

8 - طّابلا، أكلّيد كا-مو تّصاحامت
9 - كمّين د-لبرّاد وُلا لكيسان
10 - طّابلا تنّا إ-بويركان : وُرا-ريغ
11 - أدانغ إتّمنيد، وُلا سوان أتاي

12 - طّابلا تنّا : « دّيوان كا-فلاّنغ إتّوتن
13 - د-لعنبر د-توجّوت وُلا ضاما»
14 - أشكو وانّا إران أتاي، إسغ-د لقّالب إسوت
15 - وانّا إران أتاي، إبنو تادّويريت.
16 - والّي وُر إطّافن إدينارن ن-وورغ
17 - وُر أكّو إسكر إ-شّاهاوا مكلّي ترا
18 - أشكو أرومي، أ-ريّال، إسّن أد-لوحن لوشارت

19 - أشكو (وُر-ك إسكر، أ-لغـــــرض، خ-تارون-ميدّن)
20 - أ-مـار لانصـوس، أ-گومـا، د-إنّاخ كا-مّوسن

21 - أر إنّا لبرّاد : « إلاّ لوشام ن-وورغ
22 - أسي-يي إخ-سول أ-رگّويغ
23 - أ-تزرات زّين، إغد إزّون إ-صّينيا»

24- زّين، أ-لكاس، إغ كا-يارود أ-تّرصيت،
25 - ياسي-تن وُفوس بو-دّبليج إسو-تن
26 - أتاي ن-لكاس ن-زّاج إفولكي، إمّيم
27 - والاينّي تيموزونين واعرنت

28 - نكّونين وُر-أكّو داري أقّوراب، وُلا لكُومّيت
29 - وُلا شّايت، أشكو داوماخ تامنايين

30- إس وُرد أ-ميدّن، يان إشّان، شّرع كا-تّ إتداوان
31 - أتاي كّيسن إ-يّان أ-يشّ ضولمان، بلا شّرع
32 - أ-يصحان، إستّ شكرغ إ-ربّي، لارزاقّ أ-يگ لحال
33 - أر نرگّم أتاي، مقّار-ت أكو وُر إرگم شّرع

ج. رّايس محمّاد بنبيهي وُمالو

(104).لقّيصت ن-واتاي

1 - «باسم الله»، وُلا إلاّ ماس نبدا بلا كيّي
2 - إوا إسم ن-ربّي توف-ت كولّو كرا س-إيدا يان

3 - أ-مانزا-ك أ-والّي ف-نبّي تيسوار ن-يدوكان
4 - سيدي حماد وُ-موسا خ-تزروالت إني تّغوي-ت أتّ نكرف

5 - تاغوبّيت إكاتّينّ وُغريب-أد فلّيك
6 - تاسوست، أغرّابو كرغ إسن غ-تاضّانكيوين
7 - يان وُكان إكان أغرّابو د-لامان د-لقّول
8 - يان غ وُر إلّي لامان، إس إطّل إ-يّان د-إمون

9 - لقّيصت ن-واتاي، هاتي نتّات إس راتّند فاسرغ
10 - غايد ن-واتاي إشقّا، كيغت وُر إزدي يان
11 - طّابلا، تاژالّيت گّوتن لفارايض نسن
12 - أ-ترا طّبلا د-لبنيا د-لفراش أد زيّنّ
13 - د-وُرگاز إگان أعشّاق م-يكتر وايدا-نسن
14 - إتّوت گيسن س-لقّانون، إوا أور إدّو س-گار أفوس

15 - أوْر إتّاسي لقّيرات، إكّس لهيبت نسن
16 - أ-إگان لوندريزي غ لكاس د كراض غ لكيسان
17 - أگّيسن ييلي نعناع أور إگ أقّديم-أنْ
18 - كراطّ وال أف إبضا واتاي، وُر كولّو إگا يان
19 - أتاي د-تاتاي إلاّ لعصيضا غ واتاي
20 - إد-بورْطاط أ-إسكرن لعصيضا غ واتاي
21 - إد-بيكومّاش أ-إسكرن تاتاي وُرد أتاي

22 - أ-لبرّاد إلان أفوس إغومان، إگ فلاس
23 - وُعشّاق إميك ن-تالّوبانت، إزايد-أس نيت
24 - يات لعمّارت ن-واتاي، يادجي-ت أرد إطلق
25 - أرت إتفّي غ-لبنّار د-لكواس عدلنين

26 - أ-لكاس ن-لبنّار، أ-بو-يجّيكن، أ-بو-ضرافات
27 - أ-يانشاوي، وُرا-يشّرشاق تاسا بلا كيي
28 - إني غولي وامان أر سكارن لمغادر غ-واتاي
29 - أ-يانشاوي، وُرا-يشّرشاق تاسا بلا كيي
30 - إني غولي وامان أر سكارن لمغادر غ-واتاي

31 - إد-باب ن-تاوايّا د-لگانت أد أكـــد إتّاوين
32 - أ-لكاس شّروض، إمّا تلج وُر إكّي بلا يان
33 - إجـانّب ، إتّوقـان إ-ويلّي كـا دّعـانين غ-لكاس
34 - وُر كّين أمنيـد-نسن، وُلا إنصـاحـاب ديدسن
35 - إد-بوخيزّو د-يركمان د-إد-بوتيربعيّين
36 - د-إفراون ن-سكّار، إزد لباضل أ-يانّ
37 - لكمن-ك لمقّـادير أ-ياتاي ن-يـغـد، ن-واكّو
38 - د-إفرسكّل د-إقّن، لكمن-ك لموعديين
39 - تيشيشّت أغ إقّام، (إسرس-ت) إسنّد إفرح
40 - تيسگّويت أغ إقّام، (إسرس-ت) إسنّد إفرح
41 - إنّا سـوان أتاي، نتّـان لكانون كـاس إمزالال
42 - يان لكانون كّاطّين أكّو، لمقراش إنكي نيت
43 - إكـرس-د أتاي غ-يا-ودغـار إركـان، إضلا نيت
44 - إنّا سوان أتاي، نتّان لكانون كاس إمزالال
45 - يان لبريق لّي دارسن إلأن، إگا أخساي إخ دارسن إلاّ
46 - كـرا نزّيت إكّي-ت گـيس، إخ وُر إلّي إسكر گيسن أتاي
47 - يان إگـونّ وُر ســوين أتاي، أسّ-أنّ أد-فلاّس
48 - أد-فلاّس إخطب إلاهي إقومّح-ت
49 - گـومّ كـاس-تّينّ إگـا، أخطّاف إسّن إ-تازگيوين
50 - أر-تنت إتّاسي س-سّـوق، أر-سـول إتّبرّاح
51 - أر-تنت إتّاسي س-لّوح، أر-ســول إتّدلاّك
52 - فـادّار أد سوين أتاي، أتّ-إعـاون ربّي إكلّين
53 - أتاي غ-جّـالوق وُر-أت إسّـا أمـر لموعديين
54 - والاينّي ستغفرح إ-ربّي، لاررزاقّ أ-يگ لحال

د. مجهول

(121). أتاي أدّ-إزوارن

291 - دّيغ س-ؤخمّاص أتّ خويغ إسّيكت شّروض
292 - « رار-د لويجاب، أ-فلان»، نكّي نّيغ-أسند
293 - « أينّا إكّان شّرض-نك، أ-خويا، تيني-تند »
294 - إنّايغ : « أتاي أد-إزوارن كولّو غ-شّروض »

295 - نرار أ-لويجاب، أ-فلان ، نكّي نّيغ أسند :
296 - « إني-د غير أتاي ؤر سول حتاجّان شّروض
297 - مقّار-د إموكاين سوان أتاي سّعت-أد
298 - ؤلا أغيُّول إسّان-ت، أشكو تكالاً لبرّاد
299 - إغ إژرا ؤغيُّول لمقراج إلأن، إشورّ-د
300 - أدّ إسّوكف تاكوست إرا دار لبرّاد
301 - إغ نسوا يان لكاس عمّرغ -أك لبرّاد
302 - نسّوفغ-أون-تند أبدًا گين نتّان شّرض »
303 - إواجب ؤخمّاص إس أغ نيت إرور لويجاب :
304 - « هيّا لبرّاد أد-أكّو ريغ أيّي-د إتّفوغ
305 - إنيتن ؤر ژريغ أر-دنّ إفّي غ-لبرّاد
306 - إقّام-ت ؤفوس إفولكين، فكين-يّي-تند
307 - نفّوغ-د إلامّا س-الخلا، أر نفّرض، أر نكّرز
308 - إغ أور نكشّم س-ؤنوال، ؤر-راد-أك نكرز
309 - أدّ نژوي س-أفوس نخ تاگولاً، أ-تّنت نحلّب »

310 - نسامح إ-ؤخمّاص والا ما-سّول نكّرز
311 - نرار-د إ-وامود، أور نحاول خير أ-دّنوب

هـ. الرّايس مبارك

(122).لقّيصت ن -واتاي

1 - إغ وُر إشّي وُرْكــاز، إســو لكيـــســـان ن-واتاي

2 - وُر-أم إسْكيـــر ، أ-لمزييّت ، غـــيكلّي تّيري-ت

3 - نكّين سين إســـردان أد-زّنزيغ فـــلاّك أ-ياتاي

4 - نزيزّيل-تّن -إد غ -لبـرّاد ، أشكو إحـلا واتاي

5 - وانّا-وُر إضـرّيحن غ-تامـا ن-لكيـســان

6 - مـان أغْلاخـير إگـا ، وُحـّرام -تن يورونين

7 - إمربّا س-تكمّي غ -وُر تلّي-ت ، أ-ياتاي

8 - أ-تّن-ت إخـلو ييگيگ ، نخ-تنت إكّـا واسيف

9 - إني ييرغا واسّ ، نگّاور، أر-سّا-غ أتاي

10 - إني يوصميض ، نگّاور، أر-سّا-غ أتاي

11 - گان إدرارن لوضا دار يان إسّان أتاي

12 - إمّـا يان-ت وُر إسّـان ، إگـاس لوضـا تالاتين

13 - نّان إد-بوبادّاز : «نكّْوني أ-يسّـان أتاي»

14 - إشّ أ-كْوما بادّاز إحـمان ، تْسوت أمان

15 - إمّـا أقّـا ن-بويطّـوب ، أمـغـار أتّ إتـاويـــــن

و. الحاج بلعيد

(123).أتـــاي

أ-. واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي

والـــــــــــي لا لا لا دا لال

ب-. أي دا لا لا دا لا لـــــــــــي وا لاي لا لا لا دا لا لا

1 - واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي

والـــــــــــي لا لا لا دا لال

2 - أر-يالاّ واتاي، أر-يالاّ لمعـدن د-لبـلاّر

3 - وُلا لبــــرّاد أر-ألآن لَيغ-تن يوسي كار-أفوس

4 - أتاي كا-مود إقّوغ د-يان إشوان أتّن ژرّان

5 - إلين غ لماكـان إنقّين، كرا-يكّان شّروض إلاتـن

6 - تفولكي طّبلا كيغ إحاضر لمعدن د-لبلاّر

7 - د-لفراش د-توجّوتين، إقّيم-تن يان إزيّن

8 - مْلاَزْلين سّوق ن-يان وُر-إشْوين أتّن علّمح

9 - أكّيس-ن إنزّا كار-أتاي، أتّنْ-بسّا كار-لقّوم

10 - لباسطـوس د-نّميلي، وانّــات إسوان إكـــرهـو أتاي

11 - وانّا-يران أتاي، أدّ إخـيـيّـر لكامـانجـا د-لفتول

12 - أتّن إسو وانّا يوضنّ إخف-نس، إجّي دلحين

13 - إفـــولكي واتاي إ-ويـلّي دركنين أتّن داوومن

14 - إفولكي دّبليج، إغ إلاّ غ-وودم د-وُفوس إهيّان

15 - إفـــولكي لّـبْنيّــان، إغ إگ لحــلال أتّن غلّلن

أ-. واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي

والـــــــــــي لا لا لا دا لال

ب-. أي دا لا لا دا لا لـــــــــــي وا لاي لا لا لا دا لا لا

16 - واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي واي لـــــي لا لـــــي دا لا لـــــي

والـــــــــــي لا لا لا دا لال

17 - أتاي كا-مود إفّوغ، د-يان إشوان آتن زرّان
18 - تجّا لموت إ-واتاي، لّيغ إژرا يان إزيين
19 - كّين-د لماكان إنقّين، كرا-يگان شروض إلاتن
20 - كّين-د لماحالات، ژرين لاقّوام إلّيغ لأن
21 - إگا-يس لحيجاب مقّار إگا شّريف وُلا أگورّام
25 - وُلا غوالّي إزّنزان تقّاشر، إس إگا أديوان
26 - يان إخشن أداس إسّغلو، سّرخسن إ-يّان إزيين
27 - يان إشوان وُر-حتاجّن تقّاشر، أ-ييلي غ-وُضار-نس
28 - يان إخْوشنّ أتّ إران، أ-گّيس إحضو گار-إژوران

22 - أفولكي ن-لخاتم، كيغ لأن غ-وُضاض إزيّين
23 - أفولكي ن-شّربيل، كيغ لأن غ-وُضار إزيّين
24 - يان مو-يكفا مولانا زّين، هاتينّ إجمّل-تن
29 - أيت لمكان إ-ربّي، حورميغ سّادات-نّون
30 - أداغ كا-سلّمن، إغ أ-ساوالغ، وُر-أ-نادّر يان

تارّارت :

أ- . واي لــــي لا لــــي دا لا لــــي واي لــــي لا لــــي دا لا لــــي

والــــــــــي لا لا لا دا لا ل

ب- . أي دا لا لا دا لا لـــــــي وا لاي لا لا لا دا لا لا

5 . معطيات عامة حول الشاي والسكر

اقتطفنا هذه الفقرات من موسوعة عربية حديثة، وذلك كي نضع القارئ أمام معطيات متنوعة حول مادتي الشاي والسكر.

أ. الشاي

شجرة الشاي جنبة من الفصيلة الكاميلية "Camelliacées"، أصلها من الصين والهند، وقيل من المناطق الجبلية الفاصلة بينهما وهما : آسام، وبرمانيا العليا. واسمها الأصلي من الصينية، كان من كلمة "شا"، ثم كلمة "تيه" الدارجة، ودخلت هذه التسمية اللغة الانكليزية وغيرها، ولم يعرفها من العرب إلاالرواد والرحالة، وذكر العالم "البيروني" أن الصينيين يستعملون الشاي بينما المعاجم العربية وكتب المفردات لم تذكر اسم هذه النبات ولااستعماله.

شجرة الشاي صغيرة، وأوراقها رمحية جلدية، ذات حافة مسننة، وفيها عدد وفير من الغدد الزينية، وأزهارها بيض أو فرمزية تجيء بعدها ثمار علبية، في كل علبة ثلاث بذور كبيرة- كحجم البندقة، ومن هذه البذور يزرع الشاي، وتقطف منه الأوراق بكثرة فينشذ النبات لإخراج غيرها.

كيف يصنع الشاي ؟

ما يستعمل من شجر الشاي هو أوراقه، وليس كلها، بل يهمل معظمها وتؤخذ الأزرار الطرفية، وورقتان مع كل زر، ولا يتعدى طول الأوراق المستعملة السنتمتر الواحد، وفيما يلي العمليات التي تجري عليها بعد قطفها :

1 - التذبيل : تنشر الأوراق على حوامل خاصة مصنوعة من السلك أو غيره مدة 18 - 30 ساعة حسب حالة الجو حتى تذبل وتتراخى، وتتوقف نكهة الشاي واختماره على دقة تقدير مدة التذبيل.

2 - الفتل : تفتل الأوراق بآلات خاصة يدوية أو بخارية، والغرض من ذلك تمزيق الأنسجة حتى تخرج العصارة منها، وهذا ضروري لعملية الاختمار.

3 - التخمير : تبسط الأوراق في مكان بارد في طبقات لا يزيد سمكها عن خمسة سنتيمترات، وتترك لتختمر بعد ثلاث ساعات.

4 - التجفيف : بهذه العملية تفتل الأوراق ثانية كما كانت، ويحدث التجفيف بتعريض الأوراق المختمرة لتيار هواء ساخن حرارته 110 مئوية.

5 - التنقية والفرز : تفصل الأعناق عن الأوراق بواسطة غرابيل خاصة، وتفصل الأجزاء المتفتلة الصغيرة، وكلما زاد التجزؤ تحسن نوع النقيع، ولكن المستهلك يرفض الشاي الشديد التجزئة جهلا منه.

6 - التعبئة : يعرض الشاي إلى هواء ساخن مرة أخرى، ويعبأ في الأواني وهو دافئ ثم يحكم قفلها بعد تفريغها من الهواء.

ويحضر الشاي الأخضر بالطريقة السالفة مع إهمال التذبيل والاختمار فيبدو الطعم طبيعيا، ولا يكتسب الشاي اللون الأسود.

ولعمل الشاي الأسود تخمر الأوراق بعد لفها، بأن تغطى وتحفظ دافئة فتفقد لونها الأخضر، ويتغير طعمها، وتجفف بعد التخمير بالطرق العادية.

تنتج الصين : الشاي الأخضر والأسود. واليابان : الأخضر. والهند وسيلان : الأسود. وينتج من فرموزا : الشاي الوسط بين الأخضر والأسود. وأهم أصناف الأخضر : "البارود" و "الهيسون". ويحضر الشاي المعطر بتجفيف الأوراق مع أزهار ذات رائحة مثل الياسمين، ثم تغربل الأزهار الجافة.

ويصنع شاي القوالب : بإمرار البخار على الأوراق الخشنة والسوق الصغيرة - وربما الرماد - لبضع دقائق، ثم ضغطها في قوالب، وأحيانا يضاف قليل من عجينة الأرز.

وللشاي أنواع أخرى، منها : الأبيض ذو الوريقات الملتفة، وله رائحة ذكية، وهو نادر جدا، لأنه يقطف من رؤوس الأغصان ويقدم هدية للملوك والعظماء. والشاي المسمى "أوقرق" منقط بنقط بيض، وله أوراق طويلة مفتولة، وأوجدت أيضا أنواع جديدة من الشاي، والجيد من الشاي - إجمالا - ما رق وصغر سنا، فيزداد طيب طعمه.

كيف يشرب الشاي ؟

وللشعوب في شرب الشاي طرق مختلفة، في بعضها طرافة، وفي بعضها غرابة، من ذلك : أن محبي الشاي في النمسا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا يأكلون قطع السكر أولا، ثم يشربون الشاي بلا سكر.

وفي الصين واليابان يستعملون الشاي لتحسين طعم مائهم لأنه سيء. وهم يشربون مغليه، ويأكلون الأوراق بعد غليها، وفي بعض أنحاء الصين يخلطون أوراق الشاي بالزنجبيل وشرائح البصل ثم يصبون الماء المغلى على هذا الخليط، فيكون مشروبهم المفضل، وأكثرهم يشربون الشاي معطرا بالياسمين وبلا سكر، وهم يصبون غالبا الماء المغلى على حفنة من الشاي توضع في كل كأس لوحده.

وفي قرى الباكستان يغلون الشاي الأخضر حتى يصبح أسود، ويمزجونه بحفنة من الملح بدل السكر، وقليل من دهن الشاي بدلا من الحليب.

وفي مراكش يستعملون ـ بصورة عامة ـ الشاي الأخضر مع النعنع الأخضر وكثير من السكر، ويقدمون لكل شارب ثلاثة كؤوس ـ صغيرة ـ بحسب التقاليد المتبعة.

وفي فرنسا يضعون الشاي في إبريق الشاي ـ ويكون غالبا من البورصلان ـ وذلك ملء ملعقة صغيرة لكل شارب ويصبون فوقه الماء المغلي ويتركونه قليلا لتنحل مواده في الماء.

وفي انكلترة يتبعون الطريقة الفرنسية، ولكن إبريق الشاي يكون من المعدن أو الفخار الصيني، ويغطونه بقطعة قماش مبطنة لتحافظ على الحرارة، ويصب الشاي على الحليب البارد الموضوع في قعر الكأس.

وفي روسية يعدون الشاي في إبريق صغير جدا، فيضعون فيه مقدارا كبيرا من أوراق الشاي، ويغلونه في قليل من الماء، ويغلون ماء كثيرا في وعاء آخر، ويقدمون الشاي لكل شارب كما يريد، من حيث كثرة الشاي المركز في الإبريق الصغير أو قلته بصب الماء عليه.

[قدامة، ص 313، 317، 319]

ب. السكر

يعرف بأنه : مادة متبلرة، حلوة المذاق، تنتجها معظم النباتات من ثاني أكسيد الكربون الذي في الهواء. فالمادة الخضراء في ورقة النبات يمكنها ـ بمساعدة ضوء الشمس ـ أن تجعل ثاني أكسيد الكربون يتحد مع الماء ويكون السكر الذي هو مادة تذوب في الماء، ولا تذوب في الغول (الكحول) الصرف، وهي تستخرج ـ صناعيا ـ من بعض النباتات السكرية وأهمها : الشمندر، وقصب السكر.

أصل اسم "السكر" من اللغة السنسكريتية الهندية "اللغة المقدسة" عند اتباع براهما، من كلمة "ساركارا، وأطلقت على السكر الخام، النوع الوحيد الذي عرف منذ قرون ـ ومعناها حصى ـ وانتقلت إلى الفارسية، ومنها إلى العربية؛ فصارت "السكر"، ومن العربية انتقلت إلى اللغات الأوربية ووصلت محتفظة بأصلها وإن تبدل لفظها قليلا بحسب النطق بها لدى الأقوام المختلفة.

السكر في التاريخ :

إن الأساطير القديمة، وأخبار ما قبل التاريخ لا تعرف شيئا عن مادة كانت تستعمل بديلا عن السكر غير العسل والفواكه، والمظنون أن قصب السكر عرف ـ أول ما عرف ـ في الهند في حوض نهر الغانج، ثم في جنوب الصين، وذكر أنه كان يدعى "الملح الهندي"، وأن طبيبا قديما وصف السكر بأنه "نوع من العسل المخثر والمتجمد يدعى السكر ويظن أنه يستخرج من قصب الهند والعربية السعيدة، وهو صلب يتكسر بالأسنان كالملح. وهو مفيد للمعدة، ويلين البطن إذا شرب مع الماء. ويفيد للمعدة، ويفيد الكلى المتعبة، ويستعمل للعيون فيشفي فيها كل ما يضر بالبصر".

وروي أن الفرس في حملة داريوس في وادي "الأندوس" عرفوا "القصب السكري" وقدروا قيمته، واسكندر الكبير استورد إلى بلاده ـ اليونان ـ قصب السكر في القرن الرابع قبل المسيح، وكذلك روما، على أنه مادة قيمة أو دواء، وأصبح الفرس أكبر خبراء العالم في السكر مدة طويلة.

وفي القرن الخامس تعلموا كيف يحصلون على السكر الجامد بشكل الخبز وفي القرن الخامس اكتشفوا طريقة تصفية السكر المائع.

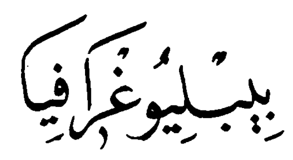
العرب نقلوا السكر لأوربة :

وحين فتح العرب فارس في القرن السابع عرفوا السكر ونقلوه إلى مصر ورودس وقبرس وشمال إفريقية، وجنوب إسبانية وسورية. ومنذ القرن العاشر أصبحت هذه المناطق أكبر مراكز التجارة بالسكر. وفي سنة 926 تلقت البندقية (فنيسيا) أولى شحنات السكر، وبيع السكر والمربيات في أوربة. وكان العقارون وحدهم لهم الحق في بيع السكر، فكانوا يبيعونه بالوقية (35,38 غراما)، بثمن باهظ جدا.

وفي القرن الخامس عشر كان البرتغال تخلف البندقية في تصفية السكر، وفي إنتاج السكر الخام ومع ذلك فقد بقي السعر غاليا.

وفي القرن السابع عشر بدأت جزر الأنتيل الفرنسية والانكليزية تزرع السكر، وظهرت أولى مصافي السكر في أوربة : في فرنسة ـ في بلدة روان، ثم في نانت، فبوردو، ومرسيليا. . . وأخذت تصفي السكر الخام المستورد من الأنتيل والجزر الفرنسية ومن البوربون في القرن الثامن عشر.

[قدامة، ص 277 ـ 278]



أ. بالعربيـة

- مراجع النصوص والوثائق
- ديسكوغرافيا أساسية
- مراجع تكميلية
- ديسكوغرافيا تكميلية

ب. باللغات الأجنبية

- مراجع النصوص والوثائق
- مراجع تكميلية

ببيليوغرافيا

مراجع النصوص والوثائق

أدراق، عبد الوهاب
منظومة في أتاي والنعناع والقهوة، مخط. ، ضمن مجموع، خ.ع. تطوان، رقم 326، ص 107-108.

الإدريسي، الشريف
نزهة المشتاق، بيروت، د. ت، ج1.

اشماعو، محمد بن أحمد
المجتمع المغربي كما عرفته خلال خمسين سنة، 1350 - 1400هـ . [الرباط]، مطبعة الرسالة، 1980.

الإفراني، محمد الصغير
نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، الرباط، د. ت.

أكنسوس، محمد بن أحمد
الجيش العرمرم الخماسي في أولاد مولانا علي الشريف السجلماسي، ط.ح. ، فاس، 1336 هـ ، ج2، ص 80-81.

البطاوري، المكي
شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة فيما يحتاج الأتاي إليه ويتوقف شربه وإقامته عليه، وقد اشتمل على فوائد وأشعار ونوادر وأخبار، الرباط، ط. 1، دار النشر الباب، 1946.

بوزيد الكنساني، أحمد
تاريخ الزجل الشعبي بتارودانت، الملحون، الرباط، عكاظ، 1993.

البيروني، أبو الريحان محمد
كتاب الصيدنة، تحقيق الحكيم محمد سعيد ورانا إحسان إلى، كراتشي، مؤسسة همدرد الوطنية، 1973، ج 2.

ابن البيطار، عبد الله بن أحمد
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بيروت، دار الكتب العلمية. د.ت.

التجيبي، ابن رزين
فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق م. بن شقرون / إعداد إ. عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1984.

الجراري، عباس
الزجل في المغرب. القصيدة، الرباط، مكتبة الطالب، 1970.

الجزائري، عبدالرزاق بن حمدوش
كشف الرموز في بيان الأعشاب، د.م.ت.

الجعايدي السلاوي، إدريس بن محمد
إتحاف الأخبار بغرائب الأخبار، تحقيق ع، معنينو، رسالة مرقونة، د.د.ع، تاريخ، ك. الآداب، الرباط، 1990، ج2.

ابن الحاج السلمي، حمدون
النوافح الغالية في الأمداح السليمانية، تحقيق أ. العراقي، رسالة مرقونة، د.د.ع. ، الأدب العربي، ك. الآداب، فاس، 1981، 3 ج.

ابن الحاج السلمي، حمدون
الديوان العام، تحقيق، أ. العراقي، منشورات ك. الآداب، فاس، 1995. 2ج.

ابن الحاج السلمي، محمد الطالب بن حمدون
حاشية على شرح محمد ميارة للمرشد المعين لعبدالواحد بن عاشر، ط. 2، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، 1319 هـ. ، 2 ج.

ابن حبيب، عبدالملك
مختصر في الطب، تحقيق كاميلو آلباريت دي موراليس وفيرناندو خيرون، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية / معهد التعاون مع العالم العربي، 1992.

الحجوي الثعالبي الفاسي، محمد بن الحسن
الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، القاهرة، دار التراث، 1396 هـ، 2ج.

الحمومي، محمد بدرالدين
رسالة في بيان حقيقة الشاي، مخط، خ. ع. ر. ، د 157 / خزانة ك. الآداب، الرباط، مكل 232، ص 1-6.

الحوات، سليمان
تغيير المنكر فيمن زعم حرمة السكر، مخ، خزانة ك. الآداب، الرباط، مكل 232، ص 7-15.

داود، محمد
تاريخ تطوان. [تطوان]، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، ج6، 1970.

الرسموكي، داوود
«مزيل النقاب عن طلعة الشراب»، ضمن **شعر داوود الرسموكي**، تحقيق اليزيد الراضي، أكادير، 1992، ص 200-218.

الزرهوني الهاشمي، محمد بن العربي بن محمد
تحفة السالك الراغب في بيان الحكم في سكر القالب، مخط خاص.

زريقة، عبدالله
رأيت المغرب كله في البراد، مخط. خاص.

ابن زهر، أبو مروان عبدالملك
كتاب الأغذية، تحقيق إكسبيراثيون غارثيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية / معهد التعاون مع العالم العربي، 1992.

ابن زيدان، عبدالرحمان
إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، 5ج، الرباط، المطبعة الوطنية، 1929-1939.

ابن زيدان، عبدالرحمان
العز والصولة في معالم نظم الدولة، الرباط، المطبعة الملكية، ج1، 1961 .

سكيرج، أحمد بن الحاج العياشي
كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت، المكتبة الشعبية، 1988 .

السناني، محمد الرضي
الشذرات، والتقاط الفوائد وغرر العوائد، [الدارالبيضاء]، مطبعة النجاح، ج 1، د. ت .

السوسي، محمد المختار
خلال جزولة، المهدية، تطوان، د. ت [1957]، 4 ج .

السوسي، محمد المختار
المعسول، الدارالبيضاء، مطبعة النجاح، 1960-1961، ج. 1-3، 5-6، 9.

بن سيد المختار، محمد محمود
أدب الشايات في موريتانيا، رسالة مرقونة، د. د. ع. ، أدب عربي، ك . الآداب الرباط، 1988-1989 .

ابن سيدي أحمد، أحمد حامد
تأليف في تحريم الشاي، مخط. ميكروفيلم، MF-290، [نسخة من مخط . رقم 2619 نواكشوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي]، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربي .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان
كتاب الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت .

الشرادي، عبدالجليل
الشاي في الشعر العربي بسوس، بحث مرقون، الإجازة في الأدب العربي، ك، الآداب، أكادير، 1988 - 1989 .

ابن صاحب الصلاة، عبدالملك
تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق، ع. التازي، بيروت، دار الأندلس، 1964.

الصبيحي، أحمد بن محمد
باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعمدة، تقديم ع. العطاوي و م، الظريف، د. م. منشورات جمعية حوض أسفي، 1994.

الضعيف الرباطي، محمد
تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان، 1043 / 1633 - 1238 / 1812، تحقيق م. البوزيدي الشيخي، الدارالبيضاء، دار الثقافة، 1988، 2 ج.

أبو العزم، عبدالغني
الضريح. سيرة ذاتية روائية، الرباط، مؤسسة الغني للنشر، 1995

العلمي الحسني، عبد السلام بن محمد
ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس، الرباط، دار التراث، 1986.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الأبواب 8-14، تحقيق م. أبو ضيف أحمد، الدارالبيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

الغساني، أبو القاسم بن محمد
حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق م. ع. الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985.

الفاسي، عبدالكبير
تذكرة المحسنين في وفيات الأعيان وحوادث السنين، مخط، خ. س. ر. 12235.

القادري، محمد بن الطيب
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، دار المغرب، 4 ج.

القاسمي الدمشقي، جمال الدين
رسالة في الشاي والقهوة والدخان. د. م. ت.

قدامة، أحمد
قاموس الغذاء والتداوي بالنبات. موسوعة غذائية صحية عامة، بيروت، دار النفائس، ط. 5، 1985 [ط. 1، 1981].

ابن قيم الجوزية
الطب النبوي، تحقيق ش. و. ع. الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة / الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط. 3، 1982.

الكتاني، الباقر
ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد، الرباط، مطبعة الفجر، 1962.

الكتاني، المامون
هداية الضال المشتغل بالقيل والقال، مخط، خ.ع.ر.، ك 320، ص 133–145.

كرم، إدريس
مواقف وتطلعات الإنسان الغرباوي من خلال أدبه الشعبي (الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة)، رسالة مرقونة، علم الإجتماع، ك. الآداب الرباط، 1983–1984، 2 ج.

كنز الفوائد في تنويع الموائد، تحقيق م. مارين ود. واينز، بيروت، دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت، 1993.

المجموع الكبير من المتون، فيما يذكر من الفنون. ط. 3، 1988.

المعروفي، هاشم
عبير الزهور في تاريخ الدارالبيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور، [الدارالبيضاء]، دار النجاح الجديدة، 1987، ج 1.

المملكة المغربية، وزارة الإقتصاد الوطني،
الدليل الإحصائي للمغرب، 1955-1956 ---، الرباط، المصلحة المركزية للإحصائيات.

المملكة المغربية، وزارة التخطيط وتكوين الأطر والتكوين المهني،
النشرة الإحصائية السنوية للمغرب، 1982 ---، الرباط، مديرية الإحصاء.

المساوي، إدريس
الواو. زجل، الرباط، [مطبعة بابل]، 1995.

المشرفي، العربي
فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان، مخط، خ. ع. ر.، ج 629.

المشرفي، العربي
نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، مخط.، خ.ع. ر.، ك. 579.

ناس الغيوان
الجديد من الفلكلورات الشعبية، سلسلة رقم 2، د. م.، ت.

الناصري، أحمد بن خالد
كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدارالبيضاء، دار الكتاب، 1956، ج 9.

الناصري، محمد بن عبدالسلام
المستصفى في حلية السكر المصفى، فاس، ط.ح. 1326 هـ، 8 ص، أيضا ضمن مجموع، ط. ح. 1326 هـ. ص 1-8.

الوزاني، المهدي
المعيار الجديد، فاس ط. حجرية، 1328 / 1910، ج 3، 13.

ديسكوغرافيا أساسية

بلعيد، الرايس الحاج
«تاقصيت ن–واتاي»، أسطوانات بيضافون، رقم 8-157 97

بن بيهي أومالو، محمد
«تاقصين ن–واتاي»، أسطوانات بيضافون، رقم 98 575-6

السلاوي، حسين
«الرادا الرادا» ضمن شريط كاسيط، كازافون (باريس)،
رقم MC 8013

مريزق، الحاج
«القهوة والأتاي»، ضمن أسطوانة لايزر، الأغنية الشعبية الجزائرية، «الشعبي»، ج. 3، الفنانون العرب المتحدون، رقم AAA039/ نادي الأسطوانة العربية، رقم CDA 401

مراجع تكميلية

بن إحيا، الحسين

مساهمة في دراسة الأدب الأمازيغي المغربي. شعر الحاج بلعيد نموذجا، رسالة مرقونة د. د. ع. ، كلية. الآداب، عين الشق - الدار البيضاء، 1966 - 1967، 2 ج.

الأخضر، محمد

الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، (1075-1311/1664-1894) الدارالبيضاء، دار الرشاد، 1977.

باطما، العربي

الرحيل، الدارالبيضاء، منشورات الرابطة، 1996.

بن باكر، عبد الله

«نموذج من النثر الفني الشنقيطي. "مقامة ذات الدخان والتاي" للمختار بن حامد»، مجلة **الوسيط**، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، عدد 3، 1989، ص 3-57.

برودل، فرنان

الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية، ج1، ترجمة م. ماهر، القاهرة / باريس، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.

البكري، أبو عبيد

كتاب المسالك والممالك، تحقيق أ. فان ليوفن و أ. فيري، قرطاج، بيت الحكمة / الدارالعربية للكتاب، 1992، ج2.

بنعبدالله، عبدالعزيز

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ج 3، [الرباط]، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1976.

بنعبيد، عبدالمالك

مادة «أتاي»، **معلمة المغرب**، ج 1، مطابع سلا، 1989، ص 105-106.

التوفيق، أحمد

المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان، 1850 - 1912)، الرباط، منشورات ك. الآداب الرباط، 1983.

حاجي خليفة
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، 1990/1410.

ابن حامد، المختار
حياة موريتانيا، ج 2، الحياة الثقافية، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1990.

حجي، محمد
الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، [الرباط]، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978، ج 2.

الحشايشي، محمد بن عثمان
العادات والتقاليد التونسية الهدية، أوالفوائد العلمية في العادات التونسية، تحقيق ج. بن الحاج يحيى، تونس، سيراس للنشر، 1994.

أيت حمزة، محمد
ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمگون، السفح الجنوبي للأطلس الكبير، رسالة مرقونة، د. د. ع، جغرافيا، ك. الآداب، الرباط، 1986، 2 ج.

رويان، بوجمعة
أوجه الاستغلال الاستعماري للمغرب خلال الهدنة الفرنسية - الألمانية (يونيو 1940 - نونبر 1942)، رسالة مرقونة، د. د. ع، تاريخ، ك. الآداب الرباط، 1988 - 1989.

الزبادي، محمد
سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والمريد والزاوية، مخط، خ. ع. ر، ك 247.

زمامة، محمد
«الشاي أو الأتاي»، مجلة ***البحث العلمي***، عدد 26، يوليوز - ديسمبر 1976، ص 147 - 153.

ابن زهر، أبو مروان عبدالملك
مختصر في الأغذية، مخط.، خ. س. ر، 2430.

سالم، أحمد ولد أحمد
الاتجاه الشعبي في الشعر الموريتاني الفصيح، رسالة مرقونة، د.د.ع، الأدب العربي، ك. الآداب، الرباط، 1992 ـ 1993.

سويف، مصطفى
المخدرات والمجتمع.نظرة تكاملية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1996.

شروتر، دانييل
تجار الصويرة. المجتمع الحضري والامبريالية في جنوب غرب المغرب (1844-1886)، ترجمة خالد بن الصغير، الرباط، منشورات ك. الآداب، الرباط، 1997.

ابن شقرون، محمد
الثقافة الشعبية المغربية في المصادر والمراجع العربية والفرنسية والإسبانية، الرباط، 1980.

شمسي باشا، حسان
القهوة والشاي. فوائدها وأضرارها، دمشق، دار القلم / بيروت، الدار الشامية، 1992.

بن الصغير، خالد
المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856-1886)، الدارالبيضاء، ولادة، 1990.

عبد الهادي، أبو شريع
أحكام الأطعمة والذبائح في الفقه الإسلامي، القاهرة، دار الإعتصام، 1985.

العماري، أحمد
مادة «أتاي»، **معلمة المغرب**، ج 1، مطابع سلا، 1989، ص 106 ـ 107.

عياش، ألبير
المغرب والاستعمار. حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة ع. الشاوي و ن. سعودي، الدارالبيضاء، دار الخطابي، 1985.

الغزالي، أبو حامد
إحياء علوم الدين، بيروت دار المعرفة، 1983.

الغزاوي، عبد الإله
«سؤال الشاي في خطاب الثقافة الشعبية»، جريدة **أنوال**، عدد 1968، 11 مارس 1996.

الفاسي، محمد
«الرحالة المغاربة وآثارهم»، **دعوة الحق**، السنة 2، عدد 4، يناير 1959، ص 22 - 26.

الفاسي، محمد
معلمة الملحون، 3 أجزاء، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1986-1990.

القدوري، عبد المجيد
ابن أبي محلي الفقيه الثائر، ورحلته الإصليت الخريت، الرباط، عكاظ، 1991.

القدوري، عبد المجيد
سفراء مغاربة في أوربا. الوعي بالتفاوت، الرباط، منشورات، ك. الآداب الرباط، 1995.

الكردي المكي، محمد طاهر بن عبد القادر
أدبيات الشاي والقهوة والدخان، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1984 [ط 1، 1950].

كرنكو
«نبذ في أخبار الصين» (مقتطفات من مؤلفات البيروني)، **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 13، ج 9-10، أيلول-تشرين الأول 1935، ص 383- 390.

مادني، أمينة
نموذج من الأسر المخزنية المغربية من خلال بعض المصادر والوثائق المغربية. أسرة آل أحمد بن مبارك، بحث مرقون، الإجازة في التاريخ، ك. الآداب، الرباط، 1981 - 1982.

المجدوب، البشير
الظرف والظرفاء بالحجاز في العصر الأموي، تونس، دار التركي للنشر، 1988.

المعجم الطبي الموحد، انكليزي - عربي - فرنسي، ط3، بغداد، 1983.

المعلمي، أحمد عبدالرحمن
القات في الأدب اليمني والفقه الإسلامي، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1988.

موسى، عز الدين أحمد
النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت/ القاهرة، دار الشروق، 1983.

اليوسي، الحسن
المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق م. حجي و أ. الشرقاوي إقبال، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ج 2.

ديسكوغرافيا تكميلية

أتيكي، أعراب
أمزْ أ فاطيما الدّبليج،
صوت النجوم، AR 216
اعتابو، نجاة
وجـــــــــدي يأتاي،
أسطوانات صونيا، C 1052
ألوكان، إدّر
أتاي، پوليفون، 47028
أمتنأ، احماد
الـطـوس دلـبـنّـار،
تيشكافون، 1195TCK
بلعيد، الرايس الحاج
الماكينا، بيضافون، رقم
98 821
بلعيد، الرايس الحاج
الشراب، بيضافون، رقم
98 807
بلعيد، الرايس الحاج
العيالات، بيضافون رقم 2-
98 881

تالكريشت، فطومة
الشيبا د ليقامت،
Pathé PV 228
جبران، احمد
الكاس حلو، 5-2374.
Pathé PA
الجيلالي، محمد بن علي
البراد، Pathé PV 142
[الحيحي]، محمد
الزنبيل، 236Pathé PV
الروداني، محمد
النعناع، Pathé PV 148
بن عبد الله، العربي
الميدة والصينية، 5-2374
عبد السلام CPT
الستيام، Pathé PV 432

Références des textes et documents en langues étrangères

ABITBOL, Michel

Tujjar al-sultan. Une élite économique judéo-marocaine au XIXe siècle. Jérusalem, Institut Ben-Zvi, 1994.

Anonyme

Relation de la Chine et de l'Inde, éd. et trad. J. Sauvaget, Paris, Société d'Ed. Les Belles Lettres, 1948.

Anonyme andalou

Livre sur la cuisine en Afrique du Nord et en Andalousie au temps des Almohades (Kitab al-tabih fi-l- Maghrib wa al-Andalus fi 'asr al-Muwahhidin), éd. D. Ambrosio Huici-Miranda, Madrid, 1965.

APFELBAUM, M. et al.

Dictionnaire pratique de diététique et de nutrition, Paris, Masson, 1981.

BRUNOT, Louis

Textes arabes de Rabat, t.1, Paris, Publications de l'IHEM., t. xx, 1931.

BRUNOT, Louis et MALKA, Elie

Textes judéo-arabes de Fès, Rabat, Ecole du Livre / Publications de l'IHEM, t. XXXIII, s.d.

BUDGET MEAKIN, James Ed.

The Moors. A Comprehensive Description, London, Swan Sonnenschein & Co., 1902.

CALATRAVA, A. & LORCA, A. V.

Dependencia alimentaria en los paises del Magreb : Un analisis critico, Madrid, I.C.M.A., 1989.

CHARMES, Gabriel

Une ambassade au Maroc, Paris, Calman - Lévy, 1887.

CHENIER, M. de

Recherches historiques sur les maures et histoire de l'Empire de Maroc, Paris, 1787, 3 vol.

COLIN, Georges S.

Chresthomathie marocaine, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien-Maisonneuve, 1951. 2è éd.

DOMENECH LAFUENTE, Angel

Cuentos del Ifni, Tetouan, éd. Marroqui,1952.

DUPIN (Capitaine)

"Exigences féminines au Fezzan", *Bulletin de Liaison Saharienne,* n° 4, avr. 1951, pp. 39-40.

EL ABBASI, Ali Bey

Voyages en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806, 1807. Paris, Imprimerie. P. Didot l'Aîné, 1814, t.1.

FOUCAULD, Charles de (Vicomte)

Reconnaissance au Maroc, 1883-1884, Texte, Paris, Challamel et Cie, 1888.

GAST, Marceau

Alimentation des populations de l'Ahaggar. Etude ethnographique, Paris, Arts et Métiers Graphiques, 1968.

GOBERT, E.

"Comment les tunisiens prennent-ils le thé ?" *Archives de l'Institut Pasteur de Tunis,* sept. 1940, pp. 322 - 323.

GUIGUA, A et MAGNIN, J.

"Le thé, la plante maudite", *IBLA,* n° 33, 1er trim. 1946, pp. 91-121.

GUINAUDEAU, Zette

Fès vue par sa cuisine. Rabat, éd. Laurent, 1957.

JUSTINARD (Lieutenant-Colonel)

Tribus berbères. Les Aït Ba Amran,(Villes et Tribus du Maroc, vol. VIII), Paris, H. Champion, 1930.

LEMPRIERE, William

Voyage dans l'Empire de Maroc et au Royaume de Fez, Paris, éd. Sylvie Messinger, 1990.

MARCET, A.

Le Maroc. Voyage d'une mission française à la cour du Sultan, Paris, Plon, 1885.

Maroc, Service Central des Statistiques,

Tableaux économiques du Maroc, 1915 - 1959, Rabat, Imframar, s.d.

Maroc. Ministère des Affaires économiques et sociales,

Niveaux de vie des ménages, 1990-91, vol 1, Rapport de Synthèse, Rabat, Direction de la Statistique,1991.

Maroc, Service central des Statistiques,
La consommation et les dépenses des ménages marocains musulmans (Résultats de l'enquête 1959 - 60), août 1961.

Maroc, *Annuaire Economique et Financier*, Casablanca, Imprimerie Rapide, G. Mercié & Cie, 1917.

Maroc, Ministère du Plan, de la Formation des Cadres et de la Formation Professionnelle,
Annuaire Statistique du Maroc, 1982, Rabat, Direction de la Statistique.

MIEGE, Jean-Louis
"Origine et développement de la consommation du thé au Maroc", *Bulletin Economique et Social du Maroc*, vol XX, n° 71, janv. 1957, pp. 377-398.

MIEGE, Jean-Louis
Le Maroc et l'Europe (1830 - 1834), Paris, PUF, t. 2-3, 1960-1962.

MIEGE, Jean-Louis
Documents d'histoire économique et sociale et marocaine au XIXè siècle, Paris, C. N. R. S, 1969.

MOQADEM, Hamid
Contes Abda du Maroc, Paris, C.I.L.F / Casablanca, Afrique Orient, 1991.

ODINOT, Paul
Le monde marocain, Paris, M. Rivière, 1926.

Poésie populaire berbère, textes recueillis par Arsène Roux, transcrits et trad. par Abdallah Bounfour, Paris, éd. C.N.R.S, 1990.

RAYNAUD, L. (Dr.)
Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc, Paris, J.-B. Baillière & fils, 1902.

RENAUD, H.-P.-J. (Dr.)
"Y a-t-il une question du thé au Maroc ?", *Le mouvement sanitaire* (Paris), 30 nov. 1928, pp. 693 - 701.

SALMON, Georges
"Sur quelques noms de plantes en arabe et en berbère", *Archives Marocaines*, t. VIII, 1906, pp. 1-98.

THOMAS, Louis
Voyage au Goundafa et au Sous, Paris, Payot, 1918.

ZRIKA, Abdellah
"Le Maroc dans une théière", *Librement*, n°1, (Regards sur la culture marocaine), 1988, pp. 14-16.

Références complémentaires en langues étrangères

AKAR, Metin

"Les mots turcs dans le dialecte arabe du Maroc", in A. El Moudden (coord.), *Le Maghreb à l'époque ottomane*, Rabat, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, 1995, pp. 33-51.

AMAHAN, Ali

Peuplement et vie quotidienne dans un village du Haut-Atlas marocain, Abadou de Ghoujdama : Etude socio-linguistique, Paris, Geuthner, 1983.

ANDERSON, Jennifer L.

An Introduction to Japansese Tea Ritual, Albany, State University of New York Press, 1991.

ANDREWS, W.H.C. (ed.),

Pamphlet and Map of Southern Morocco, or "Sus" and The Ait Bou Amaran, London, E. W. Allen, 1884.

ASHTOR, E

"Essai sur l'alimentation des diverses classes sociales dans l'Orient médiéval", *Annales E.S.C*, sept.-oct. 1968, pp. 1017 - 1053.

BEL, Alfred

"La fabrication de l'huile d'olive à Fès et dans sa région", *Bulletin de la Société géographique d'Alger*, t. 22, 1917.

BELLAKHDAR, Jamal

Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes. Contribution à l'étude de la pharmacopée marocaine, Rabat, E.T.N.A, 1978.

BEN MASSAWAIH, Yohanna

Traîté sur les substances simples aromatiques, éd. Le R. P. Paul Sbath, Bulletin de l'Institut d'Egypte, 19, 1937, pp. 5-27.

BENNANI - SMIRES, Latifa

La Cuisine marocaine... plus, Casablanca, Al-Madariss, 1991.

BERQUE, Jacques

Structures sociales du Haut-Atlas, Paris, P.U.F., 1978 (1è éd. 1955).

BERTHIERS, Paul

Les anciennes sucreries du Maroc et leurs réseaux hydrauliques, Rabat, Impr. Françaises et Marocaines, 1966, 2 vol.

BETRAND, P.Y.
Les noms des plantes au Maroc, Rabat, éd. Actes , 1991.

BLOFELD, John
L'Art chinois du thé, Paris, Dervy-Livres, 1986.

BOLOGNE, Jean-Claude
Histoire morale et culturelle de nos boissons, Paris, Robert Laffont, 1991.

BOUHDIBA, Abdelwahab
Islam et sexualité, Paris, P. U. F., 1975.

BRUNOT, Louis
"Noms de récipients à Rabat", *Hespéris*, t. 1, 1921, p. 111-113.

BURGESS, Anthony (préf.)
Le Livre du thé, Paris, Flammarion,1991.

BUTEL, Paul
Histoire du thé, Paris, éd. Desjonquères, 1989.

CARLIER, Omar
"Le Café maure. Sociabilité masculine et effervescence citoyenne (Algérie XVIIe - XXe siècles)", *Annales E.S.C.*, juil. - août 1990, pp; 975-1003.

CHRAIBI, Driss
Le Passé simple, Paris, Denoel, "Folio", 1991 (1è éd. 1954).

DESMET - GREGOIRE, Hélène
"Contributions au thème du ou des cafés dans les sociétés du Proche-Orient", *Cahiers de l'IREMAM*, n°1, 1992 CNRS / Université d'Aix-Marseille.

DINIA, Hayat
La Cuisine marocaine de Rabat. Un art et une tradition, [Rabat], Association Ribat El-Fath, 1990.

El ALAMI, Mohamed
Le Protocole et les usages au Maroc. Des origines à nos jours, Casablanca, Dar El-Kitab, 1971.

ELEXPURU, Inès & SERRANO, Margarita
Al-Andalus. Magia y seduccion culinarias, Madrid, Editorial Al-Fadila, Instituto Occidental de Culturo Islámica, 1991.

ELIAS, Norbert
La Civilisation des moeurs, Paris, Calman-Levy, 1973.

ENNAJI, Mohamed

Expansion européenne et changement social au Maroc (XVI- XIXe siècle), Casablanca, Eddif, 1996.

ENNAJI, Mohamed & PASCON, Paul

Le Makhzen et le Sous al-Aqsa. La correspondance politique de la Maison d'Iligh (1821-1894), Paris, CNRS / Casablanca, Toubkal, 1988.

ERCKMANN, J.

Le Maroc moderne, Paris, Challamel Aîné, 1885.

EVANS, John C.

Tea in China. The History of China's National Drink, New York, Greenwood Press, 1992.

FERCHIOU, Sophie

"Différenciation sexuelle de l'alimentation au Djerîd (Sud tunisien)", *L'Homme*, avr - juin, 1968, t. VIII, n°2, pp. 64-86.

FERHAT, Halima

Sabta des origine au XIVe siècle, [Rabat] éd. Al-Manahil, 1993.

FORREST, Denys

Tea for the British : the Social and Economic History of a Famous Trade, London, Chatto and Windus, 1973.

FOURNIER, Dominique et D'ONOFRIO, Salvatore (dir.)

Le Ferment divin, Paris, éd. de la Maison des Sciences de l'Homme, 1991.

GARRETT, Michelle et STEWART, John

Le goût du Maroc, Paris, Flammarion, 1988.

GAUD, Dr. M.

"L'alimentation de l'indigène marocain", *Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, jan-juin 1933, pp. 5 - 64.

GELLNER, Ernest

Nations et nationalisme, Paris, Payot, 1983.

GOODY, Jack

Cuisine, cuisines et classes, Paris, Centre Georges Pompidou, 1984.

GUENNOUN, Said

La Montagne berbère : Les Ait Oumalou et le pays Zaian, Rabat 1933.

GUILLEN, Pierre

L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905, Paris, P. U. F., 1967.

HANN, C. M.
Tea and the Domestication of the Turkish State, Humtington (England), the Eother Press, 1990.

HARDY, Georges
"L'alimentation des indigènes au Maroc", *Terre, air, mer (La Geographie)*, Paris, vol. 58, 1932, pp. 143 - 158.

HATTOX, Ralph S.
Coffee and Coffeehouses. The Origins of a Social Beverage in the Medieval Near East, Seattle / London, Washington Press, 1991.

"Histoire de l'alimentation", *Annales, E.S.C*, mai-juin, sept-oct 1961.

"Histoire de la consommation", *Annales, E.S.C*, mars-juin 1975.

HOBHOUSE, Henry
Seeds of Change. Five Plants that Transformed Mankind, New York, Harper & Row, 1985.

IBN KHALDUN, Abdur-Rahman
Prolégomènes d'Ebn Khaldoun (Texte arabe), éd. M. Quatremère, 3 vols., Paris, Benjamin Duprat, 1858.

JOUIN, Jeanne
"Valeur symbolique des aliments et rites alimentaires à Rabat", *Hespéris*, t. XLIV, 3è et 4è trim. 1957, pp. 299-327.

KASRIEL, Michèle
Libres femmes du Haut-Atlas? Dynamique d'une micro-société au Maroc, Paris, L'Harmattan, 1989.

LABAREE, Benjamin W.
The Boston Tea Party, New York Oxford University Press, 1964.

LANE, Edward W.
Arabian Society in the Middle Ages, London, Chatto and Windus, 1883.

LAOUST, Emile
Mots et choses berbères, Paris A. Challamel, 1920.

LAREDO, Abraham I.
Les noms des juifs du Maroc. Essai d'onomastique judéo-marocaine, Madrid, C.S.I.C / Instituto, "B. Arias Mantano", 1978.

LEBEL, Roland
Les voyageurs français du Maroc. L'exotisme marocain dans la littérature de voyage, Paris, Librairie Coloniale et Orientaliste Larose, 1936.

LERICHE, A.
"De l'origine du thé en Mauritanie", *Bulletin de l'Institut français d'Afrique Noire*, t. XIII, n° 3, juil. 1951, pp. 868-871.

LERICHE, A.
"De l'origine du thé au Maroc et au Sahara", *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire*, t. XV, n° 2, avril. 1953, pp. 731-736.

LEVI-STRAUSS, Claude
"Le Triangle culinaire", *L'ARC*, n° 26, 1965, pp.19 -29.

LOUIS, J. C. & YAZIJIAN, N. C.
The Cola Wars, New York, Everest House, 1980.

MARÇAIS, William
Textes arabes de Tanger, Paris, Leroux, 1911.

MATHIEU, Jean et MAURY, P.- H.
La Prostitution marocaine surveillée de Casablanca. Le quartier réservé, mémoire dactylogr., vol III, n° 2546, [s. d.], CHEAM. Paris.

MICHAUX-BELLAIRE, Ed.
"Quelques tribus de montagne de la région du Habt", *Archives Marocaines*, vol. 17, 1911.

MICHEL, Nicolas.
Une Economie de subsistances. Le Maroc précolonial, Le Caire, Institut Français d'Archéologie Orientale, 1997, 2 vol.

MIEGE, Jean-Louis (préf.)
Sucre, sucreries et douceurs en Méditerranée, Paris, C.N.R.S, 1991.

MINTZ, Sidney
Sucre blanc, misère noire. Le goût et le pouvoir, Paris, Nathan, 1991.

MONOD, Th.
"A propos de l'origine de la thèière maure", *Notes Africaines*, IFAN, Dakar, n° 97, Janv. 1963, pp. 26-27.

MONOD, Th.
"Sur la forme de la théière maure traditionnelle", *Notes Africaines*, IFAN, Dakar, juil 1955, pp. 71 - 72.

MOULIERAS, Augute
Le Maroc inconnu. Etudes géographique et sociologique, Oran, Impr. Fouque, 1895-1899, 2 vols.

NAHOUM-GRAPPE. Véronique
La Culture de l'ivresse. Essai de phénoménologie historique, Paris, Quai Voltaire 1991.

NIKKI, Keddie
Religion and Rebellion in Iran : The Tobacco Protest of 1891-1892, London, 1966.

OKAKURA, Kakuzo
The Book of Tea, Vermont / Tokyo, Rutland : Charles E. Tuttle, 1962 (1st ed., 1906).

PANDOLFO, Stefania
Impasse of The Angels. Scenes from a Moroccan Space of Memory, Chicago / London, The University of Chicago Press, 1997

PAQUIGNON, Paul
"Le monopole du tabac au Maroc". *Revue du Monde Musulman*, XIII, 1911, p p. 494-508.

PAUL- MARGUERITTE, Lucie
Chants berbères du Maroc, Paris / Nancy, Berger-Levrault, 1935.

PELLOW, Thomas
The Adventures of Thomas Pellow of Penryn, Mariner, London, T. Fisher Unwin, 1990 [1 éd. 1740].

PEYRON, Michael
Issafen Ghbanin (Rivières profondes). Poésies du Moyen-Atlas marocain, trad. et annotées, Casablanca, Wallada, 1993.

POUILLON, Jean
"Manières de table, manières de lit, manières de langage", *Nouvelle Revue de Psychanalyse*, n° 6, automne 1972, pp. 9 - 25.

RENE-LECLERC. Charles
Le commerce et l'industrie à Fès, Paris, Publication du Comité du Maroc, 1905.

REPPLIER, Agrès
To Think of Tea, Boston & New York, 1932.

RODINSON, Maxime
Art. "Ghida'", *Encyclopédie de l'Islam*, 2e éd., t. 2, pp. 1081 - 1097.

RUNNER, Jean
Le thé, Paris, PUF, Que Sais-Je ?, 1970.

SABAN, Françoise
"History and Culture of Food and Drink in China" in K. Kiple (ed), *The Cambridge History and Culture of Human Nutrition*, (à paraître).

SCHIVELBUSCH, Wolfgang

Histoire des stimulants, Paris, éd. le Promeneur, 1991 [éd. originale, Munich / Vienne, en all. 1980].

TOUSSAINT-SAMAT, Maguelonne.

Histoire naturelle et morale de la nourriture, Paris, Bordas, "Cultures", 1990 (1è éd. 1987).

TOZY, M. & ENNAJI, M.

"Visite d'un caid rural à la cour de Hassan 1èr", *Lamalif* (Casablanca), n° 188, Mai 1987, pp. 70-72.

UKERS, William H.

All About Tea, The Tea and Coffee Trade Journal Company, New York, 1935.

UKERS, William H.

All About Coffee, The Tea and Coffee Trade Journal Company, New York, 1935.

VALENSI, Lucette

Fellahs tunisiens. L'économie rurale et le vie des campagnes aux 18e et 19è siècle, Paris / La Haye, Mouton, 1977.

WATERBURY, John

North for the Trade. The Life & Times of a Berber Merchant, University of California Press, 1972.

WATERBURY, John

"Tribalism, Trade, and Politics : the Transformation of the Swasa of Morocco", in E. Gellner and Ch. Micaud (eds.), *Arabs and Berbers : from Tribe to Nation in North Africa*, London, Duckworth, 1973, pp. 231-257.

WESTERMARCK, E.

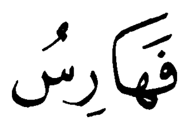
Ritual and Belief in Morocco, London, Macmillan, 1926, t. 2.

WISSER, Margaret

Much Depends on Dinner, London, Penguin Books, 1986.

YI, Sabine, JUMEAU-LAFOND, Jacques et WALSH, Michel.

Le Livre de l'amateur de thé, Paris, Robert Laffont, 1983.


فَهَارِسُ

فهرس أسماء المؤلفين باللغات الأجنبية

ستيوارت	Stewart, J. :
سوفاجه	Sauvaget. J. :
سيرانو	Serrano, M. :
شارم	Charmes, G. :
الشرايبي	Chraibi. D. :
شيفلبوش	Schivelbusch. W. :
شينيه	Chenier. M. de :
الطوزي	Tozy,M. :
طوما	Thomas. L. :
العباسي	El Abbasi, A. :
العلمي	El Alami, M. :
عياش	Ayache, A. :
ڤالنسي	Valensi, L. :
فرحات	Ferhat, H. :
فورست	Forrest, D. :
فورنيه	Fournier, D. :
فوكو	Foucauld, ch. de :
فيرشيو	Ferchiou, S. :
فيسر	Wisser, M. :
كارليه	Carlier, O. :
گاريط	Garrett, M. :
كاسريال	Kasriel , M. :
گاسط	Gast, M. :
گالميش	Galmiche :
گنون	Guennoun, S. :
گوبير	Gobert, E. :
گود	Gaud, Dr. M. :
گودي	Goody, J. :
كولان	Colin, G-S. :
كيدي	Keddie, N. :
گيگا	Guigua, A. :
گيلان	Guillen, P. :
گينودو	Guinaudeau, Z. :
لاباري	Labaree, B. :
لاريدو	Laredo, A. :
لالو	Lalu, P. :
لامبريار	Lemprière, W :
لاووست	Laoust, E. :
لوبيل	Lebel, R. :
لويس	Louis, J.C :
ليريش	Leriche, A. :
ليڤي - ستروس	Levi-Strauss, C. :
ماثيو	Mathieu, J. :
مارسه	Marcet, A. :
مارصه	Marçais, W. :
مارين	Marin, M. :
ابن ماسويه	Ben Massawaih,Y :
مالكا	Malka, E. :
مانيان	Magnin, J. :
مقدم	Moqadem, H. :
موليراس	Mouliéras, A. :
موري	Maury, P.-H. :
مونو	Monod, Th. :
ميشال	Michel, N. :
ميشوبيلير	Michaux-Bellaire. E. :
ميكين	Meakin, B. :

فهـرس الأعــلام

ب / پ

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

غ

ف/ڤ

ق

ك / گ

ل

ن

هـ

فهرس الصـور والرسوم

فهرس تفصيلي للنصوص والوثائق

الفصل الأول :

الفصل الثاني :
الحلية والحرمة

الفصل الرابع :



يحيل ذكر الشاي بالمغرب على قيم العائلة والضيافة، وتزجية الوقت في الحديث والتواصل، فكيف أصبح الشاي بالنعناع «مشروباً وطنياً» ؟ وماذا تعني هذه الصفة عندما نتناول حالة ملموسة داخل سياقاتها وملابساتها الخاصة ؟

علاقة المغاربة بالشاي علاقة تملّك رمزي لمادة أجنبية وهذا المشروب المستحدَث أصبح يشكل في وعي الإنسان المغربي، وفي صورة المغرب عند الآخر، عنصراً من عناصر الهوية الجماعية، إلى درجة يوهم معها بأن استهلاكه متجذر في الماضي.

هذا الكتاب يدعو القارئ إلى إقامة مسافة معرفية بينه وبين ما هو يوميّ ومعتاد. إنه موضوع نشأة العادة وتشكّلها، وهو موضوع ينقلنا من ألفة الحاضر إلى ماض لا يخلو أحياناً من غرابة.

تعمد المؤلفان أن يوفّقا بين المنظور التاريخي والتناول الثقافي والأدبي فنسجا شبكة من النصوص والوثائق. إن أوصاف الرحالة، وفتاوي الفقهاء، وبيانات الأطباء، ومنظومات الشعراء والزجالين، أصوات نستعيد بواسطتها لحظات وجوانب من تاريخ الأتاي واجتماعياته.